

سمير فراج  
ابن الشاطئ

# الصالونات الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربي



## بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الصالونات الأدبية في مصر والعالم العربي

المؤلف : سمير فراج

رقم الايداع ٢٠١٧/١١٢٨٤

الطبعة الأولى ٢٠١٧



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko\_5@yahoo.com

# الإهداء

إلى روح الأستاذ المستشار الشاعر

**جمال عبد الحليم حسن**

رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا

«الصديق العزيز الغالي صاحب صالون ندوة الأربعاء»

رحمه الله رحمة واسعة

المؤلف

**سمير فراج**

ابن الشاطئ





## مقدمة الكتاب للمؤلف

ونحن نرصد تاريخ الصالونات الأدبية والفنية والثقافية ، لا بد أن نتذكر قطوفاً من الماضي ، تقتضى التعريف والتذكير بحركة النهضة الثقافية والصحافية داخل هذه الصالونات ، وهنا يجد القارئ الكريم هذه القطوف عن الأميرة الجميلة «الكسندرة» ، وأنها ليست أول سيدة عربية أو شرقية تصدر مجلة نسائية أو أدبية ، أو أسبق من غيرها من بنات جنسها في إقامة ندوة أدبية أو صالون فكري يرشده الأدباء والمفكرون ، قبل أن تعرف الأوساط الثقافية الندوة الشهيرة ، التى كانت تعقدتها الآنسة «مي» في بيتها كل يوم ثلاثاء ، وتعالوا أعزائي القراء نقرأ التفاصيل المثيرة في هذا الموضوع بحثاً عن الحقيقة ، وأيضاً المراسلات الأدبية بين باحثة البادية وبين الآنسة «مي» ، وخاصة حينما صدقت «مي» حين تحدثت عن ضحكات الباحثة في مجلسها الأدبي ، وهى لم تكن سوى ستار لحزن أليم واضح .. يقطع نياط قلبها..!

هذا كله سنتعرف عليه في صفحات هذا الكتاب التاريخى الشائق والهام للغاية، والصالونات الأدبية سمة من سمات التنوير لعبت دوراً بارزاً في إثراء الحركة الأدبية والثقافة العربية في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين وما بعده بقليل ، وذلك على وجه التحديد، بل إنها اعتبرت انعكاساً حميماً وسليماً لواقع الحركة الأدبية والثقافية في المجتمع .. وكان الصالون الأدبي آنذاك بمثابة مركز ثقافة يتناول مختلف القضايا، خاصة في ظل غياب وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ، فأصبح هذا التقليد له دور مهم في احتضان الثقافة والفكر ، وهى تكريس مبادئ الحوار وتسليط الضوء على الأنشطة الفكرية والثقافية المختلفة ، وانتشرت الصالونات الأدبية في منازل عدد من الشخصيات الأرستقراطية والأدباء والوجهاء لمناقشة القضايا الأدبية والثقافية ، وفي كثير من الأحيان السياسية والاجتماعية كانت القاهرة في قلب العالم قبله الفكر والأدب والثقافة، وكانت هذه الصالونات من أفضل أساليب التواصل بين المبدعين ، ومن أهم الاتصال المباشر والحميم بين أبناء الجيل الواحد، وبين هؤلاء وأجيال الشباب الطامحين إلى التقدم واستلام الراية.

أشهر الصالونات الأدبية والثقافية:

وسوف يجد القارئ لهذا الكتاب نماذج نادرة للصالونات الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربى مثل صالون الأدبية مى فهو من أشهر الصالونات الأدبية ، واسمها الحقيقى «مارى إلياس زيادة» لأب لبنانى وأم فلسطينية جاءت إلى مصر عام ١٨٧٠ مع والدها الذى أنشأ جريدة المحروسة ، وقد اختار أحمد لطفى السيد أول مدير للجامعة المصرية الحرف الأول والأخير من اسم «مارى» ، ليصبح «مى» ، ويكون ذا جرس موسيقى يتردد فى صداه فى المحافل الأدبية بسهولة، وكان موعد الصالون الثلاثاء أسبوعياً ، وكان ملتقى الأدباء ورجال الفكر والصحافة .

وستقف أيضاً على التفاصيل المثيرة فى حياة مى زيادة صاحبة أشهر صالون أدبي.. وكان الأدباء الكبار يجتمعون حولها فى هذا الصالون مع غيرهم من كبار مفكرى عصرها ، وخفقت قلوبهم جميعاً بحبها حتى تفاوت بينهم فى درجة الخفقان .. وستتعرف على جنون الحب الذى كان فى رسائل «الرافعي» لمى ، واعتبر ذلك حالة نفسية خاصة به وضحت للجميع .

وفى نفس حكاية «مى» سنتعرف كذلك على جريمة لطفى السيد، وهل كان من حقه رفض نشر مائة خطاب حب وغرام وهيام أرسلها نجوم مصر لمى؟!

وقد أثرت «مى» الحياة الأدبية والثقافية ٢٥ عامًا عبر صالونها ، الذى يعد الأشهر فى القاهرة والوطن العربى خلال القرن العشرين ، وصالون ناظلى هانم، وإذا كان التاريخ فى مصر بالذات له ضحايا أو مظالم ، فلعل ناظلى فاضل هذه من مظالم التاريخ ، بل ربما كانت شهيدة ، كما سنعرف تفصيلاً ، وهناك صالون عائشة التيمورية البالغ اشراء والقيمة الأدبية والثقافية ، ويأتى بعد ذلك من حيث الشهرة والأهمية أو الصيت المدوى صالون العقاد بمصر الجديدة، وكان يعقد أسبوعياً يوم الجمعة ، ويضم كبار الأدباء والمفكرين ، وانفرد بطابع خاص ، وهو أن يتحدث صاحبه فى أى موضوع يختاره ، ثم يقدم الحاضرون بسؤاله ، وهو الذى يجيب ، فهو مركز حوله أولاً وأخيراً ، وقد أصدر الكاتب أنيس منصور أشهر تلاميذ العقاد مؤلفاً ضخماً تحت عنوان : «فى صالون العقاد كانت لنا أيام» ، وهو مؤلف يقدم عرضاً أدبياً وفكرياً للقضايا التى كانت موضوع الاهتمام والمناقشة .

ثم يأتى صالون الكاتب والمفكر محمد زكى عبد القادر الذى كان ينعقد فى مكتبه بشارع شريف بقلب القاهرة كل يوم أحد، ويحضره لفيف ضخم من كبار الأدباء والصحفيين والمنتقدين والمفكرين، لكنه توقف بعد وفاته مباشرة ، وإن كنت

أجد في نجله الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ سمير عبد القادر الكفاءة الكاملة لإعادة بعث هذا الصالون تحت اسم صاحبه ومؤسسه الراحل العزيز الأستاذ محمد زكى عبد القادر، ونحو النور دائماً ، وهذا ما يجب نحو الوفاء المطلوب منا جميعاً للراحل الكبير ، وكان لى الشرف أن أجريت معه حواراً صحفياً طويلاً مسجلاً قبيل وفاته بنصف الساعة فقط .. رحمه الله .. ثم لقاء الخميس . ولم ينشأ صالون الدكتور عبد المنعم تليمة بترتيب وتديبر، وإنما نشأ بصورة تلقائية منذ أكثر من نصف قرن ويقول صاحبه: إن بداية النشاط الثقافى كان فى صيف وخريف ١٩٥٦ عندما كان العالم مهدداً بحرب شاملة نتيجة تأميم مصر لقناة السويس .

فى هذه الظروف بدأت الدراسة فى جامعة القاهرة ، وكان قسم اللغة العربية بأداب القاهرة بمنزلة هيئة الأمم ، فقد تألف من قلة من المصريين ، وأكثرية من المغاربة والفلسطينيين والعراقيين وأبناء الجزيرة العربية ، بل كان من بين الطلبة دارسين من الصين الشعبية ورومانيا ، وانضم معظمهم إلى التدريب العسكرى نهائياً ، والاجتماع مساء فى منزل زميلهم «عبد المنعم تليمة» ، إذ كان الوحيد الذى لديه مسكن بالقاهرة بحى مصر القديمة ، وبعد انتهاء المعركة وعودة الدراسة استمر هؤلاء الشباب فى الاجتماع بانتظام كل خميس، وتطور هذا النشاط واستمر لمراحل متقدمة .

ومن أهم إنجازات الصالونات دوره الفاعل فى إلغاء قانون ١٩٦٤ للجمعيات الأهلية ، وفى صياغة القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ، وفى السعى الديمقراطى فى اتجاه تأسيس المنظمات الديمقراطية المستقلة فى الحياة الثقافية المصرية خاصة فى تأسيس اتحاد كتاب مصر منتصف السبعينيات ، ويلعب الآن دوره البارز الهام فى الحياة الثقافية والأدبية ، وهو دور كبير ومؤثر وفعال ، كما شهد الصالون الخطوات الأولى لاتجاهات أدبية صارت فاعلة فى ثقافتنا الراهنة : جماعة القصة القصيرة الجديدة والتجديد الروائى وجماعات الإبداع الشعرى ، و«جماعة إضاءة ٧٧» و«جماعة أصوات» .

واتخذ الصالون منذ البداية سياسة التأخى والعمل المشترك مع الجمعيات الثقافية المصرية والعربية ، ومع سفر صاحبه إلى الشرق الأقصى كان المركز هو اليابان ، ولقد تراكت لهذا اللقاء الدورى المنتظم عبر عشرات السنين خبرات وتأسست علاقات ، وكان أبقى شيء فى هذا كله الأداء الديمقراطى الحر الذى

توسل بأرقى أدبيات الحوار بعيداً عن التشدد لأيديولوجى والضيق الحزبي.

ثم يأتي صالون «حامد طاهر» ويقول صاحبه: إن فكرة الصالون تراوده منذ فترة طويلة، لكن حالت مناصبه الأدبية في الجامعة دون تنفيذها حتى لا يخرج أحداً بالحضور للمجاملة، وبمجرد ترك المناصب الإدارية أنشأ الصالون في منزله بالدقي في الاثنين الثاني من كل شهر من السابعة مساء وحتى العاشرة لإتاحة الفرصة للآنسات والسيدات للعودة إلى بيوتهن في وقت مناسب، وناقش الصالون الكثير من القضايا الأدبية والثقافية .. على سبيل المثال:

«دور الأب في ثقافة الحوار»، «الصحافة المصرية ودورها في التنوير»، «السينما المصرية وكيف تستعيد مكانتها»، «الجامعات ودورها الثقافي في المجتمع» «مستقبل الثقافة في مصر»، ودائماً يتخلل الندوات فاصلاً موسيقياً يعزفه الدكتور طارق سمير ليكون الصالون شاملاً للأدب والثقافة والفن.

ومن أقدم الصالونات الثقافية في مصر صالون الدكتور محمد حسن عبد الله أستاذ الأدب والنقد بجامعة القاهرة، ويعقد في الجمعة الأخيرة من كل شهر بحى المعادى، واتخذ له هدفاً «محددًا» وهو تنمية المعارف وإشاعة ثقافة التنوير وجهاوره من الأدباء والمفكرين وطلاب الدراسات العليا وشباب الإعلاميين والشعراء وكتاب القصة، ويختص الصالون بالإصدارات الجديدة والأفلام الجيدة ولا يضع قيداً منهجياً أو اعتقادياً، ويلتزم رواده بحق الاختلاق وأدب الحوار ويركز الصالون على شخصيات أدبية وفكرية تحظى بالثقة من وديع فلسطين وعبد المجيد شكري، ومحمود الربيعي، وعبد الغفار مكاوي، بالإضافة إلى غير المصريين الذين يخصص لهم الصالون شهر يناير خلال معرض الكتاب السنوى للحوار وتبادل الأفكار حول قضايا الأمة العربية الفكرية والثقافية .

والصالونات لأدبية والثقافية تعتبر إضافة للحياة الثقافية أى مجتمع، وهى جزء من حركة المجتمع المدنى فى تولى زمام المبادرة بدلاً من الجهات الرسمية التى تتمثل فى وزارة الثقافة ووزارة الإعلام، وبالتالي فإن هذه الاستقلالية التى تتمتع بها، توفر لها قدرًا كافيًا من الحرية فى اختيار القضايا التى تناقشها والشخصيات التى تتحدث فيها وطريقة الطرح، وكذلك الإعلان عن النتائج التى توصل إليها.. الحقيقة أننا بحاجة ماسة إلى المزيد من هذه الصالونات لتزيج حالة الجمود الثقافى

الذى يعانى منه العرب والمسلمون فى الوقت الحاضر، فإحياء واستمرار هذا التقليد الجميل عمل جليل لتصحيح المسار والارتقاء بأدب الحوار بين المثقفين الذين هم طليعة الأمة فى التنوير والإصلاح الاجتماعى والسياسى والأخلاقي.

وتبقى الصالونات الأدبية هى الوريث الشرعى لدور المؤسسة الرسمية ، وتلعب دورها البارز فى إثراء الحركة الأدبية والثقافية.

وتأتى الصالونات الأدبية والثقافية فى نهاية القرن العشرين المنصرم وبدايات القرن الحادى والعشرين الحالى لتبرز مجموعة أخرى من هذه الصالونات تلعب أدواراً أدبية وثقافية وفنية متعددة ، وتمتد جسور التواصل بين القديم والمعاصر ، والأجيال السابقة والحالية، فهى تمثل هذا الامتداد الطبيعى فى دولة لها حضارة أكثر من سبعة آلاف سنة ، يمارس أفرادها الأدب والثقافة ، وحصل من بينهم أشهر صاحب صالونات الأدب والفكر والثقافة نجيب محفوظ على جائزة نوبل، وهذا يمثل قيمة كبرى وإنجازاً هائلاً لأحد مشاهير أصحاب هذه الصالونات الأدبية .

ويعرض الكتاب كذلك للعديد من الصالونات الأدبية والفنية والثقافية وأصحابها من كبار الأدباء والشعراء والمفكرين ، وستعرف على صالون ناظمى هانم وطاهر الطناحى صاحب أول ندوة شهرية فى صالون بدار الهلال.. ونتعرف أيضاً على الأسرة التيمورية المبدعة ، وصالون عائشة التيمورية ، وأمين الخولى ، هذا الكائن الإنسانى المشع، ومجلسه الأدبى الذى يبعث الضوء والبهجة، كذلك صاحبة الجلالة فى صالون الموسيقىار عبد الوهاب، ونتعرف على الفنان الكبير صلاح طاهر أحد أصحاب الصالونات الأدبية ، وأحد المشاهير الكبار فى عالم الصالونات فى بيوت مشاهير الأدب والفكر والصحافة والثقافة والسياسة ، ونقف على تفاصيل احتفالات الأدباء أبناء المنصورة بذكرى أم كلثوم ابنة المنصورة ، فى صالون أدبى وثقافى وفنى ثابت ، يقام فى ذكراها كل عام ، ينعقد بين أدباء الدقهلية ونظرائهم خاصة القراء والباحثين.

ونلقى الضوء على صالون وشخصية الدكتور وسيم السيسى المفكر والعالم والطبيب صاحب أشهر صالون أدبى بالمعادى ، وصالون المستشار جمال عبد الحليم حسن رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا ، وندوة الأربعاء الشهيرة التى كان يقيمها كل يوم أربعاء فى مكتبه بمصر الجديدة، ويحضرها ليفى ضخم من أهل الفكر والأدب والثقافة ، وننوه بأنه تعرض للتهديد بالقتل فى ندوته،

ولم يخف ، واستمر يقدم ندوته الثقافية دون خوف «حاكم كبار المهريين للمخدرات والهريون».

وسرى فنون الخط العربى فى صالون الفنان البورسعيدى مسعد خضير الشهير بخضير البورسعيدى الذى يقيم بمقره الدائم فى الجمالية فى رحاب سيدنا الحسين ، ونقف على تفاصيل كثيرة خاصة ببيعة هذا الخط العربى ، ومهما حدث فى زمن العولمة وعالم الكمبيوتر، ويعتبر هذا الصالون مكانا مناسباً لاستعراض فنون الخط العربى لكل محبيه فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، ونصل إلى نظرات الشاعر محمد البدرى محمدى فى صالونات الأدبية والثقافية بدمياط مسقط رأسه ، والمثير أنها كانت تتعقد فى محله ، وفى دكاكين ومقاهى لم يكن يتوقف عند أى مكان بل كانت متعته أن يقيم ندواته فى هذه الأماكن ودون ترتيب أو إعداد لها.. هو فقط يدعو لندوته وصالونه ، هكذا فجأة!

ونتعرف لأول مرة من خلال ملف كامل عن أصحاب الصالونات الأدبية من أدباء وشعراء دمياط ، ومنهم طاهر أبو فاشا أحد مشاهير هذه الصالونات الشهيرة عبر تاريخ معاصر وقديم، وهؤلاء المشاهير على مستوى مصر والعالم العربى كله ، وفى صالون العقاد كانت لنا أيام للكاتب الكبير أنيس منصور، سنجد الكثير بقلم هذا الفيلسوف المفكر ، وحكايات وروايات مثيرة وهامة وشائقة سجلها الأستاذ أنيس منصور عن أحلى أيام قضاها فى حياته فى صالون العقاد.

ويبقى تقديم الشكر وعظيم التقدير للناشر الواعى الكبير الأستاذ فتحى هاشم الذى يقدم للمكتبة المصرية والعربية روائع الكتب عبر رسالته لإضافة الجديد باستمرار للحياة الأدبية والثقافية وفى كل المجالات التى تهم المجتمع وبكل الوفاء وتقديم المفيد وبذل الجهد الدءوب نحو أو تخريج إصداراته بالشكل اللائق للمؤلف ولداره مكتبة جزيرة الورد «الغراء» مع كل الاحترام له من شخصى ، وفقه الله عز وجل دائماً ومتعه بالصحة والعافية.

**المؤلف**

**سمير فراج**

**«ابن النشاط»**

## الأميرة الكسندرة

ليست صاحبة

أول مجلة نسائية أو ندوة أدبية

في مجال تعرف الجيل الجديد برواد النهضة الثقافية والصحافية في مصر والعالم العربي .. نشرت مجلة «الهلال» الغراء في عدد مايو ١٩٨٥ مقالا للأستاذ عبد المنعم شemis عن الأميرة «الكسندرة الخوري» أو «الكسندرة ملتياى أفرينوه فزنيوسكا».

ذهب الكاتب إلى أن الأميرة الكسندرة كانت أول سيدة عربية أو شرقية تصدر مجلة نسائية أو أدبية ، وكانت أسبق من غيرها من بنات جنسها في إقامة ندوة أدبية أو «صالون فكر» يرتاده الأدباء والمفكرون ، قبل أن تعرف الأوساط الثقافية الندوة الشهيرة التي كانت تعقدها الآنسة «مي» في بيتها كل يوم ثلاثاء.

وهذا الكلام يفتقد الدقة ، وينكره تاريخ الصحافة والأدب في العصر الحديث ، فإذا كانت الكسندرة قد أصدرت مجلة «أنيس الجليس» عام ١٨٩٨ فإن مجلة نسائية أخرى قد سبقتها في هذا المجال بعدة سنوات.

### هند نوفل والفتاة:

وهذه المجلة هي «الفتاة» التي أصدرتها السيدة «هند نوفل» في العشرين من نوفمبر ١٨٩٢ بمدينة الإسكندرية ، وكانت شهرية وصدرت العدد الأول بقولها: (\*)

يا ربة العلم بل يا ربة الكرم غضى لحاظك عما خطه قلومي  
تصفحه بحسن الود منعمة هذه فتاتك بين العرب كالعلم

وهند هذه بنت نسيم بن عبد الله نوفل ، ولدت في بيروت ، وهاجرت مع أسرتها إلى الإسكندرية مع أسر لبنانية كثيرة ، وكانت من بيت علم وثقافة ، فكان أبوها مدير تحرير مجلة الفتاة ، وكانت أمها «مريم» جبرائيل نحاس أو «مريم نوفل» كاتبة ، ولها كتاب «معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء» الذي طبع سنة ١٨٧٩ بأمر الأميرة «حشمت أفنت هانم» إحدى زوجات الخديو إسماعيل ، وتقول زينب فواز :

(\*) أحمد حسين الطماوى - الجيل الجديد - ١٩٨٥ - الهلال - عبد المنعم شemis.

إنها بذلت في سبيله كل ما أحرزته من الحلى والمجوهرات ، حتى لا يقال: إلت للرجال العلم والأدب وللنساء الجمال والذهب، وكانت أختها «سارة نوفل» أديبة ، ونستطيع أن نقرأ لها بحثاً عن المرأة الشرقية وتقليدها للمرأة الأوروبية ضمن كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» لمؤلفته زينب فواز العاملي.

وترجع أهمية هند نوفل ومجلتها «الفتاة» إلى عدة أمور نذكر منها:

**أولاً:** أنها أول سيدة عربية تنافس الرجال في إصدار المجلات بعد أن كان هذا المجال مقصوراً على الرجال.

**ثانياً:** أنها حطمت السياج التي كانت تختبئ خلفه المرأة العربية، فلم تعد المرأة كما كانت في الماضي تنشر المقالات بأسماء مستعارة ، أو تمهرها بتوقيعات رمزية ، أو حتى بأسماء صريحة .. وإنما رأينا بعد ذلك جملة من المجلات تصدر بأسماء نسائية مثل مجلة «المرأة» التي صدرت في حلب سنة ١٨٩٢ لنديمة الصابوني ومجلة «الأرز» التي صدرت في لبنان سنة ١٨٩٥ لفريدة الخازن ، ومجلة «الفردوس» في القاهرة عام ١٨٩٦ للسيدة لويزا جابلين، ثم تأتي بعد ذلك مجلة «أنيس الجليس» سنة ١٨٩٨ لالكسندرة أفرينوه ، وتتوالى المجلات النسائية في الصدور ، فنرى مجلة «العائلة» سنة ١٨٩٩ لأستير موريال، ومجلة «شجرة الدر» سنة ١٩٠١ لسعدية سعد الدين، وغير ذلك كثير.. كثير.

بل إن اسم مجلة هند نوفل «الفتاة» أطلق على عدد غير قليل من المجلات النسائية من عدة أمكنة نذكر منها مجلة «فتاة الشرق» سنة ١٩٠٦ للسيدة لبيبة هاشم ومجلة «فتاة النيل» سنة ١٩١٢ لسارة المهيمية من القاهرة ، و«فتاة لبنان» لسليمة راشد عام ١٩١٤ في بيروت ، و«فتاة مصر» عام ١٩٣٠ لهانم العسقلاني و«الفتاة» عام ١٩٣٧ للسيدة نبوية موسى.

**ثالثاً:** إنها المجلة الأولى التي حملت اسم سيدة وطالبت بحقوق المرأة ، ووجهت الأنظار إلى مركزها الطبيعي في الأزمنة الغابرة والقرون الوسطى وما بلغته في العصر الحاضر من العلم والأدب والأخلاق وحسن الإدارة وتدبير المنزل وتربية الأولاد وسائر الفنون كالخياطة والتصوير على حد قول الفيكونت دي طرازى في تاريخ الصحافة العربية ، وهذا التنوع في المجلة هو ما جعلها رائجة مقبولة عند القراء.



فالمراة من خلال هذه المجلة بدأت تدافع عن قضيتها ، وتطالب بما أسمته حقوق بنفسها بعد أن كان الرجال هم الذين يطالبون للمراة بالتححرر والسفور والتعليم على نحو ما نقرأ في مجلة «الراوي» لخليل زينه وفي غيرها من المجلات.

ورغم تنبيه مجلة «الفتاة» أو صاحبته إلى أنها ستأى عن السياسة والخوض في مضمارها ، فإنها تطرقت إلى السياسة وتحدثت فيها بما يخدم النساء ، فعرضت لحقوق المراة السياسية مثل حق الانتخاب ، وركزت «الفتاة» على تعليم المراة لأن العلم هو الوسيلة إلى نيل كافة حقوقها السياسية وغير السياسية.

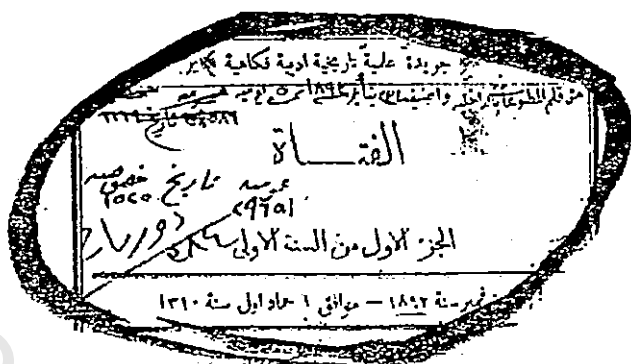
وقد كان لجرأة هند وريادتها في هذا المجال أكبر الأثر في نفوس عدد من مشاهير الكتاب في جيلها ، فقد قال عنها جرجى زيدان: «إنها جمعت لطف المراة ونشاط الرجل ، وقد وضعت حجر الأساس في زاوية البناء من الفن وجرأت غيرها على الإقدام عليه فأقدم من متابعات وعلى التوالى تكاثرت الصحفيات العربيات وتعددت مجالاتهن حتى ناهزت الخمس عشرة مجلة في نحو سبع عشرة سنة» (انظر أعلام النساء لكحالة).

وقال الفيكونت دى طرازى في «تاريخ الصحافة العربية» عن المجلة «الفتاة»: «وهى باكورة الصحف النسائية للناطقات بالضاد، ولذلك دعيت منشئها الفاضلة بأُم الصحفيات وعميدتهن».

وامتدحتها زينب فواز العاملى بقولها وكانت من كاتبات مجلتها:

|                            |                                 |
|----------------------------|---------------------------------|
| عز الفتاة يزين أرياب الأدب | وبها ازدهى الجنس اللطيف كما أحب |
| وفدت محلاة بكل فضيلة       | جمعت حضارتهما فصيحات العرب      |
| وصفت فلو وصفت جمال سائها   | أفكارنا مالت وجلنا في طرب       |
| لله در فتاتنا وفنونهما     | فلقد حوت من كل معنى منتخب       |
| فليهنى الجنس اللطيف بنشأة  | ما كان يبلغها الزمان ولو طلب    |

هذا هو قدر هند نوفل في أعين معاصريها.



وتلك مكانة مجلتها الرائدة في مجالها ولكن «الفتاة» لم تمكث طويلا فاحتجبت في عام ١٨٩٤ ، وتولت غيرها من ربات الخدور إصدار المجلات ، وما مجلة « أنيس الجليس » التي أنشأتها الأميرة الكسندرة إلا حلقة في سلسلة طويلة من المجلات النسائية التي ظهرت بعد هند نوفل و «فتاتها» .

### الصالونات الأدبية قبل الكسندرة:

فإذا انتقلنا من الصحافة إلى الأندية الأدبية النسائية وراجعنا جملة من الأقوال وتراجع بعض شهيرات السناء في الفترة السابقة على ظهور الكسندرة في عالم الأدب الفينا الأندية الأدبية كانت قائمة .

ومن هذا ما أورده الأنسة « مى » في كتابها عن عائشة التيمورية نقلا من صحيفة الأفكار في يوم ١٣ مارس ١٩٢٣ ، وكانت صحيفة الأفكار قد نشرت مقالا من الصالونات الأدبية في فرنسا وانجلترا وألمانيا وعلاقة الأدب في مصر بالدوائر النسائية الفكرية . قالت «الأفكار» : كنا نريد أن نكتب شيئا عن السيدة عائشة تيمور باعتبار أن تاريخ حياتها يفيض بالنور على الحركة الأدبية الفكرية في مصر في عهد إسماعيل وتوفيق ، ولقد أجهدنا أنفسنا على غير طائل وراء الحصول على وصف ولو بدرب سعادة ) ، ولكننا سنتكلم عن سيدة إنجليزية ( ليديا وايت ) تشبه السيدة عائشة تيمور من حيث جعل منزلها ملتقى كبار الكتاب والشعراء في عصرها وتتساءل « مى

وتساءل « مى » في تعليقها على هذا الكلام قائلة : « من أين جاء كاتب هذه الفقرة بمعلوماته ؟ أهو استند على قول عائشة ؟ »

« صرت أتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك فأجد صرير القلم . فى القرطاس أشهى نغمة ، وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة . »

وهى تعنى بذلك أيام اختلافها ووالدتها فى حداتها القصوى قبل أن تتحجب أم هو رأى ما قد يشير إلى ذلك فى القصائد العربية والتركية التى رثت بها بعض العلماء ؟ أم لديه دليل آخر ، ثم تورد « مى » قول تيمور باشا الذى قال قبل إذ: إن شقيقته كانت « محجوبة » ، أجب على السؤال الجديد بقوله: إنه يظن « أن ذلك لم يحصل » وتحدثنا الآنسة « مى » عن « الست المغربية » التى كانت تمازح الناس بشيء من الجرأة المتطرفة ، وتتطرح الأزجال مع الشيخ على الليثى وغيره ، فأين كانت تمازح الناس وتطرحهم الأزجال والأشعار ؟

وإذا كان أمر ندوة عائشة ( ١٨٤٠ - ١٩٠٢ ) غير محسوم ، وخاصة أنها نفت هى ذلك مع إعرابها عن التهاب صدرها بنار الشوق إلى محافل « العلماء » اليونان ، فإن جملة من زوجات مشاهير رجال الصحافة كن يفتحن بيوتهن لاستقبال العلماء والأدباء ، وإدارة النقاش فى شؤون المعرفة ، قبل أن تعرف الأميرة الكسندرا طريقها بوضوح إلى دنيا الأدب وعالم الصحافة .

فقد كانت مريم نمر ( ١٨٦٠ - ١٨٨٨ ) وهى أخت فارس نمر ( باشا ) وزوج شاهين مكاريوس ، وهما أصحاب صحيفة المقطم وأكبر أعلامها - تقيم فى بيتها ندوة يحضرها أصدقاء زوجها الأدباء من رجال ونساء ، فكانوا على مائدتها كأنهم فى ناد من النوادي العلمية والمحافل الأدبية وهى تطربهم بعذب كلامها وتسكرهم بخمرة معانيها . وكانت هذه الفاضلة لها جمعية أدبية أسمتها « باكورة سورية » ، وفى عام ١٨٨١ أنشئت جمعية لتعليم النساء البائسات ، فجعلت بيتها مقرا لهذه الجمعية . ولمريم نمر عدة بحوث عن الخنساء وحرارة الماء ، وزنوبيا ، وكانت تنشرها فى المقتطف واللطائف ، عدا مناظراتها مع سليم موصلى وشيلى شميل . وقد أفاضت زينب فواز العامل فى ذكر أخبارها والإشادة إلى رسائلها المفيدة العديدة . « انظر الدر المشور .. »

وثمة صديقة لمريم نمر سلكت هذا المسلك ، هى السيدة «ياقوت بركات» أو ياقوت صروف زوج يعقوب صروف ، ويقول فيليب طرازى عنها : جعلت بيتها ناديا لأصدقاء زوجها من أهل العلم والفضل ، ولهذه السيدة جملة من الأبحاث والمقالات نشرت في مجلة المقتطف.

وهؤلاء السيدات الفضليات ينتمين إلى جيل أسبق من جيل الأميرة الكسندرة ، فقد ولدت الأميرة سنة ١٨٧٢ - على أغلب الروايات - وهذا التأخر لا يقلل من قدرها لأن الأندية الأدبية والعلمية النسائية . معروفة عند العرب القدماء ، وعند غيرهم من الإفرنج ، وهذا العرض التاريخي لا يجعلها أسبق من غيرها في إقامة الندوات الأدبية في العصر الحديث .

### زيادة الأميرة الكسندره :

وإذا كان لابد من ذكر ما تفردت به الأميرة الكسندرة دون بنات جنسها . فإننا نشير إلى عملين كبيرين وهما :

**أولا :** إصدارها أول مجلة نسائية شرقية باللغة الفرنسية أطلقت عليها «اللوتس» سنة ١٩٠٠ ، ويقول خليل مطران في « المجلة المصرية » عدد مارس ١٩٠١ وقد سمىها بزهرة النيلوفر أو اللوتس للدلالة على أنها مصرية وفي هذه التسمية مالا يخفى .

وكانت الكسندرة قد تعرفت على . عدد كبير من رجال السياسة والفكر في فرنسا . فحملوها على إنشاء مجلة أخرى (غير أنيس الجليس) تصدر باللغة الفرنسية - تتحدث فيها عن المرأة الشرقية ، وتكون بحوثها ممن يهتم الشرقيين والغربيين جميعا فأنشأت مجلة «اللوتس» .

وكانت «اللوتس» تنشر المباحث الأدبية والاجتماعية لعدد من الكتاب الأوروبيين مثل الأميرة فيزيوسكا رئيسة جمعية الاتحاد العام للسلام ، وجول كلارس أحد أعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، وأميل دوشاتل أحد أعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ، وجول ليومتر الناقد الشهير ، ومن الكاتبات الشهيرات البارونا دى ستاف ، وديانا توليدو ، وماريا شليجا . وغيرهن وغيرهم .

**ثانياً :** إصدارها أول جريدة يومية سياسية ، سنة ١٩١٢ هـ «الأقدام» وأسندت رئاسة تحريرها إلى الشاعر الناثري والدين يكن ، وقد بينت الأميرة في افتتاحية العدد الأول معنى الأقدام وأثره في تقدم الأمم ونهوضها ، وطلبت من المعلمين تعليم التلاميذ فضيلة الأقدام .

وتعتبر هذه الصحيفة أول جريدة يومية سياسية تصدرها سيدة عربية أو شرقية فيما نعلم . وقد توقفت بعد فترة قصيرة من صدورها ، ولم تحاول الكسندرة إصدار أية جرائد أو مجلات أخرى بعد ذلك حتى انتقلها إلى رحمة الله تعالى في لندن سنة ١٩٢٧ .

ولم تخل الدراسة التي أعدها الأستاذ عبد المنعم شمس من الأغلاط الأخرى مثل قوله إن أنيس الجليس توقفت سنة ١٩٠٤ ، وهى خطأ وقع فيها كثيرون والصحيح أنها احتجبت سنة ١٩٠٧ ، وقد تتبعها عدداً عدداً منذ سنة ١٨٩٨ وحتى نهاية ١٩٠٦ .

وعلى وجه العموم فإن هنا البحث الذى قدمه الفاضل عبد المنعم شمس فن ترجمة الكسندرة لم يأت بجديد ، إذ أن هذه المعارف تكاد تكون تكراراً للمعلومات سبق نشرها هنا وهناك آخرها ما قدمته مجلة الثقافة فى أعدادها ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ (يوليه - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٢) تحت عنوان «أنيس الجليس والكسندرة الخورى» ، ولم يمض وقت طويل على آخر ما كتبت عنها حتى نجد سيرتها وتغنى بأمجادها .

## مراسلات أدبية (\*) بين باحثة البادية والآنسة مي

شهد مطلع القرن العشرين كاتبة مجيدة ، أخذ نجمها يتألق في الصحف المصرية ساطعا يرسل النور في دفء وحنان، ويثير شتى العواطف المتباينة فيما يخط من أفكار تنحو منحى الإصلاح الاجتماعى للمرأة ، إذ انطلقت الكاتبة الشابة ملك حفنى ناصف الشهيرة بباحثة البادية تؤدى دورها الأدبى في تفرد باهر جذب إليها الأنظار ، إذ تعالج هموم المرأة في أسلوب نابض حى يهز أوتار القلوب ويعجب به المؤيد والمعارض معا ، فأخذت أقلام الكبار تؤيد وتطريه ، وجعل أحمد لطفى السيد وأحمد شوقي وخليل مطران وأحمد زكى ، وهم من صفوة المبدعين في هذا العهد يرسلون شواردهم الهاتفية بنبوغ الباحثة ، فافتعدت مكانها الأدبى في ميعة الصبا ونضارة الشباب .

ولم يكد العقد الثانى من هذا القرن يتنفس عن عامه الأول حتى تألق نجم جديد آخرن في سماء الصحافة المصرية ، كان نجما متعدد الأضواء يرسل أشعته الرقيقة في شتى الأنحاء ، حيث لم يقتصر ضوءه على الناحية الاجتماعية وحدها ، ولكنه امتد إلى أفاق متعددة ، فكتب في الأدب والتاريخ والوجدان النفسى أعذب ما تفتخر به العربية من آيات نسوية بارعة ، وكان لهذا النجم من الومض والرفيف والحيوية والجمال ما جعل أثره خالبا جاذبا ذلك هو نجم الأدبية اللامعة ذات الصيت الرنان الآنسة مى .



الآنسة مى



ملك حفنى ناصف

(\*) الدكتور محمد رجب اليومى - الجيل الجديد.

ولم تنافس غادة الغادة ، فتصطرعا في عراك أدبي، يصول به رأى على رأى استجابة لهواتف السبق المتفرد كما يحدث كثيرا بين من تمتلئ نفوسهم بحب الذات ، ولكن صفاء النفس الحساسة وأشواق الروح المترفعة ، ورحابة الصدر الحنون لدى الأديبتين الرقيقتين دفع بهما إلى السلام فالمصافحة فالعناق فالامتزاج ، دفع بهما إلى السلام حين أنس قلم إلى قلم فرأى صورة نفسه فيما يخط صاحبه ، وإلى المصافحة فالعناق حين سعت إحداهما إلى الأخرى ظامئة متلهفة وإلى الامتزاج حين تكاشف القلبان عن أطهر الخلجات ، وأعذب المشاعر ، فامتد الناظران إلى أفق فسيح تورده الأحلام الزاهية وتعطره الأنفاس الفواحة ، فهو على البعد مرفأ السابح ، وأيك الطائر النازح ، وكما دارت بينهما المراسلات على أوراق الصحف امتد بينهما السمر الأخرى في حجرات اللقاء ، فرأت الفتاة النابغة أختها الوائبة ، تشعر بإحساسها ، وتنطق بلسانها ، وتسمعها صوتا يحتبس في قلبها ، ويتردد في أنفاسها ، ليعلن كيف تتلاقى الأرواح ، وتتناجى القلوب .

بدأت مى بالتعارف ، وهذا مما يذكر لها- إذ لم تتحمل وطأة الشوق الدافع ، فرأت أن تخرج به من سر الضلوع إلى فضاء البوح ، فكتبت مقالا بديعا يكشف هذا السر إلى صاحبة وحيه . كما يصور وقع مقالاتها في نفسها المتلهفة على الصداقة المرتقبة ، فهي تقول: إنها ترنمت باسم ملك قبل أن تعرف شخصها ، فاتخذت منها عنوانا لنهضة المرأة المصرية ؛ لأن أصوات الجمهور قد اتفقت في الثناء على فضلها وتحت يدها منذ ثلاث سنوات مجموعة مقالاتها ، من يوم أن ارتفع فيه صوتها مرشداً هاديا .

■ تقول الآنسة مى في رسالتها الأولى إلى ملك بالأمس لمست نفسك ، وقرأت أفكارك ، فعثرت على جراح بليغة وددت تقبيلها بشفتى وبروحى ، وما أطبقت الكتاب إلا وأنا أتم بنانى على غير هدى ، ولم يكن ذلك إلا إجلالا .. لصفحات قلبتها وحبا لنفس استجوبتها وعرفتها ، فيا من ارتفع قلبها إلى فكرها ، وانحنى فكرها على قلبها ، لماذا تصمتين ؟ علالتنا مستعصية لا يشفيها إلا مريض يعرفها . والمرأة بعلة جنسها أدرى ، فهي تستطيع . معالجتها ، ولدينا قلوب تحترق ولا ندرى أى نار تحرقها ، وتلهب شغفا بما لا تعرف ماهيته ، فعلمينا يا باحثة البادية كيف نرشدها ونوجهها ، ولدينا نفوس عزيزة تنمو فيها ميول مبهمة ، ورغبات حارة فأرشدنا أى الأعشاب فاسد فنقتلعه ، وأيهما الصالح فنسقيه ماء الرعاية والحنان .

هذا بعض ما قالته مى فى خطابها ، وكانت الباحثة حينئذ مريضة تشكو ألم الجسم ، وعذاب الروح معا ، وقد لاقت فى رسالة مى ما خفف بعض الشيء من آلامها ، إذ رأت روحا تهتف بها هتاف البصير المدرك ، وهمت أن ترد سريعا ، فلم تستر ، فأوصت أختها ( حنيفة ملك ناصف ) أن تكتب بضعة أسطر تعلن وصول الرسالة ، وتظهر جميل الشكر ، وتعد بالرد الشافى حين تبرا الباحثة من أسقامها وقد أذن الله بالشفاء فكان أول ما صنعته أن كتبت الرد الشاكر تقول فيه :

### رد الباحثة:

تلقيت رسالتك وكنت بين مخالب الموت ، فلم يكن فى وسعى أن أمسك القلم لأرد عليك ، كانت رسالتك عزاء جميلا لى فى مرضى الطويل ، وبلسما ملطفًا لجراحى البالغة ، آلامى أيتها الأنسة شديدة . ولكنى انقلها بتؤدة كأنى أجر أحوال الحديد ، فهل تدرين يا سيدتى ما هو لى ؟ ليس لى بحد الله . ميت قريب ابكيه ، ولا عزيز غائب أرتجيه ، وليس لى حال سىء أشتكىه . ولكن لى قلبا يذوب عطفًا وإشفافًا على من يستحق الرحمة وهذا علة شقائى

ومبعث آلامى ، إنى أحمل نفسى أعباء غيرها . ولست بمسيطرة على هذا العالم ، ولكنى عاهدت نفسى على الأخذ بيد المرأة ، ويعز على أن أتخلى عن هذا العهد .

ومضت ملك ناصف تصور جهادها الاجتماعى فى أسلوب صادق رقيق يكشف أسرار نفس بنبله ، تضم فى لفائفها أنفوس الجواهر ، وتحمل بين دمائها أعذب الأحاسيس .

### مراسلات أخرى:

تأكدت كل كاتبة من منزلتها لدى صاحببتها ، فكان ذلك مبعث هزة لطيفة يشعر بها من يعتقد أن صوته يجد المستقر اللذيذ فى إذن صديق ، نير العقل ، رقيق الوجدان ، وإذا كانت مى تميل إلى الأسلوب المترف الأنيق فإن تأثيرها اللاشعورى قد انتقل إلى أسلوب أختها الكبرى ، فصارت تعتمد الروعة الفنية اعتمادا فى أكثر ما تكتب ، لأن المقالات الأولى للباحثة كانت تهدف إلى اللبب الجوهرى دون أن تعنى كثيرا بأناقة الثوب ، ورقة الغلالة ، إذ أن ميدان الحديث عن إصلاح المرأة قد اتجه بالأسلوب إلى منحاه العلمى حوارًا واستشهادا ودفعًا ، على حين كانت مى تكتب فى مسائل الوجدان بأسلوب الشاعرة ذات الهمس الرقيق . والخيال الحالم على أن تأثيرا مقابلا



قد اتجه إلى يراع مى ، حين أخذت تعالج بعض قضايا الفكر ، فخفقت من طيرانها السابح في الفضاء لتصل إلى الميدان بين ذوى النقاش المحتدم ، والجدل المتصل وهكذا اقتربت الكاتبان تقارباً أدبياً حميداً ، وقد تحدثت الباحثة في بعض مقالاتها عن ألامها النفسية التي تساورها بين الحين والحين ، حين تنظر إلى جهادها المتصل فتجد الطريق مديداً رحباً يحتاج إلى نضال لا تملك أسبابه ، ويهولها أن يقصر خطوها عن الغاية ، فتشعر بلوعة البائس ، وتتمنى أن ترزق من القوت ما يطرد عنها ألمها النفسى لتواصل السير كما تريد وقد بلغت بما كتبت في هذا الصدد من شغاف مى مبلغاً كبيراً دفعها إلى أن تكتب لصاحبيتها مشجعة مقدرة ، كما أعلنت ما تلمسه من صدق الباحثة القوى في نفوس القارئ والقارئين إذ يتلهفون على مقالاتها لهفة الظامىء إلى الماء النмир!

### من خطاب مى:

تقول مى لصاحبيتها ( إنى لأقبض على شجاعتى بيدى لأعترف بأنى أحب آلامك النفسية الشديدة من جراء شقاء الإنسانية وضلالها ، وأتمنى من أعماق فؤادى أن تجد هذه الآلام منفذاً رحباً إلى قلبك وأن يبقى ذلك القلب الكريم لينا يجرح لجرح الغريب ، ويبكى لبكاء المظلوم ، ويشفق على المتوجع أياً كان ، وبالاختصار - عفوك عفوك - أتمنى لك العذاب المعنوى لأنه النار المقدسة أجل هو النار التي تطهر، النار التي تحيى ، النار التي تلين ، النار التي ترفع النفس على أجنحة اللهب إلى سماء المعانى السامية والميول الرفيعة ، والنهوض بالاجتماع نهضة تهتز لها القلوب حمية وطرباً ، إنى أسر إليك أمرصا وقفت عليه عندما شهدت صدق مقالاتك لدى القراء رأيتهم جميعاً يتقبلون أقوالك بنظرة الفخر وابتسامة الإعجاب، وأن البذرة التي تزرعها اليوم يد الزراع تنبت سنبله في كيانها حياة الغد، وعندما تخضر المروج بنضرة الرجاء تتماوج فوق حياتها نسمات الحياة )

### الساعة المفقودة:

فقدت الآنسة مى ساعتها الرشيقة الصغيرة ، فكتبت مقالا رقيقاً يتحدث عن الغائبة العزيزة - فالساعة كما ترى الكاتبة - صورة مصغرة للكون ، مساحتها رمز الفضاء ، وحدودها حدود الزمان والمكان ، وثوانيتها دقات القلب، إذ من الثوانى يتألف الزمان ، ومن نبضات القلب يتم نسيج الحياة.

وبعد وصف شعري رائع قالت الأنسة مى تخاطب الساعة الفقيدة: «يا بنت أيبك الزمان، إنه يغدر بنا ساعة اللقاء، ويخوننا في يوم الصفاء . ويهجركنا عند اللقاء ، فأنت غادرة خائنة هاجرة كأيبك الزمان لما أفنت قلبى الوحدة ضغطت على ساعدى قائلة: أنت الصديقة التى لا تخون ، وقد كنت تعزيتى وكنت زمانى، فما لك تهجرينى الآن؟ إذا وقعت فى يد شرير، وقصد استعمالك ليؤذى أخا ، فانقلبى أفعى لساعة، وافرغى فيه سمك حتى يسقط قتيلًا.

### رسالة الباحثة:

قرأت ملك مقال الأنسة مى فى وصف ساعتها الفقيدة ، فكتبت إليها خطابا رقيقا تعلن فيه إعجابها بأدبها الرائع ، وتحليلها النفسى البارع ، ثم قالت مداعبة :  
«إنى وجدت ساعتك المفقودة . والتقطتها . رأيتك ترثينها بحرقة فجئت لأمسح دموعك إذ أحب دائما أن أمسح دموع المحزون فتعالى إلى لتأخذها وتستغفرها من وصفك إياها بالغدر وعدم الإحساس، فإنها أحست بشوقى إليك فأنت إلى» .  
«إنها تبث إلى ما كنت تشكينه من العواطف والآلام ، عثرت على وعثرت عليها ، لنكفى قلبك شر الفناء من الوحدة، ولنؤكد لك أنك وجدت الصديقة التى لا تخون».

وهكذا كانت الساعة الفقيدة وسيلة لزيارة مى للباحثة ، إذ دعتها ملك فى لطف ودعابة ليتعارفا تعارفا ذاتيا بعد أن تعانقتا روحيا وصادفت الدعوة موضع الإجابة من مى ، فخفت إلى لقاء صديقتها فى حلوان ، ووصفت خواطر اللقاء وصفا بديعا قالت فيه :

« ذهبت إليها والشفق يضرم ناره فى قلب الأفق ، والسحب قد انقلبت هنا لهيبا ، وهناك أنوارا ، وهناك ألوانا ، أى نفس لا ترتعش اغتباطا أمام جلال الغروب ، والغروب فى مصر أبجع جمالا منه فى أى قطر آخر على أن اغتباطى بمنظره لم يكن ليلهينى عما ينتظرنى من جديد ، ولا ليحبس عن ذهنى أسئلة تتعاقب على فكر المرء قبيل اجتماعه بشخص غريب ، فإننا لا ننفك متسائلين على غير إرادة منا : ترى كيف هو ؟ على أى قرار يوقع نغمة صوته والى أى الألوان يقرب لون عينيه ، كيف يتسم ويتكلم ويتحرك :؟ بل كيف يفكر ؟ وعلى أى الأساليب تأتى أفكار » أسئلة إنما ينحصر الجواب عنها فى النظرة الأولى التى يتبادلها الغريبان ، لقد تم اللقاء وكانت

الباحثة - كما وصفتها مى - تضحك بسهولة ، وفي صوتها رنين كرنين أصوات الأطفال ، تضحك كمن يضحك من قلب لم يخالطه معنى الكآبة ، ولم تنزل بساحته وطأة الهموم وما أشد ما يسر السامع بهذه الضحكة المملوءة طيبة وذكاء ولولا أن خيالات الفكر والكآبة تتماثل على جبهتها السمرء الجميلة لتساءل المرء : أهو في حضرة امرأة ذاقت طعوم اللوعة والألم !

### محنة أليمة:

صدقت مى حين تحدثت عن ضحكات الباحثة في مجلسها الأدبي .

إذ لم تكن هذه الضحكات غير ستار لحزن أليم يقطع نياط قلبها ، فهى تحاول أن تكتمه جهد المستطاع لتضفى على المجلس روحا من البشاشة تنأى به عما يثير الكدر ومن أعنف ألوان الصراع النفسى أن يكبت الحزين أساء ليبدو مشرق الصفحة ، ضاحك السن ، إنه يعانى من آلام القهر ، وضغوط الكتمان ما يفتت أحشاءه دون أن يقف على سره أحد ، وهذا ما عناه الأديب الكبير الأستاذ على الجارم حين قال :

وأشد الآلام أن تلزم الثغر ابتساما والقلب رهن اكتابه

لقد كانت باحثة البادية غير سعيدة في منزل الزوجية ، إذ كانت وهى المتكلمة بلسان المرأة تعاني من ضروب البلاء ما يعصف بهدوئها الآمن ، لقد خدعها زوجها أولا حين تقدم إلى الأسرة على أنه غير متزوج ! ثم بنى بها ، وكان عقيما لمرض انتابه فظن أن الباحثة مصدر العقم ، وتزوج ثالثة دون جدوى ، ولم يفسح لأسباب السعادة أن تجد منقذا لزوجه ذات المشاعر النابضة بالحوية والتوثب فكابدت من عناء حياتها الخاصة ما زاد أعباءها الأدبية ، بل ما أوقد الشجون ، فجعلت تتمثل بلاء المرأة حين تصاب بما لا تستطيع دفعه ، ثم غلى الضغط على قلبها الرقيق فانفجر في أزهى سنوات العمر بعد مرض لم يطل أمده ، فروع الأمة بفقد كاتبها الأولى ، وسالت أنهار الصحف دائمة تقطر دما ، وامتد الشعور باللوعة امتدادا جازعا عبر عنه حافظ إبراهيم حين قال في رثاء باحثة البادية :

|                       |                    |
|-----------------------|--------------------|
| ح الحزن مختلف ! الصور | لا كان يومك يوم لا |
| نواح هاتفة الشجر      | علمت هاتفة القصور  |
| حزنا يقطعن الشجر      | وتركت أتراب الصبا  |

يـكـيـن عـهـدك فـي الصـبـا      ح فـي المـسـاء فـي السـمـحـر  
لـا وازع و قـد انقـضت      مـلـك يـقـيـهـن الضـرر

وجزعت مى على صديقتها ، فكتبت رثاءها الحار ، يوم رحيلها ، ونشرت دموعها في حفلة الأربعين رائية مؤبنة ، ثم أصدرت عنها كتابا خاصا ، يحلل آراءها الإصلاحية ، ويصور جهودها الأدبية فأدت واجب الصداقة ، ولبت نداء الحب والوفاء .

### من رثاء مى للباحثة:

تقول الأنسة مى :

« كانت عينا باحثة البادية مفعمتين ابتسامًا كثرها ، ولكن إذا أمعن المرء النظر في أعماقها وجد بعد الغور والكآبة المقيمة وراء الابتسام مما يرى في عيني المزمعين على الرحيل العاجل ، أولئك الذين لا تطول حياتهم أكثر من زهور الربيع فيذهبون تاركين الجو حولهم معطرًا بالعبير ، لقد كان قلب الباحثة يتلظى مضطربا ، ولم تكن ألفاظها إلا شرارا من وميضه ، وبه اختبرت البيئة المصرية ، وهالها ما شهدت من ذل وتعاسة فغمست قلبها في مداد هو سيال من قلبها الناري ، وكتبت فصولها الخالدات تقطع متقدة تدخل القلوب وتمتزج بها حتى تصير جزءا منها يأبى التفرق والانفصال فوداعًا أيتها الراحلة ، لئن نزل البلى بيدك الرطبة ، فإن الخلود نصيب ذكرك ، فأنت الآن حيث النور الشامل ، والجمال المقيم ، هناك يحيط بك أمثالك من الأرواح الكبيرة في دار جعلت مقرا أبديا للذكاء والنبوغ .

وأنا التي عرفتك وأحببتك ترينني جاثية أمام ضريح ضم جسمك الثمين لأضع على جوانبه باقة أزهار والأزهار تموت ، أما شكرنا فخالد كفضلك .

وعاشت تذكر ملك كثيرا ، ثم رحلت هي الأخرى بعد محنة قاسية لترفرف مع صديقتها فوق شواطئ الخلد ، حيث التقتا بعد غياب طويل .

## الصالونات الأدبية

### في مصر

إذا أردنا أن نؤرخ للصالونات الأدبية في مصر خلال قرننا هذا وما كان يحدث فيها لاحتجنا إلى صفحات كثيرة لتكون صورة صادقة لحياتنا الأدبية في مصر، ولكن حسبنا أن نذكر هنا في عجالة بعض هذه الصالونات في مطلع القرن العشرين ثم في منتصفه، وأخيرًا في عهدنا المعاصر - ولعل أشهر هذه الصالونات في النصف الأول من هذا القرن صالون الأدبية النابهة «مارى زيادة» المعروفة باسم «مي» والذي كان يجمع أشهر أدباء عصرها ومفكره.

كان يذخر بأسماء لامعة في عالم الصحافة والأدب كالعقاد وأنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم، وكانت المساجلات الأدبية تدور فيه بين مي وضيوفها، ومن أطرفها ما كان بينها وبين الرافعي المعجب المتيماً بها، والذي ردت على كلمات إعجابه ببيتين طريقتين من الشعر تقول فيهما:

زمانك قبلى انتهى      وهل يرجع المنتهى  
فحسبى أن أشـنـتـهـي      وحسبـك أن تـشـتـهـي

وكان لعباس العقاد تلاميذ ومريدين يجتمعون صباح كل جمعة في منزله بمصر الجديدة حيث يتدارسون ويناقشون العديد من الآراء والاتجاهات الفكرية والأدبية في مصر وغيرها من دول العالم المتحضرة، ويعتبر أنيس منصور من أخلص مريدى وتلاميذ العقاد، ولعل هواية الأديبين وهى القراءة والبحث والإطلاع المستمر في شتى الاتجاهات الأدبية هى التى جمعت بينهما.

وكان للشعر أيضاً صالوناته ومجالسه، كان من أشهر ما عاصرتة صالون على محمود طه فى أواخر أيامه وهى الأربعينيات من هذا القرن، فقد تعرفت عليه بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وبدأت جيوش الحلفاء ترحل عن مصر، وكان على محمود طه، الذى اشتهر بشاعر الجندول يستقبل فى داره أدباء وشعراء شتى من مصر وغيرها من الدول العربية، فرأيت فى داره التى كان يطلق عليها اسم

«حانة الملاح انتائه» نسبة إلى واحدة من قصائده - العديد من الأدباء مثل: الكاتب العراقي الكبير روفائيل بطنى ، والشاعر السوري صلاح الأسير والأديب المتمكن أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ، وغيرهم من شتى الأنحاء ، ولكن أطرف ما شاهدت في هذا الصالون لقاء بين شاعر الجندول وبين بعض المجندات البريطانيات اللاتي كن في طريق عودتهن إلى بلادهن ، وقام الزميل فؤاد السيد المحرر بالمصور آنذاك بتنظيم ندوة تجمع بينهن وبين شاعرنا الكبير ، سجلتها عدسة دار الهلال ، ونشرت على صفحات جرائدها ، ومن أبهج ما رأيت فيها هذا الحوار الشعري الذي دار بين إحدى المجندات البريطانيات وشاعرنا المصري ، فكانت تلقى شعرها بالإنجليزية ، ويقوم هو بالرد عليها بالعربية ، ويشارك بعض الحاضرين في ترجمة المعاني بين الطرفين .

وثمة لون آخر من الصالونات الأدبية التي كنت تأخذ صورة مهرجانات أدبية وشعرية كبيرة وأشهرها في نهاية الأربعينيات صالون الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباطة باشا ، وكان يطلق على جماعة هذا الصالون «أدباء العروبة» ، وكان مقر الصالون جمعية الحج التي كان يرأسها الدكتور الأديب محمد وصفي أحد أعضاء الصالون ، ولكن نشاطها الكبير كان في زيارة المحافظات المختلفة ، وإقامة الندوات الكبرى المفتوحة والتي شارك فيها شعراء وأدباء ومفكرون كبار من أمثال الدكتور إبراهيم ناجي والدكتور سليمان عزمي باشا والعوضي الوكيل وعبد الله شمس الدين وطاهر أبو فاشا وأحمد الغزالي ومحمد مصطفى جمعة . وخالد الجرنوسي والدكتور الأديب فخر الدين السبكي ، والكاتب الإسلامي طه عبد الباقي سرور والجمبلاطي ، وغيرهم ممن لا تعيهم الذاكرة إلى جانب الوزراء والساسة الذين كانوا يصاحبون ركب الوزير من الأحرار الدستوريين والسعديين ، وكانوا ينزلون في ضيافة مديري المديريات - المحافظون الآن - ويطوفون بمحافظات الفيوم والدقهلية والشرقية وأسيوط ، ويتبارون في الشعر ، ويناقشون القضايا الأدبية ، وكانت قصص العدس الأباطي ، والكرم الأباطي مما شمله التندير في هذه المجالس ، أذكر أنني في لقاء الفيوم ألفت قصيدة نقلتها آنذاك أسلاك الإذاعة في مصر قلت فيها:

|                          |                        |
|--------------------------|------------------------|
| فرع ومن يشدو عليه بلابل  | إن العروبة أيكّة وخائل |
| يا واحة الفيوم جاءك وافد | المجد في ركبانه يتأبل  |
| حان على الشعراء مد ظلاله | فهو هناك حمائم وبلابل  |



أحمد حسن الزيات

مى زُهيرة

مصطفى هادي الرحمانى

وثمة صالون أدبي نسائي أرسنقراطى يذكرنا بصالون الأميرة عين الحياة، ولكنه في هذه المرة كان للسيدة «قوت القلوب الدمرداشية» الواسعة الشهرة والثراء ، والذي كان يقام في قصرها المطل على النيل والقريب من ميدان التحرير ، وكان يجمع بعض الساسة والأدباء والمفكرين ، منهم الوزير حفيى محمود والشاعر كامل الشناوى والصحفى الكبير مصطفى أمين ، وغيرهم من نابغى هذه الفترة، ويقال : إن السيدة قوت القلوب كانت تنظم الشعر بالفرنسية -والشيء بالشيء يذكر طالما تحدثنا عن الصالونات النسائية ، فقد كان للشاعرة جميلة العلايلى صالون أيضًا في مدينتها المنصورة<sup>(\*)</sup>، كان يختلف إليه عدد من الشعراء الشباب في هذه المدينة في مطلع حياتهم الأدبية، كصالح جودت والهمشرى ، ولكن الصالون أغلق أبوابه بانتقال صاحبه إلى القاهرة.



صالون الملك - صباح يوم الجمعة

(\*) الغالب فى الراى أنها من دمياط من عائلة العلايلى العريقة بهذه المدينة الساحلية



الصالون الأدبي لى زيادة

### ندوات أبوللو:

وجاءت ثورة يوليو بعد ذلك، فتوقف كل شيء، وتغيرت الأوضاع والمفاهيم، فلما استقرت الأمور بعد استقرار الثورة بدأت الحياة الأدبية تعاود صورتها وظهرت الندوات المختلفة في الجمعيات الأدبية والفكرية التي حاول بعضها أن يسير على غرار ندوات جماعة "أبوللو" التي أسسها أبو شادي وانبثقت منها ندوات شعرية مختلفة كندوة إبراهيم ناجي وندوة جمعية الشبان المسلمين وندوة جمعية الشبان المسيحية، وهي بدأت قبل الثورة، وتوقفت حتى استقرت الأمور بالبلاد، لتعاود نشاطها كما قلت، وكانت هناك ندوات لجماعة الأدب الحديث وشعراء العروبة في صورتها الجديدة بعد أن رأسها الشاعر خالد الجرنوسى ومن بعده عبد الله شمس الدين، ثم ندوات لجمعيات أدبية مختلفة تحمل الأفكار والمتغيرات الجديدة التي جاءت بها الثورة - وظهرت ندوات نسائية جديدة في الستينيات كان من أشهرها ندوة الأدبية السنغافورية المولد والمصرية الإقامة خديجة السقاف والتي كانت تعقدتها بدارها في الزمالك ويؤمها عدد من الأدباء والشعراء والفنانين من الجنسين من بينهم الأديب أنور أحمد الذى قام بتمثيل دور مصطفى كامل في أحد الأفلام السينمائية، والوزير الشاعر وليم نجيب سيفين، ومديرون للإذاعة والتلفزيون، وغيرهم من المسؤولين الإعلاميين مثل: عبد الرحيم سرور، وبعض الدبلوماسيين المصريين



والأجانب المهتمين بالأدب ، ولقد عملت هذه الندوة على ربط أواصر الفكر المصرى والعربى بفكر وآراء بعض الأدباء ، وأحدث هذه الندوة تلك التى يقيمها المستشار الشاعر جمال عبد الحليم فى داره بمصر الجديدة مساء الأربعاء حيث يجتمع فى صالونه العديد من المهتمين بالصحافة والأدب والفن، وتلقى فيها أشعار الشعراء وأغاني المطربين وآراء المفكرين ، ولقد استمعت لواحدة من قصائده الأخيرة التى قامت بتلحينها وغنائها المطربة لوردكاش ، وسوف أورد بعض أبيات منها هنا.

يقول المستشار جمال عبد الرحيم فى قصيدته «سيدتي»:

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| سيدتى سحرك قد جاوز النصاب    | يفتك بالقلوب ويسحر الأبواب    |
| كبركان فتى أخشى منه اقترابا  | لكننى ظمآن واشتهى الصعاب      |
| فوق الجبين بدر يتحدى السحاب  | وعلى الشفاه أرى تمرا وأعنابا  |
| وفى عينيك بريق يضيء الشهاب   | والشعر منسدل يغازل الأهداب    |
| أين كنت حين كان الفؤاد شبابا | والحسان من حولي يشربن الأنخاب |
| ليس خيرا معتقا ولكن رضايا    | تأخرت ، مضى الزمان والشعر شاب |

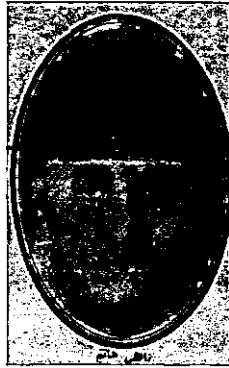
وهكذا نجد أن أيامنا هذه قد كسبت شاعراً من أسرة القانون والقضاء بعد أن كانت قد كسبت من قبل شعراء من أسرتى الطب والهندسة دفع أغلبهم إلى الهجرة وترك الوطن ومن أبرز السلبيات التى يعانى منها الإعلام العربى فى المرحلة الراهنة ذلك الدور الذى يقوم به عدد من قادة الرأى الإعلاميين وخصوصاً رؤساء التحرير وكبار الكتاب العرب فى الدفاع المستميت عن مواقف الحكومات وإعلان الخصومة شبه المطلقة للجماهير العربية ومصالحها القومية والاجتماعية مضافاً إلى ذلك إصرارهم على تشويه المعلومات وتزييف الحقائق وتضليل الرأى العام العربى وتعديل مساره بما يضمن خدمة مصالح الحكام ( وحلفائهم من القوى الأجنبية) وذلك دون مراعاة للحد الأدنى من الأصوليات التى تنص عليها مواثيق الشرف الصحفى وسائر المواثيق الدولية والمحلية فضلاً عما تقتضيه المصالح الوطنية والقومية ، ويمكن الاستشهاد فى هذا الصدد ببعض الدراسات التى قمنا بإجرائها والتى تناولت الكتابات اليومية لرؤساء تحرير الصحف المصرية فى مسألتين محوريتين هما الصراع العربى الإسرائيلى والتنمية والتحول إلى الاشتراكية وقد كشفت هذه الدراسات عن

التذبذب الواضح في مواقف واتجاهات هؤلاء الكتاب في هاتين القضيتين وذلك من خلال مقارنة آرائهم في الستينيات ورصد التحول الملحوظ الذي طرأ على وجهة نظرهم في السبعينيات إزاء نفس القضايا .

والآن هل تساعد هذه المعطيات على خلق نظم إعلامية عربية قادرة على مواجهة تحديات العصر فضلا عن أداء مهامها المهنية في ظروف السلم ولا أقول الحرب ؟ لا شك أن ذلك ليس مستحيلا ويمكن أن يتحقق من خلال:

- توفير وسائل الاتصال والإعلام لجميع القوى الاجتماعية في الريف والحضر دون تمييز بسبب الجنس أو الدين أو الانتماء السياسي
- تحقيق أكبر قدر من المشاركة الجماهيرية في عمليات الاتصال والإعلام بحيث لا يقتصر دور الجماهير على التلقى والاستقبال السلبي للوسائل الإعلامية .
- عدم احتكار سلطة صنع القرارات الإعلامية بتركيزها في أيدي الفئات البيروقراطية من العاملين في حقل الإعلام .
- إعادة النظر في التشريعات الإعلامية السائدة في الوطن العربي والعمل على تنقيتها من كل العوائق والقيود التي تعوق الإعلاميين وتحول دون قيامهم بمسؤولياتهم المهنية والوطنية والمقصود بذلك توفير الأمان الكامل لهؤلاء الإعلاميين سواء من حيث ضرورة منحهم حق تشكيل الروابط والنقابات المهنية التي تتولى الدفاع عن حقوقهم المهنية الإنسانية أو إرساء التشريعات الكفيلة بعدم الاعتداء على ما يمس استقرارهم المهني<sup>(\*)</sup> .

## صالون ناظلى هانم



إذا كان التاريخ - فى مصر بالذات - له ضحايا أو مظالم، فلعل ناظلى فاضل هذه من مظالم التاريخ، بل ربما كانت شهيدة.

وإذا كان من كتبن عن المرأة المصرية الحديثة قد ذكرن هدى شعراوى وسيزا نبراوى ودرية شفيق ومنيرة ثابت وغيرهم فإنما القليل جدًا من تكلمن أو تذكرن هذه السيدة.

وإذا كان صالون مى قد صار موضوعًا محببًا ومثيرًا تندغدغ فيه أعصاب رجال مثل العقاد أو لطفى السيد فإن صالون ناظلى فاضل لم يحظ باهتمام يذكر.

وقد جرت فى هذا التجاهل: هل لأن «مى» انتصر لها بنود جلدتها الشوام، وكانت لهم سيطرة على الإعلام، بينما ناظلى هذه تنسب إلى تركيا الشمس الغازية وتنتسب إلى الأسرة المالكة المكروهة؟

لقد كونت ناظلى هذه أو طورت سعد زغلول الذى أصبح القيادة السياسية لهذا البلد فيما بعد وطورت أو كونت قاسم أمين الذى قاد التغيير الاجتماعى فى هذا البلد، وقد أثرت فى الإمام محمد عبده، الذى قاد التغيير الدينى وحقق التفاهم بين السلفية والتحديث.

ويكفى أنها من أوائل من شاركن فى الحركة الأدبية والتنوير الفكرى وإيقاظ الحياة المصرية العامة مع بعض نساء الأسر الراقية مثل: عائشة التيمورية ثم هدى شعراوى

وكان لمشاركتهم هذه - إن لم يكن لريادتهم - أثر كبير في وضع المرأة المصرية وتغييرها من مخلوق أثنى فقط إلى إنسان كامل.

### أصل ناظلي فاضل:

لم تكن وافدة من تركيا ، ولكنها مصرية منحدرة من أصول تركية شأن الكثير من نساء الأسر الكبيرة في مصر ، على أن الشخصية المصرية سواء من الرجال أو النساء لم تكن وجدت بعد، فقد كانت الجنسية وقتئذ هي «عثمانلي» وغير عثمانلي في سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية.

وهي نفسها من أوائل من كونوا الشخصية المصرية الوليدة داخل صالونها هذا الذي احتضن سعد زغلول ومحمد عبده من ثوار الثورة العربية واللذين حكم عليهما فيها وأيضا قاسم أمين.

ويلاحظ أن رواد الأدبي العربي ربما حتى وقتنا هذا من أصل تركي، فمحمود تيمور وعائلته أترك ، وتوفيق الحكيم والدته تركية ، كما ورد في مذكراته ، وكذلك يحيى حقيق صاحب قنديل أم هاشم ، وغيرهم وغيرهم.

والد هذه السيدة هو الأمير مصطفى فاضل - أخو الخديو إسماعيل - الذي حول قصره إلى مدرسة أصبحت المدرسة الخديوية القديمة ، كان هو صاحب أكبر مكتبة خاصة في مصر أصبحت فيما بعد هي دار الكتب المصرية، ومعظم كتبها كانت عن عيون الأدب والتاريخ العربي.

وإذا كانت قد خرجت إلى الحياة العامة بعد لاحتلال البريطانى والذي بسببه كان الشعور الشعبى يضطرم بالكره للسراى فإن والداها هذا كان محبوبا بين المصريين لموقفه من إسماعيل، ولانصرافه للعلم والأدب دون السياسة؟

وقد انعكس الجو الأدبي والفكرى الراقى الذى نشأت فيه في إفساحها مكانا في منزلها لأولى العلم والأدب والحجى من صفوة المصريين الخالص أمثال: فتحى زغلول وسعد زغلول، وإبراهيم المويلحي، وإبراهيم الهلباوى ، والشيخ محمد عبده ، ولو لم يكن هذا الممتدى يحتضن الفكر التحررى والتقدمى بل والثورى ما كان يغشاه الفيلسوف ، والثائر جمال الدين الأفغانى ، أو الصحفى الثائر أديب إسحق.

أنشأت هذه السيدة - الواقع أنها الأسرة بأكملها التي يرأسها مصطفى فاضل - هذا المنتدى داخل القصر فكان أول صالون أدبي في مصر الحديثة، وكان رواد هذا المنتدى لا يكتفون بتعاطي الأدب ولا بالتراشق بالشعر والحكم، ولكن كانوا يتدارسون أحوال البلاد ذاتها سياسياً وأدبياً، يتصدون للكتب الأجنبية التي تصدر عن مصر في الخارج وتهاجم مصر أو الأحوال الاجتماعية في مصر مثل كتاب داركور الفرنسي - القاضي بالمحاكم المختلطة - «سر تأخر المصريين»، فكانت ناظلي فاضل دفع رواد صالونها دفعا لتفنيد هذه المزاعم بالحجج السليمة وبالأسلوب الأوروبي وعلى نفقتها الخاصة أيضا، كل هذا تم دون أن تتباهى أو تمن على الشعب بما فعلت، بل نقول: إنها لقيت تجاهلا تاريخيا يكاد يكون كاملا، هذا فضلا عن أن كثيرين تعرضوا لها بالتشكيك، لأن بعض الإنجليز كانوا من رواد هذا الصالون، أو لأن كلماتها كانت ذات وزن وتأثير لدى السفارة البريطانية، والواقع أن الإنجليز كانوا يحترمونها ويقدرونها، وكانوا يرون في رواد صالونها هذا خلاصة الفكر الراقى من الوطنيين الذين كان الإنجليز أنفسهم حريصين على تعرف نبضهم ومحاولة استقطابهم إن أمكن، ولكن هل يمكن ألا أن نعترف بأن أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده كانوا مخلصين لمصر وفوق أى شبهة عمالة للإنجليز، وأن تقرب الإنجليز منهم إنما كان كياسة وحسن سياسة.

لقد كتب رونالد ستورز عنها في تسعة مواضع من مذكراته المعروفة باسم «شقيقات»، والتي كانت أشبه بتقرير رسمى، وسجل دقيق له كسكرتير شرقى للسفارة في فترة كرومر، والسكرتير الشرقى هو أخطر وأهم مساعدى المعتمد البريطانى، وستورز بالذات لعب أخطر الأدوار في تاريخ الشرق الأوسط عندما خطط كمستشرق - مع فريق - في موضوع لورنس والثورة العربية الكبرى وغيرها من الأحداث.

وفي جميع ما ورد في هذه المذكرات الشبه رسمية عنها لا يمكن الشك في أى اتصال فكرى أو سياسى مع المستعمر بل فيه الكثير من الانتقاد السياسى لابن عمها توفيق، خديو مصر و«للعلماء العملاء» من الشيوخ ولأنصار البيت المالك.

عاد قاسم أمين من فرنسا حيث درس الحقوق، وكتب عدة مقالات في جريدة المؤيد، إن أول ما يكتبه الشخص العام هو دائما التعبير الحقيقى عن فلسفته وفكره

الكامن، فماذا قال قاسم أمين في أول كتاباته؟ هاجم قاسم أمين في هذه المقالات المرأة المصرية، وخط من قدرها بشدة، وطالب بالقبوح في المنزل والاقتصار على شؤون الدار وعدم الخوض في الحياة العامة بأي شكل.

غضبت ناظلي فاضل، يعني هذا أنها قرأت هذه المقالات، وأنها كانت تتابع الحركة الثقافية والسياسية، وأن عندها خلفية متوالية ومتربة ويقظة، طالبت هذه السيدة الشيخ محمد عبده أن يصحح لصديقه قاسم أمين فكره، وأن يبلغه استياءها الشخصي وغضبها، وأنها مستعدة أن تناقشه فيما زعم بالحسن قبل: أن تهاجمه علنا، فالمرأة المصرية - في نظرها المتعاطف رغم أن الوقت كان قبيل هذا القرن تقريباً - ليست بهذا السوء والضعف والتفاهة والانغلاق وأن ما ينقصها هو إعطاؤها الفرصة فقط، وأن حرمانها من الفرصة هو خطأ الرجال المصريين ليس إلا، أو هو ظلمهم لها.

حمل محمد عبده رسالة ناظلي إلى صديقه: إن المرأة المصرية متمدنة، فهمها للأمور هو نفس فهم الرجل، ومقدرتها هي نفس مقدرات الرجل، فقط أعطوها الفرصة وأفرجوا عنها (لاحظ أن الشيخ الجليل كان متزوجاً من أمية لا تقرأ ولا تكتب منذ أن كان صبياً!) ووجه إلى صديقه دعوة لمقابلة ناظلي في صالونها.

ذهب قاسم مع الشيخ الإمام، فماذا وجد؟ سيدة تتقن العربية والفرنسية والتركية كأبنائها، يؤم مجلسها قمم شامخة من رجالات مصر ويجدون في هذا المتدني غذاءهم الذهني والنفسي، لا تجالسهم فقط ولا تواكبهم فكراً وحسب ولكنها لها رأيها المستقل الثاقب في الأمور الداخلية والشؤون العالمية.

ووجد قاسم أمين - على حد قوله - نفسه أمام امرأة مصرية تدافع عن مصر ونساء مصر وحقوق مصر، وكل ما يمت إلى مصر، بل إنها تجادل الكتاب الأوروبيين، وتشدد النكير عليهم إن هم مسوا مصر، وتجادلهم عياناً وجهاً عندما يزورونها في متنها هذا، وتفعل ذلك كله دون أي حرج وبلا مقابل تتوقعه ودون طمع في مركز سياسي أو مكسب اجتماعي أو طنطة إعلامية، هذه أصالة إذن.

خرج قاسم أمين من عندها ممسوساً، علم الآن أمرين كان جاهلاً بهما: علم من ناظلي فاضل أن المرأة المصرية لو تعلمت لأصبحت خيراً من المرأة الفرنسية التي

كان قد رآها وكتب متأثراً برقيها وتقدمها في هذا الشنآن على المرأة المصرية ، وعلم من محمد عبده أن الإسلام نفسه يدعو بوجوب تعليم المرأة المسلمة.

ولما كانت أدواته في التعبير هي الكتابة ، وكان قد استعمل هذه الأداة في شجب المرأة المصرية دفعته شجاعته الأدبية أن يكتب ما يناقض ما سبق له كتابته ، ولم يصبر على ما فعل .

نشر أول مقالة له بعد تحوله من النقيض إلى النقيض في المؤيد في ١٥ مايو ١٨٩٩ والثانية في ٢٠ مايو ، والثالثة في ٢٨ مايو ، ثم جمعت في كتاب سماع «تحرير المرأة» ، صدر في نفس العام مما يبين نجاح واكتساح هذه المقالات للرأى العام ، والواقع إذن أنه تحرير لفكر قاسم أمى على يد هذه السيدة من خلال هذا الصالون ، فإذا قلنا أنها كونت أو طورت قاسم أمين لا نكون مبالغين .

نحن إذن نستقى أفكار هذا الكتاب إنما نردد الأفكار التي كانت تتردد في حجرات هذا الصالون ويمكن أن نستشف أن كل فكرة لها صاحب .

١- تعرض بأوضح تمثل لحال المرأة المسلمة وبنى أن الحالة السيئة التي أصبحت من مميزاتها هي السبب الأول لتأخر العالم الإسلامى الحاضر «لباب مقالة ١٥ مايو» ، لا شك في أن صاحب هذه الفكرة هو الإمام محمد عبده ، وأنه ردها في الصالون .

ويبدو أنه لم يكن يجاهر بها إطلاقاً في العلن ، وربما كان زواجه الشخصى عاملاً سيكولوجياً في هذه الفكرة ، هذه الفكرة أو النظرية تتفق تمامًا مع عقلانية محمد عبده ، وتتفق في أنه هو - من بين رواد الصالون - الذى كان يبحث في مشكلة الارتقاء بالعالم الإسلامى هذه النظرية أيضاً في غاية الأهمية ، لأنها تعنى ببساطة أن العالم الإسلامى كله سوف يتحرر ويعود إلى ماضيه المجيد بمجرد تعليم كافة نسائه ، نظرية قد تشجب النظريات الماركسية وقد تشجب الإسلام السياسى ذاته ، وربما لهذا كله لم يجاهر بها محمد عبده ، ولكنه ألقاها إلى صديقه قاسم ، وإن كانت النظرية لم تتعرض لنوعية التعليم فإنها تحمل في ثناياها أن تعليم المرأة بالأسلوب الأوروبى وبالتغريب النفسى إنما يمحو شخصيتها الإسلامية ويمهد لغزو الصهيونية .

العجيب إن هذه النظرية الخطيرة انتهت وتوقف الكلام عنها لدى المفكرين المعاصرين الذين تعرضوا لمسيرة الإسلام ، وتداولوا عنه آراء الجهاد أو اليسارية أو العدالة أو الاقتصاد ، وأهملوا هذه النظرية.. هل ماتت هذه النظرية بموت هذا الصالون..؟

هذه نوعية من الإعلام الهادف المغوار قارئها بإعلامكم اليوم وقد أعطيتموه من أسلحة التكنولوجيا والمال ما لا مزيد عليه ، ولكنه افتقر إلى شخصيات محمد عبده وقاسم أمين ، وأيضاً ناظلي فاضل ، وحل محلهم أصغر منهم.

٢- عاب قاسم أمين على المصريين «إهمال عقولهم» حتى صارت عقولهم أرضاً بوراً لا تنب ، وهذه نظرية أخرى من أخطر النظريات السياسية والأنثروبولوجية وإن صيغت في أسلوب غاية في البساطة والسهل الممتنع ، وأنا شخصياً أشتم في هذه النظرية بهذه البساطة الناعمة الأسلوب الأنثوى ، وأعتقد أنها من ملحوظات ناظلي فاضل ، ولقد كانت هي في وضع يسمح لها بمقارنة العقول عن كُتب فهي تستقبل في صالونها عقلاء الإنجليز المستشرقين ومن بينهم رونالد ستورز العقل المفكر لكرومر ، وكانت تستقبل كل الكتاب الأجانب الذين يكتبون عن مصر فيشتمونها ، وكانت تتقن إتقاناً يفوق الأساتذة اللغات الإنجليزية والفرنسية والتركية وتستمع إلى العربية من مصادرها الصافية أمثال محمد عبده ، فهي إذن أقرب الحضور إلى المقارنة والاستنتاج.

وهذه النظرية أيضاً لها خطورتها الجسيمة ، فهي تلخيص لفلسفة ديكرات في الشك ، وقد بنى طه حسين هذا في حديثه من الأدب الجاهلي وحديث الأربعة وغيره.

والدعوة إلى عدم إهمال العقل هي ثورة ثقافية أعمق من مجرد المطالبة بالتغيير والتنوير ، وهو مذهب يصلح كدواء في معالجة تخلف رجال الدين ، وهي دعوة قد تلد ثورات سياسية وحركات اجتماعية خطيرة جداً

قلنا: إن محمد عبده هو الذي عرف صديقه قاسم أمين بناظلي ، وما كان ليفعل ذلك لو لم يكن يحترم عقليتها ويرى في صالونها هد خيراً ، ولم يجد الشيخ في احترام هذه السيدة للإنجليز عيباً يمتعه عنها ويشنيه عن صالونها ، فهو نفسه كان الإنجليز قد «اكتشفوه» وهو في السودان وتلقفوه ورغوا خطواته على السلم السياسي



والاجتماعى ، وظلوا يحترمونه حتى دعوه إلى وستمنسر «البرلمان البريطاني» وأخذوا له صورة تذكارية هناك.

ويذكر رشيد رضا فى تاريخه للأستاذ الإمام قوله: «لو أنفقت الأميرة فاضل جهودها وجمعت المال من الأميرات وأنشأت مدرسة لتعليم الفتيات وجلبت لهن مدرسات من الشام لكان النفع أعم».

لا يفهم من هذا أنه كان يضيق ذرعا بالأميرة ، ولكنه يريد أن يحولها إلى رائدة عملية بالفعل، وأن لا تكتفى بمناقشات الصالون فقط ويأمل فى قدرتها على التغيير العملى الوثاب، وقوله أنها تجمع المال من الأميرات دون أن يقول من الشعب يعطى فكرة عن أن تعليم البنات لم يكن له أى شعبية لدى الجماهير تجعه يؤمل فى أى مساعدة مادية، وقوله أنها تجلب لهن مدرسات من الشام يقطع بأنه لم يكن فى مصر أى مدرسات مصريات، وكانت الجهالة رانية بالكامل على الجنس اللطيف فى مصر، وكان محمد عبده يريد أن يحدث ثورة فعلية حقًا ، وكان شديد الأمل فى التعليم بصفة عامة أنه يحق ثورة تؤدى إلى نجاح عز أن تحققه ثورة العسكريين أمثال عرابى الذى شاهد هو بنفسه فشلها وعوقب بنفيه إلى الشام.

### سعد زغلول وناظلى:

يذكر رونالد ستورز السكرتير الشرفى لكرومر وجورست والمستشرق الخطير أن سعد باشا كان محاميا لناظلى ، ويقول فى مذكراته : إنها «نصحته أو أمرته - لأنك من الصعب أن تفرق بين نصيحتها وأمرها - أن يتعلم الفرنسية وأن يدرس الثانوية بالفرنسية» ، هذا يكفى لأن ندرك تقدمية هذه المرأة وطموحها .

ثم إنها هى التى زوجته من صفية كريمة مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء لمدة ١٥ سنة، وكانت تزكيتهأ له هى جواز المرور للموافقة ، فقد كان سعد فلاحًا ابن فلاح ، وكان مصطفى فهمى تركيا والرجل الأثير عند الإنجليز والسياسى المطلق الكلمة فى مصر ، وإذا كانت هى التى علمته الفرنسية ثم زوجته بابنته أدر كنا كم هى قادرة على المساندة والبذل والتنفيذ ، وأهم من ذلك أدر كنا مقدرتها الفائقة على حسن الاختيار وعلى صدق الفراسة من ناحية ناظلى ومبلغ الزعامة الكامنة فى سعد حتى يفرض زعامته مبكرًا على هذه الأميرة ذاتها.

ويبقى بعد ذلك أهم مساعدة أدتها لسعد زغلول، فهي التي رشحته بقوة وتصميم ليصبح وزيراً، أول وزير مصري في وزارة هي أهم وزارة وقتئذ وزارة المعارف، وقد كانت تنتهي آمال سعد في ذلك الوقت أن يصير مدير مكتب البعثات في لندن فقط، صحيح أن تزكية ناظلي وحدها لم تكن لتكفي في التأثير على المعتمد البريطاني لولا كفاءة سعد نفسه، وها هو الصالون نفسه يعج بصفوة الصفوة من أهل الرأي: محمد عبده، قاسم أمين، الشيخ علي يوسف، الدمرداش باشا وغيرهم، بل أن رونالد ستورز ينص في مذكراته على أن فتحي زغلول أخا سعد كان أشد ذكاء، وكان أكثر ميلاً للإنجليز - فهو الذي ألف كتاباً عن سر نجاح الأنجلو سكسون - ثم يذكر أنه مات محسوراً لأنهم لم يختاروه وزيراً!!

ولعل في كل هذه المساندة من ناظلي لسعد زغلول تكفيراً لمن يقول بأنها كانت إنجليزية الهوى والميول فقد خدمت الوطنية - بقصد أو بغير قصد - واشتركت في الحركة الوطنية بغير قصد وبطريق غير مباشر بتكوينها من خلال صالونها لسعد زغلول، نعم، فكل سياسى أو رجل عام يدرك تماماً أن أصعب خطوة في حياته هي الخطوة الأولى التي يضع فيها رجله على أول السلم للظهور تحت الأضواء، وأن كل ما يتبع ذلك يكاد يكون سهلاً وتحصيل حاصل، وها هي ناظلي بكل تأكيد كونت لسعد زغلول خطوة النجاح الأولى في يسر وسهولة لا مزيد عليهما بتعليمه الفرنسية وتزويجه من بنت رئيس الوزراء واختياره وزيراً.

### رونالد ستورز وصالون ناظلي:

خدم هذا الرجل كاستعماري خطير في مصر منذ ١٩٠٤ وكتب مذكراته بتفصيل وتطويل كامل لمدة ثلاثين عاماً، واشترك في صنع الوزراء والملوك والمؤامرات وثورة لورنس، المسماة الثورة العربية الكبرى، وإدخال الصهيونية في التاريخ بعد ألفى عام، ولم تكن تفوته تدوين مذكراته - شأن كل السفراء الإنجليز وأعوانهم - أدق التفاصيل. ولو أوردنا ما كتب عن صالون ناظلي فاضل لفاق نطاق النشر، ولكننا نجمل ما قاله فقط: أخذني زميلي جريفز الأسبوع الماضى إلى الأميرة ناظلي، وهي الأميرة الوحيدة في البيت المالك المتكلمة والمتحررة، وقد دخلت علينا الساعة الثالثة، وظلت تتكلم حتى الرابعة والربع في إنجليزية رائعة دون أن تعطى فرصة لأحد في الكلام، لقد كانت جميلة يوماً ما، ولكنها الآن لماحة، ولها عينان

فيها نفاذ عنيف ، وهى لا تخفى الاستهانة بملوك الأسرة واحدا وراء الآخر، وقد كانت تزوجت وهى صغيرة السن جداً فى أسطنبول ، وعاشت فى ضيعة وقصر منيف وكان سفيرنا السير لا يارد يراها كأب ويحرص على أن يعرفها الحضارة الأوروبية ، وقد ظلت تحتفظ بعدد وفير من الخدم والعبيد الذين عاشوا داخل الأسرة أحقاباً طويلاً ، ولقد تعرفت فى مقابلات شخصية بالملكة فكتوريا والملك إدوارد والسلطان عبد الحميد ومعظم رجالات السياسة البارزين فى عهدها .

ولا أدري أن كان زوجها السابق مات أو طلقها ولكنها عندما عادت إلى القاهرة كانت تزوجت تونسياً هو بوحجاب بك عمدة المرسى ، وهو زواج لإسكات الناس فقط إذ أنه يعيش فى تونس ، ولكنها فى قصرها هنا خلف سراى عابدين - الذى يعج بالخدم - تستضيف صفوة من المصريين والأجانب الموجودين فى القاهرة .

تدخل قصرها حيث يوجد خلف البوابة اثنان من الأغوات ، كل أفا فى مصر يسمى باسم زهرة أو حجر كريم ، ثم تدوس فى طرقات مفروشة بالظلط ومغروس فيه أشجار ظليلة وترقد تحتها قطط « ملكية » ثم تصيح يا ساتر أو يا ستار ( تذكر أن هذه هى أحد أسماء الله ) ومعنى ذلك أن رجلاً فى الطريق ، وعلى نساء البيت أن يتبرقعن ، وسرعان ما يجرى عبد أو عبدان وهما يضحكان فى خفة ولطف على السلم أمامك ليبلغا « البرنسية » بوصولك ، ثم تدخل أنت إلى الصالون وتنتظر ، لابد أن تنتظر ولو دقيقة ، ولكن لابد من هذا الانتظار حتى لو كان الميعاد محدداً من قبل ، وحجرة الصالون لو تأملتتها شعرت بخوف مضحك ، ولكنها على كل حال تعبر بصدق عن شخصية هذه السيدة بخلاف صالونات حديثى النعمة فى هذا البلد حيث يحشرون أشياء لا يفهمونها ولا ارتباط بينهم وبينها لمجرد القدرة على الشراء ، ففى صالونها هذا ترى قناديل الجاز معلقة من السقف ولكنها أوصلت إليها الكهرباء وتركبتها كما هى ، وكل المقاعد من طراز لويس الخامس عشر مذهبة الإطار ومتعبة جداً فى الجلوس ، وكل منضدة فى الصالون محملة بأوساق من الصور الفوتوغرافية اللامعة وغير المبروزة ، فقط صور عبد الحميد سلطان تركيا وأعضاء أسرنا المالكة البريطانية واللورد كتنشر واللورد جرنفل واللورد كرومر هى المبروزة ، وقد ألصقت على الجدران صور من مجلات وجرائد بحيث أنك تستطيع أن تتبع كل أحداث العشرين سنة الماضية من التفرج على هذه الصور الإخبارية .

هذه الأميرة تناصرتنا بقوة ، وأحيانا هذه المناصرة تضيق بها ومثل باقى السيدات الإفريقيات فهى تضيق ذرعاً بأبناء جلدتها ، بل تضيق بنا أحيانا لو حاولنا الاتصال والتفهم بالتيار المضاد لنا، فالنائب البرلمانى الحر روبرتسون الذى يناصر التطلعات الوطنية المصرية الحديثة زار القاهرة ، فكتبت ناظلى إليه مرتين لتدعوه ، ولكنه لم يجد وقتا للزيارة كتبت له تقول: «بعد أن تلقيت اعتذارك الثانى عن زيارتى لضيق الوقت أعتقد أن أصدقائى كانوا على حق عندما أكدوا لى أن أصدقائك المصريين لن يسمحوا لك بالزيارة ، وكنت أشك فى أن إنجليزيا يمكن أن يقع فى تأثير المصريين ، ولكن حبيبى لمصريين فاق حبيبى للإنجليز! وما كنت أريد مقابلتك إلا لكى أناقشك فى شؤون بلدى وشؤون بلدك دون خوف من كليتنا أو تحرج وأرجو قبل أن تغادر مصر أن تكون قد وصلت إلى حقيقة تشكر عليها بلدك وهى أنها حققت العدالة والرخاء لمصر». ويقول روس : إنه مستعد أن يعطى نسخة مصورة من هذا الخطاب لكل من يتهم الإدارة البريطانية بالاستبداد أو بالتقصير فى مصر . (ولكن لا يفهم من هذا أنها كانت عميلة أو متآمرة أو متفجرة من الإنجليز ، ولكنه يدل فقط على أن أبعاد الاستعمار وحقيقة الاستعمار لم تكن فى هذه المرحلة الحينية قد تكشفت أمام نظر المصريين عامة).

ثم يتابع روس - فى ترقب الصياد لفريسته - ناظلى ، فيقول: فى يوم الخميس التالى: رغم أنها لازالت أنجلوفيل (مناصرة أو مشايعة للإنجليز) إلا أنها أصبحت ضد جورست ومع الخديو! وقد كتب إليها كتشر بسبب ذلك خطاباً طويلاً.. انظر دقة الاستعمار البريطانى ونعومته فى المراقبة.

ثم يصف روس بعض من تعرف عليهم فى صالونها وندرك منه أن معظم السياسيين المصريين تكونوا هنا فى هذا الصالون.

يقول: إنه قابل فى الصالون مدير الأوقاف واسمه حسين رشدى باشا ، ثم يضيف : إن لقبه النهائى هو طوبوزاده، وأن معنى هذه الكلمة بالتركية «ابن المدفع» ، وأنه لاعبه الشطرنج ليرى مدى تفكيره ، وأنه لاحظ أنه شخص قادر ذهنياً وليس فيه عيوب خلقية إطلاقاً ، وأنه لا يبنى التفكير ، وأنه يفرح فى صخب معلن عندما يلعب لعبة ناجحة (هذا الرجل أصبح فيما بعد رئيس وزراء مصر والقائم بأعمال الخديو أثناء الحرب عند عزلهم لعباس الثانى).

ويقول: إنه قابل عندها رءوف باشا المندوب السامى التركى، وأن رءوف باشا كان يدعو بالتركية ضده وربما يشتمه بالتركية وأنه لاعبه لعبة «ترك تراك» فهزمه رءوف باشا.

وقابل ستورز هناك أيضا الشيخ على يوسف صاحب المؤيد، ويصفه بأنه رجل السراعى، وأنه أعطى ستورز ساعة من وقته أمضاها فى مناقشة ذهنية، وإن كان على يوسف يضمم دائما تحفظا نحوه.

وقابل رئيس التكية البكتاشية ويصف الطريقة البكتاشية بأنها شيعية وقد زارهم فى مغارتهم فى جبل المقطم وزار قبورهم قبرا قبرا قائلا كلما مر على قبر: السلام عليكم أهل القبور ثم يرد على نفسه: السلام عليكم أهل الدنيا، وأن هناك تقليدا شائعا أن من لا يقول هذا يموت ابنه خلال ٣ شهور ويحترق منزله، وهذه الطريقة البكتاشية كانت وثيقة الصلة بناظلى فاضل وهى التى رتبت لهم زيارتها.

ويقول روس: إنه حاول أن يقيس مدى تدينها، فيقول: أنه أثناء عشائه هو وجريفر معها فى صالونها ذكر دانتى (الشاعر الإيطالى) فهاجت هياجا شديدا وشتمت الطلائنة جميعا، لأنه فى هذا الوقت كانت الجالية الإيطالية تريد عمل تمثال لدانتى فى الإسكندرية، ومعروف أن دانتى وضع محمدا ﷺ وعليًا فى جحيمة المزعوم معلقين، وقالت ناظلى: أنها كانت تعيش فى قصر فى بافاريا تركته بعد خمس دقائق بالضبط من سماعها هناك أن رجلا بالقصر يكتب كتابا ضد سيدنا محمد ق.

ويمضى رونالدروس فى ذكر تفاصيل عن ولائها للوزراء والسلوك السياسى وعن العشاء المفاجئ لضيوفها فى الصالون، يذكر أيضا الموسيقى التى كانت تدار عندها، ويدخل أيضا الموسيقى التى كانت تدار عندها، ويدخل فى تفاصيل التفاصيل عن الموسيقى الشرقية مما لا يعبر على قراءاته إلا فنان موسيقى موله بالموسيقى، كل هذا فى تقرير سياسى لأنه لم يكن يفوته أن يقرر كل ما تقع عليه عينه. وقد ضمن هذا كله فى كتابه شوقيات.

وبعد فهذه هى ناظلى فاضل بشرها وخيرها، ومن منا بلا شر أو بلا خير. ولكنها قطعا اشتركت فى صنع تاريخ مصر الحديث ولو من خلال سعد زغلول ومحمد عبده وقاسم أمين وعلى يوسف ورونالد ستورز وكتشنر، ومع ذلك لم تلق من مؤرخينا اهتماما يذكر<sup>(\*)</sup>.

## طاهر الطناحي الصحفي الدمياطي النابغة

### عمل أول ندوة شهرية لمجلة الهلال عندما كان رئيس تحريرها

حياته في فلسفتها العميقة ضحكة ودمعة والإنسان بين الاثنين في صراع مرير.. فكانت الضحكة تجمع الناس من حوله وتقربه من الحياة.

واستطاع الطناحي أن يؤثر تأثيراً قوياً كل الأعمال التي تولاها حتى اعتلى المناصب الصحفية ، وأعطى العمل حقه ، وأكثر مما أحب نفسه أنكر ذاته ولم يشأ أن يعرف الناس عنه شيئاً حتى اسمه!

### اشتغاله بالصحافة:

عمل بالصحافة وهو طالب بدار العلوم حيث التحق بدار الهلال لمؤسستها جورجى زيدان وعمل مع مع أميل شكرى زيدان وتدرج في العمل بالتحرير حيث اختبر رئيساً لتحرير مجلة « الدنيا المصورة » وتدرج في

العمل بالتحرير حيث اختبر رئيساً لتحرير مجلة الهلال وتولى رئاسة تحريرها وفي عهده نجحت المجلة في عهده نجاحاً عظيماً وهو أول من فكر في عمل ندوة شهرية لمجلة الهلال تعقد بدار الهلال يدعى إليها كبار الكتاب والمفكرين والسياسيين ، وفيها تدار المناقشة حول موضوع معين ، ثم تنشر هذه الندوة وما دار فيها من مجلة الهلال ذات الموضوعات المختلفة وقد اشترك في هذه الندوات العديد من الشخصيات منهم حبيب المصرى باشا والسيدة أسماء فهمى والسيدة كريمة السعيد والدكتور حسين كامل سليم والدكتور أمير بقطر عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت.

### حبه لدمياط:

وكان طاهر الطناحي يمتاز بدمياطية إلى حد كبير ، يذكر دمياط ويدافع عنها في أى مكان يجلس فيه ، وأنه قطع علاقته الشخصية فترة طويلة بصديق تحدث عن دمياط بسوء ، فما كن من طاهر الطناحي عليه رحمة الله إلا أن قام محتجاً على قول صديقه وغادر المجلس وصديقه يجرى وراءه ويقول له : إنها مجرد نكتة يقولها أى فرد

وعلى أى بلد ، ولكن طاهر الطناحى لم يرض ولم يصفح عن صديقه إلا بعد فترة من الزمن .

وكان يقول : أنا دمياطى أمثل دمياط .

### صفاته:

وكان أنيقاً فى ملبسه يختار من الألوان ما يتفق وقامته المهيبة ، وكان يجب أبا العلا المعري كثيراً ، ويقول: أنا أشارك الدكتور طه حسين فى حب أبى العلا المعري ، وكأنما يقول لمن حوله : إن أبا العلا كان فيلسوفاً وشاعراً ومر بتجارب كثيرة وكان يختار أصدقاءه ممن يكونون على خلق عظيم وتدين ونذكر منهم المرحوم الشيخ محمود أبو العيون وكيل الأزهر وكان صديقاً للدكتور السنهورى باشا الذى كان وزيراً للمعارف فى ذلك الوقت وسافر معه أسفاراً كثيرة منها رحلة للسودان فى يناير ١٩٤٦ ، وعاد من هذه الرحلة ليكتب الكثير عما شاهده فى السودان ، وكان يقول: أنه شاهد أماكن فى السودان تشبه دمياط إلى حد كبير .

وقد دعاه الأمير محمد على ولى العهد علم ١٩٤٦ لإجراء حديث معه لينشر فى الهلال فظل الأمير يتكلم وطاهر الطناحى ينصت إليه وفى نهاية الحديث قال له الأمير: لماذا لم تسجل ما دار بيننا من حديث؟ فقال له: لقد حفظته عن ظهر قلب ، وشك الأمير فى ذلك وطلب إلى طاهر الطناحى أن يرى الحديث بعد تبيضه وقبل النشر، وفعلاً قام طاهر الطناحى بذلك وحدد موعداً مع الأمير الذى ما إن أطلعه عليه طاهر الطناحى حتى قال له الأمير: أنت ذكى وأمين ، أكثر الله من أمثالك ، ثم سأله عن بلده فقال أنه دمياط العريقة التى اعتز بها يا سمو الأمير .

كان يؤمن بزوال الملكية وكان يقول: إنها تमित نفسها بنفسها لأن ما يفعله الملك لا يتفق والمبادئ الكريمة .



كان إذا اعترضه عمل صحفى شاق وقف أمامه بثقة وقوة مهما كانت قوة هذا العمل ويردد: لأستسهل الصعب أو أدرك المنى.. فما انقادت الآمال إلا لصابر ويظل ساهراً مشغولاً به حتى ينتجزه ويتمه.

### تربيته لأولاده:

ربى أولاده تربية طيبة لفتحهم أصول الدين الحنيف ، والمبادئ الكريمة، وكان يقول: إننى أربى أولادى تربية دمياطية ومهم اللواء ثروت، وكان حكماً دولياً وثابت مدير مؤسسة واللواء كمال الذى كان مديراً لمكتب الفريق الجسمى ، ومنير وثريا وابتهاج ، وقد أحسن اختيار الزوجين للكريمتين ، فاختر لهما زوجين دمياطيين من أقربائه مقيمين بالقاهرة.

### مؤلفاته:

كتب طاهر الطناحى عدة كتب منها : الفنان الثائر إبراهيم بن المهدي وعلى فراش الموت.

### عاش مع الطناحى:

ويقول الأستاذ محمد نصر الدين البساطى أحد أقاربه عشت فترة من الزمان قريباً من طاهر الطناحى وعندما كنت طالباً بالقاهرة كنت أشارك فى الندوات التى كان يعقدها فى دار الهلال شهرياً وتربيت على أخلاق الطناحى وتعاليمه العظيمة، وقد كان مبتسماً دائماً ويقول: «إن الابتسامة تفتح الطريق أمام العقل والتفكير»، وعن وفاته لأساتذة فى معهد دمياط أنه كان شديد الحرص على أن يذكرهم بخير ، ويوجد فى ذلك متعة عظيمة، فكان يذكر الشيخ محمد جبر والشيخ حسن الحلوجى والشيخ محمد عبد اللطيف خضير والشيخ محمد خفاجى وشيخ معهده عبد الرحمن الخضرى وغيرهم ممن كانوا أساتذة له فى معهد دمياط.

كذلك كان يعتز بزملائه القدامى ويراسلهم ويراسلونه.

### وفاته:

توفيت زوجته عام ١٩٦٦ ، فحزن عليها حزناً شديداً لأنها رفيقة مشوار عمره حتى مرض مرض الموت.

وعاش الطناحى فى عالم الصحافة يرحب بكل قادم إليها دائماً يحمل فى بدء



مصباحًا والزيت في المصباح عصير قلبه الذى يحمل الحب للناس ، والفتيل فيه هو نفسه تتحرق من أجلهم ومن أجل أن يتبنوا طريقهم واضحًا وحتى لا يضل أحدهم أو أن يتخبط في ظلام الطريق ، وقد نسيناه ولم يأخذ حقه من التكريم وحتى أبناء هذا الجيل لا يعرفونه.

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب جزاء ما قدم لأهله ولبلده وللأمة من خير. وطاهر الطناحي.. كاتب راقى له الصراعات المذهبية فقدم منها قصصًا حية استوعب التفاوت بين الصحافة والأدب ونجح في الجمع بينهما ولم يغيب عن ذهنه أن كل منهما سننه وميادينه.

كانت مجموعته القصصية الليالى هى باكورة إنتاجه القصصى وقدمها فى أربع قصص صغيرة وجعل كل قصة منها فى كتيب صغير.

فى هذه القصص انتقد الكاتب زخرفة الأساليب وتنميقها التى كانت سائدة - هذه الأيام - وجعله جمعة بين الأدب والصحافة يرى أن القصة يجب أن ترتبط بالحياة وروح العصر.



طاهر الطناحي، كانت نشأته ودراسته أدبية، ثم استهوته الصحافة، وأدخلته في بلاطها، فلا جرم أن جمع بين الصحافة والأدب طيلة حياته الثقافية، وإذا كان الأدب يتأني لأن غايته الإقناع، ويتعامل مع فئات قليلة في المجتمع، والصحافة سريعة الإيقاع، وتتناول الأحوال السائرة، والأخبار اعارضة، وتخطب جمهرة كبيرة من الناس، فإن الطناحي كان مستوعباً لهذا التفاوت، ولم يغب عن ذهنه أن لكل منهما سُننه وميادينه، ومن هنا فإنه لم يكن صعباً عليه مسaire طبيعة الفن، في الوقت الذي يلبي فيه مطالب الصحافة، وقد سهل عليه ذلك بلوغ الفوز حسباً قدرته له إمكاناته.

### نشأته:

ولد طاهر أحمد الطناحي بمدينة دمياط في ١٠/٨/١٩٠٢، ونشأ بها، ويقول في كتابه «شوقي وحافظ» إنه تلقى تعليمه في مدرسة على العزبي الابتدائية، والعزبي شاعر وكاتب وصحفي أنشأ جريدة دمياط، وكانت تربطه علائق قوية بشعراء عصره ومفكره، وعند موته عام ١٩٤٢ كتب عنه لطفي جمعة ثلاث عشرة مقالة متتابعة في «منبر الشرق». وقد حاكي الطناحي أستاذه في اتجاهاته.

ثم التحق بالمعهد الديني بدمياط حيث حفظ القرآن الكريم، وتثقف بثقافة إسلامية واسعة، وبخاصة عندما أنهى المرحلة الابتدائية وانتقل إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعي، وكان لهذه الثقافة الدينية أثرها في كتاباته، ومنها الكتب التي قدم لها بمقدمات ودراسات مثل «دروس من القرآن الكريم» و«الإسلام دين العلم والمدنية» و«رسالة التوحيد» وجميعها للشيخ محمد عبده.

### الليالي:

وفي عام ١٩٢٤ أدخل مدرسة دار العلوم، وتواصل درسه فيها، وتوسع في قراءة الكتب القصصية، وتطلعت نفسه إلى التأليف والشهرة. ولماذا لا يكون له كتاب من ثمرات فكره؟ فأقدم على إنشاء أربع قصص صغيرة أطلق عليها اسم «الليالي»، وجعل كل قصة منها في كتيب صغير، وجاءت الأولى تحت اسم: «الليلة الحزينة» والثانية هي «في ضوء القمر» وطبعهما عام ١٩٢٦، والثالثة «مدرسة سقراط» وتتضمن دعاية وفكاهة، والرابعة «جميل بثينة» وتتناول قصة العشق الشهيرة، وصدرتا عام ١٩٣٧.

ويتنقد في هذه القصص زخرفة الأساليب وتنميقها، ورأى أن تكون القصة مرتبطة بالحياة وروح العصر، وأحداثها واضحة، ومتسلسلة، ويمهد كل جزء منها لما يليه، وتصور حالة الشخص، وعلاقتهم بالحياة، وحديثه عن البناء القصصي، والاهتمام بالشخص، وتجلية الحوادث من التصورات الفنية للقصة، جاءت في زمن شح فيه النقد القصصي.

وهذه «الليالي» وبخاصة الأولى والثانية، رومانتيكية الطابع، خيالية النزعة، عاطفية المنحي، تصور الآلام المتكاثفة، والنفوس الكآبية القلقة الحزينة، وخيبة الآمال، ومع ذلك لانعدام حركة الواقع فيها، إذ ينتقد أوضاع المرأة العصرية، وبعض العادات والتقاليد الاجتماعية.

وسماع الطناحي للقصص من الأقارب، ومطالعتها في الكتب والصحائف من مكوناته الثقافية، ومن العوامل التي وجهت ذهنه إلى كتابة مزيد من القصص، يقول في مقدمة الليلة الحزينة: «نشأت وللخيال في نفسي أثر لا يفارقها منذ كنت أجلس إلى قريباتي لسماع ما يروينه من الأساطير حتى شببت محباً للقصص على اختلافها، فطالعت ما شاء الله أن أطلع، فكان ذلك في تكوين ملكتي الإنشائية.

#### فضاء مطلق

مازلنا في مرحلة دار العلوم، وقد كتب هذه القصص وهو طالب بالقسم العالي فيها، ونهاية هذه الفترة تتنافر الأقوال فيها، فيقول على بركات في كتابه «مفكرون وأدباء من بورسعيد» وكان من مخالفته: «وواصل دراسته وتخرج في مدرسة دار العلوم» وقال ذلك غيره. ويقول نقيض هذا الدكتور محمد رجب البيومي في (مجلة الهلال سبتمبر ١٩٨٩) وكان من عارفيه وخلصائه، ونص عبارته: «ولأمر ما ترك دار العلوم قبل أن يظفر بشهادتها العلمية، لأن عمله بالأهرام فدار الهلال قد اتجه به إلى الفضاء المطلق، مادام يملك الموهبة المسعفة والقلم المبين»، وهذه القضية لا يؤخذ فيها بالكثرة أو بالأغلبية، وإنما بقول رسمي يصدر من «دار العلوم» وعلى أية حال فإن النجاح والتفوق في الحياة الأدبية والفكرية والفنية ليس موقوفاً على الشهادات.

#### في دار الهلال:

ويستنتج من كلام د. رجب البيومي وسياق الأحداث أنه بدأ العمل بالصحافة في جريدة «الأهرام»، ولما لم يطب له العمل بها بحث عن صحيفة أخرى، ويقول

الأستاذ مؤمن حسين: إنه التحق بدار الهلال بتوصية من أحمد حسنين باشا، وقد يكون كل هذا صحيحًا، ومهما يكن من أمر فإنه عمل في دار الهلال منذ عام ١٩٢٧، وكتب المقالات، وأجرى التحقيقات الصحفية في مجلاتها الأسبوعية مثل «المصور»، «كل شيء»، «الدنيا» وفي عام ١٩٤٣ تولى تحرير مجلة «الهلال» وبعد عدة سنوات صار رئيسًا لتحرير سلسلتي «كتاب الهلال» و«روايات الهلال»، وبذلك يكون حقق شيئًا من طموحه الشخصي، بعد أن لانت له صعاب المهنة، ولكن يؤخذ عليه إغفال أسماء كثيرة من المترجمين في روايات الهلال المترجمة.

ولم تقتصر الفائدة على ما ذكرنا وإنما مكنت له المهنة، أثناء ممارسته لها من التعرف على وجهاء مصر والعالم العربي مثل النقراشي، والنحاس وأحمد ماهر وعمر طوسون، ومحمد علي بن توفيق، ورياض الصلح والأمير مجيد أرسلان وغيرهم، ولا شك أن الحياة ارتفع شأنها في نظره بمعرفة هؤلاء وأمثالهم.

وفي عام ١٩٣٦ وضع كتاب «فاروق الأول» وعند صدوره كان الملك تحت مجلس الوصاية لصغر سنه (تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية في ١٩٣٧/٧/٢٩ عندما أتم ١٨ سنة) أي أنه غير مسئول عن شيء، ولكتاب بمنزلة تهنئة من دار الهلال للملك بمناسبة توليه العرش، وتقديم التهنئات بأشكالها المتنوعة للملوك والرؤساء تقليد مازال قائمًا. وكتاب «فاروق الأول» عمل صحفي أكثر منه أي شيء آخر، وقد تم تزويده بصور كثيرة لأسرة محمد علي، ويتضمن فصلاً عن ملوك مصر من الشباب منذ العصور الموعلة في القدم.

### مذكرات وذكريات:

وقد استطاع بلطفه، وحسن تدبيره أن يهيئ الجو الملائم لأحمد لطفى السيد باشا، وعبد العزيز فهمي باشا، ويحملهما على تدوين سيرتهما من خلال أحاديثهما معه، أو بإملائهما عليه ما كان من أمورهما، ولا بد أن نتصور أنه خلال هذه الأحاديث والإملاءات كان يستفسر عن شيء، أو يطلب إيضاح أمر، فلم يكن مسجلًا فحسب، ثم كان بعد ذلك يقوم بتنسيق هذه المادة، وترتيبها، وتبويبها وإعدادها للنشر. ففي فبراير ١٩٦٢ نشر في سلسلة كتاب الهلال «قصة حياتي» لأحمد لطفى السيد، وكان على قيد الحياة (توفي عام ١٩٦٣)، وفي أبريل ١٩٦٣ نشر في سلسلة كتاب الهلال «هذه حياتي» لعبد العزيز فهمي، وكان قد توفي. وهما علمان مهمان لا يغفل أدوارهما

من يؤرخ لمصر الحديثة، وبهذه الطريقة جعلهما يوحان بأسرار دفينه، ويجودان بمعلومات مستورة.

ولم يكتف بالتدوين والتبويب والنشر، بل كتب لكل كتاب مقدمة طويلة شارحة لكيفية إتمام هذين العاملين، وما هو غير مفهوم أنه عند إعادة طبع هذين الكتابين تحذف مقدمات الطناحي مع أنهما توضحان كيف كتب الكتابان، وأعتقد أن هذين العاملين من أهم أعماله الصحفية إذا نظرنا إليهما على أنهما حديثان صحفيان طويلان.

### القصص التاريخي:

ولا يتصور القارئ أن صاحبنا صحفي فحسب، أو غلبت عليه الصحافة، فإنه مبتكر للقصص، وكاتب للتراجم، وناظم للشعر، وناقد للأدب، فقد كان ذهنه يجد في كل هذه الميادين أرضاً براحاً يجول فيها، ويعبر ويبدع الطرائف.

ومن هذا، قصصه التي استوحاها من التاريخ الإسلامي، والتاريخ الحديث، وكان الطناحي كثير التردد على كتب التاريخ، ويختار منها فترة اشتد فيها الصراع، وتكاثرت فيها الأحداث، وانتفض فيها الأشخاص وتباينت فيها الرؤى والاتجاهات ثم يصورها في شكل قصصي، لأن كل هذه الأوصاف عندما تتمثل في قصة تشدّ الذهن، وتجعل القارئ شديد الاهتمام.

ومن هذا قصة «شروق وغروب» ضمن مجموعة «على ضفاف دجلة والفرات» التي أعاد طباعتها عام ١٩٥٩ تحت عنوان «معارك السيف والقلم» وقد صور في هذه القصة الصراع الدموي الذي جرى بين الدولة الأموية الغاربة، والدولة العباسية الناشئة، وأظهر وقع الهزائم المتلاحقة على الأمويين الذين ثابروا لاستبقاء عرشهم حتى قتل آخر خلفائهم مروان بن محمد، ومصرع دولتهم، وبين دور الجيش العباسي المرهوب في استخلاص الخلافة لأبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس وتصوير المنحنيات التاريخية من أفول دولة وشروق أخرى لا يحتاج إلى معارف وحسب، وإنما تلزمها طرافة فنية، ورهافة حس، واستقراء لنفوس الرجال التاريخيين، وتحليل فترة الصراع، فالقصص التي من هذا النوع لا بد أن تأخذ حقها من التاريخ، وحظها من الفن، وهذا ما نهض به الطناحي.

وقصته التاريخية «أمير قصر الذهب» التي نشرها في كتاب طبع عام ١٩٤٨ من القصص التي تدور أحداثها في جو الصراع الذي دار بين الخليفة المأمون وإبراهيم بن المهدي أخى هارون الرشيد. وقصر الذهب هو القصر الذي شيده الخليفة أبو جعفر المنصور وسكنه إبراهيم بن المهدي، وقد اشتهر إبراهيم في كتب الأدب والتاريخ بالغناء والموسيقى، وعلا على معاصريه في هذين الفنين، وقد قاد بن المهدي انقلاباً مع أنصاره الكثيرين ضد المأمون وخلعوه. وقد صور الطنّاحي أجواء هذه الفترة، وعرض في قصته لجانبين مهمين: جانب الغناء الذي يبهج، وجانب التمرد الذي يزعج، وهما الجانبان المتعلقان بأمير قصر الذهب.

وقد كتب القاض مقدمة لقصته عن الغناء والموسيقى، ومكانتهما في النفوس والدول، واستطرد في ذلك، وهذه المقدمة وإن كانت ملائمة لقصته، فإن ما جاء فيها كان يمكن تضمينه في السرد، لأنه أجدى في القص، أضف إلى ذلك أن القصص الحديثة، في الغالب، تخلصت من مثل هذه المقدمات.

ويبدو أن الطنّاحي قد راقته الصراعات المذهبية، أو فترات الهزاهز والنزاعات على الحكم ليحوك منها قصصاً حية. ففي قصته «هند» ضمن مجموعة «نشيد الكروان» المطبوعة عام ١٩٦٧، يتناول العراق الدموي والصدام الهائل الذي دار بين الحجاج ابن يوسف الثقفي قائد الجيش الأموي، وعبد الله بن الزبير الذي كاد يفوز بالخلافة. وفي قصته «أوجيني الإمبراطورة اللعوب التي ضيعت العرش» ضمن نفس المجموعة يعرض للحرب السبعينية المهلكة التي دارت رحاها بين الألمان والفرنسيين، واندحرت فيها فرنسا وخسرت مقاطعتين من أراضيها.

والصراع بين الشخوص والطوائف والدول، يشكل أحداث التاريخ ويوجهها، وربما هذا ما يفسر لنا سبب اهتمام المؤرخين بتصادم الدول، وتصارع الأبطال، والطنّاحي في هذا القصص التاريخي ليس مؤرخاً، وإنما هو يهيئ بيئة أدبية ملائمة أو مسرحاً تتلاعب عليه الشخوص والدول، وتؤدي أدوارها التي أدتها وفق رؤيته وتقديره.

## التراجم:

والطنّاحي ميال لكتابة التراجم، نزاع إلى تصوير الشخوص، وبخاصة أولئك الذين عاصروهم وخالطهم، ومن عرف طائفة متباينة من الشخصيات، تكون نفسه مهيئة لترجمتهم، لأن عناصر الترجمة حاضرة في ذهنه

ومن طرائق الترجمة ما يعنى بتقديم صور للشخص، كل واحدة منها منحى من مناحى المترجم دون تركيب أو استطراد، وكتابه «حديقة الأدباء» عبارة عن تراجم صغيرة لعدد من كتابنا وشعرائنا وفنانينا مثل العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة وسليمان نجيب وأم كلثوم، وكل ترجمة منها عبارة عن صورة مكونة من خطوط قليلة، فى مساحة صغيرة، مع تحليل محدود، وتقدير للعمل الفنى، وهذه الصورة البسيطة لا تجلى، فى الغالب كالجوانب الغامضة فى الشخصية، ولا تمنحنا إلا انطباعات محدودة عن المترجم.

ومع أنه لا يعطينا ترجمة تامة عبر المكان، وتتابع الزمان، لنلمح أطوار الشخصية، فإننا نقف فيها على العطاء الفنى للشخصية، وتطورها الإبداعي، مثل ترجمته لعزير أباطة التى يبين فيها أنه ظل صامتاً، وعندما رحلت زوجته نطق بالشعر ورثاها بديوان «أنات حائرة» ثم نظم بعد ذلك مسرحياته الشعرية، ثم قصائده التى تناول فيها الأحداث المعاصرة، وهو تدرج فنى أكثر منه تدرج فى العمر والنشأة.

وقد تميزت هذه التراجم القصيرة بما رمز به لكل شخصية منها بطائر أو حيوان يناسبه، ويلائم ما اشتهر به، فرمز لأحمد لطفى السيد بصورة النسر، ولعائشة عبد الرحمن بصورة البطة المائية، ولإبراهيم ناجى بالسنباط ولعبد الرحمن صدقى بالطريق، وبهذه الصياغة التخيلية الموحية، جعل

للمرزم دوراً فى تخيل الشخصية، مما قوى من تصور المتلقى للمترجم، وإذا كان الرمز بطبيعته لونا من الإبهام، فإنه هنا فى «حديقة الحيوان» يؤدى إلى التفسير والإيضاح، فلا أحد يجهل النسر والكروان وغيرهما، ومما هو جدير بالذكر أن المؤلف جعل كل مترجم فى لوحة تصويرية وهو فى صورة الطائر أو الحيوان التى خصه بها.

وللطناحي سيرة وافية مطولة عن «حياة خليل مطران» صدرت عام ١٩٦٧، بسط فيها حياته من مولده فى أول يوليو ١٨٧٢ إلى وفاته فى ٣٠ من يونية ١٩٤٩، وبين فيها أطوار الشخصية، وتجاربه الإنسانية، وملابسات بيئته وعصره، والوسط الذى عاشه، وعلاقته بأعلام عصره، مع الاستئناس بأقوال وآراء الآخرين، والاتجاه بالسيرة نحو شعر مطران الذى يركز عليه عمله وإبداعه، وعليه مدار الحديث، إضافة إلى شروح وتحليلات وكلمات نقدية مبينة، وبذلك تفتحت سيرة مطران،

وصارت صالحة لإفادة القراء، فما أخرجنا إلى مطالعة كتب التراجم والسير للتعرف على خصائص الأدباء والأبطال والفنانين.

وقد دار حديثه في هذا الكتاب على آداب مطران، وبخاصة الشعر، ومهما قلنا في نظراته النقدية المستندة إلى المنطق والعقل، والبحث والعلم، فإنه كان مثل كثيرين من نقاد جيله يعتمد على الذوق في تقدير الفنون، فقد كان يتأمل النص، ويستلهم الذوق، ويستغرق في النظر قبل إبداء الرأي، وإصدار الحكم على العمل الفني، والنصوص التي قدمها إلينا من شعر مطران وحاورها، تفيد إعجابه بها، واستمتاعه بصياغتها وموضوعها، ومدى تأثيرها في شعوره، ومن هنا ظهرت فيها الصور الجميلة، والأنغام المتسقة، والمشاهد المؤثرة، فهي رد فعل للمتعة والجمال، ولأن خليل مطران من زواد التجديد في الشعر فقد أوضح الطناحي أن «التجديد الفني هو التحسين والتجويد، والتقدم بالفن خطوات إلى الأمام مع المحافظة على مزاياه، ودعائم وجوده» ورفض التجديد الذي يحطم قواعد الشعر الأصيل، وعده فوضي.

### على فراش الموت:

ومن كتب التراجم الأخرى للطناحي كتاب «على فراش الموت» صدر عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور مصطفى فهمي سرور، وأعاد نشره سنة ١٩٥١ تحت عنوان «ألحان الغروب» بمقدمة لمحمد كامل سليم، وهناك طبعة ثالثة ظهرت عام ١٩٦٢ عنوانها «الساعات الأخيرة» بمقدمة للأستاذ العقاد، وهكذا نشر هذا الكتاب ثلاث مرات، بثلاث مقدمات، والحقيقة أن جميع العناوين التي اختارها المؤلف ملائمة لموضوعه.

وهذه الكتب أو هذا الكتاب تتسع فيه مساحة الموت، ويتلون بلون قابض، وتطرد فيه نغمة شجية مبكية، وتتصايح فيه ألحان جنائزية، ففي كل ترجمة يتناول المؤلف الزمن الأخير من حياة المترجم، أو قل زمن رقاده على فراش الموت، ويذكر آخر ما قاله من كلمات وهو يجود بنفسه، والأحاديث المتبادلة بينه وبين زواره، وإنه لتأخذنا الدهشة من توقعهم للرحيل، قبل الرحيل بقليل، فمنهم من أبدى فرحه لأن مهزلة الحياة انتهت مثل بيتهوفن، ومن قال بانتهاء معركة الليل والنهار مثل فيكتور هوجو، ومن أعلن عدم خوفه من الموت مثل مي زيادة، ومن كان يرى العالم الآخر حلواً مثل خليل مطران، وبعد زمن يسير يهلكون حقاً إنهم يعزفون ألحان الغروب



على فراش الموت في ساعاتهم الأخيرة، وهذه الكلمات، وغيرها، تلخيص لأفكارهم، وتحليل لعواطفهم عندما يستشعرون النهاية.

والكتاب ليس فيه حكايات الموت فحسب، وإنما فيه صور من كفاح مصطفى كامل، وأدب المنفلوطي، ومحن بوشكن، واضطراب نفسية مى وتوفيق البكرى وغيرها من تراجم الراحلين في هذا الكتاب.

ولأن الباعث الأول للمؤلف في كتابه هو الموت، والموت بطبيعة الحال يدعو إلى التأمل والتفكير، فقد استهل كتابه بالحديث عن فكرة الموت عند بعض الشعوب، وخوف الإنسان من الموت، وبقاء الروح والحياة الأخرى، وموضوعات أخرى تستتبع الموت، ومثل هذه الموضوعات يخوض فيها العالم والجاهل لعله يظفر بجواب مريح.

والطناحى يترجم للأعلام من خلال فكرة تشمل تراجمه جميعاً، ففى «حديقة الأدباء» جعل لهم رموزاً من الطيور والحيوانات، وفى «الساعات الأخيرة» ترجم لأعلامه من خلال فكرة الموت، وصور أحوالهم في الساعة الأخيرة، وما قالوه فيها أى أنه يمنهج تراجمه، وقد عرفنا من قبل كتباً يضم الواحد منها عدة تراجم، لا تشملها فكرة معينة أو اتجاه محدد.

وقد ترجم الطناحى لغيره، ولم ينس نفسه تماماً، فكان بين كتاب وآخر يذكر أشياء عن نفسه، ويتخذ منها موضوعات الكتابة، ولعل في إشارتنا إلى عمله الصحفى فائدة، فقد تعرف على العقاد ومحمد فريد وجدى ومصطفى صادق الرافعى وغيرهم وسجل ذكرياته عنهم في كتابه «ساعات من حياتي» وفى كتابه «أطياف من حياة مى» كتب عن علاقته بمى زيادة، ودون ماتناولاه من شعر، وأعطانا صورة واضحة عما كان يدور بينهما من نقاش، وهذا التفاعل بينه وبين غيره في مجتمعه وعصره، عنصر من عناصر ترجمته الشخصية.

وكانت تربطه بشوقى وحافظ علاقة ودية، وبحكم ما دار بينهم من أحاديث عرف عنهما أشياء كثيرة سطرها في كتابه «صور وظلال من حياة شوقى وحافظ» أورد فيه أقوالاً عن نفسه وتعليمه وغير ذلك. وقد يفيد قارئه من تصويره للحياة المعاصرة، ونظراته إلى المجتمع، وميوله الدينية، ونقده للتقاليد أشياء تجدى في ترجمته. مع ذلك

فإن كل هذه الأشياء، لا تكون سيرة ذاتية متماسكة الأطراف، ولا تقدم لنا معارف وفيرة، وقد يأتي باحث آخر ويستنتج من هذه المعلومات الطفيفة شيئاً مهماً.

### مع العقاد:

وهناك علاقة حافلة بالود، وأجدت على الأدب والفكر بين الطناحي والعقاد طيلة أربعة عقود من الزمان، بدأت عندما ثار الطناحي على الزى الديني وهو طالب بدار العلوم، وكتب في البلاغ، وناصره العقاد. وعندما تولى الطناحي إدارة مجلة الهلال، كانت مقالات العقاد المنتظمة تتصدر معظم أعداد المجلة، ولما رأس تحرير سلسلة «كتاب الهلال» كانت كتب العقاد لها النصيب الأكبر، حتى إنه يمكن القول إن عدد كتب العقاد في هذه السلسلة أكثر من نصيب أى كاتب آخر مهما كان اسمه ومكانته. ومرد هذا ليس إلى الود والمحابة، وإنما إلى إعجاب الطناحي بالعقاد وعبقريته، وإلى إقبال الجمهور على كتب العقاد، فلم يكن يقبل إميل زيدان صاحب دار الهلال أن يطبع الطناحي كل هذا الكم من كتب العقاد ويكدها في المخازن وقد عبر الطناحي عن إعجابه بالعقاد بالشعر والنثر والمقال ومن هذا أحد العباقة القلائل الذين تفخر بهم الأمم والشعوب، وقد ارتفع بعبقريته فوق الماديات، وفوق التقدير المحلى في هذا الجيل إلى التقدير العقلى الخالد على مر الأجيال» وفي كتابه «حديقة الأدباء» جعل العقاد، منبعاً منيعاً، وقال عنه «مجمع عبقریات وروح عظیم» وخلاصة هذا أن العقاد عبقرى يستحق التقدير.

للطناحي دور في لفت نظر العقاد إلى موضوعات كتبها. ففي أوائل ثلاثينات القرن العشرين استكتبه في مجلة «الدنيا» الفصول الأولى من قصة «سارة»، وفي الهلال اقترح عليه أن يكتب عن نشأته وحياته، وهى الفصول التى جمعها الطناحي بعد وفاة العقاد ١٩٦٤ ونشرها فى كتابين هما «أنا» و«حياة قلم» كتب لهما مقدمتين طويلتين. أما العقاد فكان باراً بصديقه، إذ كتب له مقدمتين لكتابه «حديقة الأدباء» و«الساعات الأخيرة» وكان مستجيباً لمقترحات المترجم فيما يود تزويد الهلال به.

وكان الطناحي شاعراً، وله قصائد صاغها من بحور الخليل، وكان ينبذ ما عداها، ويعد أى شعر آخر نثرًا. يقول فى قصيدته «أشجان وألحان» ليس شعراً ما كان كالنثر يُلقى/ فى جهود كساكن اللحد بارد/ إنما الشعر من حرارة قلب/ عبقرى الجمال حلو المقاصد/ يتحلى بما تحلى به الفن/ من الوزن إتباع القواعد.

وقد أمضى الرجل في دار الهلال أربعة عقود يكتب فيها المقالات ويترجمها ويعرض ما استجد من كتب، وينشر نتاجه الأدبي إلى أن وافته المنية في ١٤ من أبريل ١٩٦٧ رحمه الله (\*).

---

(\*) أحمد حسين الطماوي: جريدة القاهرة، الثلاثاء ٥ أكتوبر ٢٠١٠، العدد ٥٤٢.

## الأسرة التيمورية

### تاريخ من النبوغ يمتد في عمق الزمان

تستطيع أن تصف الأسرة التيمورية ، فتقول مطمئناً، أنها أسرة موصولة الفضل والعلم والكرم .

فقد كان لها ولا يزال فضل كبير على العلم والأدب في مصر والأقطار العربية ، وكل فرد من أفرادها، يعتبر - بغير مبالغة - أمة وحده ، بفضل ما جاهد وما بذل ، في خدمة الوطن العزيز ، وفيها نشأت صالونات أدبية وثقافية كثيرة .

بل وكان لكل فرد من أفراد تلك الأسرة ، ولا يزال أثر خالد امتاز به ، ودل على سعة علمه وبعد نظره ، وخبرته ، وتبصره بالأمور ، وظهر هذا جلياً في ندواتهم .

ولعل الأصل يعود إلى محمد تيمور كاشف ، وهو من أسرة كردية ، كانت تسكن «بقرة جولان» بكرديستان في ولاية الموصل ، ولأفرادها تفاخر بأصلهم العربى اعتماداً على ما أثبتته مؤرخو العرب في أصل الكرد ، وأكدته محققوه ، ممن قطعوا باتصال نسبهم بقحطان أما لفظ تيمور الملقبة به هذه الأسرة فهو لفظ تركى ، ومعناه «الحديد» .

ومن بين أبناء هذه الأسرة ، إسماعيل تيمور باشا الكبير ، الذى مال من صغره إلى الاشتغال بالعلوم والآداب وله صالونه الأدبى الأشهر ، فتأدب في العربية والعلوم الإسلامية على يد قمة اختارهم له والده وتخرج في التركية والفارسية على يد عبد الرحمن سامى باشا الذى صار فيما بعد من وزراء الدولة العثمانية ، وأتقن أنواع الخط على يد إبراهيم أفندى مؤنس ، وبرع في الإنشاء التركى ، أعجب به «محمد على» وإلى مصر في بداية القرن الماضى ، واتخذ كاتباً خاصاً يعرض عليه ما يحتاج للعرض من الأوراق أو يبلغ أوامر بها إلى رؤساء الديوان ، ثم جعله وكيلاً لمديرية الشرقية ، فمديراً لبعض مديريات ، كان آخرها الغربية أكبر ولايات القطر ، ولكنه مع هذا كان شديد الكلفة والشغف بالقاهرة ، والعودة إلى مناصب الديوان ، وكان جمهورى الصوت ، مع فصاحة في العبارة وصلافة في اللسان ، ولذلك انتدب عدة

مرات لقراءة التقاليد والعهود السلطانية ، التي كانت ترد بولاية وال ، أو تقرير أمر جديد، ويحتفل بتلاوتها على ملأ من الكبراء والأعيان ، وكان مشغوفاً بالعلم والعلماء، لا يخلو مجلس منهم ، مولعا بالمطالعة ، يرى أسعد أوقاته الساعة التي يقضيها في قراءة وكتاب أو تحقيق مسألة ، مع المغالاة في اقتناء الكتب النفسية شراء واستنساخا.

وقد مات عن ابن واحد، وابنتين ، كبراهما السيدة عائشة التيمورية .

فمن هي عائشة التيمورية ؟!

### عائشة التيمورية:

التاريخ يقول أنها ولدت عام ١٢٥٦ هـ من والده جركسية الأصل ، وبدأت حياتها بتعلم فن التطريز، ولكنها كانت تميل بنظرها إلى تعلم القراءة والكتابة ، وقد أنس منها والدها هذا الميل ، فأحضر لها اثنين من الأساتذة ، أحدهما إبراهيم أفندي مؤنس ، الذي كان يعلمها القرآن والخط والفقه .

وبعد إتمام حفظ القرآن الكريم ، تاقّت نفسها إلى مطالعة الكتب الأدبية وفي مقدمتها الدواوين الشعرية ، حتى تربت عندما ملكة التصورات لمعاني التشبيهات الغزلية وسواها وقد جمعت ثلاثة دواوين بثلاث لغات ، هي العربية والتركية والفارسية ، وحين شرعت في طبع هذه الدواوين توفيت كريمتها «توحيدة» فاستولى عليها الحزن ، وتركت الشعر ولعروض والعلوم نحو سبع سنين ، حتى أصابها رمد في عينيها ، وحين شفيت ، جمعت ما عثرت عليه من أشعارها في ديوان بالتركية أسمته كشوفه ، ورحلت عن دنيانا في يونيو ١٩٠٢ ، وكان لها صالونها الأدبي الشهير .

ويمضي نسل الشجرة المباركة ، حتى نصافد أحمد تيمور، الذي أسماه أبوه يوم ولادته بأحمد توفيق ، ولم يمض على ولادته سنة وشهران ، حتى مات أبوه فنشأ يتيما ، وبدأ في دراسته فتلقى بها مبادئ العربية والفرنسية والتركية وشيئا من الفارسية ، ثم دخل المدارس فتلقى بها العلوم الحديثة وتوسع في الفرنسية .

وقد نشأ على الولوع بالكتب ، فجمع منها خزانة صغيرة ، بما كان يصل إلى يده من المال ، ثم توسع فيها مع السن والزمن ، حتى أصبحت أكبر خزانة بمصر من حيث العدد بعد دار الكتب الخديوية والأزهرية ، وأما من ناحية النفاسة والغرابة ، فقد وجد فيها ما ليس فيهما .



وأما إسماعيل تيمور باشا ، فقد ولد في مايو ١٨٩١ ، وقد شب وترعرع في بيت العلم والمعرفة والكتابة والتأليف ، وبين الندوات والصالونات الأدبية والثقافية ترعرع ، وكان لكل ذلك أثره البارز خلال دراسته الابتدائية والثانوية والعالية ، حتى فاز بإجازة الليسانس من القسم الفرنسي بمدرسة الحقوق الملكية عام ١٩١٧ ، وكان نجاحه بهراً وتفوقه عظيماً ، مما دعا إلى تعيينه مساعداً للنيابة في بنها عام ١٩١٨ ، وأنعم عليه السلطان فؤاد الأول برتبة البكوية عام ١٩١٩ .

ونال عدداً من الرتب والنياشين ، حتى أنعم عليه برتبة الباشوية وعين أميناً أولاً للقصر الملكي في ٢٠ يناير عام ١٩٤٤ ، وكان رحمه الله ، واسع العلم ، خبيراً بشؤون الناس وأحوالهم وميولهم وعاداتهم وأخلاقهم ، عدة على ما اتصف به من حسن الخلق وكرم السجايا وحلو الحديث ولين العريكة ، فكان ذلك سبباً في احترام رأيه ورفع شأنه وتقديره حق قدره ، حتى مات عام ١٩٤٧ .

### محمد تيمور:

ويأتى محمد بك تيمور ، الذى ولد عام ١٨٩٢ ، وتوفى عام ١٩٢١ ، وأتم علومه الابتدائية والثانوية بالمدارس المصرية والأميرية ، ثم قصد إلى أوروبا لإتمام علومه ، فصرف فيها ثلاثة أعوام .

وقد ورث ميوله الأدبية عن أبيه لوالده أيضا ، شغوقاً بحضور الندوات والصالونات الأدبية، وكان شغفه كبيراً بالأدب والمسرح منذ الصغر، وكان مشغولاً أيضاً بالشعر، فقرأ كثيراً من دواوينه القديمة ، حتى ارتقى في موهبته ، وبدت قصائده طلية رشيقة.

وكان نثره حسن الأسلوب ، يتضمن موضوعات اجتماعية وأخلاقية ، تنبئ بمستقبل باهر في عالم الكتابة والتحرير.

ولعل السنوات القليلة التي قضاها تيمور في أوروبا ، قد أثرت في تكوينه النفسي واتجاهه الأدبي ، وظهر ذلك واضحاً في كتاباته نثراً ونظماً ، وأهم ما كان يحلم بتحقيقه تمصير الآداب وجعلها تفيض بالصبغة المصرية والألوان المحلية ، ودليلاً على ذلك ما نراه في رواياته المسرحية وقطعه الثرية مع ظهور الروح المصرية بينه واضحة .

وقد توفي عام ١٩٢١ ، ولم يبلغ الثلاثين من عمره ، ولكنه ترك من بعده تراثاً فنياً صالحاً غنياً بما فيه من آراء ناضجة وأفكار حية جريئة .

وترك خلفه مجموعة من المؤلفات ، هي بمثابة العلامات في حياته ، وتاريخ الأسرة بوجه عام ، وأهمها : كتاب الوجدان، الأدب والاجتماع ، تاريخ التمثيل في فرنسا ومصر ، نقد الممثلين ، رواية الهاربة ، العصفور في القفص ، عبد الستار أفندي .. وغيرها .. وقد كتب كل تلك المؤلفات في ست سنوات فقط .

### محمود تيمور:

وكان محمود بك تيمور هو مسك الختام ، وإن كانت الأسرة لم تعقم بالطبع عن إنجاب المزيد بين النابغين . وسوف لا نجد أفضل مما قاله الأديب محمد فريد أبو حديد وهويحيى محمود تيمور ، يوم منحه جائزة القصة في ٥ أبريل عام ١٩٤٧ .. قال أبو حديد: اختار المجمع اللغوي في هذا العام ، من بين المبرزين في القصة ، الأستاذ الكبير محمود بك تيمور فأمداه جائزة القصة إشارة منه إلى هذا المعنى ، ثم اعترافاً بها للأستاذ الكبير من أثر محمود في القصة في أدبنا الحديث .

فقلد ألف محمود تيمور ، نحو ٥٢ كتاباً ، بعضها مجموعات من قصص قصيرة ، وبعضها قصص تمثيلية ، ومنها كتاب في الرحلات على نحو مستحدث في الأدب العربي ، ومنها كذلك مقالات ساخرة في نقد المجتمع ، وأخرى في أصول فن القصص ودقائقه ، ووضع كذلك قصصاً سينمائية مثلت منها روايته «رابحة» فكانت مسرحية موفقة .

تلك هي الأسرة ... وهؤلاء هم أبناؤها .. فهل بعد ذلك فضل أو علم .

## الصفوة المبدعة

أبناء وأفكار (\*)



- متى وأين سمع الباشا ورصد ما جاء في السفر الموسوعة من الأمثال العامية المصرية؟
- كيف تصهر مصر القادمين من الشمال ليصبحوا أغلى أبنائها وأكثرهم عطاء وإبداعاً.

لا فائدة من دراسة سيرة من السير إلا إذا كانت بحاضرة في وعي الآن ومنظورة من خلال مسؤولية المستقبل ، أما أن نظل نحكى عن أثار القدماء، ومناقب السلف فهو أمر أشبه بالوقوف على الأطلال ، أو زيارة المتاحف ، ولا أحسب أن أيا من هذا أو ذاك مطلوب لذاته في وقتنا هذا ، في مآزقنا الآن مع أحمد (باشا) تيمور في كتابه الفريد: الأمثال العامية، وكان هذا المرجع الفريد من أهم مصادر عملي الذي ظهر مؤخراً في كتاب الهلال «مثل وموال: قراءة في النفس الإنسانية» أقول : كنت أعيش معه ولا أقول كنت أقرأه، وفرق بين أن تصاحب وعي مبدع وهو يكشف لك عن طبقات وعي الناس وبين أن تقرأ عقلنة أكاديمية وهو يعدد لك بعض تواتر الصفات، أو يمزق لك بعض جزئيات السمات ، في بحث يقال له علمي.

(\*) بقلم د. يحيى الرخاوي.



وكنت دائماً أتساءل: متى سمع الباشا كل هذا؟ أين رصد كل هذا؟ متى كتب كل هذا؟ وحين أقول متى لا أعنى في أى تاريخ زمني، وإنما أعنى في أى وقت من ليلة أو نهاره في السحر؟ بعد المغرب؟ في صحن المسجد؟ في «تراسينة» السراي؟ تحت تكعيبه البستان؟

ومن كان الراوي؟ شيخ خولى مسن حكيم، بائعة فجعل عابرة تلتمس به صدقة خفية، صبي «علاف» حظيرة، مقرئ راتب كفيف احتدت ذاكرته فلا يكف عن الرواية.

وكيف كان الباشا يستمع لهذا التراث؟ وكيف كان يسجله؟ أكان يحفظه ثم يستدعيه من الذاكرة؟ أكان يمسك قلماً ورقاً يرصده أولاً بأول (وهو ما استبعده طبعاً)؟

وحين كنت أتساءل كل هذه التساؤلات كنت أحاول أن أسألتهم روحه وهو يقوم بهذا العمل في جمع وشرح وتبويب الأمثال العامية، وكنت أرى رؤى العين كانت مصر وهي تملق وعيه وتشغل فكره وتحيط بحسه وتنفض في عمق وجوده، ولم أكن متأكداً من أصل شجرة أسرته، لكنني رجحت أن فيه عرق تركي، أو ما شابه، وتذكرت أحمد شوقي ويحيى حقي، وتساءلت ماذا يفعل ماء النيل في دماء هؤلاء القادمين من الشمال؟ وكيف تقدر مصر أن تصهر كل هؤلاء الناس ليصبحوا أغلى أبنائها، وأكثرهم عطاء وإبداعاً، ولماذا عجزت أمريكا بن مثل ذلك؟ حيث توجد أمريكا ولا يوجد أمريكيين، في حين أن الأمر بالنسبة لمصر أنه يوجد مصريين لا يحملون - بالضرورة - الجنسية المصرية؟

وحين تنتقل من العلم الذي يتفجع به فيبقى بعد صاحبه، من مثل هذا السفر الموسوعة في الأمثال العامية المصرية الذي هو مزيج من التأريخ والتحقيق والشعر، حين تنتقل من هذا العلم إلى الولد الصالح الذي يدعو لأبيه، نتعلم من أحمد باشا تيمور أصول التربية كما تتبع من الأرض المصرية أيضاً، وليس كما تستورد كديكورات زينة من ثقافات ليست هي نحن، وقد أدركت أن دعوة الولد الصالح لأبيه ليست بتريديد الترحم أو قراءة الصمدية، وإنما هي بحمل أمانة الوالد (الصالح) إكمال رسالته، وهذا بالضبط ما أعلنه محمود تيمور في تقديمه لأبيه في تصدير كتاب الأمثال.

وفي المقدمة التي تصدرت كتاب الأمثال نكتشف - بقلم الابن - قيما في التربية ، وخصوصية في علم النمو ، نتعلم منها كيف يكون الحزم الضابط الرابط هو هو إطار السماح المفجر للحرية المبدعة.

يقول محمود تيمور «الابن»:

«وحسبي من تجلية ما كان من صنيع أبينا في تربيته لنا، وإشرافه علينا، في تلك الحقبة التي أسلفت وصفها ، أن أذكر ونحن عن أبينا على مقربة ومراقبة (!!!) .. إلخ. إلى أن يقول:

«وكنا نرى أبانا يتمتع من ذلك شيئا ، ولكن في ترفق واتقاد، وينهانا عن التماذي والسرف ، ولكن في غير جزم ولا مصادرة.

أما الذي يتمتع منه الباشا الوالد فهو هوى الصحافة والتمثيل والإخراج وما شابه.

ويختتم الابن محمود المقدمة قائلا:

«ذلك درس علمنيه أبي في صمت ، والدرس الصامت لا يتطرق إليه إنسان».

أقول: طالعت كل هذا وأنا مشغول أشد الانشغال بمسألة التربية وما شاع عن الحرية بشأنها : وما تطرق إلى ذلك من إساءة استعمال حتى وصلت إلى أهم ما يمكن أن يكون المواصفات والمستلزمات الخاصة بالتربية المطلوبة لأبنائنا في هذا العصر، في هذا العصر ، وصلت إلى أسس كدت أعتبرها فتحا أصيلا غير مسبوق ، وهي:

١- السماح بالحركة داخل إطار غير مصمت.

٢- الحوار الصامت الواضح المستمر.

٣- النموذج المحدد المعالم - المرن في آن (دون ميوعة).

٤- الاقتراب - مع الحفاظ على المسافة.

٥- شوفان الأبناء كما هم (لا التجسس ولا التصنت).

أقول: كنت أحسب أن كل هذا هو اكتشاف أصيل يحل محل القيم الشائعة عن ما يسمى التربية الحديثة ، وإذا بكل ما وصلت إليه من أسس تربوية بدت لي متميزة وجديدة، إذا بكل ذلك قد ظهر بوضوح ومن قديم فيما قام به هذا الباشا إزاء أبنائه ،

الأمر الذى سمح لأحدهم (محمد) بالتمثيل على المسرح فى زمن كان التمثيل تشخيصاً ومسخره .

وأعيد النظر فى تعبير الابن محمود ونحن من أينا على مقربة ومراقبة - أى جمال وأى شعر ، بل أى علم رصين فى التربية : أن يكون الابن هو الواقع من أبيه على مقربة: لا أن يكون الأب هو الدائم الاقتراب والملاحقة حتى يخنقه ، يقول محمود:.. ونحن من أينا على مقربة ولا يقول: وأبونا منا على مقربة - ثم انظر كيف تجتمع المقربة كم المراقبة ، فالمراقبة هنا ليست تنصتاً أو تجسساً كما أشرنا ، وإنما هو حالة كون الأب يرى ويرصد ثم لا يتدخل

إلا قليلا، وإنما يظل على مقربة ( فى المتناول ...الله !!! )

وعندى أن تقييم التربية الحقيقية لا يكون إثبات تفرق الأبناء بالمعنى الحفظى التحصيلي، ولا بمدى ثرائهم ، ولا بفرط طاعتهم ، أو وهم حريرتهم ، وإنما يكون بكم رصيد التربية الحقيقية - مقاسا بالتبعية الواعى على مدى عشرات السنين ، وليس بالانهار المؤقت أثناء الطفولة والمراهقة ، وللتحقق من إيجابية التربة يلزم علينا أن نجيب على سؤالين :

١ - إلى أى مدى حمل الأولاد الأمانة ، أمانة القرش وأمانة المعلومة ليوصلوها إلى أهلها : عامة الناس .

٢ - وإلى أى مدى تحركت عقولهم فى خربة حقيقية لتضيف إبداعاً أصيلاً، أى أنهم لم يهربوا داخل قيم جامدة ، ولم ينقصوا عليها تحت وهم حرية زائفة .

فإذا كانت الإجابة على هذا وذاك (حمل الأمانة لأصحابها ، وتحقيق فعل الإبداع) فى اتجاه إيجابى فى مختلف المجالات ، فالتربية سليمة ، والفضل فى الأغلب يرجع لوالد (أو والدة) أوصل - صامتا فى العادة - الرسالة وأتاح الفرصة ، ورسم الإطار ، وأعلن السماح .

وهكذا يذكرنا هذا الباشا بالمعنى الحقيقى للصفوة ، وأى نوع من الصفات يمكن أن نفخر به ، ونتمسك بأهدابه ن وندعو له ، ونشكر من خلاله: الصفوة الذين تقود الفكر وتوصل الحضارة ، وليس الصفوة التى يتناولون فى البنيان ويتمادون فى الاستهلاك والرفاهية وكأنهما غاية المراد من رب العباد .

## محمود تيمور (\*)



انقصف عود محمد تيمور في ريعان شبابه ، لم يكد يشع نجمه فيجذب إليه لعيون حتى خطفها وهو يهوى أمامها محترقا كالشهب ، كلاهما كائنات عمرها قصير . خلقت لتحترق في عزها لا لتبقى حتى يفتتها لهرم ، هيهات أن يخمد حزننا عليه ، إنه كما أغنى أدبنا الحديث بحياته : فقد أغناه أيضا بمماته ، فإن مصابنا فيه قد أنقذ تاريخ فجر هذا الأدب من سأم الرتابة .

وجرى حياة أبطاله إلى غاياتها المتوقعة ، فاستمد بفضل مأساته وتعدد ألوانه . وبين محمد حسين هيكل رائد القصة المصرية وتيمور في المنشأ شبه غير قليل ، كلاهما لم يولد في مهد تهزه يد الفقر ، هو الذي يتلقى عادة أرباب المواهب ، وكل منهما يشب على توقيير الفصحى ويتصل بالفكر الأوروبي ويسافر لفرنسا ويتأثر بأدبها أشد التأثر ويتحه للقصة ، ويتطلب منها أن تترجم من الواقع عندنا دون غيره ، وبلعب الأب في حياة تيمور الدور الذي لعبه بطفى السيد في حياة هيكل ، ولكن بعد ذلك شتان بين الاثنين لم يكن تأليف هيكل لقصة زينب نتيجة لإصابته بحمى الفن واهتزازها عليها ، بل ثمرة عقلية فقيه ناقد دارس على البارد ، عقله يسبق روحه فلا نجد في كتابات هيكل على كثرتها ما يدل على هوس في الصغر بالفنون ، ووصفه في قصة زينب لخروج بطلها حامد إلى الحقول وفي يده قيثارة نشاز ، وإشارة عابرة لا يتعمقها ولا تدل لا عنده ولا عندنا على شيء في المرات القليلة التي جلست فيها

(\*) بقلم يحيى حقى.

إليه، لا أدري لماذا كنت أحس أنني بين يدي عالم من كبار علماء الأزهر قد خلع لتوه الجبة والعمامة ولبس الحلة والطربوش، أما محمد تيمور فلا أعرف في أدبنا الحديث فتى مثله تفترسه حتى الفن، والرقص ولو لحظة في النور هي غايته، ولا يهم أن يضيع بعد ذلك بدداً.

نراه وهو صبي يصدر مع أخيه محمود - لمن؟ - مجلة يطبعها على البالوطة يستنفذ فيها اهتزازات قلبه الصغير وسط أخبار المنزل والأهل والأصدقاء، ثم إذا شب قليلاً، جرت رجله للمسرح، وتعلق به فؤاده، وأصبحت أسماء مؤلفيه وممثليه قوام تفكيره، وخفق قلبه، فلا بد أن تكون له أيضاً فرقته، أفرادها أخواه وأخصاؤه بل وخدمه، مسرحها في جو البيت يدعو إليها الأسرة وعلى رأسها جدته العجوز التي تولت تربيته ولا بأس من جلوس الخدم أيضاً، أو يدعو إليها جمعاً من أصدقائه.

يقول الشعر في سن مبكرة ويهوى الغناء، إذا أكب على كتبه المدرسية، لا يلبث أن يرفع رأسه، وينطلق ينشد قصائد الشيخ سلامة حجازي وتواشيح القباني، كل هذا لا يكفكف من حاجته للتعبير عن نفسه - فكان من طبعه (وأنا أنقل هنا نص كلام كتبه زكي ظليمات في شبابه قبل أن يستقيم له أسلوبه الجميل) : الشغف بتقليد كل ما كان يراه غريباً مضحكاً من الحوار وحركات من حواليه، هذا التقليد أو فن التمثيل في أول أدواره الذي كان يصل إلى درجة بعيدة من الخفة والناشئة ما يثير ضحك ذوى الوجوه المقنعة بالحزم والعبوس، والذي كان تبعثه سخرية باسمه، ومن إغراقه في سرد طلي يستهوى الأذن رغم ما يشوب الرواية من ثرثرة الصغار.

ويسافر محمد تيمور لفرنسا للدراسة الحقوق فيسقط في امتحان السنة الأولى مرتين لأنه يسكن في حجرة تطل على مسرح الأوديون، ولا يتخلف ليلة واحدة عن غشيان المسارح، ثم يعود لمصر ١٩١٤ وتمنعه الحرب من السفر ثانية لفرنسا، ويشهد المجتمع المصري حادثاً هو في منطق ذلك العهد أمر جلل يكاد لا يصدق العقل، وقوف محمد تيمور يمثل على خشبة المسرح، حتى ولو كان هاوياً لا محترفاً، كل هذا وقلمه لا ينقطع جريه، كأنما يلهث في كتابة المسرحيات - مؤلفة ومترجمة - والقصص الصغيرة ومقالات في تاريخ المسرح ول نقد المسرح وفي قرض الشعر أيضاً.



لم تشغل القصة إذا من أدب محمد تيمور إلا حيزًا ضئيلاً، فإن غرامه انصرف إلى المسرح كما رأيت، ومع ذلك فلا يكمل تاريخ القصة إلا بالوقوف عند آثار القليلة، وتأمل دلائلها، لن أستعرض لك هذه القصص، فإن أجفى تلخيص لها سيفسد أريجها، فلا ترجع قيمتها لموضوعها، فما هي إلا لقطات عاجلة يسجل فيها محمد تيمور انفعاله السريع كلما وقعت عينه على إحدى مفارقات الحياة أو شخصية فكاهية (تذكر مجلس أبيه) تتم بها أحياناً ولا تتم أحياناً أخرى عناصر القصة، وبعضها لا يخلو من الوعظ المنبرى شأن كل المبتدئين في القصة، وإنما قيمتها في تاريخ أدبنا الحديث إنها نادت في عهد لم يألف هذا النداء بعد بضرورة خلق أدب مصرى محلي صادق في تعبيره، لا يقتبس أخيلته من الصحراء ولا من الغرب، فترى محمد تيمور يصرح أن سبب تدهور التمثيل افنى هو تهافت «أجواقنا» على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها الشعب المصرى ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعاداته.

وإذا كان هيكل فد طرق هذا الباب بوحى من عقله، فقد جرى خلفه محمد تيمور بوحى من روحه وفؤاده ومزاجه الحساس وكبريائه، لعله أحس أن المقدرة على خلق هذا الأدب كانت محل شك تهيب لا يثق الناس كثيراً أن القصة بلدية - كالبضائع البلدية - تقوى على منافسة الوارد الأجنبى لافتقارها إلى جودة وحسن الذوق، وقد يقولون إن المواد الراوية للقصة كما يفهمها العرب، غير متوفرة في مجتمع شرقى متمسك بتقاليد، إن عمل محمد تيمور إثباته أن المجتمع المصرى في المدن

والريف قادر وحده أن الكاتب المصرى بقصص فنى بالمعنى المفهوم لدى الغرب من حيث الشكل بل أثبت أن كل ما يخالف هذا ، هو نشاز وزيف وتدليس .

كل من جاء بعد محمد تيمور مدين لهذه الشكوك وإزاحتها عن سبيله، مع ذلك لم يأنف محمد تيمور من ... ولكنه كان يجهر بما يفعل ، ومن ما خطه قلمه هذه المقدمة التى كتبها ١٩١٧ لقصة «ربى لمن خلقت إذ قال هذه القصة لموباسان الكاتب الفرنسى الشهير بدل المعرب أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها معصراً كل شيء فيها ، فلم يبق من الأصل إلا روح الكاتب ، وتابع المؤلف فى ذلك خطة تولستوى فى قصصه التى نقلها عن موبسان، هكذا يقول تيمور عن تولستوى ، فهل عند نقادنا ما يؤيد هذا الرأي؟

وانك لتحسن أن نرعة تيمور فى الأدب مبعثها حب صادق لمصر وأهلها، وليس من الغريب - كما يظن أول وهلة - أن الذى يضمّر هذا الحب كله ، ويحمل لواء المناداة بالأدب المصرى الصميم فتى لا تجرى فى عروقه دماء مصرية بل دماؤه خليط من التركية والكردية والإغريقية ، فهذه ظاهرة طبيعية مألوفة عند الغير كما عندنا فى أن العرق الحديث أشد العروق اهتزازاً بحب الوطن الجديد وانتباهاً لفضائله وجماله، لذلك ترى محمد تيمور - ومن بعده محمود - حريصين أشد الحرص على تأكيد خبرتهما بعامة الشعب من الفلاحين وفقراء المدن بسبب التردد على الضيعة ومخالطة أهلها ، وتواضع وسماحة تحبب إليهما فقراء المدن .

وليست العبرة أن يولد الكاتب فى أحضان هذه الطبقات بل فى قدرته على الإحساس بها وفهمها بفضل حب وتجاوب روحي .

ومع ذلك فإن محمد تيمور يشارك الأستاذ بديع خيرى فى مسؤولية اعتماد المسرح الفكاهى منذ العشرة الطيبة إلى عهدنا على شخصيات ترطن بألفاظ تركية وسط كلام عربى مسكر، ولا يقدح هذا فى صدق أدب محمد تيمور لأن المجتمع المصرى كان لا يخلو من أمثال هذه الشخصيات ، ولكن وجه العجب أنه رغم اختفائها من حياتنا لا تزال تظهر على المسرح الفكاهى ، ولعل السبب - وإن كنت لا أستسيغه - هو سهولة الفكاهة على حساب غرابة الغريب، فقد اعتمد المسرح الفكاهى زمناً طويلاً على شخصية «القبضاية» بشواربه وخناجره، وقد لاحظت أثناء إقامتى بتركيا أن المسرح الفكاهى عندهم - وهكذا يكيل الصاع بمثله - يعتمد أحيانا على شخصية

مصرية مطرشة تمسك مسبحة ، يجرى ريقها لمشهد كل امرأة وتكثر من حلف الإيمان المغلظ بالله العظيم .

ومحمد تيمور هو زعيم مدرسة المنادين بالكتابة باللغة العامية للمسرح ، فعل هذا لأنه كان متلهفاً على تملك أذن الشعب ولاعتقاده أن العبير الصادق يتطلب منه هذا الانحياز ، وبخاصة إذا كانت المسرحية فكاهية ، والذين يسировون اليوم على نهجه جدير بهم أن يدرسوا أسلوبه في العامية فسيدهشهم - مع أنه كان يحرص أرضاً بكرًا - بانطلاقة ورشاقة وخفة دمه وبعده عن القلقة والتعصر والتكلف ، حتى ليخال لك أن هذا الفتى الأرستقراطي هو ابن بلد مصفى .

لا أدري لماذا أستشف في كتابات محمد تيمور رغم خفة دمها تمسك مسبحة ، يجرى ريقها لمشهد كل امرأة وتكثر من حلف الإيمان المغلظ بالله العظيم ..

ومحمد تيمور هو زعيم مدرسة المنادين بالكتابة باللغة العامية للمسرح ، فعل هذا لأنه كان متلهفاً على تملك أذن الشعب ولاعتقاده أن العبير الصادق يتطلب منه هذا الانحياز ، وبخاصة إذا كانت المسرحية فكاهية ، والذين يسировون اليوم على نهجه جدير بهم أن يدرسوا أسلوبه في العامية فسيدهشهم - مع أنه كان يحترث أرضاً بكرًا - بانطلاقة ورشاقته وخفة دمه وبعده عن القلقة والتعصر والتكلف ، حتى ليخال لك أن هذا الفتى الأرستقراطي هو ابن بلد مصفى .

لا أدري لماذا أستشف في كتابات محمد تيمور رغم خفة دمها وميلها للدعابة نغمة حزن دفين ، ولعلني وأهم ويكون قلبي الحزين إلى اليوم على موته في عز شبابه هو الذي ينضح عليها من قبل أن أقرأها في خشوع الطائف بقبره ، وقد ترجع هذه النغمة الحزينة - إذا صدق حدسي - إلى الطابع الغالب على المزاج الشرقي وبخاصة للمبتدئ في التعبير الفني عند البوح بأشجانته المبكرة .

ولعل محمد تيمور وقد عانى أيضاً نوعاً من الكبت في حرصه الشديد على عدم إغضاب أبيه الذي رباه أفضل تربية - قوامها اللين والركة والتسامح - من أدائاته لم يقبل بعد وفاة أمهم وهولا يزال شاباً أن يأتي لهم بمن يخلفها في الداء فيتم محمد



تيمور دراسة الحقوق إكراه، لهذا الأب، بل نرى هذا الفنان الذى يختفى لو حرم من الحرية والانطلاق يقبل ستة لصلات الأسرة بالقصر - أن يدخل يديه فى قيود وظيفة لحب صاحبها إلى تمثال جاء مجسم لإحناء الرأس وضم اليدين وحسم الأدب يعبر من أسطورة القروود الثلاثة: أرى لا أسمع، لا أتكلم، فيعمل أمير للسلطان حسين، والعجيب فى ذلك العصر أن يختاره بعد أن رآه يمثل فى رواية «عن بنت الخليفة» بين أعضاء فرقة أنصار التمثيل فى ليلة إحياء حفلة الجمعية الخيرية الإسلامية على مسرح دار الأوبرا.. يدخل السراى ولكن قلبه مع الشعب.

وجاءت ثورة ١٩١٩ فالتقى على تياره الجارف محمد تيمور بسيد درويش (قريب فى العمر سنة بسنة) ووقف الاثنان معا الشعب ضد القصر وهكذا خرجت مسرحية «العشرة الطيبة»، وهى سخرية تكاد تكون سافرة بقصر السلطان فؤاد وحاشية ووزرائه، ما أظن تيمور كان يكتبها لو كان الجالس على العرش لا يزال هو السلطان حسين.

كان الكلام موجها للسلطان فؤاد على لسان بديع خيرى:

علشان ما نعلی ونعلی ونعلی لازم نطاطى نطاطى نطاطى

## العشرة الطيبة

محمد تيمور والنقد الصحفي (\*)



أوبريت العشرة الطيبة من أجمل ما لحن سيد درويش في المسرح الغنائي .. قام بتأليفها الروائي الكبير محمد تيمور وكتب أغانيها بديع خيرى، وأخرجها وشارك في تمثيلها عزيز عيد، وتعتبر هذه المسرحية درة المسرحيات الغنائية قدمت لأول مرة في فرقة الريحاني في ١١ مارس سنة ١٩٢٠ على مسرح كازينو «دى بارى» (سينما ستوديو مصر حالياً).

وقد أنفق في إخراجها أكثر مما تنهأ في ذلك لأية مسرحية أخرى وأعيد عرض المسرحية عام ١٩٢٢ حيث قامت بتمثيلها فرقة الشيخ سيد درويش وذلك على مسرح دار التمثيل العربى ، وفيها قام سيد درويش بدور الأمير سيف الدين، وحياة صبرى بدور نزهة وقدمت الفرقة القومية هذه المسرحية عام ١٩٤٧ على مسرح الأزيكية قام فيها بالبطولة الغنائية عبد الغنى السيد وشهرزاد وبديعة صادق، وقام بتوزيع أغانيها وقيادة فرقها الموسيقية محمد حسن الشجاعى، وأخرجها زكى طليمات .

(\*) بقلم رتيبة الحفنى.

وفي موسم عام ١٩٥٩-١٩٦٠ قدمت من جديد على مسرح دار الأوبرا، وشهرزاد وشريفة فاضل وقام بالتوزيع الموسيقي و رئاسة الأوركسترا عبد الحليم على، وكانت أيضا من إخراج زكى طليمات .

وعن هذه الرواية قال زكى طليمات «مخرج الأوبريت»: الحوادث الغريبة التي تبدو عليها هذه المسرحية الغنائية ليس لها سند في التاريخ من ناحية شخوصها،

ففى مسرحيتنا هذه ، نرى حاكم مصر فى ذلك الوقت ، حضرة صاحب العزة والإكرام الوالى (فخر الدين أبر زعيزع ) يصول ويجول ويتصرف فى العباد، ولكن فى غرف قصره أوامر يصدرها ، فى حين أنه خاضع لأوامر زوجة معتوهة مثله ومن طرف آخر، نرى زعيم المماليك صاحب الأبهة والكمال الأمير حاجى بابا حمص أخضر، فإذا هولا يقل سخفا عن الحاكم .. رجل لا يرى متعة فى الدنيا إلا فى التنقل من زواج إلى زواج.

وبين نزوات هذين المعتوهين ، تجرى قصة غرام رقيقة بين فلاح وفلاحه ، لا تلبث أن تتصل أسبابها بحياة الوالى وزعيم المماليك .. فإذا نحن أمام عالم كل ما فيه يبعث على التفكه ويشير الغرابة ويغرى بالضحك العالى .. وتنتهى القصة بأن يتتصر الحب على الجاه والسلطان . هذا هو موضوع المسرحية فى ظاهر خطوطه العريضة ولو اقتصر الأمر على هذا ، لخلت المسرحية من الأهمية التى هى عليها .

إن فى (العشرة الطيبة ) انعكاسا لما كان عليه الوعى الشعبى عام ١٩٢٠، حينما اصطلاح الاستعمار وعملاء الاستعمار وأصحاب الإقطاع هن المصريين ، على تفطيت ثورتنا عام ١٩١٩ فكمموا الصحافة ، وفرضوا على غيرها من وسائل التعبير قيودا صارمة ، فكان الشعب لا يملك للتعبير عما يحسه ، إلا النكتة اللاذعية ، أو الهمة والقولة الملتوية التى تتسع لمختلف التأويلات .

استطاع (محمد تيمور) فى رسم شخصيات المسرحية وفى جدل حوارها ، وكذلك فعل (بديع خيرى) فى صياغة أفعالها ، أن يجعلنا من المسرحية صورة ترمز إلى ما كان يجرى وتشير ولكنها لا تفصح وتبين !!

هذا مع مراعاة الخفة وتوخى المبالغة في تصوير أهم شخصيات المسرحية تصويراً (كاريكاتورياً) لإثارة الضحك منهم ، والسخرية بهم ، بحيث أصبحت المسرحية تمت إلى نوع المسرحية الغنائية المضحكة .

كتبت «المحروسة» في ١/٤/ ١٩٩٠ بتوقيع (ابن سينا) .

«كنت أنس تأففاً لا يطاق من كل ما لاقيت من المصريين والمؤلفين أسفاً على انتشار هذه الأوبئة في عاصمة القطر على مرأى ومسمع الحكومة وبإقبال الشعب .

ولم تقدم مصر من أبنائها من قام يناهض تلك البدعة فيعمد إلى إصلاح «الأوبريت» ، إلى أن سمعنا عن أوبريت (العشرة الطيبة) التي أحاطتها ضجة عظيمة نزعيت بى إلى مشاهدة هذه الرواية ، مشاهدتها فإذا هى أرقى ما يمكن أن يكون من نوعها .

هكذا علمنا أن هناك مؤامرة مدبرة ضد هذه الرواية بل وضد الريحاني الذى كانت الرواية تعرض على مسرحه ، وما ذنب المؤلف أن ينال بمكر ما وقع إذا كان هناك أحزاب وأغراض وتنازع قائم بين أصحاب المسارح ؟



حقاً إن الأستاذ محمد بك تيمور قد قام بعمل يذكره له التاريخ ولو كره الكارهون وغضب الغاضبون ، فإن ما قام به من تأليف هذه الرواية على هذه الصورة ليشهد له على أنه قد خطا خطوة واسعة (بالأوبريت) أو (الاربرا كوميك) .

والظاهر أن بعضهم قد ملك الحسد عليه نفسه فحال بينه وبين كل شيء إلا متابعة التشفى ، والقصد إلى التشهير والمحاربة بحق وبغير حق ، فلم يجدوا فى (العشرة

الطيبة) من موضع نقد من - الجهة الفنية - لذلك عمدا إلى التشهير بالرواية من حيث أنها تمثل المماليك بصورة منكرة .

وللمماليك محاسن ومساوئ، وهذه صورة من صور ماضيها أظهر لنا لبابه محمد بك تيمور وهو ما يمس الرواية من حيث الظروف الحاضرة ومن حيث مراعاة المناسبات ، فإذا كان حسن الظن قد أدرك تيمور بك فألف هذه الرواية على هذا الشكل - القول المأثور - «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» فإنما اللوم كل اللوم أن يتخذ الدين وتشغل العاطفة الوطنية ولتكون سحلا يشهر في وجوه المصلحين النابغين القادرين على نفع مواطنهم . .

وأنا أتعجب لتدبير هذه الحملة وشن الفارة على الشاب الفاضل المؤلف من غير حق . ولا يسعنا إلا أن نشكره ونعضده وندعوه بالتوفيق في عمله.

وجاء في (الكشكول المصري) ١٩٢٦/١/٢٩ بتوقيع (راداميس) قال: أسوأ الأصدقاء نية وأخبثهم طوبة . . تريدون أن نضربه ونحن خلف الستار؟ فلنوعز إلى واحد لا يكون فينا أن يتناوله بالسب أو الشتم على صفحات الجرائد . . واختاروا لهذا العمل الشائن حشرة.. كانت تذيل ما تكتبه بتوقيع عباس حافظ .

وهكذا جعلنا نقرأ في الصحف مقالات بتوقيع عباس حافظ كلها سباب لمحمد تيمور وكلها تحقير لأعماله الجليلة وتصغير من شأنه ومجهوداته ، حتى لقد تطرفت الحشرة إلى حد أن اتهم ت محمد تيمورو بالسرقة ونسبت رواية (عبد الستار أفندي) إلى أصل نمساوي ، فقالت: أنها منقولة بالحرف الواحد عن (الأب ليونار).

كانوا يعرفون أن محمد تيمور ربي حجر الدلال وأنه رقيق الشعور وسط كلمة أو إشارة تمس كرامته ، أو تجرح إحساسه تباعد بينه وبين فرقة باترو - إذا لم تورد موارد الردى هذا الأساس بنوا حملتهم عليه في ذلك الوقت روايته الثالثة (العشرة الطيبة) كانت الفكرة فيها مقتبسة من رواية (ذى اللحية الزرقاء) التي وصفها الكاتبان الفرنسيان (بيلاك) و(هالفى) غير أن الروح التي بثها محمد تيمور في روايته والأسلوب الذي كتبها به جعلها أعظم وأبدع ما أخرجته التياترو المصري.

كان يوم ١١ مارس سنة ١٩٢٠ يوما مشهودا في حياة محمد تيمور قابلته عصر ذلك اليوم فرأيتَه يطفر كالطفل ، بادأني بقوله : هـى حـجـزـت لـنـفـسـك مـقـعـدًا فـى التـيـاتـرو لـتـشـهـد (العـشـرة الطـيـبة )؟ قـلـت : إـنـى مـتـنـظـر بـعـض الأـصـدقـاء لـنـحـجـز مـقـاعـد مـتـقـاربـة ، فـمـسـكـنـى مـن أنـفـى مـداعـبًا ، وـقـال لـى : ضـاعـت عـلـيـك الـلـيـلـة قـد نـفـذـت كـل التـذـاكـر ، ابـتـهـجـت لـابـتـهـاجـه ، الرـوايـة لـم تـمـثـل بـعـد إـذـن بـهـذا الإـقـبـال نـتـيـجـة لـلـشـهـرة الـتى نـالـها مـحـمـد تـيـمـور ، لـقـد تـوطـد مـركـزه فـى عـالـم التـيـاتـرو وـصـمـمـت أن أسـهـد الرـوايـة فـى لـيـلتـها الأـوـلـى حـتـى لو قـضـيت الـلـيـل واقـفا .

واقـتـرب مـوعـد التـمـثـيـل ، وأخـذت جـمـوع النـاس تـتـدقـق عـلـى كـازـينـو «دى بـاري» وفـى البـوفـيه التـقـيـت بأـصـدقـاء مـحـمـد تـيـمـور : عـبـد الرـحـمـن رـشـدى وإـبـراهِـم رـمـزى وإـسـمـاعـيـل وـهـبى ولـطـفـى جـمـعـة وـغـيـرهم ، ووقـفـنا نـتـكـلم ، رأيت الأـصـدقـاء فـى هـم وـكـرب وـضـيـق وـغـم ، وـلم يـخـفـوا عـلـى أن السـبـب هـو إـقـبـال النـاس عـلـى عـلـى مـثـل هـذه (الخـز عـبـلات ) ، هـكـذا دـعـوا رـوايـة (صـديـقـهم ) مـحـمـد تـيـمـور وـقـبـل أن يـروـها . قـال لـطـفـى جـمـعـة : لـقـد أخـطـأـتـم فـى اعـتـمـادكـم عـلـى عـبـاس حـافـظ لـأنـه غـيـر مـعـرـوف مـن النـاس وأؤكـد لـكـم أنـهم لـم يـقـرءـوا شـيـئا مـما كـتـبه ضـد تـيـمـور وإـن قـرءـوا لـم يـصـدقـوا مـا قـال ، فالـرأى عـنـدى أن يـنـبـرى وـاحـد مـن لـقـيـادـة الحـمـلة وـالتـوقـيع يـامـضـائـه عـلـى المـقـالـات ، وأما مـنـا الفـرصة سـانـحة هـذه رـوايـة (العـشـرة الضـيـبة ) فلـنـتـنـقـدها بـشـدة ولـنـهـدمـها .

واصـطـكـت أسـنـانـهم مـرة أـخـرى مـن ذا الـذى يـجـسـر أن يـعـلـق الجـرس فـى عـنـق الـهـرة .. أخـيرا اتـفـقـوا عـلـى الاقـتـراع وأصـابـت القـرعة الأسـتـاذ إـبـراهِـم رـمـزى ، قـال الأسـتـاذ نـفـسـه : وإـذا لـم يـكـن مـن المـوت بـد ، فـتـظـاهـر بـالشـجـاعـة وـنـفـخ أوداجـه وـقـال : أنا لـها ، وـغـدا تـقـرؤن مـا يـثـلـج صـدوركم .

ورفـعت الـسـتـار ومـثـل الفـصـل الأـوـل ، وـكان النـجـاح كـامـلا مـن جـمـيع الـوجـوه ولا أـذـكـر أن رـوايـة قـوبـلت لأـوـل مـرة مـن تـمـثـيـلـها بـمـثـل هـذه المـقـابـلة الحـارة وـالتـصـفـيـق المـتـوالى لـكـل مـوقـف مـن مـواقـفـها ، وـبـعـد انـتـهـاء الفـصـل قـابـلت مـحـمـد تـيـمـور فـعـانـقـته ، وـكـانـت الدـنـيا لا تـسـعـه مـن شـدة الفـرح ، أقـبـل عـلـيه (الأـصـدقـاء) يـصـافـحـونه مـهـيـثـين ثـم انـفـضـوا عـنـه وـهم يـنـفـخون مـن الغـيـظ ، رأيت جـمـاعـة مـلـتـفـين حـول إـسـمـاعـيـل وـهـبى ، وسمـعت أحـدهم يـقـول : عـجـبا - كـنا نـحـسب أن الرـوايـة (العـشـرة الطـيـبة ) (بـفـتـح العـين وـالشـين) وـلـكـن هـا أنـت تـقـول إن اسـمـها (العـشـرة ) (بـكـسـر العـين وـتـسـكـين الشـين) .

وسمعت آخر يقول ولكن ما هو غرض المؤلف من هذا الاسم (العشرة الطيبة (بالكسر ثم التسكين)؟ فأجابه إسماعيل : إن غرض المؤلف أن يقدم لكم صفحة من تاريخ المماليك وحكمهم لمصر لتقارنوا بينهم وبين الانجليز، وما دمت لا تريدون حكم الإنجليز فهذا هو حكم المماليك ، وقد سمى رواية (العشرة الطيبة ) (بكسر العين وتسكين الشين ) ليهزأ منكم ومن حبكم للأتراك إذ تفضلوا عشرتهم على عشرة الإنجليز.

فقلت في نفسي : أعوذ بالله .

ورأيت جماعة آخرين ملتفين حول لطفى جمعة وهم يقولون : عجباً .. إذا فالمؤلف هو سكرتير الحزب الحر المستقل .

قلت في نفسي : أعوذ بالله .. أعوذ بالله ، ولكي يشاركني القارئ فيما كنت أشعر به وقتئذ من الاشمئزاز يجب أن نعود بالزمن إلى أوائل سنة ١٩٢٠ وحوادثها من ثورة الأمة في سبيل الاستقلال ، وكان اسم الحزب المستقل وكان سكرتيره حسين بك تيمور لا يمت بأية صلة من قرابة أو نسب إلا التشابه في اللقب ، ودخل الناس الصالة ليشهدوا الفصل الثاني من الرواية وكان من وجهة التأليف والتمثيل أبدع وأروع من الفصل الأول ولكنه قوبل بكثير من الفتور ولا عجب فقد انتشرت الإشاعة بينهم بأن مؤلف الرواية هو سكرتير الحزب الحر المستقل .. وأنه قصد منها خدمة الإنجليز والسخرية من عقلية المصريين .

وجاء دور الأستاذ عزيز عيد .. وعزيز عيد هو أكثر أصدقاء محمد تيمور انتفاعاً من صداقته ، فيجب أن يبرهن على (الصداقة) بأكثر مما برهن عليها باقي الأصدقاء .

كان الأستاذ عزيز عيد وقتئذ (خالي أشغال ) فأخذه محمد تيمور - ليتولى أشغال ) فأخذه محمد تيمور - ليتولى إخراج الرواية بعد أن ملأ جيوبه ولقاء هذا الإحسان أدخل عزيز الغش على مولاه وولى نعمته ، فدرس بين مشاهد الرواية مشهداً لم يضعه محمد تيمور ولم يطرأ له على بال ، وعزيز يدعى أنه وضع (مفاجأة مسرحية) سيسحر بها نفوس الناس ويملك عليهم مشاعرهم فيزيد الرواية رونقاً وبهاء. بل إنه ليس في الرواية من رونقى وبهاء غير الذى وصفه السيد عزيز عيد.

والنظارة جلوس يشهون الرواية (سكرتير الحزب الحر المستقل) إذ رأوا الوالى (التركي) يدخل المسرح واطنا بقدميه رؤوس المصريين وهم خائفون خاضعون .

هذه هي (المفاجأة المسرحية) التى وضعها الأستاذ عزيز عيد من عنده أو بإيعاز من باقى الأصدقاء .. دون أن يستأذن فيها المؤلف المسكين .

وحاء دور عبد الرحمن رشدى فوقف فى وسط الصالة وقاطع التمثيل وخطب فى النظارة خطبة حماسية .. ثار فيها النفوس على لمؤلف الذى أهان المصريين هذه الإهانة .

وهكذا نال الأصدقاء بغيتهم فى صديقهم محمد تيمور، ففضوا عليه ذاقوه طعم الموت فى الحياة .

وجاء ردودفاع محمد تيمور فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٧/٣/١٩٢٠:

حضرة الصديق .الفاضل مدير جريدة الأخبار الغراء، قرأت فى جريدتكم صباح اليوم نبذة بقلم صديقى الكاتب الكبير إبراهيم أفندى رمزى عن الرواية قرأت النبذة ودهشت غاية الدهشة لما ظن صديقنا رمزى من أننا فى تمثيل الرواية إبراز الولاء الذين حكموا مصر قبل محمد على فى صورة مزرية لا يصح تصويرها على المسرح هذه الأيام ..

وزادت دهشتى لسؤاله عن العظة التى يتخذها المصرى من هذه الرواية، بل تساءل أيضا عما يتخذة الخصم حجة علينا عند رؤيته هذه الرواية إذا قارن العصر الماضى بالعصر الحاضر، دهشت لكل ذلك ولكنى أشكر الكاتب الفاضل لأنه لم يكتب النبذة إلا لإظهار الحقيقة والحقيقة بنت البحث .

لم أقصد يا صديقى الفاضل أنا وبديع خيرى شريكى فى تأليف الرواية ونجيب أفندى الريحانى مدير الجوقة وعزيز أفندى المدير الفنى أن نسب المماليك والأتراك أو أن نحط من شأنهم أو نظهرهم على المسرح فى صورة مخزية بل كان قصدنا كل القصد هو ما أردته ، أنت بنفسك فى رواية البدوية ورواية الحاكم بأمر الله من تصوير الظلم ولإظهار نتائجه على المسرح وانتصار الضعيف على الغاشم القوى ، أردنا يا صديقى أن نضع أول حجر فى أساس الأوبرا كوميك فاخرنا رواية فرنسية ( يا رب بلد) ومصرنا حوادثها فلم نجد عصرا من العصور التاريخية يلائم حوادث



الرواية غير عهد الممالك ، ولم نشأ أن نختار عصرا من عصورنا الزاهرة كعصر  
الفراعة وعهد العرب خوفا من تشويه تاريخنا الزاهر .

وهنا يصح لي أيها الصديق أن أسألك لماذا ألفت رواية البدوية ؟ ولماذا أظهرت  
على المسرح خليفة مصريا مسلما في صورة رجل فاتك خليع يميل للنساء ميلا  
يدفعه لاختطاف البنات الأبنكار من أحضان أبائهن وأمهاتهن مع أن التاريخ لا يبقى  
على ذلك ، وأنت تعلم أن الأمر بحكم الله لم يختطف البدوية ، بل اتفق مع أبيها على  
أن يزوجه منها ، فلماذا شوهت تاريخ مصر ، وجعلت هذا الخليفة يختطف البدوية  
كالسارق الذي لا ذمة له ولا ضمير ، أجل يصح لي أن أسألك هذا السؤال باحثا معك  
عن الموعظة التي يتخذها المصري من هذه الرواية وعما يتخذ الخضم حجة علينا  
عند رؤيتها إذا قارن العصر الماضي بالعصر الحاضر .

ثم أقول لك : لماذا ألفت رواية الحاكم بأمر الله وأظهرت على المسرح خليفة  
مسلم في صورة رجل يقتل النساء والأطفال والرجال بلا شفقة ولا رحمة .

ألم تجد في تاريخ الأفراد المصريين عهدا آخر تكتب عنه غير هذا العهد؟.

أنا أعترف معك أن الحاكم كان رجلا ظلوما غشوما ، وأنت لم تفتقر على التاريخ في  
روايتك ، ولكن أية موعظة يتخذها المصري من رواية الحاكم بأمر الله وما الذي  
يتخذ الخضم حجة علينا عند رؤيتها إذا قارن العصر الماضي بالعصر الحاضر .

لماذا يا صديقي أخذت عصرين زاهرين من تاريخ مصر وشوهتهما على المسرح في  
صورة لا يرضاها المصري؟

إنني أجيب على هذا السؤال بالنيابة عنك: هذا لأنك لم تقصد تشويه تاريخنا الباهر  
ولم تشأ أن تخدم الخضم خدمة يقارن بها الماضي والحاضر ، ولكن أردت تصوير  
الظلم ونتائجه وانتصار الضعيف على القوى ليتخذ المصري له موعظة من ذلك  
وهذا ما أردته أنا من روايتي .

ثم اسمح لي بعد ذلك أن أسألك لماذا جعلت بطل روايتك (الهوري) يقول  
للمصري الذي طلب منه يد ابنته ليزوجها من ابنه: (أأعطي ابنتي لبرنون من براذنة  
هذه الأرض ) ، فهل كنت تقصد بهذه الجملة أن المصريين في مستوى البراذين ؟ لا

أظن ذلك .. فهذه غلطة يا سيدى هى أشد شاعة من غلطة ارتكبتها نحن ، ولكننا والحمد له أصلحناها وهى أننا جعلنا المملوك يركب الناس .

هذا يا صديقى هو ردى على نبذتك آملاً أن تحسن ظنك بنا جميعاً بعد قراءتها ، وأن تعتقد أننا نغار على بلادنا المصرية التى ولدنا تحت سمائها وعشنا مغمورين بخيراتها ، وأنها لم تؤلف الرواية لخدمة الخصم لأنك تعلم علم اليقين أننا نربأ بأنفسنا عن ذلك لأننا عشنا والحمد لله إلى اليوم وسنعيش إلى أن نموت ونحن كرام النفس وإننى أسأل الله أن يهدينا جميعاً إلى الصواب

محمد تيمور

## محمود تيمور<sup>(\*)</sup>



ولد محمود تيمور في حي درب سعادة سنة ١٨٩٤م ، حيث ينفتح الجو عير المسك والجاوى يتطاير إليه من حى الحمزاوى مربى أبناء البلد ومجتمع مجالسهم الحى الذى تدور فيه أحداث قصة (ساق من خشب )، وتلقى تعليمه الأول بمدرسة الناصرية الابتدائية والالهامية الثانوية ، وهنا دهمه المرض وهو فى طرارة السن وزهو الشباب مما ألزمه داره ، واضطره إلى الحصول على البكالوريا عن طريق المنزل لا المدرسة .

والتحق بعد هذا بمدرسة الزراعة العليا، فطاف به المرض مرة أخرى ، وكان التيفود فلم يكن بد من الانقطاع عن الدراسة ، وإن لم ينقطع عن طلب العلم ، وما إن أبلى من مرضه حتى التحق بإحدى وظائف وزارة الحقانية حيث مكث بها سنة كاملة ثم انتقل منها إلى وزارة الخارجية ليمضى فيها ستة أشهر ضاق بعدها بأعباء الوظيفة وقيودها فخلفها إلى الأدب ، فأقبل على هوايته المحببة القراءة التى هى طابع الأسرة الكبيرة المحبة للعلم المضيايف لأمله ، المقتنية أسفاره ، المستعزة به شرفا وغنى وجاها وهى التى أفاء الله عليها سابغا من الشرف والغنى والجاه .

خلص محمود تيمور للأدب فى فأقبل عليه بهوى نفسه كله يعب منه عللا بعد نهل مستهلا بالأدب العربى ، وكانت الأسر الكبيرة تنشئ بنينا نشأة أجنبية ، ولكن والده أحمد تيمور كانت نزعته وطنية عربية إسلامية وقد أورثه هذا الأب مؤهلات الكتابة

كان يحفظه طفلاً وتلميذاً بالمدارس الابتدائية ، عيون الأدب العربى كمعلقة امرئ القيس .

طفل نمته أسرة تكلف بالأدب وتحتفل به وتحتشد له وتهدى إليه ، أسرة تعول نساؤها الشعر وترويه وتنفسح دارها لقصادها من العلماء والأدباء والمستشرقين ورواد الفكر فى الأقطار العربية ، وكم ضمت هذه الدار كوكبه تنتظم الشيخ محمد عبه والشيخ الشنقيطى الكبير ومحمود سـمى البارودى ، والشيخ رشيد رضا والشيخ طاهر الجزائرى والشيخ خضر ونظراءهم من رجالات الأدب والعلم .

ويفتح الطفل عينه على مجلس الثقة الأعلام ، وتفتح نفسه إذ يرى ويسمع ويعى ويختزن ، فى هذه الأسرة وهذه البيئة نشأ محمود تيمور ، فما إن رديت نفسه من ينباع الأدب العربى حتى تطلع إلى الأدب العربى فأعجب بالقصاص الفرنسى «موباسان» والقصاص الروسى (تشيخوف) الذى يعده القصاص العالمى الأول .

عاش محمود تيمور فى أدب هذين الكاتبين وتشربته نفسه حتى صدر عنهما فى مستهل حياته الأدبية ثم نزع إلى الاستقلال بغنه فاستوحى بيئته ونبع عن نفسه بمذخوراتها ، فنجح فى أن يقدم لنا فنا مصرى صميما نهض بتمثيلنا فى ميدانه فالتفتت اللغات الأجنبية إلى أدب تلك الفترة من حياة تيمور التى نسميها (المرحلة الأولى) تنقل عنه نماذج تمتاز بمحليتها ومصريتها الأصيلة .

ولعل أهم ما قرأ محمود تيمور فى هذا الطور من أطوار عمره كليلة ودمنه والصادح والباغم وألف ليلة وليلة ، التى أثرت فيه تأثيراً كبيراً أذكى موهبته فى التأليف القصصى .

ومن الأدب الحديث مؤلفات المنفلوطى لنزعها الرومانتيكية التى وافقت هواه وقتئذ كما استهوته مدرسة المهجر لنفس السبب وعلى رأسها (جبران) ، وقد أعجب محمود تيمور (بالأجنحة المتكسرة) وتأثرت بها كتاباته الأولى وأغلبها شعر مثور وهو ما يسمونه الآن الشعر الحر

وكثير من الروائيين بدءوا حياتهم شعراء من الشعور المشبوب .. وقد ترجم محمود تيمور بعض هذا الشعر المثور إلى قصة سماها (الفرفرة والزهرة) ضمنها مجموعاته القصصية .

وكان محمود تيمور حفيًا بمجلة الفنون التى كانت تعرض ألوانا من الأدب - المهجري، منها القصة التى كانت أشدها إثارة لنفسه واستثارة بها .

ثم أغراه أخوه محمد تيمور بلون آخر .. لون جديد من الأدب الواقعى فقرأ (حديث عيسى بن هشام) للمويلحى، وقصة (زينب) للدكتور هيكمل .

أفادته الرحلة الطوافة بين الكتب الكثير من العلم والخبرات والآفاق وكانت نقطة تحول فى أدبه:

وإذ تعلم اللغات الأجنبية قرأ لموباسان كما أشرنا، وزولا لأنه من لونه، وفلوبير الذى كان أستاذ موباسان . وقد ترك هؤلاء انطباعاتهم فيه إذ كان فى دور الانطباع والتأثر، فخرجت قصصه الأولى ذات مذهب واقعى صارخ .

وقرأ من أعلام الإنجليز ديكنزستيل وسويفت وديفو صاحب روينسون كروزو . وقد لفته إلى أديسون خاصة دراسة ماکولى له فقد نبهته هذه الدراسة إلى لون أديسون الفنى .. ولا يمكن أن يكون تيمور قد خلا من أثار هؤلاء فهو وصاف شخصيات على مثال من ديكنز وإديسون خاصة .

ولكنه بعد هذا يفضل الأدب الروسى، لقد قرأ طويلا، من أعلام القصة الروسية تشيخوف، وتورجينييف الذى كتب عن الأرواح، ودستويفسكى، وتولستى ومكسيم جوركى الذين أخرجوه من مذهبهى الاتباعية والكلاسيكية سادا أوروبا فى مطلع القرن العشرين، وهو مثل تشيخوف من أنصار الفكرة الواحدة تعرض فى القصة عرضا بارزا .

رأى تيمور فى الأدب الروسى مرحلة جديدة من التعبير القصصى، رأى فيه أدبا منطلقا دفاقا متحررا من القيود، معبرا عن حقائق الحياة، إنه لا يعتمد على الحادثة ولكنه يروع بالصدق الغنى، ويحتفل برسم الشخصيات، على أن قارئه لا يفتقد فيه الفكرة فكثيرا ما تكمن بين طيات السطور.

### مراحل أدب تيمور:

ونستطع أن نقسم أدب تيمور إلى أربع مراحل فى: أولها كان يختار شخصياته ذات طابع قريب وهو يلمحها لمحا سريعا فقصته «الشيخ جمعة» التى كانت صدى إعجابه بأقاصيص أخيه محمد تيمور (ما تراه العيرن) بمنحاها الواقعى، وصدى

تجاوبه مع الدعوة القومية التي كان يعتنقها أخوة محمد أيضا .. لقد كان لو والده وأخيه في حياته أثر بعيد ، قصته هذه ليست إلا صورة قيمتها في بساطتها وصدقها . وهى في وقتها ، لون جديد باعتراف النقاد ، ولكنه اللون المحلى ، والمحلية ، كما أشرت ، في قصص تلك الحقبة من حياة تيمور ظاهرة بل واقعة ، ولعل هذا سرها فإن صاحب كتاب Lards of Enchanters أو أرض السحرة حين أراد أن ينتخب مجموعة من القصص تمتاز بالغرابة والسحر، وقع اختياره على قصة (عم متولى) .

وكانت المحلية في ذلك الوقت تشغل محمود تيمور عن الأسلوب والتجديد فيه ، وقبل أن تغادر الحديث عن المحلية، نذكر أنه من إخوان هذا الطراز والمتأثرين به صلاح ذهني ويوسف جوهر ونجيب محفوظ .

وفي المرحلة الثانية احتفل تيمور بمعالجة الموضوعات الإنسانية المتصلة بالحياة وشخصيات هذا الطور شخصيات نستطيع أن نجد لها في أى مكان .

ثم تأتى المرحلة الثالثة حيث نحا تيمور في سنيته الأخيرة نحوًا جديدًا هو صدى للأيام التي نعيشها والأحداث التي نحيها .. تطورت فنه بتطور مجتمعا الذى اهتزت فيه الارستقراطية هزة عنيفة لم تجد معها بدا من التأقلم .

ومسيرة التطور ظاهرة في أدب تيمور ، فهو ضد الجمود ؛ لأن من يقف في وجه تيار الحياة المتجددة المندفعة يجرفه التيار . ونمثل نزعتة هذه بموضوعها وعنوانها قصة (انتصارات الحياة) .

كما تتمثل نزعتة إلى مسامرة الأمر الواقع قصة (خلود) وقصته الطويلة (إلى اللقاء أيها الحب) وقصة (شمروخ) التي تفسر مقدمتها هذا الاتجاه.

ولعل هذه النزعة تقف وراء زهده في المذاهب الفلسفية بعامه فهو لا يؤثر مذهبا بعينه يستأديه التعصب له والذود عنه ، والتعصب كما يقول: آفة حرية الرأي - فضلا عما يحجبه من مزايا الآخرين مما يمكن الانتفاع به ، وقصة تيمور (إلى اللقاء أيها الحب) تصور صراع تلك الطبقة للتأقلم : كما تعالج قصته (شمروخ) ، وفي الأخرى اجتماعية عصرية ، متابعة التطور العصري. مشكلة البترول والحياة الحاضرة في الشرق الأوسط ، ومن قصص هذه المرحلة مجموعات (تمر حنة) ،

(نبوت الغفير)، (ثائرون).

وتتمثل المرحلة الرابعة في محاولة بلورة اتجاه المؤلف في الحياة وفلسفته فيها وهي آية عمق فنه .. إنها مرحلة (النضوج).

وهذه المرحلة متداخل في سابقتها ..

### أسلوب تيمور

وقد تطور أسلوبه بتطور حياته ، وتطور أدبه فإن محمود تيمور بعد سنة ١٩٤٣ وقد زادت تجاربه في الحياة واتصالاته بالمجتمع واطلاعه على الأدب الأوروبي، عمد أسلوبه إلى الفصحى لإيمانه بسلامة التعبير وقوته إنه النضوج .

وأسلوب تيمور الفني في قصصه يحتفل برسم النماذج الإنسانية متأثراً عن قصد أو غير قصد بالأدب الروسي كما يهتم بالتحليل النفسي واستبطان المشاعر الخفية ووصف البيئة والأحداث .

وعنصر التشويق في القصة لا تفتقده عند تيمور ، ولعل خير مثل له قصته (إلى اللقاء أيها الحب).

وقد اهتم محمود تيمور بالحبكة الفنية إلى حد كبير، لست أعنى الحبكة المسرحية ولكن التشويق إلى القراءة ، وهو يعتمد كثيراً على عنصر الصدفة ، وحجته في هذا أن الحياة صدفة ، وأن الفنان له أن يستخدم أى أداة . . صدفة أو غيرها طالما أنه ينبع من الحياة ويصدر عنها بعد أن يتمثلها في نفسه ، وإن من أهم الأمور في الفن ، استجابة الكاتب لموضوعه وتلبسه بفكرته .. إن الكاتب هو ممثل أو صنوه.

### كيف أدبه المرض؟

وهناك خط عريض في حياة تيمور أثر في أدبه وعمق أثره.. ذلكم هو المرض .. الذى عرفه في السابعة والرابعة عشر والثانية عشر والعشرين والخامسة والعشرين .. الخ صدمات صحية تبعها الكثير من النواهي والزواج لا تأكل كذا .. لا تسهر .. الخ.

ومن ثم عاش في قوقعة المرضى طويلاً، فكان الأدب له متنفساً وتعويضاً .. فيه يعيش وينطلق ويحيا .. على الورق .. ومن هنا خط الانطلاق في أدبه .

لقد حرمه المرض من الاستمتاع بالحياة على الوجه الأكمل ، ولكنه طوعه .. طوع أخلاقه، فجنح إلى الاعتدال ، حتى حياته العطفية خلت من الاقتحام والمغامرة فسطح الخيال .

لقد أدبه المرض فأحسن تأديبه فهو هادئ وادع يتهيب الإفراط في كل شيء ، وفي كل ناحية سواء في الماديات أو في المعنويات ، سواء في سلوكه الشخصي أو في علاقاته بالناس، ييغض العنف والاقتحام واجموح ويحب السلام ، والمسالمة وسيلة لا تخيب في نظره في حل المشكلات : ولكن هذه الصفات فيه لا تحجب معنى كبيرا يقترن به وإن بدأ هذا الاقتران في طاهر الأمر لونا من المفارقة . فإنناجه الغزير في تواصل ودأب تقف وراء إرادة جديدة استطاعت أن تقهر المرض والضعف والاستسلام .

ومن الطريف قول تيمور في هذا المرض أو قوله عنه، وآخر ما أذكره لأستاذي الأكبر: «المرض» إنه هو صاحب الفضل فيما أبليت من سنين جاوزت الستين ، بل ويزيد: (لست أدري لماذا يخطر لي أحيانا أنه لولا هذا المرض لفارقت الدنيا منذ أمد).

إن المريض أشبه شيء بذلك الماجور الفخاري المشروخ يعيش صالحا للخدمة صالحا للخدمة والعجن أكثر مما يعيش الماجور الصحيح ، كما تتحدث بذلك الأمثال الشعبية السائرة، فقد أصبحت أحب مرض كل الحب ونس بصحبته أيما أنس ، حتى إن أخشى ما أخشاه أن يترايل عني فإن فراقه إيأي إيذان لي بالنهاية الحاسمة والمصير المحتوم .

### الحنين إلى البساطة:

وخط آخر لا يمكن إغفاله في حياة محمود تيمور هو: الحرمان الذي يدفع الفنان إلى الإنتاج ويثرى فنه .. وليس معنى هذا أن محمود تيمور كافح في الحياة من أجل العيش .. لا.. إن الحرمان كلمة كبيرة فقد يكون الحرمان من مال .. من عاطفة .. من شيء غير موجود في بيئة الإنسان فإن عطف تولستوى مثلا على الفقراء إنما هر صدى لافتقاده العطف في بيته المترفة .. وينسى اليساريون تولستوى وتورجنيف ويقصرون الحرمان على ناحية واحدة هي المال .



وخط الحرمان في حياة تيمور يبدأ من القمة .. وأعنى أن الحرمان أتاه من الوجدان .. من الوفرة فابن الارستقراطية والجاه مال منذ صغره إلى البساطة . فاختلط بالبيئات الشعبية في درب سعادة، وفي الخلية وعين شمس التي عاشوا بها حياة ريفية بحته ، هناك حيث حضر مجتمعات الفلاحين ولعب مع أبنائهم ، وطرب لأغانيهم . ولعل حبه للريف عودة إلى الطبيعة .. إلى البساطة وهو يؤكد هذا عملا في قصصه ، وقولا حين ينفر من تلقيبه بالمليونير أو الباشا الأديب ، ويثور الإنسان الوداع قائلا: لا أنا مليونير ولا أنا باشا، وإنما أنا رجل في حالي «مستور» يخدم الفن والوطن ، لقد كان لا يألف الأمراء وبيئاتهم الأرستقراطية التركية .. متأسيا بوالده الذي لم يذهب يوما إلى نادى محمد علي .. إن الأرستقراطية التي يعتز بها هي أرستقراطية العلم .. إن أرستقراطيتهم لو صحت هذه التسمية أرستقراطية مصرية ، تجمع إلى مصريتها اسمية راسخة فقد كان أبوه أول من أسهم في إنشاء الرابطة الشرقية ، وهو ممن أسسوا جمعية الشبان المسلمين .

وحينه إلى البساطة والطبيعة يبدو مرة أخرى في قصته (نداء المجهول) ، وفي روايته (رابحة ) ، فقد اكتسحت العالم بعد الحرب العالمية الثانية موجه نفور من المدينة .. إنسان هذه الفترة محروب صدم في مثله العليا فارتد إلى الطبيعة وهي ممثلة في (رابحة ) بنت الصحراء وإن كانت شخصية رابحة غير واقعية ١٠٠٪ .

والغريب أقدر على الملاحظة وأسرع إلى التأثر وأصدق في الوصف ، ليس من الجاز مثلا أن الفلاح إذا تمكن من الكتابة يهرب من واقعه .. من بيئته ؟

وقصص محمود تيمور تصطرع فيها الغرائز والمثاليات ويمتزج الشعر بالخير ، وذلك سر المصاييح الزرق كما يقول .. ويتجلى هذا في قصته ( كيلو بطره في خان الخليلي ) ومسرحيته (صقر قريش) وغيرهما ، وإن كان يهدف إلى الخير ويحفز إليه في تحليل يستمد من الحقيقة . وهو يقول عن أثر هذه الفترة من عمره في أدبه :

«وهذه الحيوانات المختلفة من تلك البيئات الشعبية والوطنية والريفية كانت ينبوعا ترويت منه ما استطعت ، ولا ريب في أن كثيرا من صرر تلك الحيوانات وأحداثها وشخوصها قد ترسبت في أعماق وجداني .. وأنها كانت مددا لي أستوحيه فيما أكتب من أقاصيص وما أرسوم من مناظر وأبطال ..) ، وهو يقول ردا على الدهشة البادية من إيثارة تصوير البيئة الشعبية وهو ريب القصور: (الحق أنى أحسست بواعيتي الخفية

أن البيئة الشعبية هي البوتقة الإنسانية - الكبرى التي تستخدم فيها ضروب المشاعر ويتوضح فيها الكفاح الإجتماعى وتتجلى المشكلات النفسية على أوسع نطاق ، فالبيئة الشعبية هي الساحة الفسيحة لمعركة للحياة ومقاومة التيارات المختلفة ، والاصطدام بمختلف أسلحة القتال .

لعلى أدركت ذلك بعقلى الباطن فرأيت أنه من المحتم لموضوعاتى التى تعتلج فى نفس أن تخوض هذا الغمار، وأن تبدو فى ذلك الإطار لكى يتاح لها مجال التألق والإشراق .

### ألوان من الكفاح:

وليس معنى هذا أن حياة محمود تيمور خلعت من ألوان الكفاح الأخرى، فقد كافح فى سبيل توطيد مركز أدبى.. إن حب البقاء يتشكل بأشكال مختلفة .. حب الظهور أو التفوق الأدبى أو السياسى أو التجارى حتى المجرم يشبعها بدون وعى على طريقته .

لقد عرف محمود تيمور رفض النشر وذاق مرارته إلى أن ظهرت «انسفور» ، وكان لأسرته صلة بعبد الحميد حمدى فأرسل له محمود تيمور إحدى محاولاته فرحب بها لأن فيها لونا جديدا من الرومانسية وقد شجعه هذا ، ثم أخذت الجريدة تنشر له . وقد كان لنشه كتبه الأولى على نفقته الخاصة أثر فعال فقد سمرت له فى السوق .

يضاف إلى هذا عامل الزمن فإن الأقصومة وقت ظهوره كانت لونا جديدا تلقفه المشتغلون بالأدب وباركوه ، مما يذكر هنا أن أول أثر له «الشيخ جمعة» إنما هو مجرد صورة قيمتها فى بساطتها وصدقها ولكن إبراهيم

رمزى حين قرأها هلل لها وقال له هذا لون حتى الكتاب الكبار كانوا فى شغل عن هذا اللون الذى سبقهم إليه كوكبة من الشباب أمثال طاهر لاشين وحسين فوزى وويحى حقى ومحمد تيمور ومحمود تيمور رواد القصة الأولى بعد صاحب قصة «زينب».

وبعد هذا اجتذبت القصة المازنى وطه حسين ،. قد يكون عملهم أكمل ولكن عمل أولئك كان الأسبق فضلا عن اتصال تجاربهم فى هذا النوع .. وهو اعتبار له خطره.

كما عرف محمود تيمور لونا آخر من ألوان الكفاح الأدبي، فقد نشأ في وقت نشأت فيه فكرة المصرية، وهذا الإحساس بالمصرية سبق ثورة سنة ١٩١٩ بل هو الذى مهد لها فلم تكن كما يحسب البعض هبة بدون مقدمات بل سبقها وعى متأهب، استجابة لمنطق الحقيقة والتاريخ، للخروج من النطاق العربى الإسلامى.

قد انفعلت البيئة المصرية فى ذلك الحين بحركة السلطة وجمع العمال وجمع المحاصيل والأرزاق، وسلب المال والبنين .

كان (محمود تيمور) فى زمرة جريدة السفور التى تدافع عن المرأة وعن الأدب الجديد .

وهكذا كان دور محمود تيمور فى ثورة ١٩١٩ دورا أدبيا عم الأذب المصرى.

وقد كان محمود تيمور فى هذه الدعوة متأثرا بأخيه محمد تيمور فضلا عن التيار العام فقد كان محمد عائداً من فرنسا بعد أن أمضى فيها ثلاث سنوات تشبع خلالها بآراء جديدة فى الأدب والمسرح حملها إلى وطنه وبشر بها إثر وصوله فكان محمود بالطبع أقرب الناس إليه وأشدهم استجابة له ، فاستمد بواكير قصصه من صميم الحياة المصرية ، ونجحت التجربة حين أحب «محمد» المسرح واتخذ مسرحات لنظريته المتحمسة المصرية فاستوحى البيئة المحلية فى عدة مسرحيات ناجحة .

### تأثير الرحلة:

وقد غدت أدب تيمور بعد ذلك ورفدته ينابيع كثيرة لعل من أهمها الرحلة الطوافة التى كانت نقطة تحول فى أدبه .. كان اتجاهه قبلها محافظا وكانت تجاربه الأولى فى الكتابة مما لم ينشر، تقليدا للقدامى، فنطق أدبه وانطلق بعد أن زار - أكثر من مرة - أوروبا وأمريكا وبلاد الشرق العربى وادخر الكثير مما تفيدته الرحلة من علم وخبرات وأفاق كيفت نظرته إلى الحياة .. وكتابه (أبو الهول يطير) رسائل كتبها فى أمريكا حين سافر إليها لعلاج زوجته ، إلى ولده محمد سعيد الذى اخترمه الموت فى العشرين فخلف فى قلبه لهفة حرة تفجر الذكرى دموعها .

وهذا الكتاب أقرب كتبه إلى نفسه .

كما أفادته الرحلات بين الكتب الفرنسية والانجليزية . فمحمود تيمور يجيد الفرنسية وإن واثته هذه الإجادة فى المنزل كما يجيد الانجليزية التى تلقى علومه بها

في المرحلة الثانوية . وهو يفهم التركية .

ومحمود تيمور الذى يعد أحد رواد القصة القصيرة في مصر قد توجهت الحياة الأدبية فيها أكثر من مرة ، فقد منحه المجمع 'للغوى الجائزة الأولى سنة ١٩٤٧ .

وفي سنة ١٩٥٠ حصل على جائزة الدولة للأدب .

وفي سنة ١٩٥١ حصل على جائزة واصف غالى بباريس عن كتابه المترجم إلى الفرنسية عزرائيل القرية .

ولعل جائزته الكبرى اختيار المجمع للغوى له عضوا فيه ، تقديرًا لمكانه الكبير في أدبنا حتى ليقول الدكتور طه حسين في كلمة استقبله : (وسبقت أنت إلى شيء لا أعرف أن أحدًا شارك فيه في الشرق العربى كله إلى الآن .. وسجلت به لنفسك خلودا في تاريخ الأدب العربى لا سبيل إلى أن يمحو ، هو القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربى وإنك لتوفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمى بأدق معانى هذه الكلمة وأوسعها).

كما قال عنه الأستاذ محمد فريد أبو حديد في حفل جائزة المجمع للغوى سنة ١٩٤٧ م : (إنه يعرفنا بالجانب الذى يعرفه من مجتمعنا المصرى فهو معلم من معلمى هذا الجيل . وهو عامل من العوامل القوية على تعريفنا بأنفسنا).

وأشاد به عميد المستشرقين في أوروبا المرحوم اغناطيرس كراتشكوفسكى الروسى والمستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جومانيرس .

وأحب قصص محمود تيمور إلى نفسه قصة (سلوى في مهب الريح) ، ويعزى هذا إلى عطفه عليها لأنه زج بها في شذائد كثيرة ، وإن كان قد أخذ بيدها بعد هذا .

وفن تيمور ربيب الحياة المصرية فھر ينبع منا ويصدر عنها بكل مزاياها وعيوبها وهو دائما وراء أشخاص قصصه وكأنه يوحى لها ويسر إليها حتى ليبدو عليها طابعه من صفاء ووداعه وسماحة نفس . إنها لمسات يلمس بها الصورة الإنسانية ثم يتفرع للتحليل النفسى وأحيانا يتداخل اللونان عنده . وذلك كله في أسلوب سهل شف تراءى خلاله المعانى وتتأدى إليك في بساطة ويسر على فصاحة ألفاظها وبلاغة التعبير .. وهو مع هذا لا يخلو من دعاية وسخرية يغذى بها ما يتغياه موضوعه من نقد صادق أصيل . مثال هذا قصة (كليو بطرة في خان الخليل) . .

وعلى ذكر الفصاحة في الأسلوب يحل لنا أن نشير إلى أن محمود تيمور جنح إليها في المرحلة الثانية من أدبه ، فقد كتب محاولاته الأولى في المسرح : (أبو شوشة ) و (الموكب ) و (الصعلوك ) بالعامية ثم بالعربية عندما أراد لها أن تكون قصصا للقراءة وحجته في هذا (أن الأعمال الأدبية الكبرى في مختلف اللغات أكثر ما القصص الفني وأغلبها يعد المظهر الأرقى للبلاغة في لغاتها) .

على أنه مما يدخل في تفسير هذه الظاهرة عندى هدوء الدعوة إلى (المصرية ) بعد أن اتضحت الشخصية المصرية بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، وأخذت تعمل عملها في إحساس بذاتها وثقة بنفسها . . لقد كانت العامية في مولد القصة المصرية الذي اقترن بمولد (المصرية ) مقصودة متعمدة عند كثير من كتاب القصة مع قدرتهم على الأداء الفصيح ولكن الأمر كان تأكيداً للذاتية المصرية في شتى مظاهرها ومنها لغة الحديث لغة الشعب .. الشعب الذي هب يدافع عن وجوده ويتذكر ماضيه ويرسم حاضره .

على أن (محمود تيمور) - كان وما يزال وقد بلغ هذا الأوج يؤمن بالثنائية اللغوية التي لا ندحة عنها في أى لغة من اللغات ، وبين أى شعب من الشعوب في أى عصر من العصور .. . فإن الحياة اليومية الجارية لا تستطيع التوقف لحظة من أجل مواضع البلاغة ، كما أن الأعمال الفنية الكبرى لا بد أن يتوفر لها ، فيما يوفره لها أصحابها ، فنية التعبير .

## عند العودة

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذا حدث له لأنه كان أقرب إلى كابوس مروع منه إلى حقيقة مؤلمة الأضواء سواطع في كل جانب من الميدان الفسيح الذى يغوص فيه الناس الوافدون من كل بلد.

وتحيط بالميدان المقاهى المملوءة بالرواد والسرادقات التى تموج بألوان الفنون الشعبية ، وتنبعث من هنا وهناك أصوات المداحين ، ويخترق كل هؤلاء صوت ينبعث من المسجد الكبير الذى يعج بالناس صوت معروف يتلو بعض آيات من ذكر الله .

وفى خلال أيام مولد الإمام الحسين كان المعلم (حسن) الشهير ، (سبحس) نو الوجه الصبور، والابتسامة المشرقة ، والذى يتسم بخفة الحركة ، وسرعة الخاطر، يواصل ليلة بنهاره فى نقل الوفود محاسيب الحسين من حى السيدة زينب على عربته الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتى يجرها حصانه (عتر) البنى اللون .

وكان الركاب يلجؤون إليه فى توصيلهم لتساهله ، وعدم تعاليه فيما كان يطلبه من أجر تلقاء ما يقدمه من خدمات .

ولقد أثار هذا الرواج الذى خص المعلم (سبحس) وحده دهشة زملائه ، خاصة المعلم (حنفى) الذى تشاجر معه بسبب تساهله الكبير ومخالفته للأسعار التى اتفقوا عليها جميعا فيما بينهم ..

وأوضح المعلم (سبحس) موقفه منهم ، أنه يرضى بما قسم الله له من أجر بسيط ، إنه إنسان له حساسية خاصة ، يشفق على رجل هدته الأيام ، وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها ، أما الأطفال فهو أب أيضا يشفق عليهم ويرد إليهم قروشهم ، ويركبهم العربى بلا مقابل فهم أحباب الله ، ويذهب بهم إلى سيدنا الحسين .. ومدد يا حسين ..

عاد المعلم (سبحس) بعد آخر (نقله) لسيلنا الحسين فى طريقه إلى السيدة زينب (الموقف)، وتراقصت أمام عينيه الحلية الذهبية التى سيشتريها لزوجه (أم كامل) ، والحقيقية الجلد لحفظ كتب (كحامل) ولده الوحيد الذى يريد أن يريه تربية

محترمة على حد قوله .. والشرابة الحمراء لحصانه (عتر) ما أجله عندما يعلقها في رقبته ويتمختر بها ، ما دام الله قد فرجها عليه هذا الفرج الكبير.

وبينما هو يسير، و(عتر) يخترق الهواء في خفة، ودلال، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربية سيارة عامة كبيرة، كأنما موت من السماء.

وفي لحظات سريعة انقلبت العربية، وطار من فوقها المعلم (سحس) ليفترش الأرض.

ولم يشعر بما حدث من إجراءات، ولكنه أحس فقط بأنه فقد حصانه (عتر) إلى الأبد..

وجلس المعلم (سحس) يبكيه، يبكي رفيق عمره، وجالب رزقه، يبكيه بحرارة الأب وهو يودع فلذة كبده، لقد فقد (عتر) الحصان الجميل ثم كيف يربي بعد ذلك ولده (كامل).. كيف؟ يعمل من جديد صبيًا عند أحد المعلمين، لقد شقى، وذاق الأمرين، وجاع، وعمل، وواصل ليله بنهاره حتى تحققت أمنيته .. وكان يقول في حسرة بصوت مخنوق بالبكاء:

- «حسدوك يا عتر.. يا خسارة .. حسدوك .. يا»

وتجمع الناس من حوله يواسونه، مرددين:

- «سليمة .. إحد ربنا. إنها جت في الحصان».

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى (عتر) بحياته، فما فائدة حياته دون (عتر)؟..

وبدأ الجمع ينفض من حوله، كما بدأ هو «يعدل» العربية تجاه الحصان الملقى على الأرض فاقد الحياة، وتعاون معه بعض الناس على رفع (عتر) فوقها، وأراح يديه المرتعشتين رأسه المملوء بالدماء، والذي مال على إحدى جانبي العربية ..

وجر العربية حاملا فوقها رفيق عمره، وآثار الدم على الطريق تشهد على فاجعة المعلم (سحس)، وسار في توده بخطوات قصار ناكس الرأس، ودموعه تسابق قدميه ..

وصل المعلم (سحس) مدخل الحارة والحزن باد عليه، كان يرى بعين خياله شماتة المعلم (حنفى) والمعلمين كلهم بعد أن نفذت عيونهم الحاسدة فأصاب

(عنتر) .

وعندما مر بالموقف ، نهضوا كلهم من جلساته ، وجروا نحوه سائلين عما حدث وبينما هو يقص عليهم الخبر، شعر أن المعلم (حنفي) وزملاءه على عكس ما كان يتوقع منهم، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده، وقد ألم بهم من الحزن مقدار ما ألم به ..

وبعد صلاة الفجر..

عاد المعلم (سحس) من مسجد مولانا الأمام الحسين إلى منزله، ووجد مظروفا أعطته له زوجته ، فتحسسه ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده، علها تسهم في شراء (عنتر) جديد ..

ورفع رأسه إلى السماء، وتساقطت دموع حزينة من عينيه ، وأسلم رأسه لوسادته ، ثم راح في إغفاء.



احتفل  
الشموع يقود الدكتور  
محمد زكي العشماوي  
استاذ الادب العربي  
بجامعة الاسكندرية  
بجائزة الدولة  
التقديرية لعام ١٩٩١.



إحتفلت  
الأساطم الثقافية العربية  
بالذكرى المئوية للكاتب  
الفنان محمد تيمور وقد  
دعت السيدة رشيدة  
محمد تيمور حفيدة  
الكاتب لحفل استقبال  
بهذه المناسبة حضرها  
عدد كبير من رموز  
الحركة الثقافية.

خلال حفل  
افتتاح مهرجان  
المسرح التجريبي  
احتفى جمهور  
الحاضرين بالدكتور  
على الراعي الفائز  
بجائزة الدولة  
التقديرية هذا العام،  
رواحد من رواد  
النهضة المسرحية  
العربية.



## زكى عبد القادر وصالونه الأدبي



كان صالونه الأدبي في شارع شريف بالقاهرة عامراً بأهل الفكر والثقافة والصحافة، وكان ينعقد كل يوم أحد في السابعة مساءً، ومن أشهر رواده الفنان الكبير صلاح طاهر، وكبار الأدباء والصحفيين وأهل السياسة، وكان صاحب الصالون حريصاً على أن يمارس صاحب الرأي الحرية الكاملة فيما يقول، لم يكن يخشى في الحق شيئاً، وقال: أنه لم يقل يوماً للملك فاروق يا صاحب الجلالة على الإطلاق، وأن فلسفته في الحياة: خير الناس أعذرهم للناس.. وأن الوجود كله ينبغي أن يسير نحو النور.. الكل يجب أن يتمتع بهذا الضياء.

عرفته كاتبًا في جريدة السياسة اليومية ، كان مقاله ينشر في الصفحة الأولى إلى جانب مقالات الدكتور محمد حسين هيكال الكاتب العظيم ، وعبد الله عنان المؤرخ الكبير وكنت أعجب بالشاب محمد زكى عبد القادر ، الذى استطاع رغم شبابه أن يبرز بين العمالقة.

ثم حزنت عندما رأس تحرير جريدة الشعب ، وكان لسان حال إسماعيل صدقي الذى كنا نناصبه العداء ، ولكن زكى كان دائماً عف القلم ، رقيق الكلمات ، وكان إذا أراد إسماعيل صدقي أن يهاجم خصومه تنحى زكى عبد القادر ، وترك الهجوم للأستاذ عبد المجيد نافع بأسلوبه النارى العنيف.

ثم أصدر مجلة الفصول ، واستطاعت أن تنافس مجلتى التى كان يصدرها الأستاذ أحمد الصاوى محمد بأسلوبه المليء بالنبض والحياة ، وأن تنافس مجلة الهلال ذات التاريخ المجيد، وأن تنافس المجلة الجديدة التى كان يصدرها الأستاذ سلامة موسى ، واستطاعت أن تجذب الشباب ، وتلاميذ المدرسة الحديثة فى الفكر والرأى والإبداع، وعملت معه وهو محرر فى جريدة الأهرام ، كانت غرفته إلى جوار مكتبي، وكنا نتبادل كلمات قليلة ، فقد كان بطبيعته خجولاً قليل الكلام ن ولكنى أحببت فيه استقامته وصراحته وصدقه، وعندما توليت رئاسة مجلة آخر ساعة، عرضت عليه أن يكتب فيها مقالا بجنيهين فى الأسبوع، وإذا به يقول: جنيهان؟ هذا كثير جداً، يكفى جنيه واحد ، وكانت هذه أول مرة يطلب فيها صحفى إنقاص أجره ، ولكنى أصررت على الجنيهين ، ونجحت مقالاته الاجتماعية، وجذبت الشابات والشبان ، وبعد أسابيع شعرت أن مقاله يساوى عشرة جنيهات.

ثم أصبح رئيساً لتحرير الأهرام.. وذات يوم طلب أن يلقانى فى مكتبى بأخبار اليوم، وفوجئت به يقول لى : إنه قرر الاستقالة من رئاسة تحرير الأهرام والعمل محرراً فى جريدة أخبار اليوم ، ودهشت أن يترك كاتب كبير منصب رئيس التحرير فى جريدة يومية كبرى ، ليعمل محرراً فى جريدة أسبوعية ، ولكنه أصر على أن يعمل محرراً فقط ، وتم الاتفاق بيننا فى دقيقتين لا مساومة ولا كلام عن المرتب ولا عقد مكتوب.

وعندما أصدرنا جريدة الأخبار فى عام ١٩٥٢ عرضت عليه أن يكون أحد رؤساء التحرير مع محمد التابعى وعلى أمين وجلال الحماصى وكامل الشناوى ، فقبل

على الفور ، ولم يطلب مليماً زيادة في مرتبه مقابل العمل الجديد ، واختارته ليكتب المقال الافتتاحي للجريدة الذي يعبر عن رأى «الأخبار» ، وقلت له : أنت حر تكتب فيه ما تشاء ، ولا أذكر أنني طوال العشر سنوات التي كان يكتب فيها رأى الأخبار أن طلبت منه أن يكتب رأياً معيناً ، أو اعترضت على رأى نشره .

وفي سنة ١٩٤٦ قبض عليه إسماعيل صدقي باشا بتهمة الشيوعية ، وذهبت إلى صدقي وقلت له : إذا كان زكى عبد القادر شيوعياً ، فأنا شيوعى كذلك ، وأكد صدقي باشا أن لديه وثائق تثبت أنه شيوعى مائة بالمائة ، ثم ثبت بعد ذلك أن الوثائق مزورة وأن امرأة نصابة استطاعت أن تضحك على أذكى سياسى فى مصر وتبيع له هذه الوثائق المزيفة فأفرج عنه صدقي باشا .

وفي ذلك العام أراد شريف صبرى باشا وأحمد لطفى السيد باشا وعلى الشمسى باشا وحسين سرى باشا أن يعلنوا رأيهم فى معارضة مشروع معاهدة صديقى بيفن فاختاروا زكى عبد القادر ليكتب لهم البيان ، وجن جنون رئيس الوزراء صدقي باشا وحاول أن يعرف عبثاً اسم كاتب البيان ، واتهم لطفى السيد ، واتهم بهى الدين بركات ، واتهم طه حسين ، ولم يخطر بباله أنه الصحفى الذى زج به ظلماً فى السجن فى يوم من الأيام !

وذات يوم اتصل بى الرئيس جمال عبد الناصر وقال لى : ارفت زكى عبد القادر ، سألته عن السبب ؟ فقال لى : إنه يتكلم فى إذاعة صوت أمريكا ، ولم أشأ أن أخبر زكى عبد القادر بقر رئيس الجمهورية ، بل قلت له أن بعض المصريين يعترض على إذاعتك فى صوت أمريكا ، قال : إننى لاحظت أن كل الكتاب فى البلاد العربية يتكلمون فى إذاعة أمريكا ، ولهذا قبلت أن أقول رأى مصر فى إذاعة أمريكا مقابل بضعة مليمات ، وما دام مصرى واحد يعترض على ذلك فلن أذيع بعد اليوم كلمة واحدة فى صوت أمريكا ، وأبلغت رد زكى عبد القادر إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، فقال لى : خلاص .. يفضل زكى عبد القادر .

وبقى زكى عبد القادر فى أخبار اليوم حتى أسلم الروح وهو فى ميدان النضال والعمل صحفياً شريفاً ووطنياً نزيهاً ، عف الضمير والقصد ، له بيان ورأى ، وما كان بيانه ورأيه إلا لخير الوطن<sup>(٥)</sup>

(٥) مصطفى أمين .

## أمين الخولي «الأمين»



رجل متين البنيان حقاً، جسداً وروحاً ، عقلاً ونفساً.

تجلس إليه فكأنك جالس إلى شخصية مصر الفلاحة بكل خبراتها الزراعية وميراثها الحضارى القويم ، مصر التى احتضنت الثقافة العربية فأخصبتها وأولدتها رجالاً كهذا الرجل الذى لم تستطع بداوته البادية إخفاء مصريته الأصيلة ، فهذا الرجل الذى يشعرك ملمسه أنه ينحدر رأساً من أصلاب خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب ، يقنعك حين تتعمق فيه أنه ذو وجدان منسوج من ثورة اخناتون الدينية ، ومن تعاليم موسى وعيسى، ومحمد ﷺ وجدان غاية فى الثراء والعمق ، وتكوين شخصى مجبول على السيادة والشموخ ، والكبرياء والتواضع ، العزة فى الإيثار، الفخامة والاعتدال .

ربعة القوام ، مع اعتدال قد وامتلاء الوجه مربع ممتلئ الملامح راسخ التقاطيع ، كـرغيف العيش الفلاحى المقدد ، ترتفع له قبة عالية ملسوعة باللهب فى بقاع متعددة تكاد أنت تشعر بأنك لو لمست صفحة وجهها بأطراف أناملك فلسوف تلسعها سخونة هذه الملامح التى تبدو طازجة على الدوام ، يتصاعد منها عقب يحمل رائحة الدقيق رائحة لخبز الساخن رائحة الإدام المقدوح رائحة اللبن المسمار والقشدة ، ملامح شبعانة .قنوعة على كرسى الخدين ، حينان باسمتان تشعا بساطة وسماحة ورقة حاشية وطنية قلب ، ونظرات وادعة مسربة الحياء تعكس حبا شديدا للحياة للبشر للكون . ففى الكون نفس إنسانى هو ذلك الذى يتردد فى صدر هذا الرجل .  
تـعك النظرات أيضا شعورًا قويًا بالمسؤولية.

إنه كائن مشع أينما ذهب تسبقه استنارته لتفسر له المكان ، تجذب إليه النفوس الرقيقة التواقة إلى العلم والمعرفة ما إن يحل فى مكان حتى يتخلق فى الحال مجلس علم وتلاميذ وأنداد ومناظره ، وتخلق فى محيط المجلس أفكار كالنجم يبعث الضوء والبهجة ، فإن لم يكن هناك من يتلمذ عليه فى لحظة من اللحظات ، تتلمذ على نفسه ، وإن لم يتوفر من يجادله يجادل نفسه ذلك إنه مولع بالجدل علما وممارسة .

معنى الجدل هو تبادل التأثير والتأثر عبر حوار فكرى ، حوار مجرد من العصبية والتحيز حيث تتولد الأفكار من تلاطم الرأى بالرأى وتتخلق المعانى الكبيرة وتتضح لتدفع الحوار إلى أعلى وأعمق ، وهذا يؤكد أن هذا الرجل كان علامة بارزة فى بواكير العقلانية العربية المصرية ، وعلامة بارزة على طريق تحديث العقل العربى والثقافة العربية ، وفتح روافد لها على كل الثقافات العالمية المتاحة ، لتجديد دمهـا وتعرضهـا للشمس وللواء النقى مما جعل اثقافة العربية تسترد فتوتها فى أوساط هذا القرن فتقوى على مواجهة الغزو الثقافى الأوروبى .

حبه للجدل قرب إليه تلاميذه فضوعف عدد أصفياه وضوعف عدد الأساتذة الذين أسهم هو فى بناء عقلياتهم وشخصياتهم ، مستخدما فى ذلك أعظم المناهج على الإطلاق: منهج بناء الإرادة البحثية - واستقلال الرأى - وحرية البحث العلمى - والأمانة - والصدق - مع النفس ومع الحقائق العلمية ، والتجرد من الغرض الشخصى قد شمل بعلمه أو عطفه ليس فحسب تلاميذه فى مدرجات الجامعة وهم ألوف بل تلاميذه فى الآداب المقروءة - عبر مجلته الشهيرة وهم عشرات الألوف .

كثير عدد تلاميذه وقل عدد كتبه ومؤلفاته ، ليس لحبه المباشر وإنما لأن تركيبته الشخصية مجبولة على روح المعلم ، القدوة ، إنه المصباح والزيت والذهب ، مهمته أن يضيء عقول الآخرين ، يرشدهم إلى الطرق الصحيحة يكشف لهم مسالك السكك الوعرة والمناطق الشائكة ، يشجعهم على اقتحامها بكل جرأة واستعداد لأنهم حتمًا يعودون بخير وفير ولو أنه تفرغ قليلاً من الوقت لتدوين جدياته ومناظراته وأفكاره وبحوثه لأثرى المكتبة العربية بكم هائل من الكتب والأسفار القيمة لكن له - ولنا بالطبع - عزاء في أنه خلف طائفة غير قليلة من الجهابزة في العلوم والآداب قامت على أمجادهم حياتنا العلمية والأدبية ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، وسوف نظل نستمد من ينابيعهم المدد إلى ما لا نهاية ، إن أردت عينة من نوعيات تلاميذه بين الأجيال العديدة فيكفى أن تعرف أنهم من طراز صلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد وعز الدين إسماعيل ومصطفى ناصف وعبد الرحمن فهمي وعبد المنعم شemis ومحمد أحمد خلف الله وغيرهم وغيرهم.

الجدل يقتضى مجلساً مستقراً رحيباً ، ولهذا فإن بيته في مصر الجديدة يقف على ناصية الشارع العمومي بارزاً في شموخ وسماحة معا ، يكاد يشير بذراعيه للمارة أن تفضلوا شرفونا بالحضور رغم أن المدخل محفوف بالمهابة ، ما عليك إلا أن تدفع باب السور وتمضى بضع خطوات على الحصباء وتصد بضع درجات في حضن بوابة أنيقة مهيبة كبوابة المعبد تضغط على زر الجرس فتفتح لك البوابة عن ردهة أشبه بحوش الدار الريفية يشار لك على صالون في الضلع الشمالى وأنت داخل فإذا هى غرفة واسعة تماماً كالمنندرة لكنها حافلة بمقاعد وفروشات أرسقراطية كلاسيكية بدوق عصرى رهيف ، ذوق تفج منه الموسيقى الساحرة بسمفونية من الألوان الهادئة "الرصينة تحس أنت أن هذه المقاعد المريحة المضيافة التى أنك تفترض أنك لابد ستجلس عليها لساعات طويلة قد سبقك إلى الجلوس عليها عماليق من طراز سعد زغلول والإمام محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى وأحمد أمين والشيخ السنهورى ، وعبد الوهاب عزام ، تؤنسك في جنبات الغرفة وأركانها أصداء مناظرات ومناقشات حامية الوطيس دارت هنا على امتداد سنوات طويلة تحس أنك لو تحركت الستائر فلسوف تتساقط فوقك أصوات عالقة بحناياها تملأ رأسك بدرر الأفكار والمعانى تحس لأول وهلة أن صاحب هذا البيت عربى الهوى

مصرى الهوية تطالعك صورته على الحائط بشوشة شرحة كأنه بلحمه ودمه حاضر أمامك، ملامح وجه علم من الأعلام يعرفها ويعرفه حتى الذين يفكون الخط، لسوف تعرف من منظر العمامة المحبوكة في إتقان على رأسه والنظرات الصبوحه الطازجة في عينيه والجبّة الثمينة عى كتفيه إنك فى حضره الشيخ أمين الخولى شيخ أمناء، اللقب الوحيد الذى حرص عليه والتصق به رغم استحقاقه لطائفة من الألقاب الرنانة والرتب العلمية العالية ولسوف تعرف بالبداهة أنه كعربى من أصول قلبية بعيدة جدًا يحرص على نسبه، وأن أولاده الدكاترة أدهم وأكتم وأكمل وسمحة ومن لم نعرفهم من غير المشهورين يحفظون نسبهم حتى الجد الخامس على الأقل ويقول لك أحدهم: اسمى أكمل أمين إبراهيم عبد الباقي عامر إسماعيل يوسف الخولى.

شدة ولعه بالأمانة والصدق نبع منه ولع بأن يكون كل تلاميذه وأصدقائه على نفس الدرجة من الصدق والأمانة، أن يكونوا مثله فى أخذ الأمور بجدية واتساع أفق بل أن يكون كل صديق ينضم إليه اسمه هو الآخر أمين وهكذا عاملهم جميعا باعتبارهم هو، كل منهم اسمه أمين وكل من ينضم إلى الصحبة يسمى تلقائيا بأمين، وهكذا تكونت جماعة لأمناء، وأصبح هو شيخ الأمناء كان يصدر مجلة (الأدب) شهريا فجعلها لسان حال الأمناء، وفتح صفحاتها لكل شبان الأب في جميع أنحاء مصر من أقصاها إلى أقصاها وكان يرد على البريد بنفسه، فكان معلما وصديقا حميما لكل من يرأسل المجلة حتى ولو كان صبيا صغيرا يرد على كل رسالة بقوله جاءنا من الأديب فلان الفلانى من قرية كذا.. إلخ.. هذه العبارة كم أدخلت البهجة على قلوب محبى الأدب من شبان القرى والمدن الإقليمية الذين حرصوا على متابعة مجلة الأدب بانتظام والآن حينما أنظر فى أعداد مجلة الأدب التى تحتل رفا كاملا، أشعر بحسرة كبيرة على توقفها وفى نفس الوقت أشعر بامتنان كبير وتقدير أكبر لهذا الرجل الذى ظل يصدر هذه المجلة على نفقته الخاصة لسنوات طويلة جاعلا منها معمل تفريخ للأدباء والشعراء والنقاد والدارسين، دون أن يفكر فى عائد مادية أو ينتظر مساعدة من أية جهة رسمية ومن المعروف بين الأمناء أنه انفق على استمرار المجلة كل مدخراته لكى تظل المجلة تتمتع بالحرية والاستقلال، وقد لعبت المجلة فى الواقع الأدبى دورا مشهودا، ساهمت فى خلق ذائقة أدبية جديدة،



ساهمت فى الارتقاء بالأداء الأدبى فى الشعر والقصة والمقالة وعلى صفحاتها ناقش الأستاذ عددا لا يحصى من القضايا المتعلقة بالأدب والفن.

ينتمى الشيخ أمين الخولى إلى ذلك الجيل الذى تربى فى أحضان الجيل الأول من تلاميذ جمال الدين الأفغانى، أمثال الإمام محمد عبده وسعد زغلول، فحمل نفس الهموم، ونفس المسؤوليات: تحرير الوطن من قبضة المحتل الأجنبى، تحرير الفكر العربى من الخرافات؛ تخليص تفسير القرآن من المدخولات اليهودية وتأويلات المعتزلة وغيبيات المتصوفة من الباطنية ومن ثمرات النحويين والبلاغيين التى تثقل كاهل النص وتحجب معطياته الحقيقة عن المسلمين؛ النهوض بالثقافة القومية فى مواجهة الثقافات الأجنبية الغازية إثبات أن الإسلام دين لكل العصور لكل الناس فى جميع أنحاء الأرض، وأن تخلف المسلمين ليس سببه الإسلام، كما يرجف المرجفون من المستشرقين المغرضين، بل سببه الأول عدوان الغرب الاستعماري على المسلمين؛ إثبات الثقافة العربية ثقافة أصلية قابلة للتطور وأن اللغة العربية قابلة لاستيعاب كافة المصطلحات وكافة العلوم الحديثة.

لا جدال فى أن هذا لجيل الذى ينتمى إليه الشيخ أمين الخولى قد نهض بهذه المسؤولية على أكمل وجه فحينما تتذكر أمين الخولى وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وفرج السنهوري، ننحنى إجلالاً وتقديراً.

إبان طفولتهم نشطت الدعوة إلى إصلاح وتطوير العقلية الدينية عن طريق إصلاح نظام التعليم فى الأزهر الشريف، والاستفادة من نظم التربية والتعليم الحديثة، بحيث يتزود رجال الأزهر بالعلوم الحديثة ليكون خط الدفاع الأقوى فى تطوير وحماية التراث القومى وفى مواجهة التعليم على النسق الأوروبى الذى تبنته المعاهد الدراسية المدنية الحديثة فى البلاد؛ كان الأمل هو أن يكون خريج الأزهر مساوياً بالخريج الجامعى، ومضافاً إليه دراسة العلوم الدينية، بذلك وحده نقضى على ازدواجية التعليم التى تمزق عقل الأمة بين جامعى وأزهري بين تعليم دينى وتعليم مدنى تنبه العظيم على مبارك إلى خطر هذه الازدواجية منذ وقفت مبكر فكان أن أنشئت دار العلوم لتكون بوقفة تنصهر فيها علوم التراث القومى بالعلوم الحديثة الوافدة، وأنشئت كذلك مدرسة القضاء الشرعى على نفس المنهج

لنفس الغاية وفي هذه المدرسة تخرج الشيخ أمين الخولى من عظماء جيله وقد اجتمعت عوامل كثيرة لتخلق من الشيخ أمين الخولى هذه التركيبة المصرية العربية الفذة.

ولد الشيخ أمين الخولى فى قرية شوشاى مركز أشمون بمحافظة المنوفية فى أول مايو ١٨٩٥ لأب من أصول عربية بعيدة ربما عادت إلى زمن الفتح العربى لمصر، وكان أبوه الشيخ إبراهيم الخولى أزهرى سابقا لكنه أثر حياة الفلاحة، فأقام فى القرية يفلح الأرض بنفسه وكان صلب الإرادة قويا جبارا يهوى اقتناء الأسلحة والعصى، وذات يوم أغار عليها جمع من الأعراب بالنبايت فواجههم وحده، وبعد أن أثنوه بالجراح انحنى على بثر الساقية يتوضأ والدم يسبح على وجهه، وأدى صلاته فى العراء بشجاعة وأصر على العودة إلى البلدة من الحقل ماشيا على قدميه حتى لا يظن خصومه به الظنون، وقد ورث الشيخ أمين الكثير من صفات أبيه الحميدة، وحينما رحل أبوه وهو فى مرحلة طلب العلم قاد سفينة الأسرة بنفسه وصار يفلح الأرض ويقوم بكل شيء.

وفد إلى القاهرة وعمره خمس سنوات، ليقم فى بيت جده لأمه فى المغربلين، وبيت خالته فى الدرب الأحمر، وجده لأمه ذاك هو فى نفس الوقت عم أبيه، وكان أشهر عالم فى علم القراءات فى عصره، وكان ابنه على إماما وخطيبا لمسجد إينال يوسفى، وقد حرم من الولد فتبنى ابن أخته وعنى به عناية فائقة، ناهيك عن عناية جده به، فبفضل جده حفظ القرآن وجوده فى شهور قليلة، والتحق بمدرسة مدنية، ذلك أنه أحب التعليم المدنى لأنه كان متفتحا على الحياة وأسرار الكون والطبيعة أتاحت له علاقات كل من جده وخاله مناخا علميا نشيطا ومعلمين مخلصين كذلك أتاحت له الحياة فى اثنين من أعرق الأحياء الشعبية؛ المغربلين والدرب الأحمر معايشة دقيقة للروح الشعبية المصرية والتقاليد الشعبية العربية والفولكلور الشعبى الفنى، إضافة إلى حياة القرية من مجتمع الفلاحين إلى مجتمع العلماء إلى مجتمع الطلاب الذى يضم أشكالا وألوانا من البشر، استطاع الصبى أن يلم بمجمل تفاصيل الشخصية القومية؛ تطلعاتها وأحلامها وهمومها ومشاكلها، أنماط حياتها المشبعة بالحكمة والذكاء الفطري.

من مدرسة المرحوم عثمان باشا تاهل الشيخ أمين الخولى لالتحاق بمدرسة القضاء الشرعى الحديثة الإنشاء بإغراء من أحد أصدقائه كان ذلك عام ١٩٠٧ م، وفيها تلقى «التجربة السياسية والعلمية والاجتماعية»، كما شاءت مدرسة الإصلاح الدينى التى قادها الإمام محمد عبده وسعد زغلول، تلقى العلوم القديمة ثقافة الشرق مع ثقافة الغرب، درس باللغة العربية الجبر والهندسة النظرية والفراغية وعلم الهيئة مبادئ الفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغرافيا وأصول القانون ولائحة المحاكم الشرعية ونظام المرافعات والتفسير والفقه والتوحيد والنحو والصرف والأدب، كان ناظر هذه المدرسة هو عاطف بك بركات، أما المدرسون فخليط من الأزهرين وخريجي جامعات أوروبا، وكان المدرسة نظيفة أنيقة ذات حديقة غناء وبفضل عاطف بك بركات صار يضرب بها المثل فى نجاح الفكرة والمنهج الجديدين وأسلوب التدريس لدرجة أنها أصبحت مزارا للكبراء والوجهاء. وقد جهد عاطف بك بركات فى تربية الروح الرجولية فى طلابه الأربعمئة وبناء أخلاقياتهم وعقلياتهم ليكونوا بالفعل رجال الاستقلال وحرية الرأى والشجاعة الأدبية، فأحدث فيهم نوعا من التكامل الخلقى والعلمى والأدبى.

فى مدرسة القضاء الشرعى كون بعض زملائه جمعية إخوان الصفا (١٩١٥-١٩١٧) ضمت عبد الوهاب عزام ومحمد السمالوطى ومحمود أبو بكر وحلمى خاطر وغيرهم شغلوا أنفسهم بالقضايا الأدبية والفنية وتعلموا اللغات الأجنبية فى مدرسة فرنسية بباب اللوق، وكانوا يقيمون الندوات الأسبوعية فى منزل واحد منهم وفى تلك الأثناء ظهر ولع الخولى بالتجوال بين المكتبات التى تباع الكتب، ويحكى الشيخ فرج السنهورى أن صديقه كان يغرق به فى مكتبة أشبه بالقبو فى درب الجماميز يظل ساعات طويلة يقلب فى تلال الكتب ويختار منها فيدفع آخر مليم معه فى كتاب ويشتري بغير حدود.

ظهر كذلك ولعه الشديد بفن المسرح فقام بتأليف مسرحية بعنوان «أسيرة عمورية»، وقامت جمعية إخوان الصفا فى نادى المدرسة فى حفلة نهائية ويظنها الآخرون مجرد نزوة طارئة سرعان ما تزول، ولكن هواية المسرح كانت مترسبة فى نفسه عن اقتناع فقد كان يذهب إلى المسرح أربع مرات فى الأسبوع، وتقول زوجته الدكتورة بنت الشاطىء: فقد ظل طول حياته يحب المسرح، وقلما كان

يذهب إلى السينما إلا أن يكون الفيلم ذا قيمة على حين لم يكن يدع فرصة خاصة في رحلاتنا إلى أوروبا كل صيف، لشهود المسرح، وحيثما عرضت هنا بمصر مسرحية هامة بادر إلى مشاهدتها.

وحيثما سأله تلميذه الدكتور كامل سعفان عن سبب اشتغاله بهذا الفن مع أن الهيئة التي تحيط به آنذاك لم تكن تهوى له، كان الابتداء بالمسرحية صدى لحب المسرح وأول مرة دخلت فيها المسرح كان سنة ١٩١١ م، ورأيت جورج أبيض فى تياترو الأزيكية القديم يمثل لويس الحادى عشر، واستولى على هذا الممثل الكبير بإجادهته الفائقة مما لفتنى إلى أهمية العمل المسرحى وعظمته، تأليفا وإخراجا وتمثيلا، وإن العمل الأدبى فيه أبرز منه فى القصة، وبخاصة أن القصة لم تكن شيئا يذكر.

وكان من المثير للدهشة والاحترام فى نفس الوقت أن شيخا فاضلا كالشيخ أمين الخولى يرتدى الجبة والعمامة ويحمل أعلى الدرجات العلمية ويشغل مركزا دينيا مرموقا يختلط بالمشخصاتية وأهل الفن فيقدم لفرقة جوق عكاشة مسرحية من تأليفه بعنوان «الراهب المتنكر» بقلم كاتب متنكر، ثم لا يتورع - ولا يخجل - من حضور جلسات التدريب والمشاركة فى حل مشاكلهم العاطفية، بل يقوم بنفسه بكتابة عقد القران بين بطل الفرقة وبطلته مع ملاحظة أن فئة الممثلين لم تكن آنذاك تتمتع بما تتمتع به الآن من احترام المجتمع. كانت النظرة المتحجرة المتخلفة لا تزال تعاملهم بكثير من التحفظ والاستخفاف، وهذا يرينا إلى أى حد كان هذا الرجل متطورا مستنيرا سابقا لعصره بكثير، وقد كان لى شرف تناول هذه المسرحية بالنقد والتحقيق فى أوائل السبعينيات وأثناء ذلك اتضح لى أنها لم تكن المسرحية الوحيدة بل كانت هناك أعمال أخرى كثيرة ذات صبغة تاريخية، وكان من المنتظر أن يصبح الشيخ أمين الخولى أحد أبرز كتاب المسرح المصرى لولا أن ظروف حياته طرأ عليها تحول مفاجئ أبعدته عن الحقل الفنى فى مصر.

فى السابع، نوفمبر سنة ١٩٣٢م صدر المرسوم الملكى بتعيين أئمة للسفارات الأربع المصرية المنشأة فى لندن وباريس وروما وواشنطن وهم: أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب عزام للندن، والشيخ محمود البنا لباريس، والشيخ أمين الخولى لروما والشيخ محمد حلمى طمارة لواشنطن.

تعلم اللغة الإيطالية وأجادها، وبها قرأ ودرس الكثير من القضايا الدينية والسياسية والثقافية والأدبية. وفي العام السادس والعشرين انتقل إلى برلين للمهمة نفسها فدرس اللغة الألمانية وأجادها وقرأ بها الثقافة الألمانية والأدب الألماني والفلسفة الألمانية ودرس الكثير من القضايا. أثناء هذه الرحلة قام بعمل جليل هو وضع لائحة لأعمال القناصل، وحيث كان معظم موظفي سفارتنا من الأتراك، فقد أشرف على التحرير العربي، وحينما استقال أحد الملحقين احتجاجاً، قبلت استقالته، وقام هو بعمله شهوراً طويلة وتدرّب على الأعمال الدبلوماسية على يد عبد الخالق حسونة.

وحينما ألغت حكومة الوفد نظام الأئمة ذاك في العام السابع والعشرين، عاد الشيخ أمين الخولي إلى مصر ليعمل أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعي فصار يدرس لطلابه مذكرات في آداب البحث والمناظرة ومذكرات في الأدب العربي وتاريخه بمنهج متحرر من التقسيمات السياسية التي درج عليها مؤرخاً الأدب آنذاك. كذلك درس لهم تاريخ العقيدة الإسلامية كبحث تاريخي اجتماعي ديني. ثم انتدب للتدريس بالأزهر الشريف فدرس لطلابه مذكرات فلسفية في الأخلاق تحت عنوان، كتاب الخير وصفه بأنه دراسة موسعة في الفلسفة الأدبية مطبقة على الحياة الشرقية والتفكير الإسلامي، وفي العام الثامن والعشرين عين مدرّساً بالجامعة المصرية، فأصبح منذ ذلك التاريخ دعامة كبيرة في بنائها وبدأ دوره الحقيقي في تربية الأجيال بعقول متحررة ناضجة.

يروى الشيخ فرج السنهوري طرفتان عن صديقه الحميم. الأولى أنهما في زمن الصبا تعاهدا على أنها إذا جاوز أحدهما الثلاثين من العمر ولم يكن له عمل نافع وجب على الآخر أن يقتله!!

الثانية هي أن الشيخ أمين الخولي كان يساوم في القليل، وينفق الكثير بلا مبالاة، فلما راجعه في ذلك قال له: أليست لك أسوة في عبد الله بن جعفر إذ قال أنا رجل أسخو عن طيب خاطر ولا أَرْضِي أن أغلب لأحد.

## صاحبة الجلالة

### فى صالون عبد الوهاب!

تحرص الأستاذ الدكتورة لوتس عبد الكريم فى استضافتها فى صالوناتها الأدبية والفنية والثقافية لرموز الأدب والفكر والفن والثقافة على أن تخرج المناقشات والحوارات بما يفيد الحضور وخاصة فى محاولات استعادة ذاكرة الأمة والتاريخ وكما حدث مع موسيقار الأجيال الذى كان هو صاحب صالون الشموع الذى نفرد له هنا هذه الصفحات المشرقة الشائقة التاريخية.



د. لوتس عبد الكريم وعبد الوهاب فى الصالون

رحل عبد الوهاب .. وترك سطورا بصوته لم يقرأها على صفحات « الشموع » سطور من حوار ممتع كان قد دعا إليه محبيه من الذين يطربهم صوته وهو يتكلم عن الجمال فى الفن والأدب والحياة .

وكعاداته كان حديثه يفيض جمالا فى كل شيء .. كأنه يعزف سيمفونية .. وحاولنا بقدر المستطاع أن نجاريه فى العزف بالكلمات .

كان معنا الأساتذة لويس جويس ، صلاح طاهر ، رتيبة الحفنى ، وأحمد بهاء الدين - كتب الله له الشفاء<sup>(\*)</sup>.

■ وفى البداية .. كنت فى لهفة للقاءه .. لأبلغه بأننا سنضيء « الشموع » لكى يرى القراء معالم الحق والخير والجمال.

وقبل هذا اللقاء كان عبد الوهاب قد اقترح اسم « الصالون » لتحمله هذه المجلة بدلا من « الشموع » حنينه إلى كل ماهو جميل فى « ماض » ، مصر دفعه إلى اختيار هذا الاسم .. كان يتشوق لعودة « الصالونات » ، التى كانت أنوارها تتلألأ فى سماء الفن والأدب إنه حنين وشوق الزمن الخلق والإبداع .. زمن العقاد .. شوقى .. مى .. طه حسين .. وغيرهم .

ولكن عبد الوهاب رضى بكلمة « الشموع » ، فيما بعد ، وذاك عندما قال الأستاذ أحمد بهاء الدين: إن كلمة صالون «إفرنجية» وبمنطق وحس صحفى اتفقنا جميعا .. ومعنا عبد الوهاب على عنوان « الشموع » . بل إنه وافق بناء على حماسى الشديد لفنه وذوقه الأدبى على اسم الشموع للصالون .

■ وعندما جئنا إليه من أجل هذه الندوة .. وبعضنا ينتسب لبلاط صاحبة الجلالة « الصحافة » .. اكتشفنا أننا أمام رئيس ديوان البلاط الصحفى ! يتساءل عن إصدار « الشموع » بحسه الصحفى المرهف قال : لمن ؟ ؟ .. ولم يكتف ! بل ظل يسأل ويستفسر .. ثم يجيب .. ويرد .. ويشرح .. كأنه يقود أوركسترا !

■ هكذا كان عبد الوهاب دائما وراء كواليس الموسيقى والنغم .. يطربنا بحدِيثه وحواره العذب كلما دعانا إلى صالونه الأدبى الذى أطفئت الآن مصابيحہ وأسدلت ستائره وأغلقت أبوابه !

■ لقد تركنا عبد الوهاب .. ولكنه لم ييخل علينا بميراث فنى نفيس .. ننهل منه ولن يغضب حتى آخر العمر .. فغطاء عبد الوهاب بلا حدود ، وهنئنا لنا بهذا الإرث .. فى زمن أفلست فيه ساحة الموسيقى التى باتت مرتعا للمخربين الذين افسدوا الذوق العام !!<sup>(\*\*)</sup>

(\*) كان أحمد بهاء الدين مريضاً فى ذلك الوقت - رحمه الله .

(\*\*) لوتس عبد الكريم .

## من هذه الشموع؟

سؤال له أكثر من مغزى .. طرحه موسيقار الأجيال في بداية حوار ممتع داخل صالونه الأدبي الذي افتقدناه ، كان يستفسر بحس صحفي مرهف عن قارئ «الشموع» . كان مهتما للغاية بأن يجد إجابة نجعله يطمئن على أنه في هذا الزمن .. زمن الإثارة والضجيج والتلوث هناك «شموع» تضيء لمن يبحثون عن النور .. عن الفن والأدب والجمال .

تدفقت الإجابة من أفواه الحاضرين على عبد الوهاب الذي جعل من نفسه ضيفا في صالونه وجعلنا مضيفين ! فقد كنا قد جئنا إليه لسؤال ثم بعد ذلك ينساب الحديث .. ولكنه فاجأنا بأنه هو الذي يبادر بالسؤال ليستدرجنا في نقاش طويل حول كل ما يتعلق بقيم الحق والخير والجمال ..

وعلى الفور .. انساب الحديث وتدفق الحوار ...

### ■ لوتنس :

أستاذ عبد الوهاب .. أردنا أن نضيء الشموع بدلاً من أن نلعن الظلام ، أصدرنا المجلة من أجل جمهور معين من القراء يبحث عنا .. وقبل أن يتوه وسط الظلام جئنا إليه نحل له شعار من أجل قيمة الجمال في الأدب والفن والحياة ، اطمئن يا أستاذ هناك جمهور مهتم شعار «الجمهور عايز كده» رفعوه لتبرير الإثارة والضجيج والقبح في الحقيقة «الجمهور مش عايز كده» ، الجمهور يبحث عن كل ما هو جميل ، وحتى لا أفرط في التفاؤل أقول بكل صدق أننا ننتشله من طوفان «القبح» إلى رحاب «الجمال» .

أظن الجسور الثقافية بين الشرق والغرب مقطوعة .. ولابد من ربط هذه الجسور، سيادتكم مثلاً تعلم أن الفيلم السينمائي الذي تنتجه هوليوود كان يعرض في القاهرة في نفس فترة عرضه في نيويورك ولندن وباريس .. نفس الشيء بالنسبة للكتاب .. وأيضا الموسيقى كان هناك ترابط وتفاعل ثم حوار ونقاش ، ونحن نسعى إلى هذا الالتحام من جديد في كل ألوان الفن والثقافة : علينا أيضاً أن ننقل تجارب أساتذتنا



الكبار .. هناك الآن فجوة بين الماضى والحاضر ، خاصة بعد انتشار الفيديو والتلفزيون وأصبح الكتاب فى المؤخرة ، نريد سد هذه الفجوة ، وخاصة أن جيل الشباب متعطش لمعرفة تراثه الفنى والثقافى ، هناك شباب لم يبلغ العشرين يريد أن يسمع عبد الوهاب «القديم» رغم أنه لم يعاصره ، الأفلام القديمة التى يعرضها التلفزيون الآن جعلته متشوق إلى القديم الجميل .. أظن أيضا أن ذلك ينطبق على كل أشكال الفن والثقافة ولا بد من الاهتمام بهذا التراث والعمل على إحيائه من خلال «الشموع».

الناس تبحث عن القديم .. عن الإبداع والإلهام والعطاء ، وهذا يتوافر فى القديم عبد الوهاب الذى يعرفه الناس مثلا - كله إحساس مرهف وليس مجرد صوت جميل.

#### ■ عبد الوهاب:

فى الواقع .. بالنسبة لى لا يوجد شى اسمه قديم وشيء آخر اسمه جديد، هناك شيء جيد.. وآخر غير جيد.. أما حكاية القديم فأعتقد أن المناخ فى الماضى كان يساعد على الإتقان والجودة والإبداع .. أشير مثلا إلى حكاية الفنان الإيطالى مايكل أنجلو.. ظل لسنوات طويلة على ظهر «نقالة» يواصل رسم سقف كنيسة «سيكستينا» لمدة سبع سنوات ولماذا نذهب بعيدا.. تذكرون الفنان محمود مختار المثال.. كان صبرا للغاية.. يقوم بنحت تمثال على عدة مراحل.. يوم يتولى فيه عمل رأس التمثال بدون ملامح.. وبعد يوم.. أو يومين يضع لمسة.. لمسة.. لا يتعجل.. أهم شيء عنده هو الجمال ، نفس الشيء بالنسبة لى.. ألحانى تتم بهدوء وبصبر .. بصرف النظر عن طبيعة العصر .. فأعمالى لا ترتبط بالماضى «النهر الخالد» مثلا ليست قديمة وكذلك «بافكر فى اللى ناسيني» .. المهم عندى هو الصبر والعناية والإتقان.. وعلى أى الأحوال.. المناخ الآن للأسف لا يعتمد على الإتقان والعناية، المناخ الآن للماديات ، يكفى إنه ظهرت نوعية جديدة من الجمهور يستمعون إلى الغناء بأيديهم وأرجلهم!! وليس بأذانهم!

#### ■ لوتس:

بالتأكيد نوعية المستمعين تغيرت الآن.. المستمع يعتمد على يديه وعينه عندما يتابع الأغاني.. وأظن التلفزيون كان له دور خطير فى ذلك.. عندما تقف مطربة

لتغنى يهتم المشاهد بثوبها وبتسريحة شعرها ، بل وأحيانا يبحث عن حداثتها ليطمئن إن كان مناسباً للون الفستان!! الآن أصبح من النادر أن تجد شخصاً يجلس بجوار «الراديو» في انتظار أغنية بالصدفة فقط يتابع الأغنية إذا كانت محببة إليه. وعلى العموم.. الساحة الآن أصبحت خالية من أم كلثوم.. فريد.. عبد الحليم.. بل وعبد الوهاب لا يغنى إلا نادراً. هذه الساحة الخالية تزامح عليها الصغار بأقصى سرعة وأصبحوا يغنون بلا خبرة أو تعليم.

مع العلم أن هناك علم.

### ■ عبد الوهاب:

الحكاية لا ترتبط بالمعاهد والتعليم.. المهم هو الموهبة ، مثلاً الدكتور طه حسين تعلم معه الكثيرون .. ولكن هل كلهم « طه حسين » ؟ وعباس العقاد مثلاً .. لم يتعلم .. ولكنه أصبح عالماً من أعلام مصر . أم كلثوم أيضاً أستاذة في الغناء .. لم تدرس الغناء في معاهد أوروبا ! إذن كان لدينا أستاذة من خارج مدرجات العلم والجامعات، بل الجمهور المصري نفسه كان أستاذاً في السمع والتذوق .

### ■ لوتس:

أنا أقصد أيضاً لون الإحساس لدى المطرب الجديد .. حتى الإحساس لدى الجدد تغير .

### ■ عبد الوهاب :

إذن المهم هو الموهبة .. فهي إحساس وخلق وإبداع وليست علماً فقط . لا بد أن يكون هناك موهبة أولاً .. والعلم مهمته أن يصون هذه الموهبة ولكنه لا يخلق موهبة .. هو فقط يحميها من الضياع .

### ■ لوتس:

ولكن .. هل يمكن أن نقول إن معهد الموسيقى العربية زمان .. أفضل من الكونسرفتوار الآن !

### ■ عبد الوهاب :

ليس أفضل .. انهم وجود الأستاذ المخلص الذى يساعد الموهبة ويجعلها تنمو .. الأساتذة الآن أصبحوا مشغولين في أشياء أخرى .. الأستاذ، الملحن ليس لديه الوقت لتعليم المواهب .. بحكم الثراء يأتي العرب إلى مصر .. مطربون يأتون لأن

لدينا الفرق الموسيقية واستوديوهات التسجيل ، وخلافه أصبح الملحنون المصريون مشغولين بتلحين ما يحتاجه الآخرون من المطربين العرب .

كل ملحن مشغول بثلاثة أو أربعة الحان في وقت واحد .. لحن في الهجر و « العياط » طول الليل ! « الكل يضحك » .. ولحن يا سعادتي يا هنأى وأنا قاعد معاك على النيل والقمر طالع !! ثم لحن آخر من أجل الأطفال .. وأخيرًا نشيد لدولة في الخليج !!! كل هذه الألحان يشغل فيها الأستاذ الملحن في وقت واحد، لأنه طبعًا سيقبض في الشهر ٢٠ ألفًا أو ٣٠ ألف جنيه ! هذا هو المناخ ، الفن السائد الآن اللحن بالنسبة لـ « خاطر » :. هذا الخاطر يحتاج وقتًا ليتحول إلى عمل فنى . أغنية « أنت عمرى » مثلاً و « أمل حياتى » أو « هذه ليلتى » كلها ألحان ليست قديمة .. إنها الحان الحاضر ، لا ترتبط بحكاية المناخ المادى .. لأنها بدأت كخواطر .. وهذه الخواطر كانت تحتاج إلى جهد طويل لتصبح أعمالاً فنية جاهزة للجمهور .

#### ▪ لوتس :

بالمناسبة .. أغانى أم كلثوم على الحان عبد الوهاب كان لها طعم آخر .. لها ميزة جميلة جدا . فإلى جانب صوت أم كلثوم وضعت سيادك موسيقى فى نفس مستوى صوت أم كلثوم .. بحيث إذا سمعنا موسيقى أنت عمرى فقط يمكن أن نستغنى أحياناً عن الصوت .

اعتقد .. ان موسيقى عبد الوهاب غطت على الصوت

#### ▪ عبد الوهاب :

هذا عندما تبحتثن عن شقاوة عبد الوهاب الموسيقية.

#### ▪ لويس جريس :

هذا تفوق يا أستاذ .

#### ▪ عبد الوهاب :

بصراحة .. كنت أسعى إلى استغلال صوت أم كلثوم واحترام الناس لها .. كانت زعيمة بحق .. تتحكم فى مشاعر جمهورها الوفى .. مثلاً كانت تحركهم .. تجعلهم صامتين تماماً بحركة أو إيماة .. أو تجعلهم يصيحون طرباً بها .. من هنا حاولت استغلال زعامة أم كلثوم .. بمعنى أننى قمت بوضع القطع الموسيقية الطويلة التى تسبق كل « كوبيه » ، فإذا قمت بحذف هذه القطع الموسيقية سنجد أن الأغنية ثلث

أو ربع ساعة فقط . وما أدخلته على أغاني \*م كلثوم شيء لم يحدث في تاريخها الغنائي . وأم كلثوم نفسها لم ترفض ذلك بل قبلته رغم أنها لم تعود عليه من قبل

■ **لوتس :**

إنه ذكاء أم كلثوم .

■ **عبد الوهاب :**

نعم إنها ذكية في ذلك . فقد شعرت بأن الجمهور يتجاوب مع هذه القطع الموسيقية .

■ **لوتس :**

نعود إلى حكاية المناخ الفني الذي نعيشه الآن وهو مناخ فني رديء .

■ **عبد الوهاب :**

نحن فعلا نعانى من هذا المناخ .. الحل الوحيد الآن لإعادة النغم والطرب هر الحفلات ... وباعتبار أن الدولة تسيطر على الإذاعة والتلفزيون لابد من عودة الحفلات الغنائية ، زمان كان هناك حفلة شهرية لأم كلثوم .. وحفلات لفريد وعبد الحليم، ولا بد أيضا أن ننظر إلى الراديو والتلفزيون على أنهما ليسا فقط للتسلية .. إنهما جهازان للثقافة والحكاية ليست عن الغناء وحده .. فمثلا يمكن تقديم قصة فنية جميلة للمشاهد أو المستمع .. بها تسلية ولكن لا بد أن يكون لها تأثير وجداني على المتلقي .. فعندما تحب عملاً فنياً فإنه لا يفارقه .. إذا أحببت أغنية فهي تعيش في وجدانك إلى الأبد .. تظل معك في البيت . في فراشك .. وأنت في طريقك في الشارع .. لا تفارقه .

■ **لوتس :**

هناك جيل كامل عاش مع «جفته علم الغزل» .. لم تفارقه .

■ **عبد الوهاب :**

طبعاً .. كان هناك أيضا من يختال لنفسه أغنية يظل يردددها .. واحد يختار «الجدول» .. وآخر يختار «حكيم عيون» أو «يا جارة الوادي» .. وهكذا ، إذن لا بد من الاهتمام بأحاسيس الناس ووجدانهم وغير معقول أن تقوم الدولة بدعم السجائر بحوالى مائة مليون جنيه ولا تدعم الفن !!

■ **لوتس:**

ليس هذا فقط.. بل حصة الموسيقى في المدارس لم يعد لها وجود!

■ **عبد الوهاب:**

طبعًا هذا ما يحدث.. زمان كان يوجد في كل مدرسة فرقة موسيقية.. الخديوية.. التوفيقية.. السلحدار.. وأنا كنت مدرس.. كان إحسان عبد القدوس تلميذى.. وعلى فكرة أنا مش عجوز.. ده هو كان عجوزًا عني!! «الكل يضحك» المهم كنا نربي الإنسان ونساعده على تنمية مواهبه. وكان التلميذ الذى يهوى الكمان أو البيانو يسعى لبشرائه ليستخدمه فى منزله، بل كان زمان «البيانو» جزء من جهاز العروسة!

■ **لوتس:**

ولماذا لم تستمر الموسيقى في المدارس؟

■ **عبد الوهاب:**

لا أعرف.. أنا أيضا أتساءل معك: لماذا؟

■ **لوتس:**

كان زمان هناك حفلات موسيقية في المدارس من التلامذة أنفسهم، والآن إذا أقيمت حفلة في معهد أو جامعة يعتمدون فقط على أساتذة الموسيقى من الخارج.. وأيضا وزارة التربية والتعليم لا تهتم بأى ندوة موسيقية.

■ **عبد الوهاب:**

أتذكر عندما كنت مدرس أناشيد.. جاء وزير لكى يستمع إلى فرقة أناشيد المدرسة وكان إحسان عبد القدوس ضمن فرقة الأناشيد، وكان صوته نشازًا جدًا، وطلبت منه بالبحاح ألا يغنى خلال حفل هذا الوزير.. قال: لابد أن أكون موجودًا مع الفرقة فقلت له: موافق وكل ما عليك إلا أن تحرك شفتاك فقط، وطلبت من السيدة والدته أن تحثه على ألا يغنى، وبالفعل أمرت إحسان بألا يغنى، ولكن للأسف بمجرد أن بدأ الحفل غنى إحسان «وباط» النشيد، وكنت منتظرًا علاوة من المدرسة بعد الحفل، ولكن للأسف ضاعت بسبب إحسان عبد القدوس!! نعود لموضوعنا.. أنتم تسألون عن الأصوات.. لماذا لم تسألوا عن الملحنين؟ لماذا لا نطلب مكافآت للملحنين؟ هل يوجد صوت من غير ملحن؟ لابد أن نقف بجوار الملحن وندعمه.

▪ **لوتس:** «بالحاح شديد»:

أمنيتي أن أسمع شيئاً عن ذكرياتك مع العظماء الذين عاصرتهم.  
«بعد رفض شديد في منتهى الدبلوماسية.. يتحدث .

**قال عبد الوهاب:**

أين العشرة؟

▪ الفن الحقيقي هدوء .. تراث تأمل وذلك قبل التنفيذ فالفنان التشكلى مثلاً لا يرسم لوحة ليعرضها على الناس بمجرد الانتهاء منها ، لابد أن يتركها في بيته فترة من الوقت ، يمر عليها ، ينظر إليها بعين فاحصة يضيف هنا .. ويعدل هناك حتى يشعر باقتناعه الداخلى ، ثم تخرج إلى الناس بعد ذلك.

▪ أمر عجيب .. عندما جعلت الموسيقى راقصة هوجمت بعنف في البداية .. ثم وجدت الكثيرين فعلوا نفس الشيء.

▪ الأغنية الآن تكتب وتلحن في جلسة واحدة ! أين دور العشرة والصداقة والتفاهم بين عناصر العمل الفني.

أذكر وأنا في منزل مكرم عبيد باشا .. كنت أجلس وهو مشغول بإعداد أوراقه كمحام .. فأمسكت بجريدة الأهرام ووجدت فيها قصيدة الجندول .. قرأتها وكنت أظن أنها من شعر محمود حسن إسماعيل باعتبار انه يعمل في الإذاعة !! فاتصلت به تليفونيا وأبلغته بأننى قرأت «الجندول» وطلبت منه أن يجلس سويًا لكى نعددها للفناء ونعدل ما يلزم منها لكى تصلح للتلحين . فاندesh وقال لى : الجندول ليست من شعري إنها لعلى محمود طه .. ثم قال : أنا مستعد أن اكلمه من أجلك «هكذا كانت الأخلاق زمان !!» . وبالفعل اتصل بى شخص يقول : أنا المهندس على محمود طه .. مهندس !! أهلاً وسهلاً .. وبالفعل التقينا وعلى مدى ستة شهور تم إعداد الجندول . وكان أول من غناها من تلحينى هو مكرم عبيد .. وأول من سمعها مصطفى النحاس باشا هو والسيدة حرمه .. ولكنه للأسف لم تعجبه في البداية .. وبعد حوالى ثلاثة شهور قابلت النحاس الذى كان غاضباً عندما سمع الجندول لأول مرة ، وراح يقبلنى بحرارة ويقول : لقد اكتشفت إنها شيء رائع للغاية .

■ **لوتس :**

هل كان لك دور في السياسة بحكم صلتك بهؤلاء الكبار ؟

■ **عبد الوهاب :**

كانوا أصدقاء فقط .. يأتون إلى بيتي باستمرار .. مرة مثلا إبراهيم عبد الهادي قام بتأليف وزارة من بيتي ! كانوا فعلا يريدون إقحامى في السياسة . ولكننى رفضت .. لم أكن أريد أن انتمى لأى جماعة سياسية . كنت مثلا صديقاً للعقاد ولشوقي فى آن واحد .. وذات مرة هاجم العقاد شوقى وأنا على صداقتى للاثنتين .. ومثلا .. أسهر عند النحاس باعتباره يمثل الوفد .. ثم أذهب إلى حسين هيكل باشا زعيم الأحرار الدستوريين . رفضت تماما أن انتمى لأى جماعة أو حزب .

■ **لوتس :**

هذا هو الشموخ .

■ **عبد الوهاب :**

كل ما فى الأمر إننى كنت أتفاهم مع الجميع بالفن .

■ **لوتس :**

عندما يلحن عبد الوهاب .. هل يكون فى ذهنه جمهور معين ؟

■ **عبد الوهاب :**

أبدا .. فى ذهنى عبد الوهاب .. ألحن من أجله ولا أفكر فى غيره !

■ **لوتس : مزاج ؟ !**

■ **عبد الوهاب :** لا انشغل إلا بما يريد عبد الوهاب !

■ **لوتس :**

هل يأتى الإلهام لديك بناء على إحساس معين وفى لحظة معينة .

■ **عبد الوهاب :**

المهم فى الإلهام ما أشعر به .. هل أحببته أم لا . إذا رفضت ما أحسست به اتركه تماما حتى ولو أكثر شعبيه عند الآخرين . لذلك أقول إن أى عمل لابد وان يتقن ومجرد من أى شيء . وعندما يخرج العمل إلى الناس أسعى للتأكد من أن هذا العمل قد أسعدهم . هذا يريحنى ويسعدنى . أما أن ينجح عمل لم أكن مقتنعا به فى

البداية فهذا لا يريحنى.

**لوتس :**

هل تتابع ما يحدث فى سوق الغناء ؟

**عبد الوهاب :**

لا .. والله.

**لوتس :**

أحمد عدوية مثلا هل سمعته !

**عبد الوهاب :**

بالأكيد هناك شيء وراء هذا النجاح .. فهناك من يسمعون له أيضا أحاسيس لا بد أن هناك شيئا جذبهم إليه شكوكو مثلا .. جاء وقت صنع من اجله تمثال !

**لوتس :**

نعم .. شكوكو « بالإزازه » !

**عبد الوهاب :**

وحتى عباس العقاد كتب مقالا قال فيه : « العهد . الشكوكى » .. ولكن لونه جيد وجيل جدا ! .. أم كلثوم نفسها كانت تطرب منه ، خصوصا عندما كانت تسمع . الى يقدر على قلبى ، هو وإسماعيل يس .. خاصة مقطوع . من حرقه قلبى ونار قلبه !

**لوتس :**

لو تحدثنا عن الخلق والإبداع ، فنجد أن سعادة الإنسان فى قيمة ما يبدعه ويقدمه للناس .. فيشعر بأن الحياة لها قيمة عندما يسعد الناس .

**عبد الوهاب :**

الفنان يشعر بقيمة نفسه عندما يبدع .. شوقى بك مثلا كان فى حالة قلق مستمر عندما يأتيه الخاطر .. إذا كان فى الشارع يلتقط . ورقة .. ورقة جريدة .. ورقة لحمة ويكتب فيها الخاطر وتجده مجهدا ومسرورا أيضا .. كان رجلا بسيطا جدا .. أتذكر إننى رأيته مرتين يبكى : مرة على قبر صلاح الدين فى دمشق وعندما سألته عن سر بكائه قال : صلاح الدين كان كرديا مثلى ، ومرة أخرى رأيته يبكى فى باريس عندما ذهب لزيارة الخديوى عباس حلمى فى منفاه .



### ▪ صلاح ظاهر :

يخطر ببالى الآن .. لو مغنيا صوته رائع جدا وقف يغنى وكان من يسمع أصم أظن «هذا المغنى لن يغنى مرة أخرى .. لا بد من الاستجابة وصدى المستمع !!

### ▪ عبد الوهاب :

طبعاً .. الاستماع شيء جميل جدا .. السمع قبل البصر، هذا ما جاء فى القرآن الكريم « والسمع والبصر » . أكرر وأقول : إن الإنسان يمكنه أن يرى بأذنه ولكنه لا يسمع بعينه ، مثلاً لو هناك شخص يرى ولكنه أطرش .. فكيف سيسمع مزيكة ؟!

### ▪ صلاح ظاهر :

يدفعنى الحديث إلى شيء هام بالنسبة لكثير من الناس الذين لديهم حاسة فنية ولكنهم ليسوا محترفى فن ، تجدهم يهتمون بأى لون من الفنون إلى جانب مهنتهم .

### ▪ عبد الوهاب :

نعم .. هذا عرفناه .. أتذكر مثلاً صاحب سينما رويال القديمة «مسرح الجمهورية الآن» واسمه مستر اسبيرو . كان هذا الرجل ناجحاً جداً فى عمله سألته عن سر هذا النجاح قال لى : ياخيبي -علشان أنا باضرب شوية كمنجة ! جلست أفكر وما علاقة الكمنجة بالسينما التى يديرها . فاكشفت أن حاسته الفنية كانت تدفعه إلى اختيار أجود الأفلام .

### ▪ لوتنس :

هل تعتقد أن ثقافة الفنان يجب أن تكون « موسوعية » ؟

### ▪ عبد الوهاب :

الثقافة هى تكامل الشخصية .. قد تجد أستاذاً جامعياً ولكنه غير مثقف !  
فالثقافة غير التعليم .. الثقافة ترتبط بإنسان متحضر متكامل .. والمهم هو الفهم والإدراك والمسألة ليست مجرد سرد معلومات مثل الكمبيوتر .. المهم هو هضم هذه المعلومات لتكون جزءاً من الدورة الدموية داخل الإنسان .

رغم عبقرية كرايان - أن حفلته غير موفقة . الناقد هنا مهمته تصحيح العمل الفنى ، وهذا أمر يساعد الفنان على بذل أقصى ما لديه لكى يقدم عملاً فنياً راقياً .

أريد أن أسأل رتيبة هانم باعتبارها كانت مديرة معهد الموسيقى نعرف أن الناقد

الأدبى يدرس فى الجامعة فى قسم النقد أو فى المعهد .. المهم يتعلم كيف ينقد .. ولكن الناقد الموسيقى ما هى مؤهلاته ، هل لابد من وجود فرع فى النقد الموسيقى بالمعهد .. أم أن الأمر مجرد حس خاص ؟

#### ▪ رتيبة الحفنى :

لابد من الخبرة أولا .. بمعنى أن الناقد لابد أن يكون قد مارس الموسيقى قبل كل شىء .

#### ▪ بهاء الدين :

عنده تذوق موسيقى مثلا .. أو عازف ؟

#### ▪ رتيبة الحفنى :

ليس من الضرورى أن يكون عازفا محترفا من قبل لأن المتذوق يستطيع أن يفهم الموسيقى ويقرا النوتة الموسيقية ويعرف أصول العزف .. وهذا لا يأتى إلا بالخبرة الطويلة التى تساعد فيما بعد على النقد .

#### ▪ عبد الوهاب :

هل لابد أن يكون خريج معهد موسيقى ؟

#### ▪ رتيبة الحفنى :

ليس هذا من شروط النقد .. ربما يكون من الهواة المثقفين موسيقيا . مثلا يهوى آلة موسيقية ويعزف عليها بأسلوب صحيح .

#### ▪ عبد الوهاب :

وقد تحول على ما يبدو خلال الحوار إلى صحفى يلح على الحصول على مزيد من المعرفة بكل تواضع !

#### ▪ عبد الوهاب :

إذن .. كيف نخلق النقد الموسيقى الآن ؟

#### ▪ رتيبة الحفنى :

الآن فى أكاديمية الفنون معهد للنقد الفنى .. وأعتقد أن الدراسة فى هذا المعهد لا تكفى .. لابد من التعمق . المعهد يعطى معلومات عامة كبيرة .. ولكن لابد بعد ذلك من الاجتهاد والمزيد من المعرفة .. فشهادة المعهد بالنسبة للخريج لا تكفى

لصنع ناقد فنى .

### ▪ عبد الوهاب :

على هذا الأساس .. لابد أن يكون لدى الناقد ملكة خاصة واستعداد وهما س للعمل

### ▪ صلاح طاهر :

بالطبع .. لكن هناك ندرة فى عدد النقاد . فالفنانون كثيرون والنقاد قليلون جدا . ولكى يظهر ناقد فى الحياة الفنية لابد أن يدرك أن مسؤوليته تتمثل فى توجيه جيل بأكمله ويستطيع خلق مناخ حضارى لتقبل نوع الفن الذى يتقده . ولذلك فعندما يظهر ناقد سطحى فإنه سيفرض مزاجه الشخصى على الناس . أتذكر مرة أننى استمعت إلى راديو لندن بى . بى . سى . فى ساعة متأخرة حيث كانت تذاع السيمفونية التاسعة لبيتهوفن .. وظل الناقد الإنجليزى لمدة ساعة تقريبا يشرح هذه السيمفونية للمستمع إلى درجة أنك لو لم تعرف شيئا عن الموسيقى ستعرف منه كل شيء وسينمى ذوقك وثقافتك

### ▪ بهاء الدين :

كان عندنا مثل ذلك فى مصر زمان ، عندما كان المرحوم حسين فوزى يشرح أصول الموسيقى .

### ▪ لوتس :

كان .. كل شيء جميلاً فى مصر .. وكان عبد الوهاب يعلق على الماضى الجميل .. على كل ما كان جميلاً فى مصر .. كثرت كلمة «كان» طوال الحوار داخل صالونه .. آخر حوار وآخر مشهد من . صالونه الثقافى الذى كان يخصصه للحديث عن قيمة الجمال فى الأدب والفن والحياة . «وكان» فى نهاية المشهد .. فى نهاية آخر حوار خفيف الظل .. لا يتخلى عن الفكاهة ومداعبة ضيوفه . فى نهاية المشهد من صالونه راح يودعنا بعد أن طال الحديث مع كلمة «كان» وهو يقول بالحرف الواحد: متهيأ لى .. الجلسة انقلبت إلى جلسة عزاء ! .. دلوقتى شكر الله سعيكم !! والآن نرد عليه ونقول ونحن نغزى ونواسى أنفسنا : «رحمة الله عليك»

### ▪ صلاح طاهر :

الثقافة حياة يعيشها الانسان .

▪ عبد الوهاب :

العقاد مثلاً غير متعلم .. ولكنه مثقف جداً وصاحب إرادة قوية .

▪ لوتس :

الأستاذ بهاء موجود الآن ولم يشارك كثيراً في حوارنا .. نريد أن نسمع منه ويشاركنا كثيراً بآرائه .

▪ عبد الوهاب :

بالمناسبة .. أريد أن أسأل الأستاذ أحمد بهاء الدين عن أحوال الصحافة الآن : هل تعاني أيضاً من حكاية « التراكات » التي تواجه الموسيقى الآن والتي في ظلها لا فرقة موسيقية تجتمع ولا تجاوب بين المطرب والعازفين ، كل شيء يتم بمفرده ثم يأتي دور « الميكساج » ليجمع بين اللحن والمطرب اللذين لم يندمجا في البداية .. ولكنهما اندمجا بعد إتمام اللحن .

▪ أحمد بهاء الدين :

الجمهور الآن كبير جداً .. زمان لم يكن موجوداً سوى طه حسين والحكيم والعقاد والمازني وسلامة موسى وكتاب قليلين ، كان الكتاب يطبع منه ثلاثة آلاف نسخة مثلاً ويعتبر هذا رقماً قياسياً .. اليوم تجد كتباً عديدة لكتاب كثيرين .. والصحافة زمان كانت تطبع ٣٠ ألف نسخة لجريدة يومية ، الآن الصحافة اليومية تنافس على إصدار مليون نسخة في اليوم .. وهذا كان له تأثيره على طريقة توضيب الجريدة وتبويبها ونوع المادة الصحفية المعدة للنشر .. مثلاً زمان كان على محمود طه يكتب قصيدة فتشرها الصحيفة وأحياناً في الصفحة الأولى .. واليوم لا يحدث ذلك .

في الماضي كانت الصحيفة لفئة ثقافية معينة . اليوم أصبحت الصحيفة فيما تنشره مثل حكاية الأغنية القصيرة جداً .. الخبر أحياناً ثلاثة سطور فقط . فهناك الآن إسهامات عديدة ومتنوعة مطلوب نشرها وتوصيلها إلى كل قطاعات وفئات القراء قوانين .. مناقشات مجلس الشعب .. فنون .. رياضة .. أخبار اقتصادية .. وخلافه . مثلاً لأنني دارس قانون أجد الجريدة تقول : « المحكمة حكمت .. بكذا » . أقول لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً فأطلب القسم القضائي بالجريدة وأطلب منهم نص حكم المحكمة فأجد أنه شيء آخر غير الذي كتب في الجريدة .

▪ عبد الوهاب :

ما هو السبب ؟

▪ بهاء الدين :

السبب نظام «التراكات» في الجرايد .. مثل حكاية الأغاني والألحان الآن . زمان كان القسم القضائي في الجريدة كل من يعملون به من صحفيين تخرجوا في الحقوق ولا بد أن يحضروا جلسات المحكمة بحيث يعود إلى الجريدة فيقوم بتلخيص ما شاهده . يقول بالضبط ما حدث بكل دقة وبإيجاز

▪ رتيبة الحفنى :

بالنسبة للفن يا أستاذ أحمد بهاء الدين .. من أسباب هبوطه أنه لا يوجد نقد موضوعي .. لا يوجد ناقد يجرؤ أن يكتب في الجريدة بكل صدق حقيقة ما يحدث . أنا أسفة أن أقول: إن من يدفع يحصل على مديح عن عمل لا يساوى شيئاً !

▪ صلاح طاهر :

عندى وجهة نظر جذرية في هذه المشكلة .

▪ بهاء الدين :

السبب .. انه أحيانا لا توجد مؤهلات علمية لدى الناقد الفنى .. الذى لم يكمل تعليمه - مثلاً- يرسلونه إلى الصفحات الفنية في الجريدة .

▪ رتيبة الحفنى :

مع العلم أن النقد من الأعمال الصحفية الصعبة .

▪ بهاء الدين :

أمثل هذا المحرر .. ينشر خبر «فلانة» اتجوزت .. «فلان» ذهب إلى الاستديو للتصوير .. بعد ذلك بكذا سنة .. يكتب نقداً !! حكايات فهو لم يهتم بأن يتعلم أصول النقد ولا أى شيء علمي يفيد عمله.

▪ رتيبة الحفنى :

أتذكر الموسيقار العالمى «كاريان» تعرض لنقد لاذع بسبب حفلة موسيقية فى فيينا! (٥)



● المذكورة لولس عبد الكريم والمذكورة ربيعة الحفاني والإستاذ أحمد بيه الدين والفنان صلاح طاهر في صالون الفنان محمد عبد الوهاب



الكاتب الصحفي الكبير الراحل أحمد بهاء الدين يجلس بجوار الموسيقار  
محمد عبد الوهاب في الصالون الأدبي

## تجبة له مع الأغنية الأنشودة نعيش دائما أبداً

ما هو سر عبقرية عبد الوهاب هل هو صوته ؟ هل هى موسيقاه ؟ هل هى الكلمات التى لحنها وغناها ؟ إنها كل هذا وأكثر من هذا إنها الأغاني الأناشيد التى هجرناها .. ترى هل أن الأوان بعد أن رحل عبد الوهاب عنا أن نراجع أنفسنا ونعود إليها .. لقد عشنا معها ، وسوف تعيش معنا دائما أبداً .

لازلت اذكر فرق الموسيقى النحاسية التى كانت فى الثلاثينات والأربعينات تسير فى المناسبات والأعياد بل وأفراح بعض الأهالى وهى تعزف ألحانها الشجية أو (مارشاتها) العسكرية التى كانت تجمع بين اجلال والجمال فتسيطر على مشاعر الناس بحيث كان الكثيرون من مختلف الأعمار يسىرون فى الشوارع إلى جانبها ، وكان بعضهم وبخاصة من الفتيان والشباب يقلدون عازفيها ، خطواتهم ومشيتهم العسكرية المنتظمة وقد سيطرت عليهم تماما الأنغام والأصوات القرية الجميلة الصافية . وكان ذلك يؤثر بالضرورة - وبطريقة لاشعورية - فى سلوك الناس وتصرفاتهم أى أن هذه الفرق الموسيقية بألحانها وأنغامها وموسيقاها وتنظيمها الدقيق كانت تلعب دون أن تشعر دوراً تربوياً هائلاً فى حياة الناس وتترك أثراً عميقاً راسخاً وباقياً بالالتزام والدقة وحسن التنظيم إلى جانب تربية الذوق الجمالى الذى يقوم على الاستماع إلى الألحان المتناسقة والاستمتاع بها .

ولازلت أذكر أيضاً كيف كانت المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية فى تلك الفترة أنها تلتزم التزاماً شديداً بأن تخصص حجرة أو قاعة فسيحة ( للموسيقى والأناشيد ) حيث يقوم فى احد أركانها بيانو ضخمة وبعض الآلات الموسيقية الشائعة فى ذلك الحين ( الكمنجة والعود والفلوت ) وكيف كانت تلك المدارس تشجع على تنمية النشاط الموسيقى كوسيلة لتربية الذوق والتذوق الفنى والجمالى . وكانت مجموعة الأناشيد والأغاني الجماعية تعبر بألحانها السهلة العميقة وألحانها المعبرة عن مصر وتاريخها وراثتها وعن قوة الارتباط بالوطن والاعتزاز بحضارته ومكانته وكبرائه ، بل إن الراديو نفسه الذى كان قد وجد طريقه حديثاً إلى البيت المصرى يذيع على فترات طويلة برامج موسيقية خالصة كانت موسيقى عبد الوهاب تحتل



مكانا واضحا فيها إلى جانب الموسيقى العربية ( الكلاسيكية ) التى تجد الآن بعض حركات الأحياء القوية ، وموسيقى الغناء الجماعى والكورال إذ كانت للإذاعة المصرية حينذاك فرقتها الخاصة للموسيقى وفرقتها الخاصة أيضا للكورال أسوة بالإذاعات فى الخارج . ولكن الذى يثير الانتباه الآن فى تلك الموسيقى والأغاني والأناشيد أنها كانت تؤدى فى الأغلب فى أسلوب هادئ رصين يتسلل فى سر وسهولة دون مقاومة إلى الذهن والقلب جميعا ، كما أن الأناشيد الوطنية وإنها كانت تصطبغ بصبغة رائعة من الجمال والصفاء والحق والسلاسة نفتقدتها كلها الآن فى الأناشيد المفتعلة التى تؤلف خصيصا للمناسبات ولا يلبث أن يزول تأثيرها بانتهاء المناسبة .

والأكثر من ذلك أن ( المارشات العسكرية ) ذاتها أن يغلب عليها طابع الجمال والتناغم والحلاوة التى تحرك المشاعر وتخطب الوجدان دون أى استفزاز للذوق الرفيع . فلم يكن يسيطر عليها الصخب والصياح والزعيق التى تسود الآن أناشيدنا وأغانينا ( الحماسية ) التى قد تثير العنف وتصدم المشاعر المهذبة . وكانت الأغاني والأناشيد الوطنية تدور ألفاظها وكلماتها حول معان راقية تجمع بين العمق والسمو والرفعة ، وفى تلك الفترة عرفنا بعض الحان وأغاني عبد الوهاب التى يحار المرء فى تصنيفها وهل هى تدخل فى دائرة الأناشيد الوطنية أم فى أغاني الحب والهيام والغزل الرفيع . وربما كان هذا موسر عبقرية عبد الوهاب وسر عبقرية أغانيه ومؤلفى هذه الأغاني وسر عبقرية موسيقى تلك الأغاني . فأغنية مثل ( حب الوطن فرض على ) تجمع بين التغزل الرفيع العميق بالوطن والتغنى به فى غير إسفاف أو ابتذال أو مبالغة أو أفتعال . وهذا هو ما نجده فى مناجاة عبد الوهاب لعلم مصر الأخضر ( فى ذلك الحين ) وهو يفخر به خفاقا فى مسرى الهواء . بل إن هذا هو ما نجده فى ذلك التغزل الرقيق بالنيل فى أغنية أو أنشودة ( النيل مجاشى حليوة أسمر ) . فهذه كلها أعمال تجمع بين الأغنية الغرامية والنشيد الوطنى وبين الغزل والتشبيب والفخر بالوطن والاعتزاز بالانتماء إليه إلى جانب الموسيقى الرفيعة السامية . وهذا هو السبب فى أن هذه الأغاني والأناشيد كانت تتسلل فى رقة ونعومة وعذوبة إلى الذهن والوجدان حيث تستقر وتعمل على تشكيل العقل المصرى والشخصية المصرية ، وبذلك كانت تلعب دورا مهما فى التنشئة الوطنية والتطبيع الاجتماعى . وما أظن أن عبد

الوهاب نفسه كان يدرك تمام الإدراك مدى عمق التغيير الذى كانت تحدثه تلك ( الأغاني - الأناشيد ) بموسيقاه القوية وصوته المهدب المثقف الذى يختلف كل الاختلاف فى أدائه وحلاوته وعذوبته ونقائه عن هذه الأصوات الوقحة التى تفرض نفسها على الأسماع بأغانيها الهابطة وأناشيدها السطحية ومعانيها الضجة الساذجة التى يعانى منها المجتمع المصرى فى الوقت الراهن.

إن عددا من ( الأغاني ) التى تغنى بها عبد الوهاب والتى كانت تدور حول موضوعات تبدو لأول وهلة بعيدة كل البعد عن الوطنية والقومية كانت تقوم فى الواقع بنفس الوظيفة ( التربوية ) وتؤدى تلك المهمة بنفس الأسلوب الهادئ غير المباشر . كانت هناك أغنية ( محلاها عيشة الفلاح ) التى على الرغم من كل ما قد يقوله البعض عن تأثيرها السلبى فى ترسيخ الشعور بالرضاء والقناعة فى نفس الفلاح فإنها كانت فى حقيقة الأمر تثير الحنين إلى الريف وتدعو بشكل غير مباشر إلى الارتباط بالأرض والمحافظة عليها باعتبارها تؤلف جزءا أساسيا من شرف الإنسان المصرى وهى أرضه وعزته وكرامته بل وكيانه ووجوده ، وهى كلها أمور كادت تختفى مع اختفاء هذه الأغنية ( محلاها عيشة الفلاح ) وهو اختفاء مريب يدعو إلى التساؤل وإلى الشك ، وسادت بعد ذلك قيم جديدة يسودها الجشع والتكالب على جمع المال والجرى وراء الكسب فى الدول الصحراوية التى تدفق فيها البترول فترك الفلاح أرضه وعيشته وأصبحت مصر الزراعية تبحث وتفتش عن لقمة ( العيش ) خارج أرضها ، بعد أن نسى الفلاح أرضه التى تهب الحياة ذاتها للفرد والمجتمع . وهى الحياة التى لا يمكن لأموال النفط أن تشتريها .

وكانت هناك أيضا وفى نفس تلك الفترة أغنية القمح والاحتفال بحصده القمح الليلة .. ليلة عيده ) والدعاء إلى الرب بأن يبارك فيه ويزيده . وكانت هناك بالمثل أغنية جمع البرتقال ( ويالى زرعوا البرتقان بالله اجمعوه ) وغير ذلك ، وهى كلها أغان تبدو ( خفيفة ) فى ظاهرها وتنبع من البيئة الريفية المصرية - وهو ظاهر له قيمته التى لا يمكن إنكارها - ولكنها إل جانب ذلك وفوق كل ذلك تحمل بين ثناياها كثيرا من القيم الأصلية التى تقوم على الاعتزاز بمصر وأرضها وتراثها وأساس حضارتها الذى تعبر عنه أسطورة أوزوريس إله الزراعة والقمح أصدق تعبير .

## بين الاستماع والسمع:

فالمسألة إذن ليست مجرد موسيقى تعزف وأغان تسمع وكلمات تطير في الهواء وأذان تسبع ما يصل إليها من أصوات فطرب لها أو تنفر منها ثم تنصرف عنها . وإنما كانت المسألة عملية تربوية تعمل بشكل غير مباشر بطريقة لاشعورية وغير مدركة على تربية الذوق وتذوق الفن والجمال ، وكانت تعتمد منذ البداية ومنذ فترة الطفولة والتلمذة على التدريب على ( الاستماع ) وليس فقط على ( السمع ) . وفارق كبير بين أن ( يستمع ) المرء الأصوات سواء أكانت هي الصوت الآدمي أو صوت الآلات الموسيقية ، وبين أن ( يستمع ) عمداً إلى تلك الأصوات وبخاصة الأصوات المهدبة التي ترفع بالغناء الراقي اللطيف ، وإلى أصوات الآلات الموسيقية التي تعزف في تناغم وتناسق الألحان العذبة الهادئة الشجية . فالسمع يتعلق بالمستقبل الأصوات التي ترد إلى الأذان فلا يكاد المرء يفهمها أو يستوعبها حتى وإن خاطبت أحياناً بعض غرائزه أو عواطفه التي هي في جوهرها عملية فسيولوجية تختلف كل الاختلاف عن حالة ( الاستماع ) التي هي في أساسها عملية ذهنية تقوم على الإدراك وحسن الفهم والاستيعاب والتجاوب وتحتاج إلى تدريب طويل وإلى مران يركز على التكرار والمثابرة حتى وإن كان ذلك يتم بطريقة غير متعمدة أو مقصودة . فالاستماع يعتمد إذن إلى فهم المعاني وإدراك كنهها ، سواء في ذلك معاني الكلمات أو في الأنغام التي تلحن هذه الكلمات بحيث تتناسق كل معاً في وحدة عضوية متماسكة ومتكاملة . وهذه كلها تنعكس بغير شك في الحان وغناء عبد الوهاب وعدد قليل جداً من كبار الموسيقيين والمطربين الذين تركوا بصماتهم واضحة على تاريخ الموسيقى والغناء المصري .

ومن الغريب أن ( أغنية / أنشودة ) مثل ( حب الوطن فرض على أفديه بروحي وعيني ، التي لعبت دوراً بارزاً في ترسيخ الاعتزاز بمصر وبالوطنية والنصرية في نفوس الشباب في فترة من فترات تاريخ مصر المعاصر وكانت شائعة شيوفاً كبيراً بين الشباب وترددها الإذاعة المصرية بكثرة ملحوظة لها دلالتها ومفزاها اختفت هي أيضاً ذلك الاختفاء المريب على الرغم من عمق معانيها وسمو أهدافها وأهمية دورها التربوي . والأغرب من ذلك ، بل والأدعى إلى السخرية أن تتبّه دولة مثل الكويت إلى أهمية هذه الأغنية الأنشودة فتعتمد إلى تحريف وتحوير بعض كلماتها لتصبح ( حب الكويت فرض على ) وتذيعها قبل الغزو في إذاعتها وتعمل على نشرها

بين الناس وبين أطفال المدارس . ولكنها في تحريفها للأغنية الأنشودة المعبرة طمست بعض معالمها ومسخت بعض معانيها العميقة التي ترتبط بعبقريّة الكلمة وعبقريّة اختيار اللفظ فبدلاً من قول عبد الوهاب ( أحب نيلك وسماكي ) يقول المنشدون الكويتيون ( أحب بحرك وسماكي ) . وثمة بحار كثيرة متشابهة ولكن هناك نيلا واحداً هو نيل مصر . ولكن يبقى للكويت مع ذلك فضل ! إدراك أبعاد الأغنية الأنشودة ، واستغلالها لصالحها الخاص مادام أصحابها الأصليون في غفلة عنها .

### الأغنية الأنشودة:

فهل يا ترى آن الأوان بعد أن رحل عبد الوهاب عن دنيانا لكي نراجع أنفسنا ونعود إلى تلك الأغاني الأناشيد التي هجرناها طويلاً لغير سبب معقول أو مقبول ؟ وهل آن الأوان لأن ننتبه إلى الرسالة السامية التي تقوم بها هذه الأغاني - الأناشيد في إيقاظ الشعور بالانتماء إلى هذا الوطن والاعتزاز بتاريخه وتراثه وحضارته، وهي تلجأ في أداء هذه الرسالة إلى الأسلوب الرقيق والأداء المهموس البعيد عن الصخب وعن الضجيج والزعيق ؟ وهل آن الأوان لأن نبعث من جديد ذلك التقليد الرائع الذي كان المؤلفون يتمسكون ويحرصون عليه من حسن اختيار اللفظ والمحافظة على بلاغة الكلمة والذي كان الملحنون والموسيقيون والمطربون يلتزمون به من عبقرية اللحن إلى حسن الأداء إلى جمل ورقة الصوت إلى عمق الفكرة . وهذه كل أمور كانت تتمثل في تلك الأغاني الأناشيد التي سادت في تلك الفترة غير البعيدة من تاريخنا المعاصر والتي كانت تظهر بأقوى صورها في أعمال عبد الوهاب . وليس ثمة ما يمنع من عودتها إذا أحسنت النية ووضعنا نصب أعيننا مصر وشعبها وأرضها وسماءها ونيلها وماضيها وحاضر ومستقبلها ، وعملنا بإخلاص على رفعة هذا الوطن الذي تفنى بأمجاده عبد الوهاب وعدد من كبار فناني مصر الذين سوف تحتفظ مر بأسمائهم مثلما حافظوا هم عليها وملؤوا أعمالهم باسمها وأمجادها وشموخها وكبرياتها وإنجازاتها الحضارية البهرة<sup>(\*)</sup>

\*\*\*

ومن الملاحظ واللافت للنظر لا شك أن عبد الوهاب حين يتحدث عن نفسه وتجنس سيرة سيد درويش فى الحديث نراه لا يتوقف أمامه كثيراً، ويتجنب الاعتراف بأنه استفاد أعظم الفائدة من مكتشفات سيد درويش وابتكاراته، فليس صحيحاً أن عبد الوهاب هو أول من لحن الجملة كاملة غير مجزأة، وليس صحيحاً أنه ابتكر التعبير وقدمه على التطريب، وليس صحيحاً ما ينسب إلى عبد الوهاب من ابتكارات وتصرفات أكسبت التلحين المصرى سيولة وقدرة على التأثير المباشر فى جميع قطاعات الشعب. إنما الصحيح أن سيد درويش هو الأساس، هو صاحب كل هذه الابتكارات، استقطبها عبد الوهاب بذكائه ومكره، ولأن الثورة الاجتماعية والسياسية التى كان يمثلها سيد درويش - ثورة ١٩١٩ - قد فشلت، وأصيب الناس بالإحباط واتجهوا إلى البحث عن الترفيه والفرشة، فإن عبد الوهاب قد قام بتجديد بضاعة سيد درويش ومبتكراته، ونقلها من الأغنية الباعثة على الأمل والعمل والثورة، إلى أغنية الصالون، أغنية الغناء للامتناع والمؤانسة. ومع ذلك، فالإنصات يقتضينا الاعتراف بأن عبد الوهاب فيما فعل كان جديداً، كان مدرسة عصرًا بأكمله، ساهم فى تشكيل الذوق الحدائى ووسع رقعة المستمعين وفتح وعيهم على الشعر الرفيع.

\*\*\*



أين عبد الوهاب؟ هل مات عبد الوهاب؟ وهل يموت القمر؟ وهل ينطوى الهرم؟ عندما جاءني نبأ رحيله تملكنتى لحظة من الذهول ، كدت أفقد فيها عقلي، فعبد الوهاب هو سفرنا خارج حدود التاريخ .. وخارج حدود الأشياء ، وخارج أنفسنا.

في عصر الجنون والانهيارات العصبية التي نعيشها اليوم كنا نلجأ إلى عبد الوهاب لكي يحمينا من وطأة الزمن ومراراته ، من جفاف الحياة وافتقارها للنض والحرارة والدفء ، حيث يتوق الإنسان إلى كلمة حب ، كلمة غزل ، كلمة تحمل معنى الحنو بالإنسان والاقتراب من نبضه وحسه، وعندما لا يجد إلا الجفاف والموات والصدأ حيث الشعور بالقسوة والوحشة.

من منا لم يزره الحزن ؟ ومن منا لم يبلل الدمع خديه ؟ ومن منا لم يتحول إلى جرح يمشى على قدمين ؟

وبرغم ذهولى تذكرت كلمة طاغور العظيم حين صور النهاية المحتومة لكل حى بقول: «لا بد من يوم تحينى فيه الشمس وهى غاربة تحية الوداع الأخير» .  
ومع ذلك.. وعلى الرغم مما فى كلمة طاغور من حكمة بالغة كنت مازلت لا أصدق.

فالكثير من عظماء هذا العصر وفنانيه سينقرض والكثير من الأسماء اللامعة سوف تنسى ، ولكن اسما واحداً من السهل على الإنسان أن يجزم ببقائه هو عبد الوهاب .  
سمعنا الكثير من الأصوات الغنية العذبة ، ولكن أن يغنى رجل بهذه النضارة وهذا التوقد ، وهذا النبض الحار المستمر المتصل لأكثر من ستين عاماً ، فذلك شيء آخر .. هذا الصوت الذى ظل رفيقا لكل عربى مهما امتدت به السنون وكلما كان فى النفس رمق ، وفى العين نظر .. لأنه صوت المفاجأة فيه دائماً متجددة ، والشباب فيه ينبوع لكل من يشرب .

لماذا كل هذا ؟ لأن عبد الوهاب ولد خارجاً عن الزمن ، وظل كذلك إلى يوم رحيله .. ولد عبقرى فهو من يوم بدأ إلى يوم انتهى وهو سابق لزمته فهو دنيا فريدة مبتدعة حية دائماً .

فهو قد جمع بين العاطفة الأزلية بنيرانها وتناقضاتها وتوترها وحرارتها وبين العاطفة الأزلية بنيرانها وتناقضاتها وتوترها وحرارتها ، وبين روح عصره .. جمع بين الحب والنغم وبين القرن العشرين .. إن تجربة عبد الوهاب ينطلق بلسان التجربة الأزلية التى تمس كل قلب وتعاصر كل إنسان كما ينطلق فى الوقت نفسه بلسان عصره ولغته ، فلغته وصوته وإيقاعه قديم قدم الألياذة وحديث حداثة جريدة الصباح .. صوته جعل من كل رجل عاشقاً ومن كل امرأة معشوقة ، رغم ما فى الحياة من بلادة فى الحس وإغماض فى العين .

فالمعجزة عند عبد الوهاب أنه يلتصق بعصره حتى لكأنه يغوص فى لحم الحياة ويشتبك بتفاصيلها اليومية ، فجاءت ألحانه جميعها انفعالا بالعصر وبالأرض وبالإنسان .. ويتجاوز هذا كله فيبقى صوت اليوم هو صوت الغد وبعد الغد، وتصبح

زمانية التجربة خارجة على الزمان نفسه.

كل ذلك يجرى داخل إطار مرحلة من حياتنا جديدة وصاعدة .. وكان كل ما يصطرع في شباب أجيالنا المتعاقبة هو صورة لغرابة عصرنا غير المستقر ، فنحن عشنا في مرحلة من أغرب مراحل اتاريخ حيث يلتقى القديم بالجديد ، والجديد بالأجد ، وحيث يعمل الانفصام والتمزق بين العصور واتجاهات رياح الفكر، يعمل في عشرات العقول وملايين المخلوقات البشرية حيث طاقات التجرد يخلقها هذا الواقع المليء بالأضداد الغامض بالمتناقضات.

في مثل هذا المناخ كانت الأغنية تضطرب بعضها استعارًا ثيابا وأزياء من كل عصر حتى فقد شخصيتها.

وفريق آخر من المغنيين والموسيقين وقع في هذا الانفصام بين الجديد والقديم، الأمر الذى ولد التناقض بين الفكر السائد والواقع القائم وبين أنماط قديمة ذات تأثير في نفوس الناس وبين جديد يصبو إليه الشباب ويتطلعون إليه ، وفريق ثالث تزعمه عبد الوهاب وجاهد طول حياته في رأب الصدع بين أثنى ما فى الماضى وأهم ما يطرحه الحاضر حتى يتجاوب بشكل فعال مع احتياجات هذا الجيل وتبلور مطامحه.

وأصر عبد الوهاب أن يكون الحاسم القاطع عندما لجأ إلى أصالته التى تظل متفردة سباقه والتى تتغذى بالماضى ولا تخضع له ، ومن هنا استطاع أن يحسم المعركة رفيقا لكل من له أذن حساسة واعية شاعرة ما دام فى النفس رفق.

من هنا ينبع مجد هذا الرجل .. ومن هنا تظهر أصالته ، وبقاء فنه متجددًا لا تدركه الشيخوخة مع مرور الزمن.

هذا هو الأساس الصلب الذى تبنى عليه عبقرية عبد الوهاب، ومن هذا الأساس تتفرع مظاهر أخرى لها أهميتها فى خلود فنه وسعة تأثيره فى الناس إلى هذا الحد.

فبعد الوهاب منذ أن بدأ بيدع لم يعتبر الفن موهبة أو ملكة لا واعية، فالإلهام عنده مقرون بالجهد والعرق والقلق والنظام والسيطرة التى تهيمن على أجزاء العمل الفنى. فالإلهام الذى يأتیه فجأة وبلا موعد والذى يحرك ذهنه ويفجر رؤيته يتحول عنده إلى أسلوب منفرد يحقق التوازن ويدفع عنه الإحساس بالرتابة أو التكرار ويقنعه أنه



أمام أصالة حقيقية ، وهذا هو ما يجعل سامع عبد الوهاب متلهفًا إلى متابعة ألحانه بشغف واستمتاع ، لأنه يشعر أن لهذه الألحان صوته المغاير صوته الحقيقي .. ولها وقعها المخالف أى أن لها أسلوبها الخاص في التغلغل إلى دخليته .

ومن سمات أسلوبه البارز أن الكلمة عنده لا تنفصل عن اللحن بل هي متممة له وموحية به ، وحتى في الموسيقى التي تشكل مقدمات أغانيه تجدها مكثفة ومعبرة عن الجو العام ، بل المغزى العام للأغنية .

فالكلمات عند عبد الوهاب هي الموجهة والملهمة واللحن عنده حركة مستمرة في سكون اللغة وفي سكون العلاقات الحية بين الأشياء ، وتأتى الأغنية بعيدة عن التصنع تكشف عن وجه صاحبها الحقيقي والطبيعى وبكل بساطة تدخل إلى قلوب سامعيها .

وهذا الأسلوب أخرج عبد الوهاب القصائد الشعرية من التراث القديم والحديث ، يحترم التاريخ حين يراه شرارة تضيء المستقبل وكان يرفضه حين يتحول إلى نصيب تذكارى ، اختار قصائده التي غناها بدوق رفيه فنقل الشعر من مرحلة السكون إلى مرحلة الحركة والتجاوز .

ومن منا الذى استمع إلى شعر أحمد شوقي وعلى محمود طه ، ونزار قباني ، وإيليا أبو ماضى ، وغير هؤلاء كثيرون ، ولم يشعر بأنه أخرج الشعر من مملكة العادة إلى مملكة الدهشة ، ومن المؤلف إلى الآتى الذى لا يأتى .

وإذا تركنا ذلك إلى الحوار الثنائى الذى يدور في بعض أغانيه والذى يكون عادة بين عاشق وعشيقة في مجنون ليل مع أسمهان ، وفي أفلامه السينمائية مع رجاء عبده وراقية إبراهيم وليل مراد ، فسنجد روعة يصبح الناس فيها جزءا من كلمات الشاعر ولحن الملحن وجزءا من صوته وجزءا من ثيابه عندئذ تختلط حدود عبد الوهاب بحدود الناس ، فلا تعرف من المغنى ومن المستمع .

ويطول بنا المقام إذا عددنا جوانب العبقرية في هذا الفنان العظيم الذى يكفيه فخرا أنه أنفق حياته في صدق من أجل تحقيق سعادة الإنسان وتوسيع رقعة الحياة الروحية وتنمية وحدة الإنسان .

لذلك فنحن نخطئ إذا تصورنا أن عطاء عبد الوهاب غير المحدود كان حدثاً تاريخياً توقف عن الفعل والانفعال ، إنه على النقيض عطاء حتى يقود حركة العصيان على كل من تصلبت شرايينه وأصبح ثمرة من الخشب لا عصير فيها.

رحم الله عبد الوهاب الذى استطاع أن يحفر خطأ عميقاً لا تمحوه الأيام فى أعماق الناس، كما استطاع أن يهين الخمائر التى كونت خلايا وأنسجة العديد من تلاميذه فى الغناء والموسيقى ، وأنه إنساناً جميعاً متاعب الرحلة رحلة الحياة.



الموسيقيار الراحل محمد عبد الوهاب

## صلاح طاهر

### رحلة في الزمان والمكان



الفنان صلاح طاهر هو أحد المشاهير الكبار في عالم الصالونات الأدبية والثقافية سواء التي يحضرها منذ صالون العقاد وزكي عبد القادر حتى صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن في مصر الجديدة في مصر الجديدة أو التي يقيمها في منزله وتعتبر لياليها مثل لوحاته الرائعة أشبه بعناق بين أشعة الشمس وضياء القمر.. إنه حينما يتكلم في مجلس أو صالون يبدو كأنه يتكلم بريشة الفنان العملاق.. ريشة صلاح طاهر بالطبع.

صلاح طاهر - المولود عام ١٩١٢ قد مر في حياته الفنية الرحبة بتطورات مختلفة ، بل إن شئنا بتقلبات بعيدة الغور سواء في الشكل أو المضمون ، راجعة على الأخص إلى استلهامه للموسيقى والفلسفة وقرءاته العديدة في الأدب والعلوم وتاريخ الفنون ، وإلى مزاجه المتلهف إلى استجلاء العالم المرئى استجلاء لا يقتصر على الجزئيات بل يمتد إلى الكل ، لا يقف عند السطوح بل يتغلغل إلى الجوهر ، وأخيرا إلى إدراكه أنه فنان في القرن العشرين بكل تأثيرات هذا العصر ، ونزعتة الحهنمية إلى إلقاء الروح في لجة التضاد .

\*\*\*



ذات يوم حطم صلاح طاهر أصنامة القديمة الحبيبة ، وكسر بوصلته ، وبسط أشرعته في الريح الهوداء ماضيا في رحلة بعيدة ، وسنحاول في هذه اللحظات القليلة أن نرسم خطى الربان الماهر .

درس صلاح طاهر على يد أحمد صبرى ، وقد كبلته دراسته الأكاديمية بقواعد مسبوقة ظلت منذ أول معرض له بالإسكندرية عام ١٩٣٨ تكبح جماح إنتاجه الفنى ردحا طويلا من الوقت في أول الأمر . فجاءت لوحاته الأولى موزونة ، حكيمة ، مسالمة ، متينة الصنعة ، تلقى الاستحسان من أساتذته وزملائه وتلامذته العديدين ،

فقد اشتغل بتدريس الفن منذ تخرجه عام ١٩٣٤ - كما تلقى استحسان جمهور لا يريد أن يرى في الفن إلا ملامح حياته اليومية ، وأداة لإرضاء غروره .

ومع ذلك ، فحتى في إطار منهجه الأول الذي امتد حتى ١٩٥٩ نجح صلاح طاهر في أن يستخلص الرؤية الواقعية قيمًا خاصة بالنسبة للخط واللون والتكوين ، فاتجهت خطوطه إلى الانسيابية واتسمت بالتبسيط والاحتفاظ بالأساسيات في الشكل . أما ألوانه فيمكن أن نقول هنا أنها ألوان مختصرة ، فنجد مثلاً حقلاً بأكمله قد أوحى به بمجرد ضربة خضراء ، ونجد بيوتاً متقاربة بنيت بخطوط خارجية مقتصد فيها ، وتوحي هذه اللوحات الأولى بإحساس من الرشاقة والتغنى بجمال الحياة .

هذه الرغبة في التبسط التي بدأها صلاح طاهر الطريق أوصلته في النهاية إلى التجريد ، فوجد فيه مجاله ليفرغ انطلاقات وانفعالات لا تحدها مرئيات كل يوم ، التي ربما أوصلت الفنان ذا العين المرفهة ، الذي شبع من التأمل والتدقيق فيها ، إلى نوع من التعب والعناب - تعب وعناء لا يلبث أن يعالجه بأن يقصى أجرامها وأشكالها المستعبدة من أمامه ، لينطلق في أشكال غير محددة .

ولما كان الفنان كبشر لا يستطيع أن يتعدى الواقع ، أو بعبارة أخرى لا يجد لنفسه نقطة بداية ونهاية إلا الواقع ، فإنه يعود إلى التعبير عن الوجود المرئي تعبيراً تجريدياً . فنجد في أعمال الفنان أنفاس الواقع دون أن نجد أماننا الواقع ذاته .

سمعت صلاح طاهر في إحدى الندوات عام ١٩٦٤ يقول : قضيت ثلاثين عاماً حتى أحطم قيود الحديدية ، وأكسر القوانين الجامدة ، المحيطة بي .  
لوحاته تعبير عن الشوق إلى الحد المطلق والحرية :

بدأت منذ ثلاثين عاماً مصوراً أكاديمياً ، ووصلت إلى آخر ما يقال في الأكاديمية لكنني كنت حزينا لأنني لم أكن أجِد نفسي . كنت أدور حول نفسي فكان لي معجبين بفني لكنني كنت تعسا لأنه لم يكن لي أسلوب . أحسست إنني باهت غير محدد . أقرأ كثيرا ، وأتخطب كثيرا ، لكنني لم أكن أحس بأنني قد خرجت من العفونة ، كانت مهنتي مصورا وصافا ليس لي كيان خاص . كنت آلة تجيد إخراج لقطات وصفية سريعة مثل الفوتوغرافيا . بل إنني أصيبت بنوبة من الأرق مدة ثلاثة أو أربعة أشهر .  
لم أكن بقادر بعد أن أتخلص من عبودية التكنيك .



يقول جورج حنين في مقدمته الفرنسية لمعرض صلاح طاهر بباريس في يوليو ١٩٦٥ : «إنه قد عكف مدة طويلة على تصوير أشكال طبيعية ، وانعكاسات حلمه، تم فجأة انحرف به حلم عن طريقه ، وأدرك أن الأمور على غير ما تصورها عليه ، وأن الوجود مثل سفين ضخيم على وشك الغرق . وعندئذ شق صلاح طاهر مسالكه الخاصة . ولأن هذا الفنان العربي ذا الأسلوب المجازي الذي ينضح بالركة ، هو العين التي ترقب في ذات الوقت الأطلال التي تندثر والسدود التي تشيد، فقد ألف ببقايا ما ينهدم وبوعود ما يبني الشخصية التي نجد فيها أثار قصائد دفينه في القرية المصرية ، ولقد آلى صلاح طاهر الملف إلى الحقيقة الصارم مع نفسه ، إلى على نفسه أن يشق طريقا صاعدا يبدو مثل تلك الضروب المنعزلة التي تقود المرء إلى منابع خالصة النقاء.

ويتحدث عبد الله البشير في مقدمته الإنجليزية المؤرخة في عشرين من يوليو ١٩٦٥ لمعرض صلاح طاهر في لندن فيقول: «إن تطور صلاح طاهر - مثل المصورين الكبار في كل العصور - هو صراع مضمن وشاق مع الشكل والمعنى، بحثاً عن الحقيقة القصوى الكامنة وراء العالم المرئي، وينبع إلهامه من اعتقاد قوى بأن وراء كل الظاهر المتغيرة حقيقة واحدة غير متغيرة، وأن مهمة الفنان يكتشف هذه الحقيقة، ويتمثل التقصى عن هذه الحقيقة عند صلاح طاهر كما هو الحال عند كثيرين غيره في التحول الدائب من أسلوب إلى أسلوب، فمن واقعيته المبكرة في بورترياته التي تجلى فيها دقة ملاحظاته وحبه للون واهتمامه الكبير بالشكل الإنسانى إلى «التجريد» الذى لا يهدف إلى تفسير العالم الخارجى بقدر ما يهدف إلى التعبير عن الذات الداخلية، ثم أخيراً من التجريد إلى «ما بعد التجريد» حيث تصبح الفكرة هى الشكل والشكل هو الفكرة، فلا يتأتى ترجمة التكوين إلى أية لغة أخرى، ولا يعتبر التكوين بدوره ترجمة لأى لغة أخرى.

وقد سئل صلاح طاهر عن مرحلة ما بعد التجريد، فأجاب في ٢٣ من سبتمبر ١٩٦٥ على صفحات جريدة «الجمهورية» أنه يعنى بها الإسهام في مضمار الفن المعاصر في العالم الحديث وهذا الإسهام لا بد أن يحمل الجديد دائماً بين طياته، إلا أن الجماهير المتذوقة تنفر الآن من الأعمال المعادة التي لا تتسع طاقاتها لتجارب إنسانية وفنية جديدة. إنها تعتبر الاتجاه الآلى المكرر أمانة للتطور الذى هو سنة الحياة النامية، ويمضى صلاح طاهر في حديثه للجمهورية قائلاً ... لا يمكن أن يدرج اتجاهى الآن في نطاق الفن التجريدى على الإطلاق، ورغم ذلك فهو ليس بالفن الأكاديمى الذى يتعلق بمظاهر الأشياء، ويصورها بطريقة فوتوغرافية. كما أنه لا يرتبط بالأسلوب الرائج في الوقت الحاضر، مثل النزوع نحو استلهام الاتجاهات البدائية أو التكعيبية أو التأثيرية، لا أدري إن كنت أحاول في اتجاهى أن أخرج عن التجريد البحث باحثاً وراء ظواهر الأشياء العابرة، ساعياً إلى إيجاد تشكيلات جديدة أخرى للأشكال والألوان.

ولقد احتفظ صلاح طاهر - على حد قول جورج حنين - فى سعيه إلى العالمية بجوهره القومى بكل امتلائه واكتماله، وإننا لنجد في هذه الصور التشكيلية الأصيلية أن القيم الجمالية التى توصلت إليها الفنون الفرعونية والقبطية والإسلامية قد

احتفظ بها ، والنتيجة النهائية لهذه اللوحات تعبير عن الشوق إلى المطلق ، وحرية لا تنكر قوانين الجمال .

وقد طالعنا صلاح . طاهر في لوحاته التي قدمها لنا في مايو ١٩٦٨ بأعمال تنبهنا من جديد إلى أن عالمنا بكل أشجاره وبحوره وصخوره وجباله وسحبه وكهوفه وبسماواته وأمواجه ولحظات فجره ولياليه وأسمياته ومنحدراته وزواحفه وسدوده ومياهه الزرقاء ، هو عالم مسته عصا سحرية ، وست فيه أنفاس خفية غريبة طاهرة .

ها هو الإنسان مرة أخرى قد انتزع من سخافات كل يوم ، وأخذ بيده ليصعد إلى قمة شامخة ويظل منها على الوجود كله .. عالم مدهش ، دقيق ، مترامى الأطراف ، صنع ليخلد ومع ذلك فهو يتحطم كل لحظة ، ويتحول إلى أشلاء تلتئم وتتماسك لتعود فتكون كلا متكاملا أزليا ، يتخطى حدود اليقين ، عالم تمتزج فيه الرقة بالضراوة ، عالم يتزواج فيه الرعد بأغرودة ، عالم تنبض فيه خلف المادة والنار والهواء ، خلف الظواهر الطبيعية جمعاء ، القوى الديناميكية التي تمنح الحياة وتبعث الدمار في الوقت ذاته ، وبلا رحمة أو رجاء ، وفي لحظة خاطفة هو جاء .

ولكن لا تشاؤم .. لا يأس .. لا استغراق في أفكار سوداء .. لا انغلاق واجترار للأحزان والأوهام .. بل تنبيه إلى القوى الكونية التي يمكن أن تغمرنا ، وأن تدمرنا ، وتذهب هباء ، لو لم ننتبه إليها لم تشخذ كل حواسنا ، لو لم نفت عيوننا لنرى .. لو لم نرهف أذاننا لنسمع .. لو لم نمد أذرعنا وأناملنا لنلمس حتى ما لا يلمس ونمسك ما لا يمسك .

## توسيع الرؤية الإنسانية:

ذات مساء وقفنا نتأمل لوحاته .

قال صديقي : «أتعرف بما تفكرني هذه الأعمال ؟؟ بالموسيقى .

والموسيقى هي أكثر الفنون تجريدية .. بل هي التجريد بعينه .. إنه بنيان متميز عن الواقع .. رغم أنه يعبر عن هذا الواقع .. الموسيقى مخلوق يستمد مقوماته من ذاته رغم أن من المقرر أن كل الأنغام في الموسيقى كعمل فنى :لها أصل في الطبيعة ومقابل .. عندما يمتع الموسيقى أذنك بسوناتة أو سيمفونية أو كونشيرتو فإنه لا يحكى لك واقعة حدثت .. ولا يصف لك قسمت شخص أو نظراته .. ولا يعلق لك على موقف بطولى أو غير بطولى .. إنما هو يستخدم الأدوات والعناصر التي بين يديه ليبني لك عملا فنيا يستمد قوته وجماله من قوانينه الداخلية .



وإذا كنت باعتبارك مستمعا يشرّد فكرك وتنطلق عواطفك وفت غارق فر روعة العمل إلى خيالات تخوض فيها أو ذكريات تستعيدها أو تأملات فهذه عمليتك الذاتية أنت . . ويندر إزاء مقطوعة موسيقية واحدة أن تتحد خيالات أو عواطف أو ذكريات أو تأملات مستمعين اثنين .

هذا الذى نقوله عن الموسيقى يصدق على لوحات صلاح طاهر، مع فارق واحد مستمد من طبيعة الأداء الفنية ذاتها ، فإن اللوحة أداة ستاتيكية بينما الموسيقى أداة ديناميكية . . الموسيقى امتداد للروح فى الزمان . . واللوحة تثبيت للروح فى إطار . . الموسيقى حيز زمانى واللوحة مكانيا .



يجب إذن لتقبل لوحات صلاح طاهر، وبالمثل كل نتاج الاتجاه التجريدى أن نقصى عن اهتمامنا الرغبة فى البحث عن التطابق أو التشابه بين العمل الفنى المعروف والواقع . . أو على الأقل يجب ألا تلح علينا هذه الرغبة إلحاحا مضطردا حتى نحرمانا من متعة التدوق الفنى . ذلك أن تلك الرغبة الملحة يمكن أن تنتهى لتضحى سجنا تحيطنا أسواره . . تضحى نظرة قاصرة تمنعنا من أن برى أبعد من أنوفنا . . فإن عالم الإنسان الحديث قد اتسعت دائرته كثيرا وما عاد الوجود عنده يقف

عند حد التسطيح والظواهر الخارجية .. ما عاد عالمه قاصرا ، إذا ما نظر إلى ما تحت قدميه ، على التربة التي يدوس عليها طالما أن حصيلته من المعلومات أو التخمينات قد أصبحت تعرف الجيولوجيا وطبقات الأرض حتى مركزها ، وإذا ما شخص إلى أعلى ما عاد نظره يقف عند السحب فإن النظارات المكبرة والصواريخ قد حملت عمله أو خياله إلى الأقمار والنجوم والشموس .. وإذا سرح بخياله قليلا في هذا الفضاء الرحيب تلاشت من أمامه مؤقتا كل أهمية كان يعقدها على الرؤيا الملموسة للوجود . لقد قال أحد تلامذة المسيح بعد أن بُعث من القبر أنه لن يصدق أنه المسيح إلا إذا وضع أصبعه على موضع المسامير التي دقت في جسده .. أما الآن فما عادت أناملنا تكفى لتوصلنا إلى المعرفة الكلية أو حتى شبه الكلية .. بل إن الحواس كلها ما عادت تكفى وهذا أخطر ما في الأمر .. ما عاد العقل يكفى .. لقد أصبح الإنسان الحديث في حاجة إلى إضافية لاستيعاب الوجود ، أو إن شئنا التواضع ، لاستيعاب جزء أكبر من الوجود .. ولهذا قفرت إلى ألسنتنا وأقلامنا مصطلحات مثل اللا معقول واللا محدود واللا مكانية واللازمنية ، هذه المصطلحات الحديثة إنما هي دلالات على احتياجات إنسانية جديدة قوامها اتساع أفق المعرفة .

ومع اتساع هذا التيار في المعرفة تسير محاولات في الفن مثل محاولات صلاح طاهر ، ربما كانت المتعة الكبرى التي يجنيها المتأمل للوحات هذا الفنان هو الاقتناع بأن الإنسان في حاجة دائمة إلى أن يجدد نظرتة إلى الوجود ، وألا يترك نفسه فريسة لنظرة قاصرة وضيقة ، هي النظرة اليومية الفاترة الجامدة لما حوله ، وإذا نظر واحد منا إلى شريحة تحت المجهر .. أو إذا ذهب إلى مرصد ليتطلع من خلال منظاره إلى السماء في ليلة صافية .. أو حتى إذا صعد إلى البرج .. لتحطمت صورته التقليدية إلى الوجود .. وإذا جلس في كرسية في أمسية هادئة ليتخيل ما يفعل السد العالي في مياه النيل المحتجزة .. أو أصاغ السمع لهدير الأمواج وهي تدخل الأنفاق .. لاستطاع أن يهيئ مزاجه لتقبل أعمال صلاح طاهر .. وهي أعمال ليس بالهين أمرها ، رغم ما قد يبدو منها في المرحلة الأولى .

ولنقف الآن عند قضية أشمل في التعبير الفني تثير لوحات صلاح طاهر والحركة التجريدية بصفة عامة .

مأساة الإنسان إنه يريد أن يخلق ويتبداع .. أن يأتي بشيء له مثيل سابق .. ولهذا فإن الفنان الحديث لا يحترم كثيرا من يقلد الطبيعة أو يحاكيها .. ما عاد يأبه - إلا فيما

ندر - بذلك الذى يشحذ كل همته لينقل على قماشه أو ورقه . موجودات الطبيعة كما هى . . وبكل حذافيرها .. ويقول ألبير كامى: إن مأساة الفنان أنه يتأرجح بين التاريخ والأبدية .. إنه يريد أن يضع عملا يكتب له الخلود من خلال ما حوله أو ما قبله .. وهكذا الفنان التجريدى يريد أن يتعدى الواقع بحذافيره .. يريد أن يخلص رؤاه من كل ما يمت إلى الواقع بصلة .. ولكن الأمر صعب بل مستحيل .. إنه مثل أسطورة سيزيف الذى كلما وصل بالصخرة إلى أعلى الجبل انحدرت به إلى السفح ، إن على المصور الذى هو قبل كل شيء عين مرهقة أن يصل بتجريداته إلى القمة حتى يصرخ فيه الواقع من خلال لوحته ذاتها : أنا كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون .

فالمصور التجريدى الذى تتحرك يده نى شكل دائرى أو خط أنقى أو تنغمس فرشاته فى لون أحمر . . قد تسأله بحق لماذا تتحرك يدك فى هذه اللحظة بذاتها فى شكل دائرى أو فى خط أنقى ؟ ولماذا تضع فرشاتك هذا اللون الأحمر ، لماذا لم تخط يدك بدلا من الدائرة مربعا وبدلا من الخط الأنقى خطأ متموجا متعرجا ؟

ولماذا اخترت الأحمر ولم تختار الأزرق مثلا؟ هذه الأسئلة قد يضجر منها المصور التجريدى، وقد لا يستطيع الإجابة عليها ، أو ينفر منها ، أو قد يجيب إجابة غير رأى الفنان التجريدى وهواه .

إن المصور مهما أراد أن يتحرر من العالم الخارجى فإنه لن يستطيع أن يتحرر من عالمه الداخلى .. من ذاته .. من عواطفه وانفعالاته وعقله الباطن .. ولهذا عندما يقذف الفنان على لوحاته بألوانه وخطوطه عن تدبير أو غير تدبير هناك قانون أساسى يحدث بمقتضاه الخلق التجريدى . . ولهذا عادت إلى لوحات صلاح طاهر شذرات من العالم الخارجى مكتواه بنار العالم الداخلى .. منصهرة .. مهضومة على نحو خاص .. مبنية ومجمعة بوحى من بصيرة داخلية مرهفة ، بصيرة يمكننا أن نصفها بأنها صارمة ، وفى الوقت ذاته رقيقة ، مثل مزاج بتهوفن الذى يشجينا ويعذبنا . بيكينا ويدفع الابتسامة على شفاهنا فى آن واحد .

## الفنان صلاح طاهر عاشق الحياة والطبيعة والجمال<sup>(\*)</sup>



حين يفخر آخرون بأنهم ولدوا في فهمهم معلقة من الذهب، يقول في صوت هادئ عميق: «من حظي أنى ولدت في بيت فيه مكتبة»

♦ وأمسك طرف الخيط:

كان والده مولعا بقراءة كتب التراث ولا تزال مكتبته يطل منها بعض هذه الكتب في الدين والأدب.

### وكيف نشأ أبوه ؟

ويتهدى إلينا صوته من جديد: كان أبى يحفظنى قصائد الشعراء في الثامنة من عمري ويعطيني تعريفه على حفظ القصيدة (التعريف خمسة مليمات) كثير من قراء اليوم لا يعرفون «التعريف».

(\*) د. نعمات أحمد فؤاد.

أحفظ نعم ولكنى، من المعنى، بعيد، بل كان فى الرابعة من عمرى، يحكى لى حكايات من ألف ليلة وليلة... طبعا متخطيا ما لا يصح أن يقال للأطفال... ألهب خيالى.

ويشاء القدر أن يكون لى أخ يكبرنى بعشرين عاما.. كان الأب الثانى وكان يشجعنى بلا حدود فى الرسم ويحضر لى الكراسات والألوان .

### ويأتى دور الأم:

كانت والدتى لها مقابلة أسبوعية تلتقى فيها بمعارفها وصديقاتها من السيدات... ومن بين هؤلاء، سيدة تركية تجيد العزف على العود وتغنى، وأخرى تغنى تواشيح . هذه الأسبوعيات وصلته بالموسيقى .

### مرة أخرى تعود به الذاكرة إلى هذه الأعوام الخوالى:

كانت والدتى عندها فطرة سليمة... أردت يوما أن أشتري نحلة بعلقة فقالت له : خذ قرشين واذهب إلى الخراط واطلب منه نحلة بعلقة ونحلة بدوارة ولكن اجلس معه وانظر كيف يخرط النحلة.. توجيه عجيب وكان له خال يهوى العزف والغناء وخال آخر يقول الشعر... .

القراءة والرسم... والعزف والفناء والشعر... فى بيت مناخ فنى ترك بصمته فى أعماقه .

### وبصمة أخرى:

كان فى شارع عبد العزيز، المكتبة السلفية، هذه المكتبة لعبت دورا فى صباه فقد كان صاحبها محب الدين الخطيب يستقبل فيها الكتاب والشعراء، كانت تضم فى الداخل صالونا تهوى عقول إليه كل أسبوع .

وكان فتانا يصطحبه والده إليها، وذات يوم دخل المكتبة شاب راجع من إنجلترا اسمه صلاح الدين العظم، فسأل الفتى الواعد السؤال التقليدى:

- عايز تطلع إيه يا شاطر؟

ورد الشاطر: عايز أطلع رسام زى رفائيل .

فالتفت السائل إلى والد الفتى وسأله : كيف عرف رفائيل ؟

قال الوالد: ربما من أخيه .

وسارت الأيام وصار الفتى بدوره شابا وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة العليا سنة ١٩٣٤ وهى نواة كلية الفنون الجميلة فى القاهرة .

واشتغل مدرس رسم فى المنيا الابتدائية سنة ١٩٣٤ ثم فى العباسية الثانوية سنة ١٩٣٦ .

وفى عام سنة ١٩٣٥ عمل معرضا فى نادى المنيا الرياضى .

وفى عام ١٩١٦ عمل معرضا فى الاسكندرية فإذا به يرى فى المعرض ، صلاح الدين العظم .

- فاكرنى؟ لقد صرت رساما كبيرا .

وكان لقاء... إن الأطفال وأمهاتهم حين تسألهم عن رغبتهم ، يقولون على الفور: مهندس... دكتور ولكن الطفل والصبى صلاح طاهر استشرف إلى «الفنان» . لقد اختار .

وفى هذه السن أيضا ، اختار مرقى آخر من مراقى السمو... اختار القراءة حتى التصوف قرأ فيه .

وتحكمت عادة القراءة فيه بدءا من الثانية عشرة .

ومن الطريف أن الذى استهوته القراءة ، وصارت فى قلبه هوى.. والقراءة خلود إلى فكر يتطلب الهدوء .

هذا القارئ الصغير هوى مر القراءة ، الرياضة البدنية العنيفة فى سن الرابعة عشرة ودخل نى مضمار الملاكمة ، وفاز ببطولة مصر فى الملاكمة فى الوزن الخفيف المتوسط عندما كان يافعا (فى سن ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

وحين كان فى المرحلة الثانوية بمدرسة فؤاد الأول أخذ دروسا فى الكمنجة... ويبدو أن أخاه كان يرقب هذه الهواية الجديدة فى رضا وقرر أن يباركها فأهدى إليه كمنجة .

وكان هذه الهدية شهادة وصول فعمل الفنى حفلة موسيقية فى بيت زميله فى المدرسة وإذا به يفاجأ بالأستاذ العقاد الذى كان صديقا لوالد «الزميل» .

وكانت هذه المقابلة فتحة في حياته.

ما إن رأى الفتى الموهوب «الأستاذ» عملاق الفكر العربى حتى وضع الكمنجة جانبا .. لم يعزف ولكن اقترب من العظيم العقاد وقال له :

- إن شوبنهاور كان يعزف كمنجة وعلى الرغم من فلسفته المتشائمة كان يقول : إن الذى يجعل الحياة جديرة بأن تعاش هو الفن .

لقد عرف طريقه ... طريقه إلى قلب العقاد.

نسيت أن أقول إن القراءة أمرى عليه حبها ... لقد كان قبلا قد اشترى مختارات لشوبنهاور فى الإنجليزية وقرأها ...

دعاه العقاد إلى صالون الجمعة الذى يعقد فى بيته كل أسبوع وكانت بداية لها ما بعدما ..

كانا يتناولان العشاء معا . . . وكانا يترضان معا من الثامنة والنصف مساء حتى العاشرة.

كان العظيم العقاد يودع فى رأسه الصغيرة ثقافته الكبيرة العميقة الواسعة .

اتصلت أسباب الشاب صلاح طاهر بالثقافة فى ينبوع ثر الجوانب . . . فى وقت كان أصحابه يسرحون ويمرحون.

يقول الفنان صلاح طاهر: الشباب عريضة ، ولكنه أثر الثقافة وعاشها ثم يقول كمن يتدارك وتغلبه ضحكته المججلة التى يخيل للمرء أنها تنبثق من أعماقه كشلال من البهجة : العريضة موجودة ولكن العقاد فرض عليها الثقافة فغدت عريضة ثقافية .

كان للعقاد فى حياته وشخصيته أثر لا ينسى ، عرف الكثيرين والتقى بالكثيرين ولكن العقاد كان صرحا لا يشائيه أحد .

\*\*\*

توافق لصلاح طاهر ، المدرس ، فى المنيا سنة ١٩٣٤ ، أن قابل شقيق عبد الحليم نورية وأجرا سكنا مشتركا فإذا بالفنان عبد الحليم يأتى ويسكن معهما ، وهنا اقترب صلاح طاهر من الموسيقى.

وفي سنة ٣٩-٤٠ كان مدرسا بمدرسة فؤاد الأول الثانوية عاما ونصفا ثم أستاذا في الدراسات العليا في الفنون الجميلة .

### بصمة أخرى... الأقصر... طيبة أقدم مدينة في الدنيا:

كانت كلية الفنون ترسل أوائل الأقسام في مرسوم الأقصر لمدة عامين، وفي الأقصر قضى الفنان صلاح طاهر أربع سنوات زاهرة من عمره، كان يقضى الشتاء في البر الغربي، كانت حجراته تجاور حجرة المهندس الفنان حسن فتحى، كانت هذه الفترة سياحة للروح والنفس، ذهب يوما إلى وادى الملكات وجلس هناك على ربوة عالية وبدأت أفراح الأصيل ولا أقول الغروب فإن شمس مصر لا تعرف الغروب، ولكنها فرحة في الأصيل وفرحة في الشروق، في هذه الجلسة بأعلى الربوة وجد نفسه والوجود من حوله، أحس أنه وهذه الطبيعة المصرية شيئا واحدا اتحدا، لم يحس بالزمان لحظة ربما طالت، ربما كانت دقائق، لحظة كلما تذكرها قال: تجربة روحية أعيش عليها حتى اليوم .

وتعلم التأمل في الكون... تعلم الخلود إليه والاستغراق فيه فتسكن نفسه وتهدا روحه ويعمر قلبه يقين راسخ أن الله معه.

عرف حلاوة الإيمان، وعرف حاجة الإنسان إلى الله .

ولعل هذه الجلسة أتاحت لنفسه أن تملأ رقة الفجر وطلعة النهار وفرحة النور. واذ تعلق شمسنا في «السمه» ويعمق الصمت، تعلم ارتفاع العظيم على اللغو، وبداع الجميل في الوهج وامتاع الغنى بالقيمة، وارتفاع السخى بالعطاء.

لعله تملأ رقة الفجر يغسل القلب من أتراحه ويغمره بأفراحه . ويهبه النقاء كقطرة ندى والهفهفه كنسمة شذا، والرفرفة كعصفورهم بالتحليق.

في الأقصر وأسوان رسم مئات اللوحات من الطبيعة والنهر والجبل والصفاف .

الفنان في بداياته الفنية يقف طويلا أمام الطبيعة مبهورا بما أبدعه الفنان الأكبر... وهنا يستوحىها ويستلهمها ويستقيها وترشفها ويستمد منها... ويرسم مباشرة وهذا يعطيه مخزونا ومذخورا كبيرا... والتحم صلاح طاهر بالصحرَاء والصعيد والفلاحات والإنسان والمكان .



إن الطبيعة أستاذ كل أستاذ ، والفن إعادة صياغة للطبيعة في الشكل زائدا لإحساس به .

ومنذ القدم أحب المصريون النيل والمركب والأرض والسماء والنبات والحيوان فغنى لهم الشجر وسهر معهم القمر وأعطاهم النيل الخير كله فعاشوا أى عرفوا كيف الحياة لا كمها وأبدعوا الفن وأعطوا بدورهم الحضارة .

وقديما علمت الطبيعة المصرية ، المصرية ، التلوين باللون والظلال والميل كالشمس نحو المقيب والاعتدل كالشمس في رابعة النهار ووهج الظهيرة ، وعلمت الطبيعة المصرية ، المصرية مزج الألوان كزهر الرياض وأفراح الأصيل . وعلمت النفس المصرية الدبيب كالنبته تخرج من الأرض ، والوجيب كالشهقة تختلج في القلب ، علمتها الهمس كوشوشة الربيع للأزهار ، واللمس كبسمة العين للنوار ، ومع هذا لم يكن طموحه راضيا مع أن أشباب عادة ، يملكه غرور يحجب الحقائق ثم تأتي الممارسة فيتحدد الموقع .

ولكن الفنان صلاح طاهر كان في قلبه شوق إلى فوق ، حلم بالإبداع ، والإبداع خلق على غير مثال ، كان يحدث أن يرسم لوحة ثم لا يرضى منها ، فإذا غاب عنها وقتا طويلا ثم عاد فاقترب منها ، أحسها حبيبة إلى نفسه . ولازمته عادة الطموح إلى الأمس حتى في سن النضج كان مع أعماله ، فنانا وناقدا .

كان الأستاذ صلاح طاهر في هذه الفترة يحاضر في الفن إلى أن عين مديرا لمتحف الفن الحديث في القاهرة سنة ١٩٥٣ ، ولكن الوظيفة الإدارية من أى حجم ونوع تستنفده ، وكم أكلت كثيرين وأجهزت عليهم .

كان الفنان فيه يعمل استديو حيث مكتب الوظيفة حتى الوزارة لم تستهوه جاءه منذ بضع سنوات مسؤول يجس نبضه بشأنها ، ولما كان الفنان الحق لا يداجى ولا يتقأماً لأنه الأكرم على شعبه فقد انصرف المسؤول يائسا .

ويضحك العارفون في مرارة لا تخفى ويقولون ليته قيل ووفر على مصر كثيرا من النكبات، تزول المناصب والزيوف ويبقى عطاء الفنان .

وقد أعطى صلاح طاهر كثيرا وطويلا .. لوحات ومحاضرات .. فيوضا، سمعه مرة الفنان جمال السجيني فقال جملة أو تعليقا نمير حياته .. كان صلاح طاهر في

محاضرته يقول إن أول شرط في الفن ، عملية الابتكار فعلى جمال السجيني على الإثر:

- يتكلم عن الابتكار وأسلوبه أكاديمي، ولم يكن جمال السجيني مجتهداً فإن صلاح طاهر كان يعيش وقتئذ مرحلة استهزاء الطبيعة .. وفي الواقع أن الصورة الطبيعية مهما بلغت قد تكون فيها أستاذية ولكنها في النهاية «مهاراة يد» ولو كانت صنعة قادرة متمكنة ، والرجل كما يقول «أنا تول فرانس» هو الأسلوب .

هنا انتقل صلاح طاهر إلى الفن التجريدي... وهو موسيقى العين .

وفي سنة ١٩٥٧ وجهت إليه أمريكا دعوة مع مجموعة من الأقطاب لزيارتها.. ولبي ليري فناني العالم الجديد .



كانت رحلة طوافه زار فيها مدينة «بوسطن» ورأى فيها معرضا موسعا شاملا ، وكان فيها لوحة أمريكية تجريدية جمعت كل الخصائص في الفن الفرعوني والفارسي والغربي والصيني ، كان مقدرا لهذه الزيارة ثلاثة أيام فمكث سبعة أيام ، وحين عاد إلى مصر انتقل إلى التجريد البحت عاما ونصفا ، ولكنه لم يستشعر الرضا .

من جديد لم يستشعر الرضا ، أحس وكأنه يقلد ما رأى فرجع إلى الطبيعة نحو عامين إلا قليلا ، عاد إلى التجريد مرة ثانية ولكن هذه المرة اكتشف نفسه .

وفي سنة ١٩٦٤ عمل معرضا في باريس وفي سنة ١٩٦٥ عمل معرضا في لندن .

وفي العاصمتين الكبيرتين كتب كبار النقاد عنهما .

وآمن أن أقوى ما في الفن . . . الإيحاء . هنا خلود

أى أن الفن سيظل حيا يوحى وبدأ صلاح طاهر يعزف بالخطوط والألوان وغدت لوحاته سيمفونيات .

أبدع صلاح طاهر ستمائة لوحة من حرفين ، هو مجموعة الهاء والواو .

هو . . هو كل شيء وليس كمثله شيء . . يزول كل شيء ويبقى (هو)

٦٠٠ ستمائة لوحة لا تشبه لوحة فيها الأخرى استقلت كل لوحة بالتفرد والتميز والشخصية شكلا ولونا ورسما

٦٠٠ لوحة حشد لها خبراته على مسار رحلة السنين . . . ستمائة لوحة تشهد بأستاديته ورؤاه ، وولد الحلم ، وتحققت الأمنية ، وصار له طابعا ومبهما وأسلوبا .

هذه المرة نقول نحن (الرجل هو الأسلوب)

ووقفت وراءه في قمة النضوج فنونا الثلاثة أودع الفن الفرعوني في كيانه : الرصانة

رصانة الخط الذى عبر به الفنان المصرى محفورا وبارزا ، الفن المصرى

الفرعوني الذى يجمع القوة والرقعة معا في إهاب .

قوى رقيق ... فيه الحقيقيين ..

الزعيم القوى رقيق بشوش . . إنسان الفن المصرى يمزج بين القوة والرقعة امتزاج

نور الشمس والخضرة في الديانة المصرية القديمة .

إن القوة في الفن المصرى ، جلد وإصرار ، وطاقة استمرار . والرق في الفن المصرى راحة وراحة وسلام .

نعم الإعجاز في الجمع بين القوة والدعة .

الحركة في الفن المصرى القديم فيه من خفة ورقة الجناح بينما قبضة اليد فيها من صلابة الحدث ، الفن المصرى قادر من يومه على عكس السكون والحركة في مكان واحد.. قادر على إحياء الصوت والصمت معا .

إنه فن حى لأنه يجمع ما في الحياة من حركات وسكنات وأصوات وصمت وسائر ألوان النشاط فيه حس التنوع والتقسيم الموسيقى .

كان صلاح طاهر يحلم بالابتكار يتشهى الإبداع والفن الفرعونى أهم ما فيه أنه أنشأ نفسه بنفسه كالحضارة المصرية .

الفن الفرعونى فيه الاتصال بالحياة .

الحياة الأولى والحياة الأخرى

الدنيا . . . والدين بهما تعلق القلب المصرى أما الحروب فلم تشغل مصر إلا أن يمس ترابها الرواسب والرواسب الحضارية المصرية ملأت عليه نفسه فامتزج بها كيانه .

وتأثر الفنان صلاح طاهر «بالفورم» الفرعونى . . . بالكتلة . . الكتلة الفرعونية تنبض وتنفض بالحياة . . . الحياة في الكتلة الفرعونية مكتنزة . . زاخرة . . .

إن مصر أستاذة في تحسيس الكتلة أعماق الوجدان ، إن الحجر على يد مصر شفى وخف حتى كاد يبين الفن المصرى يبدو للعين بسيطا وهو أبعد ما يكون عن البساطة المتعارف عليها بساطة (تماسك) و(وحدة الكتلة) و(قرار النغم) .

لن يرتفع فن التصوير في أى بقعة يمن الدنيا كما ارتفع في سقارة ولا يعدلها في هذا، إلا الأقصر وأبيدوس ، وورث صلاح طاهر من رصيدنا في النحت فن القول بالخطوط .. فلكتلة عنده تقول ... ليست صماء أويكماء .. إنها توحى ... والكتلة عنده تتمثل في الجسم البشرى كما تتمثل في التكوين وهو عنده فيه فروق دقيقة، والحضارة هي الفروق والفن المصرى قبل الكل أعطاه فن البورتريه ، ذلك الفن

الذى امتد فى الفن القبطى وجوه الفيوم والبورتريه فى الفن المصرى والقبطى كانا له غذا،وملامة .

أما الفن الإسلامى فقد أعطاه الموسيقى والفن الإسلامى زاخر بالموسيقى ، إنه والموسيقى الشرقية :صنوان الموسيقى فى الفن الإسلامى عمارة مبنية ، والعمارة الإسلامية موسيقى مرئية ، والباب فى الفن الإسلامى ، عزف منفرد ، والفن الإسلامى فى مصر قمة منذ احتضنه بالزينة والتحلية والتنمية فى لمس يقارب الهمس وهو على رفته توثيق وتحقيق.

وترعه بالراح والراحة فيصيد الرى على الحنايا والمنحنيات تبدو معه الأعمدة فى البنيان كأنها سيقان حية مملوءة بالعصارة النباتية . وحين تشرع مصر فى التقسيم يسرى التنعيم فتفنئ القباب والإيوانات بالنقوش والنممة ويحلو الشدو على التريد والتجويد .

والفن الإسلامى فى مصر حين يطعم ويرصع يستجمع خبرات المكان الذى أنطق الحجر ولعب بالذهب ومهر فى التشكيل والتصوير وهنا تخرج المشكاوات المصرية وكأنها صيغت من ضياء الجواهر النادرة فيما بين القصرين مما غدقته ، على الفاطميين ، القاهرة . وبعد فنونا الثلاثة تأتى الفنون العالمية روافد للنهر العظيم .

### ماذا عن الفن اليوم ؟

فيه يقظة وحيوية . . المتلقون زادوا . . الفنانون زادوا . . الفرص تعددت أمام الفنان المصرى بصورة . . لم تكن متاحة فى مطالع القرن العشرين . . ومع هذا فالمستويات الرفيعة ، لها ندرة النفاسة . . وهذا شأنها دائما . . قبل الثورة كان اقتناء العائلات الأرستقراطية ، الفنون ، وجاهة ونعيم غنى وترف قصور . . ولا يتقضى هذه القاعدة ظهور فلتات مثل محمد محمود خليل الذى أنفق كثيرا من ثروته على شراء الروائع الفنية أينما وجدت ثم إهداء متحفه للشعب . . وكان ما كان.

ومثل الأمير يوسف كمال الذى كان يصرف على كلية الفنون الجميلة ، المال الآن فى أيد لا تعرف دور الفن فى الحياة . . سمع الفنان صلاح طاهر عرضا ، منادى سيارات يقول لأحد العمال وقد حال دون خروج السيارات من أحد الأبواب لمدة ساعة : «الساعة دى على بـ ١٢ جنيه» .

وتتم الأستاذ الفنان .. إذن اليوم بكام؟! وتذكر أن أول مرتب تقاضاه من التدريس كان إثني عشر جنيها!!

ويأتى حديث رواء الفنون فى مطلع النهضة المصرية الحديثة ، أحمد صبرى فى البورتريه ، يوسف كمال فى المناظر راغب عيد فى الحياة الشعبية ويصا فى العمارة.

### الجزار فى السيرىالية

حسين فوزى صاحب اللوحات التاريخية، حامد سعيد فى ثقافة الفن وفلسفته ، وىبارك جهودهم المعطاء ويتمثل بقول نيوتن: (إذا كنت أرى أبعد ممن سبقونى فذلك لأننى واقف على أكتافهم)

### دماته ووفاء

الفنان صلاح طاهر فى مرحلة يسمونها (أعلى القمم) يقف وراءه رصيد كبير من الإبداع... ومن التقييم .

مئات اللوحات .. ومئات المقالات أيضا هو كاتبها أو هو موضوعها ، وإذا شئنا التحديد أستطيع أن أقول واثقة أنه كتب مائتين وخمسين مقالة وكتبت عنه ثلاثمائة مقالة ، وعمل مائة وثمانين برنامجا تليفزيونيا ، وأعطى مئات من المحاضرات ، وأقام فى مصر وحدها ثمانين معرضا ، ولعله من القلائل الذين أقاموا معارض فى الأقاليم ، فقد أقام معرضا فى كل من : أسوان - الأقصر - أسيوط - المنيا - بنها - دمنهور - طنطا .

كما أقام المعارض فى البلاد العربية وتحمسوا لها لأنها تجريدية والفن الإسلامى تجريدى زخرفى... ومن هذه البلاد: السعودية - جدة - الكويت - قطر - بيروت ، أما البلاد الغربية فقد زار وعرض فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وفرنسيا، واليونان وأمريكا (سان فرانسيسكو - بوسطن - نيويورك - واشنطن - لوس انجلوس) .

واشترك الفنان صلاح طاهر فى خمسة وستين معرضا مع فنانين آخرين (مجاميع) وقد ألقع الآن عن معارض المجاميع .

ألوان... ألوان من العطاء.

وبمناسبة « الحضور الأدبى » فى مكتبته ، أقول إن الفنان صلاح طاهر أحب الأدب وأحب الموشحات وأحب الموسيقى شرقية وغربية ، والموسيقى وصلاح طاهر فى

صحبة ودود موصولة ، فإذا رسم لوحة شرقية سمع موسيقى شرقية وإذا رسم لوحة حديثة من أى لون ومنحى ، استمع إلى السيمفونيات ، ولهذا يهيمه الحس الموسيقى والشاعرى فى اللوحة فالذى يحرك الوجدان فى رأيه ، وهو صادق : الموسيقى والشاعرية ، ومن مذخوره فى عالم الصداقات الشامخة : الأستاذ العقاد - أم كلثوم - زكريا أحمد - بيرم التونسي - وكثيرا ما كانت تتحلق الندوة .

كان الأستاذ إبراهيم خورشيد يسكن قبالة الفنان صلاح طاهر فهو جار وصديق فما إن يرى الشيخ زكريا حتى يسرى الخبر السعيد فتلتحم العمارتان المتشوقين والمستمعين ، وتمتد السهرة الجميلة الفنية ، كان الشيخ زكريا يصل الساعة الثامنة مساء ويخرج فى العاشرة صباحا من اليوم التالى . وغالبا ما كانت هذه السهرات الممتعة موعدها الخميس من كل أسبوع إلا إذا طرأ طارئ لأحد أقطابها .

ونسأله السؤال التقليدى : ما أعز صورك عندك ؟

فيقول : تظل كل صورة أرسماها عزيزة حتى أتخطاها إلى الألى .

وكيف لا تكون الصورة عزيزة وفيها من كيانه ، فإذا كانت بورتريه ففيها من كيانه وكيان صاحبها ، فقد اتخذ قاعدة فى حياته ألا يرسم بورتريه إلا إذا اقترب من صاحبه ، وسافر فيه ، لأن البورتريه ينفذ إلى الأعماق .

رسم مرة صورة لشخصية عالمية نسائية أوربية فإذا بها قوية الشخصية تصطنع اللطف من باب إضفاء الأنوثة على نفسها ولكن الفنان صلاح طاهر يضحك ضحكته المجلجلة ويقول : هذا البورتريه أتعبنى . . . إنها : ( راجل قوى عامل ست ) .

عندما رسم الرئيس جمال عبد الناصر فى أوج قوته ، لم يكن من السهل التبسط الذى يكشف أبعاد وأعماق الشخصية فتوسل بالحفلات الرسمية للاقترب منه مجرد وسيلة .

بقيت صفحة عزيزة مشرقة من حياة فناننا صلاح طاهر صفحة حميمة تعكس دور المرأة فى هذه الحياة الخصبة المتدفقة العطاء .

المرأة فى حياة الفنان صلاح طاهر تشغل مساحة واسعة وتحتل مكانا مرموقا شيقا ومشوقا . . . فالمرأة فى حياته «أم» و «حبيبة» و «زوجة» كانت فى صورة مشرفة للمرأة ، فقد كان لها دور كبير فى حياته .

كان زواجهما التقاء روح ومشاعر وفن لقد سمعها تعزف سوناتا لبتهوفن على البيانو فبهر بها وانجذب إليها وتقدم لخطبتها .

وكشفت له الأيام فيها ، عن نحاتة رائعة وفي بيتهما الآن بعد رحيلها عصفور جميل نحتته من الحجر الجيري .

ومن صفاتها النوايغ أنها كانت واسعة الأفق فيما يتعلق بعلاقاته الاجتماعية . . . كانت واثقة من مكانها ومكانتها . .

لقد رأيت هذه السيدة الكريمة وأحببتها واتصل بيننا ود صاف . . . كثيرا ما كانت تبسم وهي تحكى لى أخبار المعجبات خاصة وكثيرا ما تنجم من هؤلاء مأزق في بيوت المشهورين ولكن هذه السيدة كانت وكان بيتها واحة وراحة وسحابة غادية ظل ورى ، ومن طرائفها أنها استنت أسلوبا فريدا ، كانت تقول لمن يداعبها : أنا أحب الى ييحه قمة الإيجاز والإعجاز ، وتتنفى المشاكل بل هى لا توجد أصلا ، وتصفو الحياة وتحلو وتستحق أن تعاش ، ورحلت هذه السيدة كنسمة صيف ، ومن رحمة الله بالفنان صلاح طاهر أن الفراغ الكبير الموحش الذى تركته ، استقطبا ابنهما الفنان أيمن ، وهو فنان من طراز آخر إنه يعشق الفوتوغرافيا ، وهى تعشقه فتصاع له وتؤدى عنه وتحقق له أمنية الصورة كما يتمثلها ويتمناها .

ومن خلال هذه الفوتوغرافيا التى وصل بها .أيمن إلى مرتقى عال ، قدم أربعة أفلام غاصت فى البحر وصورت عالمه .

وكما صور أيمن تحت الماء صور الصحراء . . . وكم أعطت الصحراء المصرية للفنان المصرى منذ ناجاها اخناتون وناغها تسابيح وترانيم للخالق الأعظم الذى أبدع مصر على غير مثال واديا وضافا ونيلًا وصحراء وسماء وأرضا وخفضا وقلبا وروحا .

### وتواصل الأجيال:

وتتواصى ، وينجب أيمن ولدين أحدهما يحب الجمال والآخر يحب القراءة والفكر

لقد خلق هذا البيت للفن : أفياء ولألاء . وعطاء.



## اليوجى صلاح طاهر:

اليوجا فى كلمات اتجاه فى الحياة متعددة الجوانب، فهناك اليوجا الجسدية ،  
واليوجا الروحية واليوجا العقلية وأنواع مختلفة أخرى ، ولكن أكثر هذه الأنواع  
رواجاً هو ذلك النوع الذى يحتفى باليوجا الجسدية مع قليل من اليوجا الروحية  
والفكرية.

وقد بدأت ممارسات اليوجا فى الهند منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة، وانتشرت  
رويداً منذ ذلك الحين ، واكتسبت وجوداً واسعاً فى جميع أنحاء العالم فى الوقت  
الحاضر.

وهدف اليوجا هو تكامل الإنسان الجسدى والعقلى والروحى اعتماداً على رياضة  
تحل محل الرياضات المعروفة فى العالم كله ، وتختلف عنها كل الاختلاف.. فهى  
ليست ممارسات بدنية ولكنها شىء آخر ، من حيث الأداء والتناول والنتيجة ، فكل  
حركة فى اليوجا لابد أن تؤدى بتركيز واسترخاء وتصور كامل لنتيجتها على الجزء  
المعنى فى جسم الإنسان ، ويبحث تكون هناك علاقة بين الحركة المعنية والجزء  
المراد تغذيته أو تصحيحه.

## صلاح طاهر واليوجا:

وقد تعرف الفنان صلاح طاهر على اليوجا قبل ٤٠ سنة ، حين تصادف وجود أستاذ  
هندي فى اليوجا (جورو) فى نادى الجزيرة ، وكانت فرصة ذهبية لتلقى الدروس على  
يد هذا الأستاذ خلال دورة استغرقت شهراً .. لكن الممارسات والدروس تعاقبت  
بعد ذلك ، واستكملها الفنان أساساً عن طريق.

ويمارس الفنان صلاح طاهر اليوجا الجسدية مع اليوجا الروحية منذ ذلك الحين  
بصورة مستمرة ، ولكن المشاغل الكثيرة التى تتزايد مع السنين تعوقه فى بعض  
الأحيان عن ممارسة هوايته المحببة ، الأمر الذى يضايقه وينال من راحته ، لأن  
الممارسة المنتظمة لليوجا تثير له الاستقرار الفكرى والنفسى والجسدى والتكامل ،  
والاتزان الذهبى بين هذه العناصر جميعاً.

## اليوجا والفن:

وهناك علاقة وثيقة بين اليوجا والفنون ، ذلك أنه بعد حوالى ساعة من النشاط  
البدنى لا تكتمل ممارسة اليوجا إلا بالتأمل ، ومن هنا تربي اليوجا كثيراً القدرة على

التأمل ، وهذه القدرة تفيد كثيرا في ممارسة الفنون ، لأن التأمل عنصرًا أساسيًا في كل فن من الفنون ، وبشكل مكثف في المراحل الأولى السابقة على التنفيذ ، ربما قل رويدا مع اقتراب العمل الفنى من الاكتمال .

هذا كما أن 'اليوجا تجعل الإنسان يقظا لنبض الوجود حوله ، بل وتوحده مع هذا الوجود ولا جدال في أن ذلك ينعكس ، مثله مثل حالة التفاؤل التى تغمر ممارس اليوجا فى جنبات وروح العمل الفنى وتوجهه العام .

واليوجا وإن اختلفت عن الخبرات الصوفية فإن فيها جوانب روحية كثيرة مما فى الصوفية ، كما أن لليوجا علاقة بما يعرف بالقدرات الخارقة فهناك بين اليوجيين من يأتون بأشياء لا تصدق فى مختلف تجليات القدرات الإنسانية مثل ذلك الرجل الذى حافظ على حياته حوالى ٤٠ يوما وهو مدفون فى باطن الأرض ! ومثل ما نسمعه كثيرا عن قدرات التخاطر والجللاء البصرى والاستشفاف ولكن التحلى بمثل هذه القدرات يتطلب تدريبات وقدرات خاصة .

غير أن هناك عناصر من عناصر اليوجا يمارسها الإنسان ضمن ممارسته العادية ومنها كثير من الجوانب الحركية والقولية فى العبادات ، وهناك يوجا للمسنين تختلف عن يوجا الشباب وكذلك يوجد يوجا للأطفال ( قبل البلوغ ) ، ورغم أن اليوجا خبرات ثابتة فهناك اتصال مستمر فى تفسير هذه الخبرات ونتائجها .



## صالون أدبي وثقافي بالمنصورة سنويا ينعقد في ذكرى أم كلثوم



احتفلت المنصورة بذكرى أم كلثوم ، وهو تقليد يتم في كل عام وفاء لذكرى مصرية عبقرية يعرفها العالم بأسره ، كأن صوتها ولازال يملأ الأسعاع ، كما حققة للغة العربية رواجاً بين العامة والخاصة ، من خلال قصائدها التي ترنمت بها وتغنت بها ومنها نهج البردة ، ولد الهدى ، رباعيات الخيام، مصر تتحدث عن نفسها وغيرها.

والاحتفال في حد ذاته يتيح نوعاً من التفاعل الثقافي بين أدباء الدقهلية ونظرائهم ، خاصة الشعراء والباحثين ، حيث تضمن احتفال هذا العام مشاركة عدد من الشعراء في أمسية شعرية من بينهم فؤاد بدوى ود. كمال نشأت وأحمد سويلم وعبد العليم القباني وحياة أبو النصر ، فضلاً عن عدد كبير من شعراء المنصورة ، وكلهم تقريباً ألقى شعراً عاطفياً أو سياسياً، ولم نجد بين الشعراء من يهتم بالمناسبة التي من أجلها أقيمت الأمسية، سوى شاعر مخضرم من المنصورة هو محروس السلاموني وزجال من المنصورة عبد العزيز ملحه.

أيضا قدمت فرقة الموسيقى العربية بقيادة سليم سحاب حفلاً فنياً قدم فيه عدد من الأصوات الواعدة ، والتي شدت بأغاني أم كلثوم في محاولة أن نرى من بينهن واحدة ربما تملأ الفراغ وهذا الغياب الذي نشعر به ، وعلى مدى ستة عشر عاماً ، وليس بعيداً أن يكون ذلك قريباً ، فالدقهلية أنجبت عشرات الأعلام نذكر منهم على

سبيل المثال لا الحصر : على مبارك ، أحمد لطفى السيد ، د. محمد حسين هيكل ، محمد التابعى ، المثال محمود مختار، المهندس أحمد عبده الشرباصى ، زكريا الحجاوي، على محمود طه ، كامل الشناوى ، محمد عبد المعطى الهمشرى ، أحمد حسن الزيات ، والإذاعى محمد فتحى ، والعالم الجليل محمد متولى الشعراوى .

لم يتوقف المهرجان عند تسجيل أسماء وقصائد على المستوى الرسمي، وإنما انفعَلَ الأدباء والشعراء بالمناسبة واعتبروا مهرجان أم كلثوم مناسبة قومية، حتى وإن لم يتوافر تقديم أعمالهم خلال المهرجان، ففي دراسة أعدها ممدوح المغربي عن أم كلثوم تناول من خلالها حياتها جوانب غامضة لم يتطرق إليها غيره من قبل، فبدأ كتابة كيفية اكتشاف تاريخ ميلادها الحقيقي في ٤ مايو عام ١٩٠٤، كما أفرد فصلاً بعنوان أم كلثوم والإسلام، وذكر جانباً مهماً عن حياتها في تلك الفترة، تحدث عن أساتذتها في حفظ القرآن والإنشاد الدينى وعى رأسهم الشيخ أبو الفتوح الشرقاوى، كما تحدث عن علاقتها بشيخ المقرئين محمد رفعت ، وكيف كان يؤدى أغانيها في جلساته الخاصة ، وعلاقتها بوزارة الأوقاف وشراء المصاحف وإهدائها للمساجد .. أيضاً تحدث عن كيفية انتقاء أم كلثوم لأغانيها الدينية، وحرصها على الألفاظ المؤدية لما تحس به، حتى لو اضطرها إلى تغيير لفظة، وحدث ذلك في نهج البردة والهمزية ورباعيات الخيام وسلوا قلبى وإلى عرفات الله.

ونقف عند شاعرية أم كلثوم لنثبت هذه القصة الطريفة التى ذكرها الكاتب، حيث ذكر أن أم كلثوم ردت على الشاعر حسن الحطيم حينما كان عضواً بنادى التجاريين بالقاهرة، ورفض أن يدفع جنيهاً ونصف ثمن تذكرة حفل أم كلثوم بالنادى ، وقال لبعض أصدقائه: إنه سيدفع بعض مليمات ثمننا للكهرباء ويسمعها عبر الإذاعة ، ويشاء القدر أن ينقل هذا الحديث لأم كلثوم ، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى نقابة التجاريين فى إحدى المناسبات، وطلبت من لشاعر حسن الحطيم - بعدما أخرجت ورقة مالية كبيرة من حقيبتها - أن يعطيها جنيهاً ونصف الجنيه لكى تكافئ العمال، فدفعها الشاعر، ولم يدر بخلده شيء ما ، حتى تبين له أن أم كلثوم ترد عليه فيما سبق أن قاله بظرفها ودعابتها المعهودة ، فأمسك بقلمه وكتب لها قصيدة يطالبها بماله وفوائده يقول فيها :

قلت التى بغنائها سلبت قلوب السامعين      لاتسليهم ما لهم بوشاية المتمردين

يكفيك أنك قد ملكت عقولهم لو تعلمين  
يدع العنيد مسلماً والصلب من عجب يلين  
إني حلفت عليك من دعوات موتور حزين  
ثم ابغى لى بالنقود لكسبى دنيا ودين

وما إن وصلت الرسالة إلى أم كلثوم حتى ردت عليه بنفس الوزن والقافية، تقول فيها:

عجباً تطلبني وأيسم الحق من منا المدين  
أنا التي أشقى لكسب العيش من عرق الجنين  
أم أنت حين تعيش محظوظاً بالآخرين  
وترى سماعي و«دون» بالشمال أو اليمين  
وأخذت حتى بعد جهدي ثم صرنا خالسين

تضمنت الدراسة أيضاً علاقة أم كلثوم بشعراء مصر، وذكائها المفرط ودعابتها التي لم تكن تفارقها أيضاً، كما تناول علاقتها بشوار يوليو، ودورها الكبير بعد نكسة عام ١٩٦٧.

والشعراء الذين تناولوا أم كلثوم في أشعارهم من المنصورة كثيرون، ومنهم الشاعر محمد محمود عبد العال، الذي كتب أكثر من ثلاثة دواوين منها في محراب أم كلثوم، وكتب مقدمته الشاعر الراحل أحمد رامى وديوان آخر صدر عن المجلس المحلى بالسنبلاوين منذ فترة.

وفي هذا العام يطل علينا الشاعر محروس السلاموني من خلال قصيدته بعنوان «كوكب الشرق» والتي نجتزئ منها هذه الأبيات:

يا أم كلثوم وإن غادرتنا  
وهجرتنا يا بلبل الأيك الذي  
أعيت سلطان البيان فخانني  
يا من جعلت الليل في ظلماته  
قد أقبل الليل الذي ضمنا  
رهن الشجون ودأبى العبرات  
قد كان بدمرا يؤنس السهرات  
أما القريض فصار غير مواتي  
عذباً شجياً عاطر النسفات  
يجبى الفؤاد الصب بالهمسات

نادى من الغيب الغفلة ترنا كأس المنى قدم إلى وهات  
إلى أن يقول:

يا بنت مصر لك الجميل صنعة أسديته في أحلك الأوقات  
جيت البسيطة بالغناء تطوى لناء جيش صادق العزمات

أما الأديب فؤاد نور فقد كتب مسرحية بعنوان «سفيرة من طماي» تناول فيها حياة أم كلثوم من مولدها حتى وفاتها، والجديد في هذه المسرحية أنه اتصل بأهلها ورفاق عمرها في طماي الزهايرة، وأخذ عنهم الكثير من المعلومات التي اعتبرت مرجعاً هاماً لهذه المسرحية.

والجدير بالذكر أن محافظ الدقهلية قد أعلن خلال مهرجان أم كلثوم أن عام ١٩٩١ هو عام القرية والتي ينبغي أن نوجه إليها قوافل الثقافة والعناية بها، وأن العام الماضي كان عام الثقافة، وحقق إنجازات صيبة، وكل ما نرجو أن يحظى الدكتور منصور فهمي ابن قرية شرنقاش بالتكريم هذا العام، فهذا الرجل له فضل كبير على قريته، حيث حرص في حياته على أن تنتهي الأمسية بين أبناء بلدته، في الوقت الذي وصلت فيه نسبة الأمية الآن على مستوى مصر أكثر من سبعين في المائة، فضلاً عن أن الرجل جهوده على المستويين الثقافي والفكري، غير جهوده البارزة بالمجمع اللغوي.

ونحن ننتظر هذه القوافل الثقافية التي تنطلق في ربوع قرى محافظة الدقهلية التي ازداد عدد سكانها ليصل إلى خمسة ملايين نسمة، بقيت ملاحظة أخيرة وهي أننا في كل عام نكتب آراء وكلاماً كثيراً حول أم كلثوم.. ولعل أفضل تكريم لها هو عمل مشروع متكامل إما في المنصورة أو في قريتها طماي الزهايرة، يتضمن تراثها الغنائي وكل ما يهم النارسين للتعرف على شخصيتها الفذة، لتظل ذكراها ماثلة حية أمام الأعين، بدلا من كلمات وقصائد تنوّه في زحمة الحياة، وفي ظل ظروف متغيرة.

# الأخبار

الثلاثاء ٢١ فبراير ٢٠١٢

د. وسيم السيسى صاحب الصالون الأدبي الشهير بالمعادي  
محاولة لمعرفة أفكاره كأديب وعالم (\*)



---

(\*) حوار معه في جريدة الأخبار - ٢١/٢/٢٠١٢.

---

جينات مصرية تجرى في دمه .. مهموم بحال وطنه مثل ملايين المصريين.. يتابع عن كثب كل ما يحدث في أرض الكنانة ليس فقط لأنه مصرياً ولكن لأنه عالم، وباحث في علم المصريات.. الأمر الذي ساعده على استخلاص من الدروس والعبر وتحليل الأوضاع السياسية في مصر تحليلاً دقيقاً، إنه المفكر وأستاذ المسالك البولية وعالم المصرية الدكتور وسيم السيسي الذي أكد أنه لا مفر من تطبيق القانون في مصر لأنه بدون تطبيقه ستتحوّل مصر إلى دولة رخوة كما أكد أن الدستور يجب وضعه أولاً قبل انتخابات الرئاسة حتى لا نجد أنفسنا أمام ديكتاتور جديد ، أشياء كثيرة تطرق إليها الدكتور وسيم السيسي في الحوار الآتي.

\*\*\*

■ كيف ترى وضع مصر السياسي الآن في ظل ما تشهده من اضطرابات؟

ما نحن عليه الآن بمثابة شلل رعاش فكل شخص يتحدث في اتجاه بمفرده حتى الحزب الواحد يصدر اليوم تصريحاً ، ويخرج في اليوم التالي بتصريح آخر معاكس، فما بالنا بالأحزاب المختلفة بينها وبين بعضها وبينها وبين المجلس العسكري.. فياليتنا وصلنا لمرحلة الشلل النصفى فهو أمر ون يكون فيه بعض الأعضاء قادرة على الحركة بينما الأخرى متوقفة ، بينما الرعاش العكس وهو أشبه بحالنا الآن.

■ كيف ترى قرار انسحاب د.محمد البرادعي من انتخابات الرئاسة؟

أرى أنها خطوة صائبة جداً ، وإن كانت جاءت متأخرة بعض الشيء، فمن وجهة نظري أن الوضع أصبح غريباً للغاية ، وغامضاً وأشبه بما تم في الانتخابات البرلمانية والتي كان تحفظي عليها أنها كانت حرية مقيدة فكثيراً من المواطنين نزلوا خوفاً من تطبيق الغرامة عليهم ، وبالتالي أجبروا على التزول فكانت هناك شرائح غير قادرة على الانتخاب مثل كبار السن والمرضي.. ويضيف فمن الأفضل للدكتور البرادعي أن يظل في الميدان وسط الثوار ليحمي الثورة الدين لي عندهم عتاب فكان يجب عليهم أن يختاروا رمزاً واحداً ليتحدث بأسمائهم سواء كان الدكتور البرادعي أو غيره ممن يختارونه، فعندما نذكر ثورة ١٩ نقول: سعد باشا زغلول ، وهكذا كان يجب أن تكون ثورة ٢٥ يناير، فجسم الإنسان بما يحويه من أجهزة معقدة وخلايا تتعدى ٦٠ بليون خلية يعبر عنها في النهاية جهاز واحد وهو الفكر ممثلاً في اللسان.



## البرلمان .. ماله وما عليه:

■ البرلمان المصري كيف ترى ما له وما عليه الآن؟

أخطر جهاز في المؤسسات هو المؤسسة التشريعية وللأسف في البرلمان السابق كانت هناك نماذج أقل ما توصف بها أنها لا تستطيع القراءة أو الكتابة فكيف لشخص مثل هذا يحاسب وزير أو يواجه مسؤول، فهذا المجلس الذي خرج منه إسماعيل باشا من ١٢٠ عاما وتمت محاسبته حسابا عسيراً يجب أن يتم اختيار أعضائه بدقة وشفافية، فم منذ ٥٠٠ سنة قبل الميلاد في اليونان كان يشترط على المرشح أن يكون تعدى الأربعين ليكون لديه وعى سياسى وأن يكون حاصلا على الدبلومة وهى أعلى درجة أكاديمية لأنه سيمثل الشعب لذا وجب أن يكون ناضج بما فيه الكفاية، فأتمنى لو تم تطبيق ذلك هنا.. مضيفا: إننى لن أنسى في إحدى جلسات مجلس الشعب كان فتحى سرور يبلغ الأعضاء بأن الاجتماع القادم سيكون يوم الأربعاء وقبل أن ينهى حديثه كرر الأعضاء جملتهم الشهيرة (موافقون..موافقون) مما رسم لدى العديد من علامات الاستفهام والدهشة.

■ وبأى صورة تود أن ترى البرلمان المصرى الحالي؟

أثناء تواجدى في إنجلترا كنت أواظب كل يوم أحد على حضور مجلس العموم البريطانى وبالمناسبة أى شخص يستطيع الحضور ما عليه سوى ملء استمارة خضراء فقط. وكنت أدهش مما يتم اثناء الجلسات وفي إحدى المرات التى لا تنسى قامت عضوة تدعى باربرا وهى من المعارضة بالوقوف أمام رئيس الوزراء وأخذت في الهجوم عليه لقيامه باقتراح مشروع قانون يحجم الاعتصامات واضطرابات العمال واتهمته وقتها بأنه صاحب قدم سوداء وهى تعنى أنه خائن للوطن فى لغة عمال الفحم ، وبالفعل وبعد مهاجمة شرسة تنازل رئيس الوزراء عن مشروعه بسبب التصويت ، وعندما أكد له رئيس الجلسة أن تواجده فى المجلس للاستجواب على طلبات الشعب، فما أطلبه ألا يقتصر استيرادنا على التكنولوجيا فقط بل ليس هناك عيب أن نستورد نظام حكم يعمل على إصلاح أحوال بلادنا.

## انتخابات الرئاسة:

■ من مرشحك القادم لانتخابات رئاسة الجمهورية؟

ليس هناك اسم بعينه وقع عليه اختياري حتى الآن، فأى شخص جيد قد يصبح سيئاً لو أعطاه الدستور صلاحيات وسلطات مطلقة ، فكما يقولون (سلطة مطلقة تعنى مفسدة مطلقة)..وأى شخص جيد قد يصبح فاسداً بدستور جيد يحكم صلاحيات الرئيس سيكون رئيساً جيداً، فانا لا يهمنى الشخص بنفسه ولكن الأهم الرسم الهندسى الذى أبنى عليه ليخرج البناء سليماً.

■ هل أنت من مؤيدى وضع الدستور أولاً أم انتخابات رئاسة الجمهورية؟

بالطبع أنا أرى أن الدستور يجب أن يكون أولاً وجميع شيوخ الدستور نادوا بذلك ولكن بدون فائدة، فانا لا يهمنى من يأتى ولكن يهمنى الدستور لأنه هو الذى سيتحكم بالقادم، فنحن لا يمكن أن نقارن بين شخص وآخر ، ولكن نقارن دستوراً بدستور..ونحن لدينا بالفعل دستور عظيم وجاهز من أروع انجازات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والذى جاء فى عام ٥٤ حيث قام مجموعة من الجهابزة على رأسهم السنهورى باشا و ٥٠ من علماء و عظماء مصر وأجروا بعض التعديلات عليه و أصبح دستور ٥٤ وقد ذكر لى الدكتور ابراهيم درويش فى أحد اللقاءات أنه قام بإعطاء الرئيس الراحل أنور السادات دستور ٧١، ولكنه للأسف قام بإجراء تغييرات كثيرة به ليخرج بصورة أخرى تماماً، فنحن يمكننا الاستفادة من الدساتير السابقة مثل دستور ٥٤ وفى وقت قصير بدلا من الخروج بدستور بدون بناء. وحتى لا نصنع ديكتاتورا آخر.

### المجلس ومقاليد الحكم:

■ ما تقييمك لأداء المجلس العسكرى خلال لفترة الماضية ؟

المجلس العسكرى بيده مقاليد الحكم الآن فهناك إيجابيات بالطبع ، ولكن للأسف هنا رصد لبعض السلبيات أيضا على رأسها محاكمة الأشخاص المدنيين أمام محاكم عسكرية ، فهناك أكثر من ١٢ شخصا كثيراً منهم من الثوار تعرضوا لذلك فى الوقت نفسه من يستحق المحاكمة أمام محكمة عسكرية يحاكم أمام قاضيا مدني، بالإضافة أنه حتى الآن لم نسمع عن تطبيق عقوبات على بلطجى من الذين تم القبض عليهم.

■ يدعى البعض أن ما حدث انتفاضة وليس ثورة ..فما ترد على ذلك؟

أرفض هذا الوصف نهائياً فهي ثورة وبكل معانى الثورة ويجب ألا تسرق منا وميزة الشعب المصرى أنه حتى لو مر مرحلة إحباط مؤقت فانه يقوم مرة أخرى ولا يستسلم كالكسر المؤقت فقط..وكان التاريخ يعيد نفسه عندما قام عرابى بثورته وجعل المصريين يدخلون الجيش بنسبة أعلى وجعلهم يلتحقون بالوظائف العليا فى نفس الوقت الخديو توفيق مع بعض رجاله بتدبير المؤامرات للقضاء على هذه الثورة ومن حاولوا غشه وخداعه ومن هنا جاءت مقولة أن (الولس) سرق ثورة عرابى أى الغش والخداع وهو ما يجب ألا يتكرر.

■ ما تقييمك لإسرائيل حالياً وخوفها من الثورة؟

ذكر أحد المفكرين الإسرائيليين أن قوة إسرائيل لا تكمن فى سلاحها النووى ولكنها تعتمد على تفتيت الدول الكبرى الموجودة حولها مثل مصر والعراق وإيران..وأكد أن نجاحهم فى هذا الأمر لا يعتمد على ذكائنا ولكن على غياب الطرف الآخر..ولكن أحب ان اؤكد إننا شعب عظيم ولكن المتحالفين مع الصهيونية العالمية وعلى رأسها امريكا هم من ساعدوا فى حدوث هذا التفتت ، فمبارك الذى باع الغاز لاسرائيل بأرخص الأسعار بدلا من أن يجعل شعبه يستفيد به والذى كان مفترضا أن يحب بلاده كان هو أعدى أعداء بلاده.

■ هناك قوى تسعى إلى إفشال الثورة هل هى داخلية أم خارجية؟

على مسؤوليتى أنه وفقا لنظرية التفتت التى تعتمد عليها الصهيونية الأمريكية فإنها مع بعض الدول العربية تحاول العبث بأمن مصر واستقرارها ولكنهم لا يعون أن أى توتر فى مصر سيؤثر على المنطقة العربية بأكملها..وأقول لهم ارفعوا أيديكم عن مصر فنحن لن نكون لبنان (فلبنة مصر) لن تحدث لأننا شعب عظيم ويد واحدة ولن نستطيع أحد زرع الفتن بيننا فأحدى الباحثات فى علم الضفائر الجينية قامت بأخذ عينات من كافة القرى والنجوع حتى أسوان من مسلمين و مسيحيين ووجدت أن ٩٧٪ من الضفائر الجينية واحدة، لذا فتقافة الرمل لن تستطيع هزم حضارة النهر.

إذا ليس هناك أى تخوف لديك من القوى الخارجية؟

لا أخشى أى جهة لأن مخزون الحضارة لدينا يستطيع أن يتغلب على مثل هذه العقبات فهي مثل الفقاعة بالنسبة لى، فنحن نتاج مخزون حضارى عمره ٧ آلاف سنة

ويسبقه سعى حضارى ١٥ ألف سنة والفرق بينهما أن السعى هو حضارة غير مكتوبة وحين يبدأ التدوين تبدأ الحضارة وهذا دليل على عدم قدرة أحد السيطرة علينا أو حتى التأثير علينا.

### مفاهيم.. مفاهيم:

■ من وجهة نظرك ما الفرق بين المصلح والسياسي؟

المصلح شخص عينه على شعبه حتى وإن فقد عمره والسياسي عينه على مصالح كرسية حتى وإن تعارض مع مصالح شعبه ، ولذلك يقول تشرشل: إن (السياسة لعبة قدرة).

■ من السبب في زرع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين في مصر؟

الدولة هي المسؤولة عن ذلك فالمسلمون (غلبة) والمسيحيون (غلبة) ، ومن يقومون بمثل هذه الأفعال لا يفقهون شيئاً ، فكما قال لامبروزر: إن المجرم الحقيقي هو المجتمع ، وما تصنيف هؤلاء المساكين الذين يقومون بهذه الأفعال إلا أنهم أداة للمجتمع.. ويضيف الإنسان محصلة لثلاثة أشياء الجينات، الزمان والمكان فكل شخص هو محصلة هذه المعادلة، لذا على الدولة أن تضرب بيد من حديد على أى شخص خارج على القانون.

■ ما رأيك عن الشكل الذى تجرى عليه محاكمات رموز النظام السابق؟

هذه ليست محاكمات ولأنها مضيعة للوقت من أجل إرضاء الجموع ولكنها غير راضية.. ليس هناك بلد تقوم على حضارة بدون عدالة، فعالم الاجتماع (جنار بردات) حاول معرفة العامل المشترك للفقر والجهل في الدول النامية وتوصل لأنها (الدولة الرخوة) وتعنى التى ليس بها سيادة قانون وبالنظر إلى حالنا وجدنا أن أحدث إحصائيات وزارة العدل تؤكد وجود ١٨ مليون قضية ، وكما قال (جنار بردات): إن تطبيق سيادة القانون تعرف بـ ٣ عوامل عدد القضايا بالنسبة للسكان، سرعة البث في الأحكام ، وقدرة الدولة على تنفيذ الأحكام، مضيئاً: إن في أمريكا والدول الأوروبية القانون هو القانون وريشة العدالة التى يضعها هناك القاضى والملك أصلها من هنا فهى التى كانت توضع عند الفراعنة في كفة وقلب المتوفى في كفة أخرى، وأخشى ما أخشاه أن نتحول لدولة رخوة.

## رواد التنوير<sup>(\*)</sup>

قال صاحبى: تنهض الدول برواد التنوير الذين يضيئون المساحات المظلمة في العقل المجتمعى، وكان منهم فى أوروبا: فولتير، وروسو، وديدرو، وكانط، وطبعا كان قبلهم فرانسيس باكون، وديكارت. كما ظهر فى مصر الحديثة، رفاة رافع الطهطاوى، والشيخ محمد عبده، وقاسم أمين، والشيخ على عبد الرازق، والدكتور طه حسين، والدكتور لويس عوض، وسلامة موسى، وأحمد لطفى السيد، وفرج فودة... وغيرهم كثيرون، ترى من هم رواد التنوير فى مصر الفرعونية وماذا قالوا؟!

قلت: حضارة مصر القديمة قامت على عدالة الحكام، وأخلاق الشعب، لتجد إلى جانب الأنبياء مثل إدريس والخضر ولقمان، هناك حكماء مثل: كاجنى، وبتاح حتب، وإيبور، وآنى، وخيتى، وأمنونى، الذى أخذ اليهود نصائحه وتعاليمه ونسبوا لأنفسهم.

فى سفر الأمثال فى العهد القديم هو ذا عالم المصريات الأمريكى جيمس هنرى برستد يقول: النسخة العبرانية من سفر الأمثال إنما هى ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى. ويعطى مثلاً لذلك، تجد النص المصرى القديم يقول: أمل أذنك لتسمع أقوالى، واعكف قلبك على فهمها، لأنه لا شيء يفيد إذا وضعتها فى قلبك.

ثم اقرأ فى سفر الأمثال: أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتى، لأنه حسن إن حفظتها فى جوفك (أمثال، ٢٢).

هو ذا بتاح حتب فى عصر الملك آسيس «الأسرة الخامسة»، يخاطب مليكه قائلاً: العدل عظيم، والظلم ليس من شيم الكرام، لا تنشر الرعب بين الناس، لا تؤلب نبيلاً على نبيل، كن عطفوا عندما تسمع لشكوى مظلوم، كن به رفيقاً به ولحاجته قاضياً، ولظلمه رافعاً، كن فناناً حين تتحدث، فاللحلام أصعب من أى عمل آخر.

أما الحكيم أيبور... فهو يوجه كلماته إلى الملك بيبى الثانى... آخر ملوك الأسرة السادسة، حين اضطربت البلاد اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً، اضطراباً شديداً،

(\*) رواد التنوير د. وسيم السبي.

وهو ما نسميه ببداية عصر الاضمحلال ، هذه الفوضى التي استمرت حتى الأسرة العاشرة ، هو ذا يقول : لقد امتلأت البلاد بالعصابات ومن يتهبون انتشروا في كل مكان ، لقد أصاب البلاد الدمار ، والأطفال يقولون : ليتنا لم نولد . إن الحاكم الصالح هو من يطفى اللهب «الحريق الاجتماعي» ، ويرعى كل الناس ، ولا يحمل في قلبه شرا .

لديك الحكمة يا مولاي ، ولكنك تترك الفساد ينتشر في البلاد ، والواحد يضرب الآخر ، والبلاد تشتعل ، والناس على شفا الهلاك ، ومن حولك يكذبون عليك ، وأنت قابع في قصرك يشملك هدوء غريب ، تصدق الأكاذيب ولا تحرك ساكنا!

يستطرد هذا الحكيم قائلا: هرب العلماء والحكماء وتركوا البلاد ، من كانوا بداخل القصور أصبحوا في الشوارع ، ومن كانوا في الشوارع احتلوا القصور ، طرد القضاء من على المنصة ، ومن كان يرتق الأحمية أصبح فوقها!

أما نصائح خيتي لابنه بيسي ، والتي وجدت في برديتي ساليه Saller ، وانسطاسي ، المحفوظتين بالمتحف البريطاني: إنه ينصح ابنه أن يكون قارئا للكتب ، وأن يعمل بمهنة الكتابة ، فيقول له : ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك . وليتني أستطيع أن أريك جمالها ! إنها أعظم من أي شيء آخر! انظر . . إنه لا توجد مهنة من غير رئيس إلا مهنة الكاتب فهو رئيس نفسه ، ولا يراسه أحد .

أما نصائح الملك نب كا ورع إلى ابنه ولي العهد مري كارع ، فهو يقول له : أحسن الكلام ، فقرة المرء في لسانه ، والكلام أقوى من الحرب والقتال : إن العظيم يعد عظيما حين يكون مستشاريه عظماء ، أقم الحق والعدل طول حياتك ، لأنه غبي ذلك الإنسان الذي لا يكثرث باليوم الآخر ، خذ حذر من أولئك الآسيويين التعاء ، أقدامهم في تجوال دائم : وهم يقاتلون منذ عصر حورس ، وهم لا يعلنون أبدا عن يوم القتال . . شأنهم في ذلك شأن رئيس عصابة اللصوص ! وأخيرا قدم يا ولدي فروض الطاعة والإجلال لله ولا تعتقد أنه ينسى !

قال صاحبي: هذه التعاليم العظيمة ، لماذا لا يتعظ بها الناس ؟ قلت : لأن شهواتهم وأطماعهم أقوى ، وهم لا يتعلمون إلا بالتجارب الشخصية ، لذا قالوا: تجربة أمتي تجربة علمتي ، وعلى كل فالعاقل من اتعظ بغيره . . والشقي من اتعظ بنفسه .

## الحسد والخززة الزرقاء<sup>(\*)</sup>

قال صاحبي: جاء ذكر الحسد في الكتب المقدسة .. كما ذكر عالم الاجتماع ابن خلدون أنه قد شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف ونعجة نظرة خاصة ماتت على الفور، وعندما قاموا بتشريح بعض هذه النعاج، وجدوا قلوبها قد تهكت، وكأنما أصابتها مجموعة من السهام!

ولعلك تذكر صديقنا المشترك جورج سيدهم، وكيف قص علينا قصة هذا الرجل الذي كان يضع غطاء على إحدى عينيه .. وكأنه موسى ديان، فلما سأله جورج عن سر هذا الغطاء .. رغم سلامة عينيه، فكان الرد: لأنها العين الشريرة!

فما سأله: كيف؟ قال الرجل: ابتعد عني قليلا، ورفع الغطاء عن عينه، ونظر إلى قلة ماء على الشباك، فانفلقت القلة إلى اثنين! وسال الماء .. ومنذ ذلك التاريخ وجورج سيدهم يخاف أن يلقاه!

استطرد صاحبي: وسؤالي: هل كان الفراعنة يؤمنون بالحسد؟ وما هو التفسير العلمي لهذه الظاهرة الشريرة؟

قلت: تعريف الحسد تعنى زوال النعمة عن إنسان آخر، والحسد عرفه قدماء المصريين، وكانوا يحمون أنفسهم منه بالخززة الزرقاء التي تمتص الطاقة الشريرة من عين الحاسد، والخمسة وخمسة، لأن الرقم خمسة كان مقدسا، وخمسة بالمصري القديم «دي»، وجاءت منها دين أي العقيدة الخماسية ألا وهي:

١- الإيمان بالله الواحد .

٢- الصلاة بالوضوء ثلاث مرات .

٣- الصيام أربعين يوما .

٤- الماعون وهي كلمة مصرية معناها الزكاة «ابن كثير» .

(\*) د. وسيم السبيسي .. كلامه في أحد صالوناته الأدبية بالمعادي.

٥- الحج إلى أبيدوس في جنوب سوهاج .

كما كانت عين حورس التى أعطتها له نوت ربة السماء بعد أن مزقتها ست عمه الشرير! كما كانت الهاتورات السبع ينفخن. فى خيط أحمر . . كله عقد للسحر والحسد . . وهذا ما ذكره القرآن الكريم «النفاثات فى العقد»!

فإذا انتقلنا للوقت الحاضر . . سوف نجد تحفة معمارية فى ميدان رمسيس اسمها ميدوزا ، وقد وضع المهندس المعماري تمثالا لميدوزا هذه فى مدخل تحفته الفنية . . حتى يتحول كل من يحسد أو تحسد هذه التحفة إلى حجر! وميدوزا هذه فى الأساطير اليونانية كانت فتاة جميلة جدًا ، ولكنها تعالت على أثينا ربة الحكمة . . فحولتها إلى فتاة قبيحة ، شعرها ثعابين فى كل اتجاه ، ويتحول إلى حجر أى إنسان ينظر إليها ، وقد استعار الطب هذا الاسم وأطلقه على مرضى الكبد الذين تظهر لهم أوردة متفرعة فى كل اتجاه من حول السرة Caputmedoza أى كرأس الفتاة ميدوزا!

أما التفسير العلمى لظاهرة الحسد فهو الطاقة التى تخرج من الجسم البشرى ، هناك نوى من الطاقة الكهربائية تخرج من القلب ويسجلها الرسام الكهربى للقلب ، أو المخ ، أو العضلات ، أو الأعصاب ، ولكن هناك نوعا آخر من الطاقة الشافية ، وقد سجلها الكيميائى الروسى كيلربان على أفلام حساسة . وسميت باسمه Killerian Photography.

وهناك نوع شرير من الطاقة يفرج من العينين ، لأن العين هى العضو الوحيد فى الجسم الذى ترى منه جزءا من مخ الإنسان ! أعنى قرص العصب البصرى: هؤلاء الذين يحسدون الناس ، تنشط عندهم مساحة من المساحات الصامتة فى المخ البشرى ، والموجودة عند كل واحد منا . . هذه الطاقة الحاسدة قد تدمر . . بل قد تحرق أصحابها فى ظاهرة من أغرب لظواهر النادرة ألا وهى Autp compustion أى الاحتراق الذاتى ، حيث يختفى الفرد فى لهب أزرق خفيف دون أن يترك رمادا!

وقد حاول العلماء أن يجدوا تفسيراً لهذه الظاهرة مثل اشتعال الفوسفور داخل العظام بواسطة الكحول ، ولكنهم وجدوا حالتين فقط من الحالات الأربع . . كانوا قد شربوا ويسكى ، بينما لم يشرب الاثنان الآخران !



إن دائرة المعارف الخاصة بالظواهر غير الطبيعية أفردت مجلدا كاملا في عشرين مجلدا عن ظاهرة يورى جللر The Celler Phenommon وقد خضع للتجارب العلمية التى أجراها العلماء وعلى رأسهم جون تايلور عالم الرياضيات .

وقد صوروا الطاقة الخارجة منه ، والقادرة على تغيير شكل المعادن التى لا تتغير إلا بتغيير التركيب الجزيئى لها!

قال صاحبى: لقد قرأت فى تفسير الجلالين ، أن لبيد الساحر الشرير اليهودى ، أنه كان ينفث فى حبل به إحدى عشرة عقدة ، أى أنه كان ينفث بغير ريق ويقول كلمات إيذاء الآخرين ، فكيف وصلته فكرة التفاتات فى العقد من مصر القديمة ؟!

قلت : إن الحضارة المصرية القديمة تغلغلت إلى الشعوب المجاورة ، ويكفى أن الطائف كان اسمها طيبة ، ويثرب كان اسمها أرتيب «مدينة فى القليوبية» حتى الآن ، كما يكفى أن مارتن بارنال فى كتابه «أثينا السوداء» يقول : الحضارة اليونانية . بل نصف اللغة اليونانية القديمة . . إنما هى حضارة ولغة فرعونية قديمة ! صحيح فى البدء كانت الكلمة .

وفى البدء كانت مصر .

■ يظل وسيم السيسى واحداً من أبرز أصحاب الصالونات الأدبية فى التاريخ المصرى المعاصر - ويحضر صالونه الشهير عمالقة فى الأدب والفكر والعلم والثقافة والفنون والآثار والسياسة ، أطراف متعددة تحافظ على حضور هذا الصالون المحترم للاستماع إلى المناقشات والمحاضرات التى تدور فيه وتلقى ، وكثيراً ما يتخللها قصائد الشعر التى يلقي بها ضيوف الصالون من الشعراء ، بل ويتباهى بعضهم فى إبراز هذه الأشعار ، ويعتبر هذا الصالون احتفالية أدبية على مستوى رفيع يقودها باقتدار هذا العالم والمفكر والأديب والطبيب وسيم السيسى .

## صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن (ندوة الأربعاء)

هو أديب القضاء المستشار جمال عبد الحليم حسن رئيس محكمة جنايات القاهرة وأمن الدولة العليا الراحل ، شاعر وأديب ، لم يتوقف صالونه يوماً حتى وهو يعاني من المرض الذى داهمه فى آخر أيامه بالحياة ، كان حريصاً على استمرار ندوة الأربعاء بمصر الجديدة بكل ضيوفها من الكتاب والمفكرين والصحفيين والسياسيين ، وأهل الفن والعلم والقانون ، واشتهر بقيادته للصالون دون أى قوة تبرص ، حتى أنه هُدد بالقتل عندما أصدر حكمه الشهير بإعدام ستة أشرار يتاجرون فى الهيروين ويحطمون الشباب،، فأمر بإعدامهم أمام نادى الشمس عندما كانوا يتاجرون فى سموهم أمامه ويغرون الشباب..!

صارحته الجهات الأمنية بأن هناك بعض الخطر على حياته وهو يقيم صالونه الأدبي المفتوح «ندوة الأربعاء» من كل أسبوع ، فلم يقبل ذلك، ولم تتوقف الندوة التى أصر على أن تستمر حتى كانت اللحظة الأخيرة فى حياته - رحمه الله - فقد كان نموذجاً للشرف والحفاظ على قيم الحق والخير والجمال فى زمن صعب!

احتفلت ندوة الأربعاء الأدبية والثقافية بالقاهرة التى تشرف برئاسة وإشراف الأستاذ المستشار جمال عبد الحليم حسن رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا بالمؤلف والكاآب الصحفى سمير فراج أحد رواد الصالون الدائمين.

« الملكة فريدة نائرة على عرش فاروق » وهو يتكون من ٨٠٠ صفحة ويحتوى على ٢٢٥ وثيقة وصوررة تاريخية . ويعتبر الكتاب هو أول مؤلف تاريخى فى العالم العربى يعرض لتفاصيل حياة الملكة فريدة فى القصور الملكية مع زوجها الملك فاروق ، وقد اهتم العالم الغربى بهذا الكتاب أيضا فضمته مكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة ، وتنشر الصحافة حلقت مثيرة منه فى مصر والعالم العربى.

نجوم وكواكب المجتمع المصرى والعربى فى الأدب والفكر والفن والمجتمع والثقافة أشادوا بالكتاب فى ندوة الأربعاء واستعرض المؤلف سمير فراج صفحات منه، ثم شكر الذين احتفلوا به وعلى رأسهم الأستاذ المستشار جمال عبد الحليم حسن.



ولم يتوقف هذا الصالون الأدبى وصاحبه المستشار الأديب جمال عبد الحليم حسن على مدار العشرين عامًا الأخيرة فى القرن العشرين إلا برحيل مهيب فوجئ به رواد الصالون من الأدباء وأهل الفكر والثقافة، حيث داهم المرض اللعين المستشار الشاعر الأديب، فتوقف الصالون الذى كان من أبرز رواده الفنان صلاح طاهر والدكتور وسيم السيسى، والمفكر فرج فودة، والوزير وليم نجيب سيفين وأنوشكا المطربة المعروفة والمطربة اللبنانية الكبيرة الراحلة لوردا كاش.



**فنان الخط العربى الكبير**

**مسعد خضير**

**( خضير البورسعيدى )**

**وصالونه الفنى الرفيع عن فنون الخط العربى**

ولد الفنان مسعد خضير في عام ١٩٤٢ بمدينة بورسعيد وقد تفتحت موهبته بشكل مبكر حين تعلم أساسيات الخط في صباه على يد شقيقه الأكبر الحاج محمد خضير.

بدأ حياته المهنية منذ سن العاشرة في كتابة الإعلانات وواجهات المحلات التجارية مساعداً لشقيقه .

حصل على دبلوم الخط العربى من مدرسة خطوط طنطا التى كان يديرها مصطفى سعد ودبلوم التخصص فى مدرسة خليل أغا بالقاهرة .

بعد قدومه للقاهرة عام ١٩٦٧ درس فنون وأنواع الخط العربى المختلفة على يد كبار فنانى الخط العربى أمثال سيد إبراهيم ، محمد حسنى ، محمد عبد القادر .

برع فى كتابة أنواع فن الخط العربى الرئيسية مثلث الثلث والثلث الجلى والديوانى ، الديوانى الجلى والفارسى ، النسخ ، الإجازة و الرقعة ، الكوفى، وقد ظهرت تلك البراعة الفنية واضحة وجلية فى لوحاته و كتاباته التى كتبها على الأنماط الكلاسيكية ، وفى لوحاته التى أدخل فيها مزايا لونية وتركيبية حديثة اقتبسها من التراث التشكيلى العربى ومن الإضافات الفنية التشكيلية الحديثة فاستطاع أن يزاوج بشكل ناجح بين الأصالة والمعاصرة .

كتب آيات قرآنية فى عدة مساجد فى مدينة القاهرة ومدينة بورسعيد والعديد من المدن المصرية الأخرى .

كتب المصحف الشريف ست مرات فى سبعة آلاف لوحة (كل مرة) . وذلك لست محطات تلفزيونية عربية .

كتب العديد من مقدمات البرامج و المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية وأغلفة الكتب وأسماء كبار الشخصيات بمصر و الدول العربية ، بمختلف أنواع الخطوط العربية .

للـفنان مسعد خضير مجهودات كبيرة فى مجال تعليم ونشر فن الخط العربى فى مختلف وسائل الإعلام العصرية والجماهيرية وعلى رأسها التلفزيون حيث أعد وقدم عدة برامج مميزة عن فنون الخط العربى فى التلفزيون المصرى وعمل كمدير لإدارة الخط بالتلفزيون المصرى .

وقامت إحدى المحطات التلفزيونية الألمانية بإعداد فيلم تسجيلي عن فن الخط وإسهامات الفنان مسعد خضير الفنية كما قام التلفزيون الصيني بإخراج فيلم وثائقي عن تجربته الفنية.

ساهم في تأسيس الجمعية المصرية للخط العربي وساهم في عضوية العديد من لجان تحكيم مسابقات الخط العربي ومنها لجنة التحكيم الدولية باستانبول المنبثقة من اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، كما شارك أيضاً في العديد من المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية التي أقيمت عن فنون الخط العربي.

اشترك منذ العام ١٩٧٢ في العديد من المعارض الفنية الفردية والجماعية في مصر وخارجها، ومنح العديد من الجوائز ولأوسمة من مختلف الجهات الثقافية والفنية ومنها: جائزة الكوفة التقديرية في الخط العربي عام ١٩٩٥ م، والوسام الذهبي لمهرجان كاظمة الدولي بالكويت.

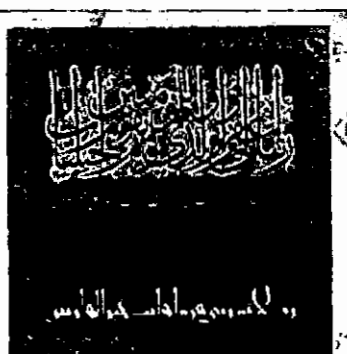
توجد لوحاته وأعماله المميزة في فن الخط العربي ضمن مقتنيات العديد من الجهات الرسمية والخاصة ومنها: متحف لاهور بباكستان وكلية الفنون العراقية ووزارة الأوقاف العراقية، دار الأوبرا المصرية، وزارة الأوقاف الكويتية، المجموعات الخاصة لدى سلطان بروناي وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي وكبار الشخصيات المصرية والعربية، ويحضر صالونه الفني والثقافي لفيف ضخم من المثقفين المصريين، وإن كان أبرزهم مستشار رئيس الجمهورية السابق الدكتور أسامة الباز، ويحرص هذا الفنان العبقري مسعد خضير على تأكيد قيمة فن الخط العربي في زمن العولمة والكمبيوتر، وتجرى مناقشات عديدة حول هذا الموضوع الهام، وفي ندوات هذا الملتقى الفني في صالون الفنان مسعد خضير أو خضير البورسعيدى حسب شهرته، يعيش الرواد لهذا الصالون مع نفحات دينية خاصة فرضتها لوحات «خضير» البورسعيدى، وأبرزها من آي الذكر الحكيم، والصالون ينعقد في متحف الفنان خضير في منطقة الجمالية في رحاب سيدنا الحسين رضى الله عنه.





لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)

لوحة مكتوبة بخط العباسي



لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)

لوحة مكتوبة بخط العباسي



لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)

لوحة مكتوبة بخط العباسي



لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)

لوحة مكتوبة بخط العباسي



لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)



لوحة مكتوبة بخط العباسي (مكتبة المتحف الإسلامي، القاهرة)



## في صالونات الشاعر الدمياطي

محمد البدرى محمددين

قدم هذه النظرات التي كانت حديث المجتمع المصرى كله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فطر النفوس على الفطرة السليمة وجعل طريق الاعتدال واضحا بيننا لذوى الأبصار والبصائر موصلاً إلى الحكمة والرشاد وطريق الاعوجاج مهلكاً ومبيداً لمن سلكه واتبع سبيله فقال : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ والصلاة والسلام على رسوله القائل : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » والقائل وهو الصادق الأمين « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » محمد الذى اختاره واصطفاه للخلق أجمعين وعلى أهله وصحابه والتابعين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد فإنى أقدم لإخوانى وأهلى وعشيرتى كتاب (النظرات) الذى نظمته من آداب الدين الحنيف وأخلاق الملة السمحاء الكريمة فضمنت كل بيتين من أبياته موضوعاً من الموضوعات الماسة بحاجة الاجتماع والجماعة ثم جعلت كل قطعة من نثائيات سالكاً فيه طريق السهولة واللفظ المفهوم ليسهل فى الحفظ والأداء على كل من يتناوله من جميع الطبقات راجياً من الله أن ينفع به عامة القراء ويجعله أثراً خالداً نافعاً وهو ولى السداد والتوفيق .

حرص الشاعر على أن يقول أشعاره فى بيته ومحل تجارته وأى أماكن مفتوحة أخرى، ويجتمع حوله فى هذه الندوات كبار أهل الفن والأدب والثقافة فى المجتمع المصرى، وغن كانت جذوره الدمياطية هى التى جعلت أهل دمياط يتابعونه أكثر من القراء والأعيان(\*) والبسطاء فى وقت واحد.

(\*) الأعيان هم صيفوة القوم.

إلى أولى الألباب  
 جمعتهما من لباب  
 يسمو وفي كل باب  
 من مثمر أو يباب  
 في جيئتي وذهبي  
 من صابها والعذاب  
 وذقت أقسى العذاب  
 وكل مر منذاب  
 من الأسود الغضاب  
 حتى ملأت إهابي  
 بين القنص والحراب  
 وجاء فصل الخطاب  
 حوى وكل طلاب  
 للكف عن كل عاب  
 وهاديها للصواب  
 وجيرتني وصحابي  
 لا فطنتني أو حسابي  
 علامتوني السحاب  
 من الطلى والرقاب  
 والصصيد والأنجاب  
 من البديع العجباب  
 يحملو كصافي الشراب  
 يفرز بأحلى رضاب  
 في غيه من عتاب

أتيت أهدي كتابي  
 ضمنتته نظرات  
 في كل معنى ومبنى  
 وجلت في كل طبع  
 درست أخلاق قومي  
 ورضيت كل السجايا  
 وكم لقيت عناء  
 شربت من كل حلو  
 وكنيت أكبر عزما  
 وصرت أجمع وعظما  
 وصغت منه كتابي  
 حوى جميل عظمات  
 لكل خلق كريم  
 يهدي الرشاد ويومي  
 محذرا من شذوذ  
 أخلصت فيه لأهلي  
 هداية الله جلست  
 ومن صفا في ذويه  
 وملكوه زماما  
 والخير فيه لغاوا  
 في كل بيتين مغزى  
 سهل من اللفظ عذب  
 ومن يرد منه وردا  
 وما على من تمادي

أتيت أهدي لقمومي  
وممن أب لحفيد  
أهدي لكل أديب  
ممن هداهم نهاهم  
وجاههم ولعلهم  
أتى كتاباً بديعاً  
عساه يثمر نفعاً  
فإن أصب فيه قصداً  
وإن ربحت قبولا  
وإن أفاد فقيهه  
فإن تصفحت فاشهد  
ولا تكن في انتقاد  
واقراً برأى نزيهه  
ولا تفرد وأنصف  
وكن أديباً لبيباً  
لم أبغ منك شكوراً  
أو منك أطلب أجراً  
وفي رضا الله كانت  
والله عونى وحسبي  
كفى من الفوز أنى

ممن كهلهم والشباب  
ممن مهتد أو ناب  
ونجبة الكتاب  
وممن نأوا عن صواب  
وممن أو صوابي  
وياله ممن كتاب  
للنشء والطلاب  
فتلك أسمي رغبتي  
فما عذمت ثوابي  
كفلايتي في مآبي  
ولا تكن ذا ارتياب  
بمجهحف أو محاب  
بعقلك المستطاب  
ولا تجمل في اغتياب  
في الكسب أو في اكتساب  
أو أي فخر حجابي  
في الله كان احتسابي  
إقامتي واغترابي  
في البعد أو في اقتراب  
أتيت أهدي كتابي

## يتحدث عن نفسه في صالونه الأدبي والثقافي

تخذت من مذهبي نحو العلا سبيًا  
درست فيها دروسًا رحت أنشدتها  
دنيا ودينا وعلما نلت ما شردت  
لله في الله قصد كنت أقصده  
وما طمحت إلى جاه ومرتبة  
وما توانيت عن سعي إلى أمل  
آثرت خلوة نفسي كي أوجهها  
منحتها الزهد في عز وفي شرف  
أخلو إليها أمنيها وأوردها  
أمرتها بالسذى أبغيه فأثمرت  
وإنني عن هوى نفسي وغايتها  
قطفت من كل علم ما استطعت جني  
ومن سعي طالبًا شأوا ليدركه  
وعن عيوني طردت النوم مرتضيا  
حملت نبلا وأدبا مكملة  
ألمت في خلوتي فنى وفلسفتي  
وما تلقيت عن شيخ مدارس  
ولا بكلية أمضيت أونة  
ولا تخصصت في فن بجامعة  
مضيت للغرض الأسمى وعلمني  
في مخدعي كان أستاذي ومدرستي  
وما ترحلت عن (دمياط) مجتنبًا

وصرت أسعى إلى تحصيلها دأبًا  
من الليالي ونلت القصد والأربا  
أى الرغاب ولا منى حجا سلبًا  
وأقتفى المثل الأعلى إذا ضربا  
زهوا ففقت لذاك الجاه والرتبا  
ولا تحولت عن نيل المنى طلبا  
لما أشاء كما جنبتها الريبا  
وحسبها الله ما من رفعة وهبا  
درسا حلا ورده الصافي لمن شربا  
ولم تدع في سبيلي للهدى حجبا  
ألهبت عزمي إلى العلياء فالتهبها  
بفطرتي لا أرى في قطفه عجبها  
لابد يومًا سيلقى كل ما طلبا  
وعن فؤادي طرحت اللهو والعبا  
ولست أحمل أموالا ولا نشبا  
وفي كتابي درست العلم والأدبا  
ولا عميد إليه كنت منتسبًا  
ولا بمدرسة قضيتها حقبًا  
أو كنت في معهد للعلم مكتسبًا  
من علم العجم بالإلهام والعربا  
ومن عصارة لبي كنت مجتلبًا  
أو رحت عن ثغرى المحبوب مغتربًا

عن اجتهدادى فجزت الشهب  
وما لقيت ملالا أو أرى تعبًا  
وسهل الصبر عندي كل ما صعبا  
شكوت ضنكًا ولا أشكو بها سغبًا  
وما يضير إذا ألقى بهما النوبا  
وكنت عن طيب نفس أحمل الكربا  
من الهموم وما وليت مضطربًا  
وما ألد العنا في الرزق والنصبا  
لا أشتكى وهنا منه ولا وصبا  
طول النهار وليلا أدرس الكتب  
عن العلاهتني في الفوز محتسبًا  
وهل يضيق بوجه الحمر ما رجا  
بالنائبات ولا أبدى لها صخبًا  
ولست أرهب شموالاً ولا رجا  
إن أحسنت صنعها أو ساء منقلبًا  
نفسى ولا خفت من خطب ولو غلبا  
على كؤوس أراها تطلع الحيا  
وما جلست من الندمان مقربًا  
أو كنت يومًا لحق الناس مغتصبًا  
للجود لم تأل جهدًا أو ترى عطبًا  
حتى وصلت فخورًا بالمنى طربًا  
وشمت ناسا ولكن خلتهم خشبًا  
ولا أهنت به أهلاً ولا غربًا  
فكان عن كل ذى أذنين محتجبًا  
حتى سموت وشقت همتي الحجبا

ولا أرى أى صعب كان يوقفني  
بذلت للمجد أغلى ما نعمت به  
وذقت في الصاب شهدًا أستلذ به  
وبت أرفل في نعمى الحياة فما  
وكم ألقى من الدنيا مشاكسة  
فكنت أثبت من أسدى الشرى جلدًا  
وما ثنى همتى ما كان يثقلني  
وليس لى مورد إلا بكسب يدي  
أسعى لتحصيل ما كلفت من عمل  
أحصل الرزق في كد وفي كبد  
فلا تركت نصيب العيش أو فترت  
وفرج الحزم عنى كل ضائقة  
مرت شهور وأعوام تهددني  
قطعتها بثبات لا ترو عنى  
تمضى الليالى سراعًا لأحاسبها  
وما تشاءمت في الجلى ولا فزعت  
ولى دواة وطرس كنت أوثرها  
وما صحبت لثيًّا أو أخا سفه  
وما كسبت حرامًا أو سعت له  
وما مددت يدي إلا وقد سبقت  
أملت أن أدرك الآمال مجتهدًا  
عاشرت ناسا ذوى حس ومعرفة  
صنت اللسان فلم ينطق ببادرة  
وصنت سرى فما يومًا أبوح به  
وصنت عرضى من أنى أدنسه

وصنت عزة نفسى فى ترفعها  
وما أسأت إلى خلل يرافقتي  
أنى حللت بقوم كنت قائدهم  
نزلت من كل قلب فوق حبه  
وقلت قولاً من الحق الصراح وما  
لى (الخواطر) لو أمعتها جمعت  
وهذه (النظرات) البيض إذا لمعت  
وكم من القول فى شتى مقاصده  
وكم قصائد بكر كالعروس بدت  
نظمها من بنات الفكر ساحرة  
فى كل معنى بسديع أو مناسبة  
جليتها لعقول الناس سايبة  
لا فخر لكننى وافيت مغتبطاً  
أو سعت صدرى وما إن ضقت فى  
حسبى من الفخر أن ألبست عائلتي  
وأن أسير بهم نهجاً يملكهم  
وأن أضاعف ما ضحيت من همم  
وما غنمت سوى رزق أعيش به  
وإن تركت لأولادى القليل عسى  
وينعمون بما خلفت من طرف  
والله يكلفهم حفظاً ويكلؤهم  
وعشت أرى بما ألقاه من قدر  
وأحفظ العهد لا نكث ولا مطل

وصتها عن رفاق السوء مجتنباً  
ولا رغبت له سوءاً ولو رغبا  
بما حببت وكنت الرأس لا الذنبا  
وما رأيت لسانى للهراء صبا  
طقت إفكاً مدى دهرى ولا كذباً  
ما بز كل ثمين النصيح واستلبا  
فيها تلاشى سراج الأفق أو غربا  
ما طاب فى السمع مسراه وما عذبا  
نتيه إذ لبست أثوابها القشبا  
وصغتها من فريد العقد متخباً  
ما حرك اللب أو هز النهى طرباً  
بما أقسيس بها دراً ولا ذهباً  
بمنة الله للتوفيق مرتقباً  
ركنت ألقى بليغ الوعظ والخطبا  
حلى الوقار وأن رقيتهم أدباً  
ذرا الكمال وأن أرقى بهم حسباً  
وأن أقوم لذى حق بما وجبا  
فكان حسبى ولا أنى ورثت أبا  
يلقون فيما تركت الخير والرغبا  
ويدركون من الآلاء ما عزبا  
ومن رعاه إله الخلق ما غلباً  
فلا يغيرنى ما جاء أو ذهباً  
لذى وداد وأن جافى وإن قربا

بعض الرسائل التي وردت للمؤلف على أثر إهداء (ملحمة)  
**الذكريات الإسلامية**  
**والرسالة النبوية المحمدية**

رقم (١٢٢٠)

بطاقة

**أمين عام جامعة الدول العربية**

يبلغ حضرة المحترم الأستاذ محمد البدرى محمددين بدمياط فصول هديته  
نسخة من كتاب ملحمة الذكريات الإسلامية والرسالة المحمدية مع وافر الشكر  
وخالص التحيات ..

ختم الجامعة

القاهرة في ٢٧ ربيع الأول ١٣٦٦ - ١٨ فبراير ١٩٤٨

بطاقة :

**دكتور حافظ عفيفى**

يشكركم على هديتكم (ملحمة الذكريات الإسلامية) ويرجو لكم التوفيق ،

٢٠ - ٤ - ٤٧

بطاقة :

**فؤاد سراج الدين باشا**

يقدم وافر شكره على إهدائه ملحمة الذكريات الإسلامية مع أطيب الأمنى

بطاقة :

**أحمد شفيق زاهربك**

من كبار مفتشى وزارة المعارف .... للشكر والتقدير

خطاب من جامعة فؤاد الأول

مكتب السكرتير العام :

٢٥ فبراير سنة ١٩٤٧

حضرة المحترم محمد البدرى أفندى محمددين

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد وصلني ديوانكم الشائق عن (الذكريات النبوية) وأعجبت به أيما إعجاب ولقد أشرت إلى ديوانكم وذكرت منه بعض أبيات في مقال لي بمجلة الثقافة أرسلت منها نسخة لكم اليوم .

أرجو الله أن يديم عليكم نعمة الإيمان وأن يوفقكم إلى خدمة الدين والأدب ز

وتقبلوا تحياتي والسلام،،،

أحمد عبد السلام الكرداني

\*\*\*

#### جريدة الثقافة بعددها ٤٢٦

٤ ربيع ثان ١٣٦٦ - ٢٥ فبراير ١٩٤٧ تحت عنوان مطالعات جديدة وأما الكتاب الأخير فهو أيضًا كتاب عنوانه : (ملحمة الذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية) من نظم الأخ الشاعر الأستاذ محمد البدرى أفندى محمددين أهدها إلى إخوانه بمناسبة المولد النبوى السعيد وقد قرأته في جلسة واحدة لعدوبة ألفاظه وجمال عبارته فوجدته نظمًا رقيقًا ، سهلاً ممتعًا ينم عن نفس مؤمنة لشاعر موهوب ولا أجد في التعريف به والثناء على صاحبه خيرًا من أن أورد هنا أبياتًا منه تكون مسك الختام لهذا المقال ، يقول حضرته في القصيدة الافتتاحية التي عنوانها (تجديد الذكرى) ونشر بالمجلة القصيدة ومطلعها :

جددوا الذكرى لخير الأنبياء      من لداء الشرك وافى بالدواء  
وبدا في ظلمات فأضاء      وبه الأرض استنارت والسماء

أحمد عبد السلام الكرداني

\*\*\*

#### خطاب من حضرة الأستاذ النابغة والكاتب المفرد

طاهر بك الطناحي مدير مجلة المصور الغراء (القاهرة في ٢٢ - ٢ - ٤٧)

حضرة الأديب الكبير الأستاذ محمد البدرى أفندى محمددين ،،

تحية مباركة طيبة (وبعد) فقد وصلني كتابك فنحنى عبيره وأمتعنى



أزاهيره وحمّلتنى وحمّلتنى قوافيه من بحار من المعانى البديعة جعلتنى حائر  
الطرف بين غيدها المتجردات الحان السابحات فى قصيده كأنهن اللؤلؤ  
والمرجان.

فلك الإعجاب والتقدير الجم لما أهديت إلى الأدب العربى من أثر نافع  
وذكرىات خالدة ولك منى الشكر الوافر لهذه الهدية القيمة التى أحييت فى نفسى  
ذكرىات عزيزة وجميلة فى دمياط والسلام،

طاهر الطناحى ..

### خطاب من الأخ العزيز والشاعر العالى القدير الأستاذ محمد محمد الأسمر

أخى الشاعر الكبير الأستاذ محمد البدرى محمددين  
جاءتنى هديتكم القيمة فقرأت ما فيها معجباً وأنا دائماً معجب بكل ما  
تكتبون مستذكر لمودتكم القديمة التى لا تبلى . أعز الله بكم الأدب وجعلكم ممن  
تشرف بهم دمياط والسلام على الشاعر الكبير ورحمة الله ،

محمد الأسمر

١٣ - ٥ - ٤٧

\*\*\*

### خطاب من الصديق طه بك أبى بكر المفتش بالمعارف حدائق القبة فى ١٩٤٧/٣/٤

سيدى الشاعر الناصر الموهوب الأستاذ محمد البدرى أفندى محمددين أحبيكم  
يا سيدى أجمل تحية . وقد تلقيت مغتبطاً مسروراً هديتكم (ذكرىاتكم النبوية  
الكريمة) واستوعبتها بيتاً بيتاً بل شطراً شطراً فأكبرت فيكم هذه المقدرة البالغة  
والموهبة النادرة .

دمتم يا سيدى للنظم والنثر ودامت قريحتكم الفياضة تنظمون بها أفانين  
الشعر وأساليبه الخلافة ودمتم كنوزاً للأدب فى كل نواحيه ومراميه ، ودمتم  
لأخيكم الذى غمرتموه بفضلكم وحبوتهم بهديتكم النفيسة ، فقد أذكر تمنونى  
وما كنت ناسياً أياماً سعيدة قضيتها فى فجر الحياة معكم ومع الأوفياء الكرام من

أهل دمياط؛

فبارك الله فيكم ودام ولاؤكم والسلام،،،

المخلص : طه أبو بكر

\*\*\*

### خطاب من الأخ بكباشى مكاوى شرف الدين بك

مصر الجديدة فى ١٩٤٧/٢/٢٠

عزيزى الأواحد الأستاذ الشاعر محمد البدرى أفندى محمدى تيحى القلبية وسلامى العاطر وبعد وصلتني هديتك الثمينة كتاب (ملحمة الذكريات الإسلامية) فقرأته بشغف متلهفاً إليه لعلمى بقدره صاحبه ووجدت نفسى تسبح فى جنة مليئة بأبهى الأزهار وأشهى الثمار ، فكلما استمتعت بزهرة أو ثمرة وانتقلت لغيرها وجدت ما يفوقها عبيراً ولذة وكلما توغلت كلما بهرت من قطوفها الدانية وجورها والولدان ، فما انتهيت إليها إلا أسرعت راجعاً أطلب المزيد منها مراراً وتكراراً ، رعاك الله فقد كتبت فأبدعت وألفت فأنتجت الدرر الحسان تحمل السحر مع البيان، وخير ما يقال عن كتابك أن (محمدًا) يشيد بسيرته سميه (محمد) فله منه الشفاعة وله الأجر وله الجزاء : واقل شكرى على هديتكم والسلام ، المخلص بكباشى مكاوى شرف الدين مفتش ببوليس مصر .

\*\*\*

### خطاب من حضرة اللواء محمد زكى كمال باشا

١٧ شارع على باشا ذو الفقار بمصطفى باشا باسكندرية ١٩٤٧/٢/٢٨

حضرة ولدنا الفاضل الأستاذ محمد البدرى أفندى محمدى .

أهديكم أجمل تحياتى وأشكركم الشكر اللائق على هديتكم كتاب (الذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية) التى تصفحتها أمس وأشبعته روحى بما فيها من شرح منظم لحياة الرسول ﷺ فملت نفسى سروراً بهذه السيرة الشريفة وتركتنى أسبح فى ملكوت لا تدرك غايته ولا تنال نهايته لما حوت من آيات بينات وشرح مستفيض . أما الرسالة فقد دلنى طبعها وتنسيقها

وذهبها ونظمها البليغ البديع على مبلغ اتجاهكم الديني والأدبي وعبقريتكم النادرة فنسأل الله الكريم أن يزيد من أمثالكم العاملين المتمسكين بدين الله وسنة رسوله وأكرر لكم الشكر وأدعو لكم بالتوفيق ،،

محمد زكي كمال

\*\*\*

### خطاب من بغداد من حضرة النائب العريف حيدر علوان الجميلي

هو خطاب ينم عن حسن تقديره للدين والأدب وذكر لنا فيه أن جريدة الشورى العراقية نشرت عن كتاب .

(ملحمة الذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية) بعدديها الصادرين يوم ١٠ ويوم ١٣/٣/١٩٤٧ بصحيفة الأنباء العربية وطلب نسخة من الكتاب فأرسلت إليه ، ١٧/٣/١٩٤٧ بغداد معسكر كراهه حريم النائب العريف حيدر علوان الجميلي فصيل حراسة القوة الجوية الملكية العراقية ..

\*\*\*

### مقال قيم للأستاذ الكاتب الشاعر العظيم والأخ المخلص محمد طاهر الجبلاوي نشره بجريدة دمياط (ملحمة الذكريات الإسلامية) .

طالعي البريد بهذا الكتاب النفيس لمؤلفه الأستاذ محمد البدرى أفندى محمد بن الشاعر الدمياطى المعروف فكان له في نفسى أجمل وقع وأخذت أقلب النظر بين صفحاته وهى منظومة على سطور يانعة من الشعر البديع العذب العامر بالإيمان المتألق بجمال الطابع ورقة العبارة ، ينفج أريج السيرة النبوية الشريفة وذكريات الإسلام المحمدية ، فتملكتنى نشوة صوفية عالية سرت حياها إلى النفس قبل أن تسرى إلى الجسم وارتفعت بهما معاً إلى آفاق من السمو لا تداينها آفاق ومثل هذه السيرة الإسلامية جديرة بأن ينظمها الشاعر فليس أولى من الشعر باستيعاب الجمال والتحدث عن العظمة فيجتمع الجمالان جمال

السيرة وجمال التعبير في سياق واحد وإن عجز الشعر والنثر عن الوصول لهذه الغاية ، ولكن الشاعر ناظم هذه الملحمة قد بلغ بها من التوفيق جهد الطاقة وانتظم فيها صوراً رفيعة من حياة الرسول رائعة الجمال واتخذ في التعبير عنها أسلوباً سهلاً رقيقاً تتمشى فيه سلامة العبارة مع التوقيع الموسيقي كما يتمشى النهر العذب بين نغمات النسائم وحفيف الأشجار ، ولا عجب فالبدرى محمد بن هو أول شاعر عرفته دمياط بعد شاعرها المعروف على العزبي نظم الشعر منذ نعومة أظافره ولم يرك نفى تعليمه إلى معلم غير السليقة والطبع ، وجعله شغله الشاغل يقوله في كل مكان وفي كل مناسبة ، في متجره وفي مصنعه وفي النوم وفي اليقظة وفي البيت وفي كل ما يعترضه في طريقه من الحوادث والمناسبات ، ولا أعدو الحقيقة إذا قلت أن شاعرنا يكاد يتنفس الشعر مع الهواء إلا أنه كان في ذلك كله كالشباب المتلاف ينفق ماله الوفير ذات اليمين وذات اليسار بغير حساب ، وأذكر أننا كنا نسير معه في أمسيات الحرب العظمى الأولى في شوارع دمياط فنسمعه يرتجل شعراً في كل شيء يراه في الطريق مما يستحق التسجيل و(ملحمة الذكريات الإسلامية) من خير إنتاجه ولا شك فإنها اتجاه نحو أدب رفيع وإن كان لشاعرنا كثير من القصائد الفريدة التي تدخل في هذا الباب وشعره من السهل الممتنع فلا يألف التعمق في الألفاظ الغريبة أو التراكم العميقة لأنه عاش بدمياط مدى حياته وقصر شعره عليها ، فهي لا تتطلب منه أكثر من ذلك وهو لا يطمح أن يتركها إلى سواها .

هذه كلمة وجيزة أكتبها عن ملحمة الذكريات الإسلامية وناظمها وهي بمثابة تحية للكتاب وصاحبه وأترك لغيري الكتابة عنها بالتفصيل ودقة التحليل فهي جديرة بكل ذلك ،،

محمد طاهر الجبلاوي



ونشرت مجلة الإخوان المسلمين بعددها ١٤٦

الصادر يوم ١٣ جماد الأول سنة ١٣٦٦ و ٥ أبريل سنة ١٩٤٧ بعنوان

(ملحمة الذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية)

للأستاذ الشاعر : محمد البدرى محمددين

إننا نظرب لشعر هذه الملحمة ونراه جديرًا بالقراءة خليقًا بالخلود ولو فرض أنه مؤسس على خيال ، وقديماً كان الناس لا يستهويهم إلا شعر الملاحم وهى القصص وكان لشعراء القصاصون يصلون إلى النجاح ويرتعون في السعادة لسبب هذه القصص التى ينظمونها شعراً ويروون بها خرافة وذلك فى كل العصور وعند جميع الأجناس ولكننا فى هذه الملحمة الرائعة نجد التاريخ الصحيح والحوادث الثابتة والصفحات البيضاء الناصعة كلها مسجلة فى قطع شعرية رائعة إنه يتناول شخصية الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ويقص علينا تاريخه الصادق من يوم أن ولد إلى أن لحق بالرفيق الأعلى فكانت الملحمة الصادقة والتحفة المحبوبة الماثورة وإننا لن نتناول ما فيها من الكمال بالتفصيل حرصاً على أن نتركها لقراءها لمفاجأتهم بحوادثها التى جمعت إلى الطرافة الروعة والصدق ..

\*\*\*

ونشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر يوم الخميس ( ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧ و ١٩ شوال سنة ١٢٦٦ بعنوان كتب تاريخية الذكريات الإسلامية ) .

ملحمة شعرية تاريخية تغنى بالذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية نظمها الشاعر الأديب محمد البدرى محمد البدرى محمددين بدمياط ...

\*\*\*

ونشرت مجلة الصباح بعددها ١٠٦٧

١٣ ربيع ثان ( ١٣٦٦ - ٦ مارس ١٩٤٧ ) بعنوان كتب جديدة (الذكريات الإسلامية) نظم الأديب الدمياطى محمد البدرى محمددين ؛ هذا الديوان فى مدح سيد المرسلين محمد عليه صلوات الله وسلامه وقد وصف فيه الجنة وما حوت من نعيمها الخالد وميلاد الرسول والبعثة والإسراء والمعراج إلى غير ذلك من

القصائد الرصينة وجعله هدية عامة لمن يطلبه حباً في المختار عليه الصلاة والسلام .

\*\*\*

ونشرت جريدة الأراء بعدد من إعدادها  
مقالاً ضافياً دل على نبيل صاحبها وتقديره للأدب والأدباء وحبه ووفائه  
لإخوانه وأصدقائه،،

\*\*\*

ونشرت جريدة دمياط تحت عنوان (ملحمة لذكريات الإسلامية والرسالة  
النبوية المحمدية)

أهدى إلينا الشاعر الموهوب محمد البدرى أفندى محمددين ( ملحمة  
الذكريات الإسلامية) من نظمه وقد ضمنها بعض القصائد والثنائيات  
والرباعيات في المواضيع الدينية والاجتماعية وقد رأى المؤلف أن يجعلها هدية  
عامة ونحن إذ نحیی فيه هذه الروح الطيبة الكريمة نرجو أن يتابع إمتاع قرائه  
بنفثاته القيمة الممتعة،،

وورد كثير من البطاقات والخطابات والقصائد البليغة ونشر كثير من  
المجلات والجرائد اليومية مما أعرب عن حسن التقدير وسلامة الذوق ووما  
تضيق به صحف الكتاب ، والمؤلف يقدم شكره وعظيم تحياته للجميع ،، جامع  
هذه الرسائل (محمد كامل جبر) .

\*\*\*

## النظرات

من عجائب الوجود :

وأبحرنا وجرنا  
تنبيك عنه تعالى

أنظر سماء وأرضا  
طولا بها ثم عرضا

\*\*\*

وبدرها وذكاء  
حققة بأب ذكاء

أنظر لهذى الكواكب  
أنظر لماش وراكب

\*\*\*

يحل وصفًا وحصرًا  
في الكون سرًا وجهرًا

أنظر لخلق كثير  
مسبحًا للخبير

\*\*\*

يحى الأنعام ويردي  
ومن يعيد ويدي

من كالأله العظيم  
زوجنة وجحيم

\*\*\*

يضل فيه النهي  
لغاية ما انتهى

من ذا يدبر وجودًا  
ولا يحدد حدودًا

\*\*\*

ويخلق الناس خلقًا  
وينبت الزرع رزقًا

من ذا يدبر أمرًا  
ويرسل الريح تترى

\*\*\*

وهو السميع البصير  
يحير من يستجير

له أعلى مثل  
في خلقه لم يزل

\*\*\*

لله رسول كرام  
ليستب النظر أمام  
جاءوا لنا بهداه  
أن لا إليه سواه

\*\*\*

الله رب قدير  
بكل شيء خبير  
علا بكل كمال  
تميزه عن مثال

\*\*\*

الله رب رحيم  
وهو الحكيم العليم  
يعفو عن السيئات  
بكل ماض وآت

\*\*\*

الله أحسن صنعا  
وأبدع الكون جمعا  
وشاء للخلق وضعا  
يراه وتورا وشفعا

\*\*\*

الله خير وأبقى  
وما خلقنا لنبقى  
إليه كل المآب  
فعجلوا بالمتآب

\*\*\*

الكائنات شهود  
فكيف يبسودوا جحود  
إلى الإله العظيم  
من اللبيب الفهم

\*\*\*

آيات ربك تدلي  
وكم على العقل تملي  
بما يقوم دليلا  
مما ينير السبيل

\*\*\*

الحق ينطق جهرا  
لا ينكر الشمس ظهرا  
بكل نطق سليم  
سوى الغبى الأثيم

\*\*\*



أن يجحد البدر أعمى      فما على البدر عيب  
لو شئت تسمع صها      صوتاً فما لأن قلب

\*\*\*

آمن بررب العباد      وكسن سميعاً مطيعاً  
واسلك سبيل السداد      تنل مقاماً رفيعاً

\*\*\*

آمن بيوم التلاق      ولا تكن بجحود  
وليس حى بيباق      سوى إله الوجود

\*\*\*

لا ترجس المسحيل      ما فى الحياة مقم  
وكلنا للريحيل      طوبى لمن يستقيم

\*\*\*

الموت منا قريب      ولو بطول الزمن  
ومنا لمن نصيب      فى العيش إلا المحسن

\*\*\*

لا تحتفل بل بـدناك      فإنهم السـزوال  
واغنم بأخرى منك      أبقي نعميم ينال

\*\*\*

لا تغتر بـالنعم      يمر ثم يزول  
أما النعميم المقم      فما له من أفول

\*\*\*

يوم يمر كـأس      والحادثات تدور  
ومنا لمن كأس      سوى لقاء القبور

\*\*\*

مهما تكن جامعاً      لم يبق إلا التقى  
ولم تجد شافعاً      إلاه يسوم اللقا

\*\*\*

دع الهوى واعتبر      بسالموت كيما تفوزا  
وممن هداك ادخر      كنزاً يسبب الكنوزا

\*\*\*

إلى التقى فاستبق      فالوقت مثل الوقود  
لابد أن يحترق      وإن مضى لا يعود

\*\*\*

سارع وعد للرشاد      واسلك طريق الفلاح  
فالوقت مثل الرماد      يطير بين الرياح

\*\*\*

بادر وتب للهسدى      فالوقت مثل الذهب  
وإن تضعه سدى      لغير نفع ذهب

\*\*\*

مهما تعيش في الحياة      فأنت يوماً مفارق  
والموت حتماً تراه      ولو تمسبب المفارق

\*\*\*

عمر طوال السنين      أو فارتحل في الشباب  
فأنت ميت دفن      رهن البلى والتراب

\*\*\*

ما شئت عش والنهايه      في العيش مثل البدايه  
كل يسير لغايه      لله في الخلق آيه

\*\*\*

ما نحن إلا ضيوف      رحيلنا عن قريب  
وإن دهتنا صروف      فلا يفيد النحيب

\*\*\*

ما نحن إلا خيال      أو عابرون السبيل  
ونحن مثل الظلال      تزول عما قليل

\*\*\*

إن كان لابد موت      فكيف تعصى الإله  
وكيف يعدوك وقت      وأنت تخشى سواه

\*\*\*

أطع إلهك واعمل      إلى المقدر الجديد  
وفز بنعماء واحد      عذاب يوم الوعيد

\*\*\*

أطع إلهك واعمل      إلى المقام الأخير  
وفز بنعماء واحد      من زفرة وسعير

\*\*\*

## السر

لا تفش سرًا ولا      تطلع عليه سواك  
فإن بدا وانجلي      بالكارثيات رماك

\*\*\*

مفتاح سر فكك      فاحرص على المفتاح  
واثبت ولو كلفك      رغبتًا على الأفصاح

\*\*\*

تناس سرًا ودعه      واجعل خشاك محله

وفي السورى لا تذعه — لأى فرد وجملته

\*\*\*

أن ضقت بالسر صوناً — فمن سواك يصونه  
وهل يرى بعد أمناً — ممن اعتراه جنونه

\*\*\*

لا تجعل السر لفظاً — تلو كنهه فى لسانك  
واجعله صوناً وحفظاً — منافياً لبيانك

\*\*\*

إن كنت تملك سر — فأنت تملك أمر  
وقد توليه أسرك — إن أنت تودعه غيرك

\*\*\*

أودع فـؤاد سر — ولا تذعه لخالـك  
واحذر فتى أن يغرك — فتصطفيه بجهلك

\*\*\*

السر كنز ثمين — مقصـره فى جناـك  
عليه منك أمين — وحارس من لسانك

\*\*\*

السر بكسر مصون — وفى الـلالى خريـده  
فاربسأ به عن بحرن — واحفظه من أن تبيده

\*\*\*

أغلى الذخائر سر — يصان طى الجنان  
فليس يغربك جهـر — تضع فيه الأمانى

\*\*\*

أملك زمامك وافحظ — سراً على الناس يخفى

واصممت ولا تنلفظ فذاك للخير أوفى

\*\*\*

حافظ علي سر غيرك لسو اطلعت عاه  
ولا تجاهر بسرك فأنت رهن لديه

\*\*\*

حافظ علي السر تسلم من الخطوب الجسم  
وإن جهلت تعلم من حادثات الأنعام

\*\*\*

أدعت في الناس سرى وما ملكت ثباتاً  
وليتنى كنت أدري فقد ندمت ولاتاً

\*\*\*

السر كان كميناً فضحته وأطحته  
وكان حصناً حصيناً فباللسان هدمته

\*\*\*

السر كان دفيناً بعثته ونشرته  
به ظلمات ضنيناً وطار حين أذعته

\*\*\*

السر منى ولي وحطم الأمم  
لما تفوهت جهلاً وغصن رشدى مالا

\*\*\*

السر كان بقلبي فسشاع بين العباد  
وقد أسففت وحسبي أنى ضللت رشادي

\*\*\*

السر عندي ينسى كأنه في خير

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| ثـوى بقلـبى حبـسـاً       | فـما لـه مـن أثـر            |
| ***                       |                              |
| الـسر عـندى مـيت          | ولـحـده فـى ضـلـوعـى         |
| ومـنـه مـهـمـا قـنـيت     | فـمـا تـبـسـوح دـمـوعـى      |
| ***                       |                              |
| سـرى كـحـى قـسـضى         | ومـالـه مـن نـشـور           |
| أو مـيت قـلـد مـضى        | ولـا يـسـرى فـى القـبـور     |
| ***                       |                              |
| سـرى بـصـدرى مـقـمـيم     | بـمـه اللـسـان شـحـيح        |
| ولـو غـسـدا كـهـشـم       | لـمـا ذرـتـه الـسـريـح       |
| ***                       |                              |
| حـلـمت سـرى حـتى          | لـكـدت أنـسـى مـقـره         |
| وعـنـه أزمـعت صـمـتاً     | وقـلـد تـجـنـبت شـره         |
| ***                       |                              |
| حـلـمت سـرى بـجـنـيـى     | ومـا تـسـرب مـنـيـى          |
| وصـنـتـه بـين لـبـيـى     | حـفـظـاً فـلـم يـنـأ عـنـيـى |
| ***                       |                              |
| بـالـسر طـلـعت نـفـسـيـى  | ولـم أـطـالـع سـوـاها        |
| جـنـبـتـها أهـل جـنـسـيـى | حـرـصـاً فـنـالـت مـناها     |
| ***                       |                              |
| بـالـسر نـفـسـيـى ضـمـنت  | عـلى رـفـاق وـصـحـب          |
| وبـالـر شـاد اطمأنـت      | ومـا جـنـت أـى ذنـب          |
| ***                       |                              |
| مـا نـال مـنـى لـسـانـي   | عـنـد الـشـدائـد سـراً       |

ولم أبـح في زمـاني      ولو تحملست وزراً

\*\*\*

عندى بقلبي حصن      فيه السرائر حلت  
ولو تجمع بين      في حصنها ما اضمحلت

\*\*\*

السر طير بوكر      له اللسان جناح  
وماعلى كل حر      لبو يقتنيه جناح

\*\*\*

سرى معى طوع أمري      وفي فؤادى أقمتسه  
لم أمن فيه بخسر      ولا بلفظ أهنته

\*\*\*

## الصدقة

املاً من السود كأسأ      واسق الخليل رحيقاً  
تجده في الأنس أنساً      وفي الخطوب رقيقاً

\*\*\*

عساك في الناس تلقى      مودة من صديق  
تكون أنقى وأبقى      محبة من شقيق

\*\*\*

الحر يصحب حسراً      والغري يصحب غراً  
والشر ينبت شراً      والعطر ينفح عطراً

\*\*\*

رافق حسان الفعال      تعش عزيزاً كريماً  
واصحب كرام الرجال      ولا تصاحب لئيماً

\*\*\*

في الناس كن عادلا  
ولا تجامل ولا  
إن أثروك الحكم  
تنطق بغير الحكم

\*\*\*

على عدوك فاحلم  
فاحلم طب وبلسم  
عساه يفسدو حييًّا  
كالماء يطفئ اللهيبا

\*\*\*

يارب وقت يمهر  
ورب عيش يمر  
مابين صبح تسر  
مابين أهل تضر

\*\*\*

إن صبح في الود صبح  
فرب في الصبح طب  
فاقوا على الأهل نفعا  
ورب في الأهل أفعى

\*\*\*

فلا تؤاخذ بذنب  
فكم غريب محب  
واحفظ عهد السوداد  
وكم قريب معاد

\*\*\*

وصحبة الأهل فرض  
هم أهل قربي وعرض  
إن أحسنوا أو أساءوا  
أنى تولوا وجاءوا

\*\*\*

فلا تسؤهم بقدرح  
وانصح عساهم بنصح  
فليس فيه نجاح  
يرجى لهم إصلاح

\*\*\*

أحسن إليهم وصلهم  
وإن يزلوا أقلهم  
فههم بعطفك أحسرى  
واقبل لمن تاب عذرا

\*\*\*



يا رب خل يضرك      من حيث يقصد نفعلك  
ورب خصم يمسرك      من حيث يقصد صفعلك

\*\*\*

لا تغترر بالظواهر      فقد تصير لعكس  
ولا تجل في الخسواطر      لأى ساعد ونحس

\*\*\*

دع الأمتور تممر      وارضى لكل العواقب  
والحسر فى الناس حمر      والخير والشر ذاهب

\*\*\*

أسأت بالناس ظننا      عساك تخطئ سهما  
فبت للظن رهنا      وقد تحملت جرما

\*\*\*

حاسب ضميرك واترك      كلا يحاسب فكيره  
يعينك فى الناس أمرك      فدع سواك وأمره

\*\*\*

ما دمت تعمل خيرا      فارقب من الخير خيره  
ما دمت تعمل شرا      فارقب من الشر شره

\*\*\*

إذا أتاك مسيء      يبدى إليك اعتذاره  
فاغفر له كل ذنب      أتاك يرجو اغفاره

\*\*\*

يعود من غير ذنب      من تاب من فعل شر  
ويقبل العذر حر      والعفو شسيمة حر

\*\*\*

كن جيداً وكريماً  
يصبح عدوك خلا  
فلا يضمام كريم  
ويسرض عنك النديم

\*\*\*

المال بالجود يربى  
والبئر تزداد ماء  
والأرض بالزرع تهيأ  
ما زدت نضحاً وسقياً

\*\*\*

إذا رأيت كريماً  
ولست أكرم منه  
بالأجر ضاعف جزاءه  
ما دمت تجرى وراءه

\*\*\*

إذا رأيت لئيماً  
شاطره مكرراً بمكر  
صانع وأحسن لقاءه  
لكن بغير إساءه

\*\*\*

لا تخدعك وغد  
واربأ بنفسك عنه  
فتصطفيه قريناً  
كفى لا تعيش مهيناً

\*\*\*

إذا ابتليت بنذل  
وللضرورة حكم  
فصن وداك عنه  
إن كان لابد منه

\*\*\*

إذا لقيت لئيماً  
ولم تمحضه نصيحاً  
عرفته وبلوته  
فأنت في اللؤم فقتة

\*\*\*

إذا اجتبيت خليلاً  
وصد يومًا تجاهل  
وكان حلو الطباع  
ولا تكن بالمق اطع

\*\*\*

صمن الصداقة واحفظ      من اتخذت رفيقاً  
واحرص على ذي وداد      ولا تضع صديقاً

\*\*\*

أكثر من الأصدقاء      تكسب وداً وحباً  
واحمل أذاهم وصابر      وخل صدرك رجباً

\*\*\*

لا تتخذ لك خصماً      واسلك سبيل السداد  
أحسن إلى الناس طراً      ولا تسيء للمعادي

\*\*\*

إن شئت واصل برفق      أو شئت فارق بلطف  
فلا تشاحن يجدي      ولا يفيد التشنفي

\*\*\*

لا تعترض من تعدي      بالشر إن رمت قهره  
باللين تملك منه      قلباً وتأمين شره

\*\*\*

أجيب حبيبك هوناً      عسى يكون بغضك  
وابغض بغضك هوناً      عسى يكون حبيبك

\*\*\*

فارق بغير عداء      واهجر بغير شقاق  
فربما يتلاقى      وجهان بعد فراق

\*\*\*

أترك عتاب صديق      ببقية واترك ملامه  
وإن بدا لك عتب      ففي السكوت السلامه

\*\*\*

اصنع لخلق خيرًا      عساه يجزيك خيرًا  
وابسم له وتجاهل      إن جاء يـضمـر شراً

\*\*\*

أخلص ودادك واصدق      ودار أهل النفاق  
وإن يريدوا خـداً      لا تخش فـالله واق

\*\*\*

سالم أعاديك واجنح      إن يجنوا للسلام  
وانس الأسى وتجاوز      ولا تزد في السلام

\*\*\*

إن رمت في الناس صلحاً      فلا تقلب لمـاض  
ولا تطـل في عتاب      وكن كأعدل قـاض

\*\*\*

إن حكموك فأخلص      في الحكم واسلك بحكمه  
وانصر ضعيفاً إذا ما      بغى المعاند هـضمه

\*\*\*

قـاض يـضل وقـاض      موفـق للـرشد  
والله أعـدل قـاض      في الحكم بين العباد

\*\*\*

## في الناس

لا يعرف الناس إلا      من عاش بين الناس  
والناس جنس ولكن      كم فيه من أجناس

\*\*\*

الناس للناس عون      والبعض يحتاج بعضاً  
أحبهمو تلق حباً      وابغضهمو تلق بغضاً

\*\*\*

الغسدر فى الناس طبع  
لا تتمهم ولكــن  
فاحذر من الناس تسلم  
إن تحسرس لك أسلم

\*\*\*

ولست للناس قال  
بغير قيل وقال  
وإنما رمت عيشًا  
\*\*\*

لأسأل الناس شيئًا  
إن قابلونى بعدل  
تحاشى الإلحاف  
رضيت أو إجحاف

\*\*\*

إن كان فى الناس غر  
فلنلى نفس حر  
يختال بين المناصب  
تجتاز أسمى المراتب

\*\*\*

ترى من الناس من لا  
ومنهم من تراه  
يحيا بغير الشهامة  
مضيعة للكرامة

\*\*\*

إن قلت فى الناس قولاً  
ولا تخف سوء عقبى  
بالحق فانطق وجاهر  
فقد أمنت المخاطر

\*\*\*

لا ينكر الحق إلا  
وجاهل يتعمى  
مغالط ومكابر  
عن رشده وهو ظاهر

\*\*\*

لحق فى الناس نور  
هداه للعين يبدو  
ينير أهل المبصائر  
كالشمس تبدو لناظر

\*\*\*

في الناس تـرب وتـبر  
وفي الخليفة ذكـرى  
ودرة وحر صا  
وعبرة وعظـات

\*\*\*

في الناس من يتغاضى  
ومن يـراك فيقـضي  
إذا رأى لك حاجـه  
حقاً بغير لجـاه

\*\*\*

في الناس من يتعامى  
ويقتفى منك أثـراً  
إذا فعلت مـبره  
لكى يرى لك عـوره

\*\*\*

في الناس من يتعالى  
وما يـضرك شـيئاً  
عليك وهو وضـيع  
فأنت أنـت رفـيع

\*\*\*

في الناس من يتدانى  
وإن يجد بعد أـمنـها  
إليك خيفـة بأـس  
أطاح منك بـرأس

\*\*\*

في الناس من ليس يسعى  
وإن قضى ما يـرجى  
إليك إلا لنفـع  
أعطاك أجـراً بـصفـع

\*\*\*

في الناس ذو وجهتين  
وإن نـأى عـنك ألقـنى  
إذا رآك تبـسم  
رجساً وفيك تكـلم

\*\*\*

في الناس فـظ غـليظ  
ولا تفـاتحـه قـولا  
فـداره إن رأيتـه  
ولا تـصـخ إن سـمعتـه

\*\*\*

والكل للرزق يسعى  
وذاك يحصد زرعاً

في الناس قاص ودان  
وذاك يبذر حباً

\*\*\*

بريشة خف لطفاً  
تجده أشهى وأصفى

في الناس من إن تزنه  
وإن تقسس به براح

\*\*\*

وتشد الخير فيه  
مغرر من فيه

في الناس من تصطفيه  
وقد خدعت بلفظ

\*\*\*

بقوليه وفعاله  
والويل من أعماله

في الناس من تستحلي  
ومن يزخرف قولاً

\*\*\*

ولا يخادع خالاً  
فكل ما قل جلاً

في الناس من لا يرائي  
وإن تجده قلباً

\*\*\*

بالزور والبهتان  
تنافر الخلان

في الناس غريهاهي  
لم يبع في الناس إلا

\*\*\*

لا يصدق الناس قولاً  
تجده بالعكس ليلاً

في الناس تلقى كذوباً  
إن قال هذا نهار

\*\*\*

في قوله أو يمين  
لا حجة أو يمين

في الناس من لا يماري  
محدثاً كل صدق

\*\*\*

إذا رأى فيك عيبًا  
ويتقى فيك ربًا

في الناس من لا يحابي  
يخشى عليك السبادي

\*\*\*

إلا بنشر الفضيحة  
إليه وانهج سبيله

في الناس من ليس يرضى  
فإن تجده فسارح

\*\*\*

إلا بنشر الفساد  
معاديًا للعباد

في الناس من ليس يرضى  
فذلك ما عاش إلا

\*\*\*

وليس يجدي به نفعًا  
إذ كان للخير يسعى

في الناس ساع لشر  
وبالغ كل خير

\*\*\*

تسمو ونفس لئيمه  
وتلك تبقى ذميمه

في الناس نفس كريمه  
فتلك تحيا عظيمه

\*\*\*

وناقض للعهد  
تناقضًا في الوجود

في الناس حافظ عهد  
وكسب ترى أن تفتش

\*\*\*

لا يكتم الناس نصيحًا  
عليه أجرًا ومدحًا

في الناس حر صريح  
ومما يؤمل منهم

\*\*\*

يوليكم من كل حسنى  
يضيف معنى لمعنى

في الناس تلقى قريبًا  
وإن رآها تناهت

\*\*\*



في الناس تلقى قريبًا  
وإن رآها تفانست  
يبدى عيوبك صرًا  
يضيف للغيب ألفًا

\*\*\*

في الناس تلقى قريبًا  
وإن رآك بخير  
يبدى إليك المحبه  
فالحق يدأكل قلبه

\*\*\*

في الناس تلقى قريبًا  
مشاكسًا مستبدًا  
ضدًا ولا بد منه  
ولا غنى لك عنه

\*\*\*

في الناس تلقى صديقًا  
وكم صديق تراه  
يكون في الضيق عونًا  
عليك غمًا وحرزًا

\*\*\*

في الناس تلقى عدوًا  
فلا يصيبك منه  
كفناك بالبعد شره  
مضرة أو مسره

\*\*\*

في الناس تلقى رفيقًا  
ملازمًا لك ظلاً  
أنعم به من رفيق  
في فرجة أو ضيق

\*\*\*

في الناس حر وعبد  
وسيد ومسود  
ومطلق وسجين  
وخائن وأمين

\*\*\*

في الناس من أن تعره  
يؤده ويزايد  
ألفاً من المال عدًا  
عليه شكرًا وحمدًا

\*\*\*

في الناس من لا يؤدي حقاً وأن قل قدرًا  
وأن تطالبه ألوى وصار يخلق عذرًا

\*\*\*

في الناس من يتباهى بهاله وجماله  
ومن به أبهى وأسمى من يعتلى بكماله

\*\*\*

في الناس من يتعالى بأهله والجدود  
والمرء لم يسم إلا بفعله المحمود

\*\*\*

في الناس من يتحلى بعلمه وحجاه  
فذاك أحلى وأغلى إذ يكتسى بتقواه

\*\*\*

في الناس حلوا ومر في الذق من الكل طعمه  
وآية الله جلست في الكون نور وظلمه

\*\*\*

## العلم

لزممت حدى لما عرفت في الناس قدري  
ونلت بالعلم شأوى والجهل بالنفس يزري

\*\*\*

أراك بالعلم تدري ما كنت تجهل قبلاً  
إذ كنت تزعم علماً وكان زعمك جهلاً

\*\*\*

ذو الجهل يلقى حقيراً ولسو عالا في المناصب

وذو العلم يعلم يسمو بها حبى من مواهب

\*\*\*

ذو الجهل فى الناس أعمى يرى الحقائق تبدو  
فإن تعلم أبصر أمامه لو تبصر

\*\*\*

كم جاهل ضل سعيًا هذا يتيه وهذا  
وعالم لا يضل بعلمه يستدل

\*\*\*

تعلم العلم واعمل فالعلم للمجد يعلى  
لأن تسود الأناما من اقتفاه مقامًا

\*\*\*

العلم كالسيف يحمي والجهل قهر وذل  
من نازلته الأعادي لكل نذل معاد

\*\*\*

العلم أس على من تعلو على من تسامى  
تبنى العلاء والكما لا بمنصب أو تعالى

\*\*\*

العلم ترقى عليه والجهل كالبرير يوي  
كسليم للمقاصد بهما الجهول المعاند

\*\*\*

العلم يبدى فقيرًا والجهل يقصى غنيًا  
من الكرام الأماجد من شأوعم وبياعد

\*\*\*

العلم يكسوك ثوبًا من الجلال قشيًا

فالبسه درعًا وحصل ما استطعت منه نصيبًا

\*\*\*

العلم أبهى وأزهى من جوهر وعقود  
يبرز كل ثمين من درهما المنضود

\*\*\*

## اجتماعيات

أوتتظرف فيه مأوى اجتماعيات  
لم يذق في المسرح حلوًا فالمرء مهملًا يحوّل

\*\*\*

الحلم يوليئك عرشًا من القلوب عظميًا  
فاجلس على خير عرش وكن حكميًا حليًا

\*\*\*

البخل في الناس شين فلا تكن بالبخل  
وجد بها استطعت جودًا ولو بنزر قليل

\*\*\*

اقنع برزق حلال إن الغنى في القناعة  
وفي القنوع متاع لمن أضاع متاعه

\*\*\*

تأن في كل أمر ففى التأنى السلامه  
ولا تكن بعجول حسب العجول الندامه

\*\*\*

اصبر وصابر ورباط تـكن من الفائزين  
والله بالخير يجزي عباده الصابرين

\*\*\*

الصمت فيه نجاه من عثرة وأمان

فاحذر من القول تسلم فقد يزل اللسان

\*\*\*

إذا حضرت شـجـاراً  
أصلح وساعد ضعيفاً  
فكن رسول السلام  
ولو باطف الكلام

\*\*\*

إذا حللت بنـاد  
واصمت ولا تتكلم  
فاقعد بحـذق النبـيه  
وخـذ ولا تعـط فيـه

\*\*\*

نـاقـش بلطف وأقنع  
ومـا عـلـيك لغـار  
بحـجـجـة ودليـل  
لم يـقـنـع مـن سـبـيل

\*\*\*

نـاقـش جـهـولاً بـعلم  
بـالـعلم تـهـدي وتـهـدي  
وخـذ مـن غـير قـوه  
وتغـتـدي خـير قـدوه

\*\*\*

لا يطلـب العـلـم إلا  
والعـلـم فـي النـاس يـهـدي  
بـهـمـة واجتـهـاد  
إلى طـريـق السـداد

\*\*\*

لا تـدرك القـصد إلا  
والبـيت مـن غـير أس  
بالـعـقل والتفـكير  
بـؤول التـدمير

\*\*\*

لا تبتغـى الخـير إلا  
لا تعـرف احـلـلـو إلا  
بـعد احـتمـال الشـر  
مـيزاً بـالـمر

\*\*\*

إن شئت تحيا كريماً  
معظماً في الأنعام

كن للنفس حكيماً      وكن كمالح الطعام

\*\*\*

عاون أخاك تجده      عوناً على كل هم  
وإن بـلاك بظلم      فلا تقابل بظلم

\*\*\*

قد يخطئ السراى يوماً      في هفوة من صديق  
من حيث كان مناه      يسوقها من رحيق

\*\*\*

قد يخطئ المره عفواً      وكان يغى الإصابة  
فأحسن الظن واحذر      ولا تضع صوابه

\*\*\*

يارب خل تراءى      أمام عينك خصماً  
وفي الحقيقة عكس      وقد تصورت وهماً

\*\*\*

يارب خصم تبدي      في ظاهر الأمر خلا  
يبدو حياً ويخفي      في القلب حقاً وغلا

\*\*\*

لا تستمع كل قول      ما كل ما قيل صحا  
والناس فيهم كلاب      يسغون في الناس نبحا

\*\*\*

أترك وشاية واش      يريد إشعال فتنه  
ولا تكن سماعاً      بغير نبل وفطنه

\*\*\*

إذا أساءك خل      فاخلق له منك عذراً

فـرـبـمـا كـان يـرـجـو مـكـان سـوـتـك خـيـرًا

\*\*\*

إذا رأيت مـسـيئًا عـلـى العـنـاد مـصـرـفًا  
لم يكفه العفو زجرًا فسق له منك زجرًا

\*\*\*

إذا حـضـرت نقـاشـًا فـلا تـطـل فـي الجـدال  
ودع نقاشًا عـرـيـضًا يـدعـو لـطـول القـتال

\*\*\*

انـصـح إذا كـنت تـلقـى مـن كـل يـصـغى لـنـصـح  
ومـن أبـى وتـعـالـى فـلا يـعـود بـنـجـح

\*\*\*

أن يـحـسـدوك عـلـى ما بـلـغت مـن عـلـياء  
فـهـبـك بـدرا تـسـامـي عـلـى نـجـوم السـماء

\*\*\*

إن ضـاع فـي النـاس حـق فـلم يـضـع عـند ربك  
لا تـتبـع ذا ضـلال وإن يـكـن مـن صـلبك

\*\*\*

فـي الأـرض خـلـق كـثـير وفـي السـماء كواكـب  
والله حـى بـصـير فـوق الجـمـيع يـراقـب

\*\*\*

الـصـدق أفـضل قـول تـقـولـه فـي حـياتـك  
فـلا تـقـل غـير صـدق ولو دـعا لوفاتـك

\*\*\*

## من الشكاوي

ردوا إلى حقوقي  
فـإنني في عنائي  
بغير نقص وبخس  
قد صرت أضحي وأمسي

\*\*\*

في الرزق هم حاربوني  
فليت شعري ماذا  
وما شـهـرت سـلاحاً  
دمى يسكون مباحاً

\*\*\*

أهكذا كنان أجسري  
وكم أرى من عجيب  
أن دمت فيكم أدياً  
في الناس يتلو عجيلاً

\*\*\*

ماذا فعلت أجازي  
إلا إذا كـسـان واش  
عليه بالتخفيض  
سعى إلى التحريض

\*\*\*

حاشاكمو أن تكونوا  
ومثلكم كيف يصغي  
إلا رجـال الهداية  
إلى دعاة الوشاية

\*\*\*

أما كفاني عذابي  
وما تجاوزت حداً  
من سوء حظ وحسبي  
وما جـنـيت وربى

\*\*\*

يرضى العدالة أي  
وأن أعيش بـضـنك  
أصاب في عين رزقي  
في الناس من غير حق

\*\*\*

أنا أسوى بغيري  
أريد عيشاً كفافاً  
ولست أبغى السيادة  
وما طلبت الزيادة

\*\*\*

طال انتظاري وماذا  
يكون بعد انتظاري



فاسـ عفوني بـرأي يقر فيسه قرار ي

\*\*\*

إن كنت أخطأت ماذا جنيت فيكم أجيبوا  
وحاسـ بوني حـسـاباً به فـؤادى يطيب

\*\*\*

أكنت في الناس بدعاً أم كنت غير الناس  
أنا من الناس فرد منهم وهم أجناسي

\*\*\*

وليتـمـو أمر رزقي والله قـد أولاكـم  
فاسـ عفوني بحقـي بالحق ما أولاكـم

\*\*\*

في أى شرع نقـاسي مـرارة العيش هـضماً  
ومـارثـى أى قلب بل كان صـلداً أصـم

\*\*\*

شكوى فشكوى فشكوى وكـم إليكم شكونا  
ولم نـصادف سـمياً أنـى ذهبنا وجئنا

\*\*\*

كـأنكم في صـفاء ما مسـكم من عـناء  
أو أنكم في نـعيم لم تـشعروا بالـشقاء

\*\*\*

تمويننا في يـديكم وكيف يحبس عـنا  
لنا فرضـتم نـصيّاً فكيف يسلب منـا

\*\*\*

أولى الأوامر هـبوا من نومكم واستفيقوا

لكم حقوق علينا كما عليكم حقوق

\*\*\*

ماذا أجبتكم إذا ما  
أجرتكموا باختكمام  
في البعث عنا سئلتكم  
في قومكم أم عدلتكم

\*\*\*

زجوا بنا في البلايا  
وحاصرونا فإننا  
لا ضير أننا خضعنا  
لحكمكم قد رضخنا

\*\*\*

لنا كساء وزاد  
وما التعميم يباق  
في عيشنا مضمون  
ولا العذاب الهون

\*\*\*

النفس أرفع قدراً  
والسعد بالذل بؤس  
من أن تذل لـنفس  
إنى رضيت بنحسي

\*\*\*

أنا الغنى بزهدى  
أصون في الناس مجدى  
وعفتى وكـالى  
وأنتمى للمعـالى

\*\*\*

اليوم جف مدادى  
والله يكف زادى  
ردوا على الشكاية  
وفي حملاه الكفاية

\*\*\*

إن سد باب بوجهي  
وإن منعتم طلاباً  
فسوف يفتح باب  
فسوف يأتي طلاب

\*\*\*

## الأبناء

الابن يـصلحه أب  
والأم مـسرة البنات  
وإذا الأرومة أصـلحت  
وتقومت صلح النيات

\*\*\*

الابن جزء من أبيه  
وعلى أيهما أن أهمـلا  
منه وقطعة من أمه  
هـ ما جنى من إثمـه

\*\*\*

الابن يسمو خلقه  
فهيما سـواء في الخليـ  
بسمو أخلاق الأب  
سقة واتحاد المشرب

\*\*\*

الابن إن مارسه  
وأبـوه أس قوامـه  
فأبوه أصل رشاده  
وأبـوه غرس فساده

\*\*\*

الابن يمشى خلف وا  
فإذا مشى الصالحا  
لده ويتبع خطوته  
ت فلم يخالف شرعته

\*\*\*

الابن يمشى خلف وا  
فإذا مشى للسيئ  
لده ويرسم خطته  
ت فلم يخالف شرعته

\*\*\*

الابن يمشى خلف وا  
فإذا مشى للسيئ  
لده ويرسم خطته  
ت مشى يقلد مشيته

\*\*\*

الابن يأخذ صورة  
ويشـب يرمقهـا إلى  
من والديه مصغره  
أن تستحيل مكـبره

\*\*\*

لا تهمل ابنك في الطريق — ق ولا تدعه مشتتاً  
كالزراع إن أهملته — بشماره لن يبتا

\*\*\*

لا تجعل ابنك سلعة — أو سـلماً للمنفعه  
واجعله ذخراً يقتني — واعمـل على أن ترفعه

\*\*\*

مهد لنجلك ما يكم — له ليعلمو شأئه  
كـم والـد يشقى وير — جو أن يشرفه ابنه

\*\*\*

خير لنجلك أن يمو — ت وتنكوى من ناره  
من أن يعيش وتغتدي — متبرماً من عماره

\*\*\*

سيصير نجلـك والـداً — وتصير جـداً عن قريب  
فاعـد له عـدد الأبـو — ة واسـتعد إلى المشيب

\*\*\*

نشئ بنيك على الخلا — ل الطيبات وربهم  
وعلى أوامر دينهم — وعلى الخشوع لسربهم

\*\*\*

مهد بنيك على الكما — ل وكن لهم أعلى مثل  
أنت الدليل تقودهم — فإلى الرشاد أو الفشل

\*\*\*

جنب بنيك عن العيو — ب وإن بليت بشرها  
فإذا ابتليت فدار عن — هم واحترس من نشرها

\*\*\*

علم بنيك العلم والآ — داب ممن عهد الصغر

فسيهم تقصرو ويذكرو نك بالمحامد في الكبر

\*\*\*

هذب بنيك ولا تكن سهلأ ولا تك جامدا  
كن بين حالي السهو لة والصعوبة والدا

\*\*\*

أحسن معاملمة البنـين وكن عليهم هينا  
وإذا نصحت فقل لهم قولا حكيمًا لينًا

\*\*\*

### نعمى الحياة قليلة

خف من عذاب الله في أحراك تنج من الخطر  
واحذره في الدنيا تجدد كل السلامة في الحذر

\*\*\*

المـرء في الدنيا إلى حد ينسير ويرحل  
والباقيات الصالحات لعاقـل يتأمل

\*\*\*

المـرء في الدنيا كبا ذر حبة في ربوته  
ولسوف يجنى كل ما هو ناتج من حبه

\*\*\*

المـرء في الدنيا يعيـر فإذا قضى إما لبش  
ش بجرعة وبكـسرة يرى ذاهب أو حـسرة

\*\*\*

ما هذه الدنيا سوى حلم يرى في غفوة  
وبنعمـة أو نقمـة تأويله في صـحوة

\*\*\*

قدم لنفسك في الدنا      ما في القيامة يشفع  
وخذ الرفيق من التقى      عند المخاوف ينفع

\*\*\*

المرء يجمع ماله      فمن الحرام أو الحلال  
وإذا علمت ماله      ستره يذهب دون مال

\*\*\*

المرء يرحل تاركًا      من راحته ما ملك  
وتراه يصبح هالكًا      جسمانه فيمن هلك

\*\*\*

المرء يورث ما درى      إلى قريب أم غريب  
حم القضاء فهل ترى      ينجيّه من ألم طيب

\*\*\*

المرء يورث ما درى      إلى عدو أم صديق  
حم القضاء فهل ترى      يفديه خل أو رفيق

\*\*\*

المرء يحيا حافلاً      بين الأجنة والحشم  
ويظل عهداً غافلاً      فإذا قضى لقى الندم

\*\*\*

المرء ينسى بالدنا      سكنى ليوم الآخره  
فيأذاه أحكم ما بني      يحظى بدار فاخره

\*\*\*

المرء في الدنيا خيال      فإذا انتهى بقيت عبر  
هو والمتاع وكل مال      سيصير كل في خبر

\*\*\*

لا تحترم دنياك إن وافقت إليك وأقبلت  
لا تحتقر دنياك إن غضبت عليك وأدبرت

\*\*\*

نعمى الحياة قليلاة والعيش فيها لا يطول  
صبح وليسيل ينقضي ومتاعها عرض يزول

\*\*\*

نعمى الحياة وبؤسها شيء يجيىء ويبسذهب  
أما الخلود فشمسه إن أشرققت لا تغرب

\*\*\*

كم غررت دنياك من لاه وذى أمل بعيد  
وأرتبه كل مذمم حسنا لكىيا يستزيد

\*\*\*

ما العيش إلا غفلة والموت إلا يقظة  
ما السهر إلا رحلة والعمر إلا لحظة

\*\*\*

### آية العزاء

#### إلى الأستاذ على الغياتى - فى وفاة ولده

أ(على) خطبك فاجع وجميعنا فيسه سواه  
والصبر طيب ناجع للمرء إن فقد الرجاء

\*\*\*

علمتنا الصبر الجميل إن داهم الخطب الجليل  
وأقمت عنه لنا الدليل وضربت منك لنا المثل

\*\*\*

ودرست فيه لنا الدروس إذ كنت أستاذنا

وعليه ربيت النفوس فغدا ادخاراً يقتني

\*\*\*

ماذا نقول وقد عرا  
أو كيف ينفع يا ترى  
هَذَا الْمَصَابِ الْمَوْجِعِ  
صبر وأنت المرجع

\*\*\*

أ(علي) إن مصابنا  
فلك العزاء كما لنا  
أربى على أن نصبرا  
وكفى به أن تؤجرا

\*\*\*

لا عتب فيه ولا انتقاد  
أمراً وأحكم ما أراد  
ونراك موفور الرشاد

\*\*\*

## الحسود

ما ضربني كيد الحسود  
أترى إذا نبحت كلا  
ما دمت في قومي أسود  
ب الحى تهتز الأسود

\*\*\*

أن فزت بالقصد النبيل  
ما للحسود إلى يو  
وظفرت بالأمل الجليل  
ما أن تحفز من سبيل

\*\*\*

أمضى إلى أملى وما  
وإذا مضيت إلى العلا  
أنا بالحواسد حافل  
ما لي سواها شاغل

\*\*\*

أنا إن علوت فلإنما  
ولحاسدى ومنافسي  
لي ما ربحت من العلاء  
كمد ولو بلغ السماء

\*\*\*



حسدوك لم يـنـا      لو ما بلغت من الكمال  
دأبـو لفضلك يطمحـو      ن وأنهم طلبوا المحال

\*\*\*

ماذا ينال الحاسدو      ك وأنت فوق منالهم  
ضلوا عـلاك وخيـوا      فليخسأوا بضالهم

\*\*\*

### أيها المثرى ترفق

أيها المثرى رويدًا      أنت لا تملك مالـك  
وتعيش العمر كـدا      ثم لا تدري مالـك

\*\*\*

أيها المثرى ترفق      بفقير يستجير  
خذ من الدنيا لأخرى      ما ينجى من سعير

\*\*\*

أيها المثرى أتدري      أن بعد العيش موتًا  
تحبس المال لتلقي      بعد ما تبقىـه مقتًا

\*\*\*

أيها المثرى أخير      أن ترى في الناس حبًا  
أم تلاقى بعد موت      عند هول البعث كربًا

\*\*\*

أيها المثرى أشيء      فوق ظهر الأرض يقي  
إعمل الخير وأحسن      إنما الإحسان أبقى

\*\*\*

### لن تنالوا البر حتى

يا سراة القوم هبوا      واسمعوا الداعي ولبوا

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما يحب

\*\*\*

يا سراة القوم إنا فابذلوا مالاً وعزماً  
فيكمو وارجوا الكرم بين شعب يهضم

\*\*\*

يا سراة القوم أنتم فاصرفوا ما قد منعتهم  
ليس إلا وكلاء من حقوق الفقراء

\*\*\*

يا سراة القوم هلا فتفيضون بزجر  
كان يكفى البخل منكم لفقير لم يهضم

\*\*\*

يا سراة القوم ماذا فاحذروا ناراً تلظى  
ينفع المال الغرير إنها ببئس المصير

\*\*\*

يا سراة القوم إن لم رب قول كان خيراً  
تستسيغوا النفقات من جزيل الصدقات

\*\*\*

أنا

أنا في نعمة من الله جلست كل أمر يشاؤه فهو خير  
وتعالت عن انتقاد وحنق أن يكن مسعداً وأن هو يشقى

\*\*\*

أنا لم أدر ما الذى فيه خيرى فألى خالقي أسلم أمري  
أنعيم بنالنى أم شقاء وهو يقضى بعلمه ما يشاء

\*\*\*

أنا خلق مستضعف لست أدري      رب حلو يكون فيه هلاكي  
أملأ في الحياة أو في الممات      رب مر مطيب علاقي

\*\*\*

أنا فرد في مبدأى وحياتي      كل شيء يلذلي من نعيم  
وأرى الصدق والأمانة فرضاً      أو شقاء وبالمقادير أرضي

\*\*\*

أنا في غبطة على كل حال      وكفاني في العيش من فضل رب  
واستحق الأله منى شكراً      لحياتي أن لا أجوع وأعري

\*\*\*

أنا أرجو وجه الأله وحسبي      أن أراه عند الشدائد عوناً  
وإليه لجأت في كل أمر      وبه أرتجى من الذنب صوناً

\*\*\*

أنا قصدي ومذهبي و يقيني      أننى مؤمن بما شاء ربي  
حين ذقت الحياة حلوا ومرّاً      ورأيت الإيمان يملأ قلبي

\*\*\*

أنا لله مدعن في قضائه      حامد شاكر على سرائه  
خاضع صابر على بلوائه      لا أرانى ضجرت عند ابتلائه

\*\*\*

أنا لا أشتكى من الدهر جوراً      كل ما شاءه المهيمن عدل  
أيها المشتكى تصورت ظلماً      عند ما تبلى وذلك جهل

\*\*\*

أنا راض بأى رزق كفاف  
كل نعمى تزول لا أبتغيها  
فى نعيم الحياة لست بطامع  
وبقل من المعيشة قانع

\*\*\*

أنا أهوى الهدوء فى كل ظرف  
لا أرى لى سوى الوفاق سبيلاً  
لست أهوة الشحناء والبغضاء  
لا أحب الشقاق والضوضاء

\*\*\*

أنا نفسى أقودها لهداها  
تحت أسرى طويتها ولعمري  
لم تقدنى لما اشتت من هواها  
كان إسمى هداية من طواها

\*\*\*

أنا أعلو بعفتى لا بىالى  
وإذا كان للفناء مآلى  
وبزهدى أفسوز بالآمال  
كل شيء يزول عند انتقال

\*\*\*

أنا لا أبتغى من المال قسطاً  
وأرى فى العفاف والزهد قصدي  
وافراً أبذل الكرامة فيه  
وجليس ذى حكمة اصطفيه

\*\*\*

أنا إن عشت بين قومى غنياً  
أو إذا عشت بينهم ذا كمال  
هل لهم من غناى ما يستفاد  
هل تراهم عن احترامى حادوا

\*\*\*

أنا إن لم أحفظ كرامة نفسى  
أنا إما أهنت نفسى ذلت  
أو أصننها عن الدناءة زلت  
وإذا صنتها تسامت وجلت

\*\*\*

أنا في الناس عشت أخدم قومي      ذلك الواجب الذى فيه أقضي  
لا أرجى عليه شكرًا وأفنى      فيه ما أقتنى وأحفظ عرضي

\*\*\*

أنا لا أبتغى من الناس مدحًا      أو أرانى بدمهم فى انتقاص  
من يصن نفسه يزنها بصون      وكفى النذل ما يرى من قصاص

\*\*\*

أنا للخل ذو صفاء وود      ووفى لذى الجوار بعهدي  
وحريص على كرامة أهلي      وأجازى على الجميل بحمد

\*\*\*

أنا لم أدر ما العدو وإنى      لا أرى لى بين الورى أى ضد  
وإذا كنت لا أسىء فإلى      ومسيء تهذيبه ليس يجدي

\*\*\*

أنا أرجو للناس ما أتمنى      فى حياتى من السعود لنفسي  
كل خير ينالهم كان خيرى      كل أنس يعمهم كان أنسي

\*\*\*

أنا أرجو إصلاح قومي ونفسي      أنا أفدى بالروح أبناء جنسي  
لم أكن ناظرًا للنعمة غيري      أو أرانى سعت يومًا لرجس

\*\*\*

أنا أنسى فى خلوتي وأنيسي      قلم بين إصبعي وكتاب  
واعتبار بحكمة وادكار      لشؤون عرقتها وحساب

\*\*\*

أنا شغلي وشاغلي أن أحلى  
ألبس الناس حلية لست أبقى  
كل جيد بكل عقد ثمين  
في خفاء الكنوز أى دفين

\*\*\*

### أيها المستبد بالرأى شاور

أيها المزدهى بجاه ومال  
أنست بالنفس سيد وعظيم  
ليس هذا محل زهو وعجب  
ويخلق مهذب وبلب

\*\*\*

أيها المزدهى بحسن وثوب  
إن في القبر جيفة ورميًّا  
من حرير وسندس مسنون  
ويحلى بخضرة وغصون

\*\*\*

أيها المزدهى بعم وخال  
لا تقل لى قد كان جدى وقل لى  
لست إلا بشخصك المعهود  
ذاك علمى وذاك فضلى وجودى

\*\*\*

أيها العالم المسدل بعلم  
ما تعلمت غير جهل بعلم  
ليس للعلم لو فطنت نهايه  
كلما تنتهى ترى فى بداية

\*\*\*

أيها المدعى ذكاء وفهما  
إن معنى الذكاء معنى دقيق  
ذاك وهم فكن فهما ذكيا  
كل ممن يدعيه كان غيبًا

\*\*\*

أيها المقتفى هوى النفس ادرك  
لا تطعها فى كل أمر وحاذر  
أن للسففس نزعة للشرور  
ما توليك شطره من أمور

\*\*\*

أيها الجاهل الذى ظن عجبًا      أنه عالم وطاش غرورًا  
قد تحببت فى دجى من ضلال      ونرى العلم للبصائر نورًا

\*\*\*

أيها المستبد بالرأى شاور      عالما بالأمر نديًا حكيمًا  
كل شورى نعطيك رأيًا جديدًا      وصراطًا تجتازه مستقيمًا

\*\*\*

أيها المستزيد فى الرزق مهلاً      لا ينال الإنسان إلا نصيبه  
قد ينال الخمول عن غير قصد      منه حظًا ودائب لن يصيبه

\*\*\*

أيها المستكن فى طلب الرز      ق تحمل مذلة وخسارًا  
من يرج الأرزاق من غير سعي      كالذى يرتجى من الماء نارًا

\*\*\*

أيها المسرع المسير رويدًا      وامش هونا تجد لقصد سبيلًا  
ما خرقت الأرضين كدا وسعيًا      أو بلغت الجبال عرضًا وطولًا

\*\*\*

أيها الخامل الكسول تنشط      وأزح عنك أثقل الأعباء  
بنشاط تنال كل بعيد      إذ يعود الكسول بالإعياء

\*\*\*

أيها الراقد النووم تيقظ      إن فى الليل حادثات جسامًا  
ربما نمت هادئًا مطمئنًا      وعرى طارئ ففقت المناما

\*\*\*

أيها المكثّر الملام لخل  
ربما أن يطل عليه ملام  
خفف اللوم ذاك للود أبقى  
ليس يصغى له ولو قلت حقًا

\*\*\*

أيها المزدري ضعيفًا أتدري  
ربما كان جوهراً في تراب  
أن في ثوبه الهزبر الضاري  
أو كهاس في أسود الأحجار

\*\*\*

أيها المستزيد في العيش أيقن  
برأ الله خلقه وهو يبقى  
أن للعيش موعدًا محدودًا  
مفردًا بعده ويفنى الوجودا

\*\*\*

أيها المشتكى رويدك ماذا  
سلم الأمر للمهيمن واترك  
تنفع المرء إن شكا شكواه  
كل أمر يجري على مجراه

\*\*\*

أيها السائل عن الله ماذا  
إن في الكون عبرة وعظات  
يثبت العقل من دليل عليه  
ترشد المبصر الليب إليه

\*\*\*

## الزمان

كل يوم تلقى الزمان بلون  
فديم يعافه كل ذوق  
ولعمري ما كل لون يروق  
وجميل محبب معشوق

\*\*\*

رب يوم تنال فيه الأماني  
هادئ البال ناعمًا لست تدري  
باسمات ويكمل الصفو فيه  
من خبايا الأرزاء ما تلتقيه

\*\*\*



إن صفا الدهر لحظة فترقب      عند صفو تقلبات الأمور  
قد تلوح السعود بعد نحوس      وتفيض الأكدار بعد سرور

\*\*\*

لا تحاول من القضاء فرارًا      كيف ترجو ما ليس في الإمكان  
أو تفكر في راحة وعناء      وتقبل مفاجآت الزمان

\*\*\*

ارض واخضع للحكمة وقضاء      فعسى بالرضا من الهم تنجو  
وعسى ما كرهته من أمور      كان في طيه الذي كنت ترجو

\*\*\*

ما نعيم الحياة إلا شقاء      وشقاء الحياة إلا نعيم  
كل أمر لابد يتلوه عكس      ليس حال في الكائنات تدوم

\*\*\*

إذا

إذا أنت وليت أمر الورى      فضع حكمة عند تكييفه  
ولا تك في مرة جائرًا      وكن عادلاً عند تصريفه

\*\*\*

إذا كنت ذا قوة لا تهن      ضعيفًا ولا تغتصب رزقه  
فرب ضعيف يعود قويًا      ويأخذ في شدة حقه

\*\*\*

إذا كنت في الناس لا تعرف      ولم تك ذا فطنة تنصف  
أضعت الجبى على غفلة      وفاز بها يتغنى الملحف

\*\*\*

إذا قلت في الناس قولاً فقل  
ومن يقل الشر إعراضه  
من الخير ما شئت أو فاسترح  
تباح لسدى للناس إن يستبح

\*\*\*

إذا كنت ترضى لغيرك شراً  
وإن أنت أوتيت مالا وجاها  
فإنك بالشر أخلق منه  
فما أنت في الروح تمتاز عنه

\*\*\*

إذا كنت لم ترع حق الورى  
وإن كان جمعك للمال خيراً  
فكيف تراعى لك الناس حقاً  
فتقديمك الخير خير وأبقى

\*\*\*

### الغنى الجاحد

غنى وما عاش إلا لجمع  
يجور على الناس كى يستزيد  
ولو من دم البائس الحائر  
أعوذ برى من الجائر

\*\*\*

غنى وإن جاع كل الورى  
ولو تخسر الناس أرواحهم  
ليشبع جيئاً فما يسأم  
ليكسب قرشاً فلا يحجم

\*\*\*

غنى يضمن ولو بالكلام  
فلا جاد بالمال يا ويحه  
لأنقاذ عان وذى لهفة  
ولا جاد بالعطف فى لفظه

\*\*\*

غنى ولكن أراه فقيراً  
ومعنى الغنى أن تواسى ضعيفاً  
وليس غنى المرء بالمال يكفى  
وترضيه منك بجدود ولطف

\*\*\*

إذا كان مالك لا ينفع  
فكيف تلاقى إذن في النفوس  
وجاهك في الناس لا يشفع  
مكأننا وكيف إذن ترفع

\*\*\*

ومن يتق الله يجعل له  
ومن يتوكل عليه كفاه  
من الضيق في أمره مخرجاً  
من الخير والبر ما يرتجى

\*\*\*

### الأيام والليالي

ألا رب ليل دجى لم نكد  
ويارب هم دها إثرهم  
نرى صبحه من توالى الهموم  
ورب نعيم بدا لا يدوم

\*\*\*

سهرناك يا ليل حتى مللنا  
كان الزمان غداً ليلة  
وانحلنا فيك هذا السهر  
وما ثم صبح لها ينتظر

\*\*\*

وكم في الليالي عجيباً نرى  
وإن الليالي وما تحتوي  
من الغم ماجد أو من طرب  
بأجوافها أمهات العجب

\*\*\*

إذا نمت ليلك لا تغفلن  
وحباذر من الهم ما ينطوي  
فإنك لم تدرك ما خبأه  
عليه وإن كنت لن تدركه

\*\*\*

ألا إن أيامنا قلب  
وما نحن إلا مع الحادثات  
فأنا تسر وأنا تسيء  
يوم يمر ويوم يحى

\*\*\*

إذا كنت تعلم أن الحياة      ليال تكرر بأيامها  
فكيف خدعت بأحلامها      وكيف فزعت لأوهامها

\*\*\*

### متناقضات

يصدق القول ولو فيه قتل      ويقول الصدق إن عنه سئل  
ليس يخشى اللوم أو يخشى الردى      أو يروم الجاه لو عنه فصل

\*\*\*

يكذب الناس حديثاً ويرى      خلة الكذب لزماً لازماً  
ذاك إن قال فلا يصنى له      ولو اجتاز مكاناً في السما

\*\*\*

يعلن الحق وإن لاقى المحن      لا يحايى والى أُنبتَه  
ويدوس للشوك في إعلائه      وانتقام الخصم لن يكتبه

\*\*\*

ينكر الحق ويعبى باطلاً      ماله حظ سوى نشر الفساد  
مبطل مستغرق في غيه      لا يخاف الله أو يرعى العباد

\*\*\*

ينشد الإصلاح يسعى جاهداً      يصلح الخصم على الخصم العنيد  
ويرى فرضاً عليه أنه      لا ينى عن ذلك القصد المجيد

\*\*\*

يفسد الناس ويسعى واشياً      يصرف الوقت لإيقاع الفتن  
ينشر السوأى فخوراً وإذا      شام حسناهم فلم يبد الحسن

\*\*\*

يصنع الإحسان لا يبغي به      مدحة من مآدح فيما صنع  
ذاك ممن يعلو مكاننا وإذا      حطه الدهر على الرغم ارتفع

\*\*\*

يصنع الإحسان لا يبغي سوى      أن يقول الناس هذا محسن  
وهو يخفى من خبايا لؤمه      عن عيون الناس ما لا يعلن

\*\*\*

يصرف الأموال عن فطرته      لعديم ويتيم وفقير  
في رضا الله وفي طاعته      كيف يخشى الضيم والله نصير

\*\*\*

يحذر الفقر بخيل فيرى      بعطاياه شحيحاً لا يجيد  
مآثلاً الآيات في روعتها      إنما الأموال بالجود تزيد

\*\*\*

يفعل الخير ابتغاء الخير لا      يتغى شكرًا على ما قدما  
وترأه إن أتته نعمة      شاكرًا أو نقمة لن ينكما

\*\*\*

ينفق المال رثاءًا في الورى      ليس يبغي غير عجب ورياء  
ثم يرجو الأجر من خالقه      وهو لا يلقي سوى شر الجزاء

\*\*\*

يسمع اللغو فيصغى فإذا      سمع الخير تولى معرضًا  
ذاك إن جاء فلا نفع به      أو يرجى خيره أين مضى

\*\*\*

يظهر الحب إذا منك اقترب      ويذيع البغض إن عنك احتجب  
ذاك أمر لو تأملت عجب      يضحك الثغر وفي القلب لهب

\*\*\*

يؤثر الناس على ما قد ملك      من عقار ومتاع وبنين  
طاهر القلب نقيًا مخلصًا      صادق الود لخل لا يمين

\*\*\*

يكره الناس ولو من صفة      وذوى قربي وصهر وولد  
سيء القصد فأما نعموا      ذاب من غل وحقد وكمد

\*\*\*

ينطق الحق إذا ما حكما      حكمه في نطقه ما احكما  
قوله الفصل كسيف قاطع      عادل في حكمه ما ظلما

\*\*\*

يعشق الباطل لا يخشى العطب      ويرى في الظلم غايات الأرب  
فاعجبوا من ظالم لا يرعوى      وأئيم ليس يدرى المنقلب

\*\*\*

### لذة العيش

لذة العيش غناء ونصب      لا ترى الراحة إلا بالتعب  
وبقدر السعى إدراك المنى      ويجد يبلغ المرء الأرب

\*\*\*

مالك الحر الذي تكسبه      ليس ما يورث أو توهب  
فأغلب الأيام بالجد فمن      نام عنها ربما تغلبه

\*\*\*

كم غنى لم يفده ماله      ضيع المال بنوم وكسل  
وفقر بات من أغنى الورى      ربح المال بكد وعمل

\*\*\*

كم كسول مد للسؤال يدا      ومجد مد بالجود يده  
ذاك يستنفد ما يملكه      بينما الآخر يربى عدده

\*\*\*

همة الإنسان تعالى قدره      وتوليئه المكان الأرفعا  
هى أبقى من كنوز فتحت      إن سطا الدهر عليها ضيعا

\*\*\*

إن ترد في الناس فضلاً وعلا      فامض بالحكمة والعزم الشديد  
ولما ترجوه فاعمل دائماً      تدرك الغاية بالرأى السديد

\*\*\*

### من الناس

من الناس من يشقى لتحصيل زاده      ورب ليال باتها وهو جائع  
ومنهم سعيد تم في السعد سعده      وكوكبه الميمون في الأفق طالع

\*\*\*

من الناس من يشقى لإسعاد قومه      ويفرح إن نالوا به كل مأرب  
ويصغر ما ضحى لإعلاء شأنهم      ويؤثر نعماهم على كل مطلب

\*\*\*

من الناس من يرجو السعادة وحده      ولو بات يشقى العالمون بسعده  
ويؤثر بالخيرات والبر نفسه      وإن شام ذا نعمى رماه بحقده

\*\*\*

من الناس تلقى قائلاً غير فاعل  
ومنهم تلقى فاعلاً غير قائل  
ومنهم تلقى واصلاً غير مسرع  
ومنهم تلقى مسرعاً غير واصل

\*\*\*

من الناس تلقى سابقاً غير لاحق  
ومنهم تلقى لاحقاً غير سابق  
ومنهم ينال الرزق من غير ما سعى  
ومنهم يضل الرزق بين المفارق

\*\*\*

من الناس متبوء ومنهم محبب  
ومنهم صديق مخلص في وداده  
ومنهم نبيل قصده ومذبذب  
وأخر ذو وجه عن اللؤم يعرب

\*\*\*

من الناس موفور الكرامة يعتلي  
ومنهم ذميم بالنعال موطئ  
بحسن سجاياه على ذروة النجم  
يكال له كيلا من الطعن والذم

\*\*\*

من الناس ذو حق يضحى بحقه  
ومن ليس ذا حق وما انفك دائباً  
ليأمن من شر الخصام ويفتدي  
يصول على حق العباد ويعتدي

\*\*\*

من الناس ذو فقر وفي الناس ذو غنى  
فرب فقير ساد بالعلم والحجا  
وما الفضل إلا بالكرامة والنفس  
ورب غنى ساد بالجوذ والحس

\*\*\*

من الناس ذو علم وفي الناس جاهل  
وفي الناس مكثار الكلام بغيبه  
وفي الناس ذو حلم وفي الناس أحق  
وفي الناس من تعنو له حين ينطق

\*\*\*



وفي الناس ذو تقوى وفي الناس  
وفيهم لئيم في الإساءة غارق

من الناس مراتب وفي الناس أبق  
وفيهم كريم يحسن الصنع في الورى

\*\*\*

وفي الناس ميسور وفي الناس بائس  
وفي الناس جذلان وفي الناس

من الناس عريان وفي الناس لابس  
وفي الناس جوعان وفي الناس شابع

\*\*\*

### إذا أنا

فلا خير لي في العالمين بأسرهم  
فلا بد يوماً أن أساء بمكرهم

إذا أنا لم أحفظ لنفسى حقها  
وإن أنا لم أحذر من الناس مكرهم

\*\*\*

بمستبق للخير لاعتشت في الدنيا  
ولا فاضل من يؤثر النفس بالمني

إذا أنا لم أصنع جيلاً ولم أكن  
فما سيد من عاش يخدم نفسه

\*\*\*

فما لذى يوماً حلاوة ما يحلو  
فما طابت النعمى ولم أدر ما العدل

إذا أنا لم أجرع من المر جرة  
وإن أنا لم أظلم ولم أحمل الأسى

\*\*\*

فلا أبت للمثلى ولا ثبت للهدى  
فلا صلحت حالى ولا كنت أرشدا

إذا أنا لم أسمع نصيحة ناصح  
وإن أنا لم أعمل بحكمة مرشد

\*\*\*

فما عدت يوماً بالغاً منه ما أرجو  
وبات على ظلمى بحمقى محتج

إذا أنا لم أصبر على جور جائر  
وإن أنا لم أحلم عليه أضاعني

\*\*\*

إذا أنال ألم أروع الجوار ولم أكن  
فلا كنت مرعيًا ولا كنت آمنًا  
بحافظ حق الجار أو حرماته  
فما يسلم الإنسان من عثراته

\*\*\*

إذا عشت في الدنيا عزيزًا محييًا  
وإن نالني منهم صفاء مسودة  
لدى الناس هذا كل ما أنا أرغبه  
فذلك ما يسعى له الحر يطلب

\*\*\*

فديت بنى جنسى بها ملكت يدي  
فإن واصلوني كنت أول واصل  
ولو حاربوني بالجهالة والحقد  
وإن قاطعوني دمت أبقي على الود

\*\*\*

أروني وفاء أيها الناس منكمو  
وإما جفوتكم لست أرضى جفاءكم  
سأجزىكمو خير الوفاء على الوفا  
ولست أجازيكم جفاء على الجفا

\*\*\*

علام غرور الناس والكل ينقضي  
وإنى أرى الأيام بالناس حولاً  
وليس الغنى والفقر إلا مؤقتاً  
فكم رفعت نذلاً ويهوى بها الفتى

\*\*\*

بنى آدم إنسى لآدم انتمى  
نمتنى إليكم من بعيد قرابة  
واهوى أبى ما دمت فيكم وإخوتي  
فأنتم أولو قربي وأنتم عشيرتي

\*\*\*

بنى آدم لا تحسبوني رميتكم  
ولو كنت فيكم ذا غنى أو مهابة  
بنقص وأنتم عزة العقل والنبل  
فما امتزت عنكم فى القرابة والأصل

\*\*\*

ذوى المال إن المال ليس بنافع  
ولكنه في مصرف الخير نافع  
إذا ملئت منه الخزانة والكنز  
وفيه لذى فضل يجوده حرز

\*\*\*

أرى المال إن وافى وإن يك ذاهباً  
وما دمت في الدنيا أعيش بحاجتي  
من العرض الفانى فما كنت أكبره  
فلا أنا أرجوه ولا أنا أوثره

\*\*\*

غرورك بالأموال لاشك زائل  
ولو دام إشراق الغنى فهو زائل  
إذا ما انحنت شمس الغنى لزوالها  
إذا ما اثنت روح الورى لملأها

\*\*\*

إذا كنت مغروراً فأنت مذمم  
وخير امرئ من يملك الناس قلبهم  
ولو أنت ملكت البلاد بأسرها  
ولا يملك الدنيا يساء بشرها

\*\*\*

غنى من استغنى بنفس كريمة  
ومن يملأ الدنيا بعلم وحكمة  
ومن يبذل الأموال في ساحة الندى  
ولم يدخر إلا الكرامة والهدى

\*\*\*

إذا ولت الدنيا وإن هى أقبلت  
وإن عشت في قوم يباهون بالغنى  
فما أنا بالمغرور في أى لحظة  
وكنت غنياً ما نبست بلفظة

\*\*\*

### متفرقات

الجا إلى الله لا تلجأ لمخلوق  
وثق بنفسك واستظهر عزائمها  
وسر بعزم إلى بغياك مصدوق  
وكن صبوراً ولو أصبحت في ضيق

\*\*\*

والصبر لا بد يأتي بعده الفرج  
قد يبرئ الصبر من في صدره حرج

العود ينفخ من إحراقه الأرج  
إن مر في البدء يخلو في نهايته

\*\*\*

وإن نعمت فلا تفرح بنعماء  
فطب بما نلت من نعمى وبأساء

إذا ابتليت فلا تفزع لبلواء  
أرى لكل صفاء ما يكدره

\*\*\*

كما بدت في حلالها المومس العاهر  
وابسم لها بسمة المستهزئ الساخر

لا يعجبك من دنياك زخرفها  
ولا تغمرك إن وافتك باسمه

\*\*\*

ما يهلك النفس واسلم من مهالكه  
يسلك مع الفكر يعثر في مسالكه

من يترك الهم تركه الهموم فدع  
لا تذهب الفكر في ذكرى الهموم

\*\*\*

ومن يدم بحكيم الرأي معتصماً  
ثبت العزيمة إن يعبس وإن بسماً

يفوز بالقصد ذو حزم وذو جلد  
إن يبسم الكون أو يعبس فكن رجلاً

\*\*\*

وذو الدناءة يبقى سيء الحال  
وهو المذمم في صحب وفي آل

إن الغنى غنى النفس لا المال  
وكيف يسعده مال بلا شرف

\*\*\*

ويعتلى في مكان لا يدنسه  
وما يفكر أن البذل يئسه

إن الغنى الذى يسمو بعفته  
ويبذل المال جوداً إن تملكه

\*\*\*

إن الغنى الذى يرضى بحالته      وليس يطمع فى شيء من البشر  
ويحمد الله فى جوع وفى شبع      ويرضى كل ما يأتى من القدر

\*\*\*

إن الغنى غنى المال ينفقه      للمعوزين ولا يبقى ولا يذر  
من يصنع الخير لم تنفذ خزائنه      وأنه لعظم الأجر يدخر

\*\*\*

أن الغنى غزير المال ينفعه      إن كان للبر والإحسان يجمعه  
وفى القيامة عند الله يرفعه      ما دام فى طرق الخيرات يدفعه

\*\*\*

إن الغنى غنى فى معانيه      ليس الذى ماله أقصى أمانيه  
يبقى غنيًا وبين الناس محترمًا      من فى التسابق للحسنى تفانيه.

\*\*\*

لا ينصر الناس من مولاه خاذله      أو يخذل الناس من مولاه ناصره  
فاستنصر الله لا تحذر مناوره      من اللئيم فإن الله قاهره

\*\*\*

دع اللئيم وما وارى وما جهرا      وما اختفى من نواياه وما ظهرا  
ولا يضريك مكر الماكرين وكن      فيهم صفوحًا إذا ما كنت مقتدرًا

\*\*\*

إذا سعت لشرب الناس تشده      لا بد يوم حصاد أنت تحصده  
فأغمد السيف تسلم من مضاربه      قد يطعن المرء من سيف يجرده

\*\*\*

ما ضر لو كف غاو عن غوايته      وقد كفى الناس شر البغى والحسد  
وعاد للخطوة المثلث ففاز بها      وكان أدنى إلى الإيمان والرشد

\*\*\*

داء الحماقة داء لا دواء له      والشر في النفس مخلوق من الأزل  
فداو نفسك من داء ألم بها      واحذر يقودك للويلات والخطل

\*\*\*

من يزرع الورد يجنى الورد أينعه      من يزرع الصاب لا يجنى سوى  
من يفعل الخير يلق الخير أجمعه      من يفعل ألعاب لا يلقى سوى ألعاب

\*\*\*

### الحج

الحج فرض فأدوا فرض خالقكم      وعظموا حرمانات الله وأتمروا  
فيه التعارف بين الناس قاطبة      ثم الجزاء لمن حجوا أو اعتمروا

\*\*\*

الحج يجع من أقصى البلاد إلى      أقصى البلاد قلوبنا لم تكن جمعت  
نادى منادى الرضا يدعو لطاعته      فأذعنت لنداء الحق إذ سمعت

\*\*\*

لبيك يا رب أن الناس قد خشعوا      إلى جلالك في نهى وفي أمر  
قاموا يؤدون فرض الله بارئهم      ويستزيدون من حمد ومن شكر

\*\*\*

يا كعبة الله جئنا طائعين ومن      يطع إله الورى يظفر بجناته  
جئنا نظوف ونسعى في حمايته      لم نسأل جهداً ولم نجحد لآياته

\*\*\*

عظم شعائر بيت الله وامثل  
واشرب هنيئاً من العين التي شرفت  
وعج على زمزم إن شئت وانتهل  
تروى الظماء وتبرى كل ذى علل

\*\*\*

كمال دينك حج إن ظفرت به  
ولا تؤجل إذا ما كنت مقتدرًا  
فشد رحلك وأمن شر عاديته  
إن استطعت سبيلاً قم بتأديته

\*\*\*

### سارع إلى الحسنى

اسلم قيادك للقضاء وللقدر  
واحذر بقدر المستطاع وكن على  
فى الأمن إن يوماً حللت أو الخطر  
ثقة بأنك لست تنجو بالخطر

\*\*\*

فكر ودع تدبير أمرك للذي  
مهما صنعت فما ينفذ غير ما  
لا يملك التدبير فينا غيره  
ترضاه حكمته ويقضى أمره

\*\*\*

اعمل لخيرك وانتظر حسن المآل  
ما كل ما ترجو يتم نواله  
وإذا أتاك العكس فارض بأى حال  
أو كل صعب كان صعباً فى المنال

\*\*\*

سارع إلى الحسنى فإن لم تلق من  
فالمرء يفنى جسمه وفعاله  
يجزيك بالحسنى ستكفيك الذكر  
تبقى فأحسن ما تخلد من أثر

\*\*\*

لا تفش شرك للصديق وإن صفا  
واحفظ لسانك أن يبوح بما اختفى

واحرص على سر الصديق وارجفا  
واحذر إذاعته وإن يومًا هفا

\*\*\*

أبق المودة في العدا وهون  
كن بين بين تكن لبيًا حاذقًا  
لا تبق صلبًا أو تكن بالهين  
واملك عدوك بالمقال اللين

\*\*\*

قد يأمن الإنسان شر عدوه  
فاحذر عدوك إن أتاكَ مرئيًا  
بالحزم والرأى السديد الأيد  
في وده وإذا صبحًا لا ترقد

\*\*\*

لا تخدعك من عدو بسمه  
فتراه كالشعبان يبدو لنا  
مهما صفا من كأسه لا تحتسي  
فإذا قلب كان صعب الملمس

\*\*\*

دع حاسدك فما يضريك كيدهم  
كالجمر إن تركه يأكل بعضه  
واترك عدوك يحترق في ناره  
أو تقرب منه تصب بشراره

\*\*\*

دار السفه إذا خللت بداره  
وإذا ابتليت بأحق كن صامتًا  
وإذا صفا لك ذو الجوار فجاره  
ما دمت تبقى عاريًا من عاره

\*\*\*

لا تغرينك مدحة من مادح  
ما دمت ترعى حق نفسك منصفًا  
أو تؤمنك قدحة من قاذح  
وتصونها عن كل أمر فادح

\*\*\*

إرع الوداد وصن عهودك واحترم  
حرمات أهلك والعشير وصاحب



واربأ بنفسك عن أناس أغرقوا      في غيهم ومن الكرام فصاحب

\*\*\*

أخلص فؤادك للعباد ولا تسل      إن أخلصوا لك أو إذا لم يخلصوا  
من يزرع الإحسان يجن ثماره      ومن اعتدى فعليه ما يتربص

\*\*\*

أكرم نزيلاً في حماك وإن تجدد      ذا لهفة فأقله من لهفاته  
وإذا قدرت على الإساءة لآتسيء      وأجر أخا العثرات من عثراته

\*\*\*

بفضائل الأعمال كن متحلياً      إن شئت أن تحيا سعيداً في الورى  
حسب الفتى في عيشه وإذا قضى      بفضائل ومكارم أن يذكر

\*\*\*

سلم لربك في عدوك ينتقم      وكما جبلت على الفضيلة فاستقم  
واربأ بنفسك أن نمديد الأذى      ومع المسيء وإن قسى لا تصطدم

\*\*\*

الله يميز من عفا متجاوزاً      أضعاف ما قد فاته من غنم  
فاصفح نل بالحلم أبعد غاية      ما عز يدركه الفتى بالحلم

\*\*\*

ما دمت في كل الأمور مسلماً      ومسالماً لا تخش تدبير العدا  
لك ما نويت وما نوا فعليهمو      ما ضل في مسعاه من تبع الهدى

\*\*\*

## صنع الجميل

اصنع جميلاً في العباد فإن تصب  
خيراً فضاعف في الجميل وزدهمو  
أو أن تصب شراً سيجزيك الذي  
علم السرائر بالكفاية عنهمو

\*\*\*

ما عاد من صنع الجميل بخيبة  
الله يكفل أجره ويشييه  
وإذا ابتلى بين العباد بمحنة  
يكفيه في يوم الجزاء نصييه

\*\*\*

أحسن صنعاً يا أخا الإحسان  
وسموت منزلة بكل مكان  
يكفيك ما عشت الهدى أو مت ما  
أبقيت من أثر على الأزمان

\*\*\*

إن لم ينل أجر الورى سينال أجر  
الله من صنع الجميل وأصلحا  
فإذا ابتليت بظالم لا تنتقم  
منه فحاشا ظالم أن يفلحها

\*\*\*

أحسن فقى الإحسان ما يرضى إل  
هك واصطر فالصبر لو أمعنت خير  
وإذا أتاك الشر ممن ناله الـ  
إحسان منك فزدو لا يردعك شر

\*\*\*

أحسن وثق أن الجزاء محقق  
ومضاعف لمقدم الحسنات  
اخلف وكن متصدقا وكفاك  
أن الله يعطى الأجر بالعشرات

\*\*\*

المال في دنياك إن أبقيته  
أو قبل موتك في الهوى أفنيته  
هل تستفيد بغير ما أقرضته  
لله أو يبيدك قد قدمته

\*\*\*

الله أعطاك الغنى لتزينه      والجاه قد أعطاكه لتصونه  
فانفع بجاهك من أنى لتعينه      والمال أخرج محسناً مكنونه

\*\*\*

يا من يضمن بجاهه وبإاله      عند الشدائد في معونة آله  
من لم يعيش للناس عاش لنفسه      متخبطاً في غيه وضلاله

\*\*\*

من يقف آثار الكرام ويتفق الـ      أموال في الحسنى أصاب بما اقتضى  
فابذل فأنت مفارق لا ينفعنك      في الخزائن ما تركت خلفاً

\*\*\*

اختر لنفسك في الحياة طريقاً      وخذ التقى والصالحات رفيقاً  
وارحل لدار الباقيات مزوداً      لتنال في أعلا الجنان رفيقاً

\*\*\*

قدم لنفسك في حياتك ما تفوز      بأجره يوم المعاد مضاعفاً  
خذ مؤنساً لك في القيامة يوم يأ      تى الكل من هول القيامة خائفاً

\*\*\*

صنع الجميل ينيلك المقصودا      وتنال فيه مقامك المحمودا  
ويطيب ذكرك في مكان طيب      أسديت فيه مكارماً أو جوداً

\*\*\*

صنع الجميل لباقة وفراسة      وفطنة بين الورى وكياسة  
وكرامة تسمو بها وسياسة      ومكانة فوق السهى ورياسة

\*\*\*

صنع الجميل ينبه الأحابيا ويلين قلبنا لم يلن لمودة  
ويجمع الأهلين والأصحابا وبه تسود وتملك الألبابا

\*\*\*

صنع الجميل يخدر الأعداء إن لم تنل خيرا كفيت شرورهم  
أن يبتوا الأحقاد والشحناء وأمنت أن يدوا لك البغضاء

\*\*\*

صنع الجميل ترى به معوانا فعمسى يسالمك المعادى أو يلين  
فاصنعه واستودعه أيما كانا بما صنعت وأن يكن ثعبانا

\*\*\*

شتان بين أخى الجميل وبين من هذا يعود بعزة وكرامة  
يؤذى العباد بفعله المذموم ويعود ذاك بعرضه المشتوم

\*\*\*

### الزكاة

أخرج زكاة المال تزدد في الغنى طهر خزائنك المليئة واخش أن  
فالله يربى المال بالصدقات تكوى بما ملئت من الجمرات

\*\*\*

أد الزكاة ففي الزكاة مطهر وأقل ما تجنيه من ثمراتها  
للهم والأرواح والأجسام حب الورى وتواصل الأرحام

\*\*\*

يا من فرحت بكثرة الأموال إن الذى فرض الزكاة محتم  
وبخلت شحا خيفة الإقلال أن الزكاة زيادة فى المال

\*\*\*

إن الزكاة فريضة ما أنزلت  
أعطاك مالا ثم قال افعل ألم  
ألا بأمر من حكيم عادل  
تسمع ولم تك بالمطيع الفاعل

\*\*\*

مهما استزاد من الغنى من لم  
يا من يزكى المال أبشر بالغنى  
يطهر ماله فمآله لزوال  
ما عشت في الدنيا وحسن مآل

\*\*\*

أخرج زكاة الفطر فهي وقاية  
وفريضة أمر الإله عباده  
مما يلم من الكوارث والخطر  
بأدائها عليك طاعة ما أمر

\*\*\*

### الربا

هل بعد ما أكل الربا في جوفه  
ولسوف يصلى من سعي جهنم  
أو بعد أكل النار ماذا يأكل  
نارا تأجج في حشاه وتشعل

\*\*\*

حسب المرابى أنه لا يرحم  
يأتى له الملهوف وهو بماله  
وبفحشه بين الورى يتحكم  
يملى عليه ما يشاء ويظلم

\*\*\*

الله يمحى ما جمعت من الربا  
وهو الذى يغنى الورى وبفضله  
تنزيل ربك فى الكتاب فصدق  
يربى قليل المال أن تتصدق

\*\*\*

إن الربا نجس وفحش أكبر  
فاصدع بأمر الله واجتنب الربا  
وخطيئة إن لم تب لا تغفر  
والخير لو فكرت فيما يأمر

\*\*\*

خبث الربا فذروا فإن لم تفعلوا  
يا ويحكم من حربه من ذا يحارب  
فالله أنذركم بحرب فأذنوا  
ربه إلا الذى لا يفعلن

\*\*\*

لك رأس مالك إن خلعت من الربا  
فإذا عزمت فأعط كلا حقه  
أولا قلست بتوبة مقبولا  
كى لا تكون أمامه مسئولا

\*\*\*

### الخمر

زعموا بأن الخمر طب مبرئ  
أو أنها أنس النفوس وإنها  
من كل داء بشس ما زعموه  
رجس وإثم فاحش أثموه

\*\*\*

لعبت بعقلك نشوة الجهال  
لعبت بك الخمر اللعوبة بالحجا  
يا من شريت جنونه بالمال  
فذهبت من حال لأسوأ حال

\*\*\*

يا من شربت الخمر تزعم أنها  
هى أصل همك لو نظرت لفعالها  
تسليك هما فى الصدور كمينها  
ورأيت نفسك فى الطريق مهينها

\*\*\*

شرب الخمر ووجال فى الأسواق  
وتراه ينفق مسرفاً فى شربها  
يشوى بما فى القلب من إحراق  
ما اسطاع من سرف ومن إنفاق

\*\*\*

فقد الكرامة والحياء وماله  
والسكر أفسد حاله وماله  
وكفاه من نكباته ما ناله  
فأوى لخان واستنذل عياله

\*\*\*

يا ويسح من شرب الخمر فإنها  
وهى المبيدة للورى وطريقها  
أم الشرور وللخبائث مجلبه  
نحو الكبائر والخنأ ما أقربه

\*\*\*

فى حانة الخمار إثم بين  
لما ثملت أذاك شيطان الهوى  
وفاعل من قبها تستهجن  
وأراك كل جريمة تستحسن

\*\*\*

حان وخمار وكاس مدام  
ومنادمات فى الخمر وشربها  
ومهازل ومغازلات غرام  
ومشاكل لا تنتهى لسلام

\*\*\*

ما بين ندمان وبين كؤوس  
كم أهلكت مالا وأودت بالنهى  
لعبت خمر عتقت برؤوس  
وتغلغلت من خبها بنفوس

\*\*\*

قالوا بأنك يافتى معذور  
وعلام تعذر أيها المنرور  
وبشرب كاسات الطلامرور  
ولقد أثمت فحقك التعذير

\*\*\*

بعت الحياة مع الهدى بضلال  
لما ثملت ونمت فى الأوحال  
وشريت بخسًا بالثمين الغالى  
وفقدت كل كرامة فى الحال

\*\*\*

طاحت بعقلك نشوة وخمر  
زعمًا بأنك للنفوس مخلص  
وغدوت فى طرق الجنون تدور  
من كل هم يعتدى ويثور

\*\*\*

## الميسر

لعب القمار وفيه أفنى وقته      وأبَاد فيه الجهد والأموالاً  
ما نال إلا سحته أو مقتته      والخبث من أرباحه لو نالاً

\*\*\*

لعب القمار وما استفاد بغير ما      يحويه من مكر وسوء خداع  
أو ما جناه على ذويه ولم يشأ      إلا مغامرة بكل نزاع

\*\*\*

إن القمار وإن ربحت دمار      ما فيه كسب أو لديه جوار  
فإذا المقامر لاح بدر سعوده      يوما سيلحقه الغداة خسار

\*\*\*

يمسى ويصبح غارقاً في الميسر      وكأنه فيه يبيع ويشترى  
ينسى ويهدم دائباً وبنائوه      أو هدمه لحياته كدمر

\*\*\*

ربح وخسر لا يرجى خيره      وضياح عمر ليس فيه نجاح  
ومحاسبات في القمار عويسة      وكتابة ملئت بها الألواح

\*\*\*

هل نال من لعب القمار مقامر      ما سره يوماً وما أغناه  
ما نال إلا خيبة الآمال في      دنياه والأخرى فما أغباه

\*\*\*

## العفاف

أخلع عليك من العفاف وسامه      واحفظ عليك حصانة وكرامه



وإثأر لعرض الناس تلق سلامه وتكن لمن يقفوك خير علامه

\*\*\*

يا من لعبت بعرض غيرك هل إذا لعبوا بعرضك كنت عنهم راضياً  
فإذا فعلت السوء فارقب مثله أولاً فكن عما يشينك نائياً

\*\*\*

الله يحمى من سعى الحماية وينال عقبى الخير من يتعفف  
فاربأ بنفسك لو أصبت عن الخنا وإذا أوعدت بتوبة لا تخلف

\*\*\*

قبح الخنا ما فيه من مراتب عاب وأبئس بالخنا من عاب  
يكفيك منه جناية قدمتها بين الورى بتخالط الأنساب

\*\*\*

يا من غوى ونأى عن الإرشاد ورماه غى النفس للأفساد  
عد للرشاد فإن من فعل الخنا لأهله والناس شر معاد

\*\*\*

من يزن يزن باهله ويعترته فلينامن فعل الزنا عن فعلته  
من يهتك الأعراض بهتك عرضه ولمن أناب وتاب فاز بتوبته

\*\*\*

### أنى نصحت

هلا سمعت بقوم لوط فى الورى وعلمت عنهم من حوادث ما  
يا من يدين لما يشين وهل ترى ما حل فيهم إذ أباحوا المنكرا

\*\*\*

لم تتعظ بالخسف في قوم أتى  
من شاكسوا لوطاً ومن يقفوه هو  
قصص لهم في الذكر زجر اللاثيم  
فجزأؤهم خسف وخلد في الجحيم

\*\*\*

لم تتعظ بالخسف في قوم أتى  
من شاكوا لوطاً ومن يقفوه هو  
قصص لهم في الذكر زجر اللاثيم  
فجزأؤهم خسف وخلد في الجحيم

\*\*\*

ترك الحلال لما يسوء سمعته  
إتيانه الذكران لم يأبه بما  
ورأى على غير الطبيعة متعنه  
ينهاه خالقه وخالف شرعته

\*\*\*

أدهى وأنكى ما ترى بين البشر  
فسق وقبح شائن ومعة  
ذكرًا أخاسفه يلوذ به ذكر  
بئس الفعائل إنها إحدى الكبر

\*\*\*

قوم أباحو الفسق يأتون الذكور  
لتكاد تنصب الصواعق فوقهم  
يا هول جرم أأجرموا يا للفجور  
والأرض تلعنهم وتوشك أن تغور

\*\*\*

إنى نصحت عن اللواط وإننى  
لكنها الذكرى مخافة زلة  
أكبرت قومي عنه تنزيهاً لهم  
وأخص فيه واعظاً جهاله

\*\*\*

## الحقوق

أد الحقوق ولا تسيء للمقرض  
قدم له العذر الجميل لعله  
وإذا أتاك مطالباً لا تعرض  
يوليك من إحسانه ما ترضي

\*\*\*

خذ ما تشاء من العباد ورده  
فبذاك يصبح كل شيء ترجي  
قرضاً وبادر ما استطعت وسده  
متيسراً إن شئت قرضاً بعده

\*\*\*

كل له حق أحق به فلا  
هب أن حقك ضائع فيهم ألم  
تهضم حقوق الناس أو تظلمهمو  
يؤلمك هاضمه فلا تهضمهمو

\*\*\*

إن لم تؤد إلى المداين حقه  
فإذا قسا واشتد فادفع بالتالي  
ورآك تنفر ما الذى هو يصنع  
مستعظفاً إن لم تجد ما تدفع

\*\*\*

أعطاك عند الضيق مما عنده  
فإذا أتى فرج ألم يك أجره  
ما شئته من ملابس وطعام  
أن يسترِكَ حقوقه بسلام

\*\*\*

لا تستغل الناس في أموالهم  
وكفالك من حل بمالك عيشة  
فبغير ما ملكته لا تنجح  
مهما يكن قلا لعلك تفلح

\*\*\*

ردوا الودائع والحقوق لأهلها  
وبعهدكم أوفوا إذا عاهدتمو  
إن الحقوق ودائع لا يحدد  
وإذا اقترضتم فاكتبوا واستشهدوا

\*\*\*

لا تخلفوا الميعاد في دفع الحقوق  
أو تكذبوا فالكذب ليس بنافع  
إن تصدقوا فالله في عون الصدوق  
وكفى بكذبك عن أداء ما يعوق

\*\*\*

لا تأكلوا أموالكم بالباطل  
وتحاكموا النفوسكم واقضوا بها  
وكلوا حلالاً طيباً للأكل  
تملى عليكم من قضاء عادل

\*\*\*

لا تأكلوا مال العباد وتركوا  
كونوا قضاة واحكموا بضميركم  
فى دفعه لمحاكم وقضاة  
وعلى حقوق الناس خير ثقات

\*\*\*

أد الأمانة للذى أعطاكها  
وإذا أردت الربح فاغتنم النفوس  
تؤمن على الأموال والأرواح  
ففى رضاها أعظم الأرباح

\*\*\*

أحسن معاملة تجد ما فى الورى  
وإذا الضرورة ألجأت لتداین  
ملكاً إليك تناله بإشارة  
خذ ما تشاء ورده بمهارة

\*\*\*

الله لا يرضى بظلم العالم  
والكل فى يوم اللقا متحاكم  
وأعد نيران الجحيم لظالم  
لقضائه والله أعدل حاكم

\*\*\*

إن يعف ربك فهو ذو بطش شديد  
وإذا عفا متجاوزاً عن حقه  
يقضى بحق فى الخلائق ما يريد  
فلحكمة لم يعف عن حق العبيد

\*\*\*

احفظ حقوق الناس تأمن شرهم  
وتعش أمنياً يؤثر ونك بينهم  
وتنل إذا اشتدت أمورك خيرهم  
ويطالعونك جهرهم أو سرهم

\*\*\*

إن شئت أن تحظى بحقك كاملاً  
أو كنت تطمع في امرئ ليساره  
لا تغضب من أي فرد حقه  
فالله يعطي كل عبد رزقه

\*\*\*

لا ينفعنك مال غيرك فاقتنع  
إن الذي أعطاه يعطيك الذي  
بقليل مالك فهو أكثر في الغنى  
ترجو فكن بعباء ربك مؤمناً

\*\*\*

أغنى الورى من يكتفى بنصيبه  
ويعيش حر النفس يملك روحه  
ويعف عن حق العباد ويقنع  
وعن التسفل نفسه ترفع

## تمت النظرات

\*\*\*

وإن كنت عايز تبقى بينهم مستريح  
واسمع لهم واسكت وإذا كنت فصيح  
غمض إذا شفت القبيح وللا المليح  
خلي كلامك جد موزون بالجرام  
وإن كان في إيدك حاجة ما تبقاش شحيح

\*\*\*

في الوقت ده واجب عليك الصهينه  
بكفايه إنك في الغنى والدندنه  
ما دمت قادر إيه لزوم الفقهنه  
تجمع قلوب الناس وتجمع حبههم  
وتعيش أمير بينهم وتبقى سلطنه

\*\*\*

هيا النفوس مخلوقه إلا من طمع  
والزهد كان إلا لحاجة والورع

والبخل من يم الغنى ما يتبلع معنى الغنى أنك تعيش فى الناس ملك  
والحر يعرف أخرته مهما جمع

\*\*\*

هيا الفلوس مجعولة تنشال فى الخزن وللا النفوس مخلوقه م الجوع تندفن  
لما البخيل يتهان صحيح أو يتلعن ما تلومش واحد يلعنه ميت جعان  
من غلبه مش لاقى ولا حق الكفن

\*\*\*

أخلص ولا يهكمش واحد فى الوجود واحفظ مكانك فى الكرم واعطف وجود  
واصفى القلوب من غلها وارعى العهود خليك صفوح واخدم عدوك والصدىق  
بغضعلك الجبار وتنطباع الأسود

\*\*\*

وإن كنت عايز ترتفع فوق الرؤوس اسمع نصيحتى تمتلك كل النفوس  
والشاطر الشهم الحكيم الى يسوس ملك القلوب بالطف مش ملك البلاد  
كيل طحين وافي ودورع القـدوس

\*\*\*

أما الفقير واجب عليه يرعى الوداد ويكون أمين م يكونش خاين للعباد  
والحق إنه بعدد الو كان جماد مش راح يكون إلا وفى لى رعاه  
ويكون شريف ما نميلش نفسه للفساد

\*\*\*

والذمة أحسن والكرامة والشرف والعفة تظهر والنظاهة تتعرف  
أما الخسيس لو دام خسيس مهما حلف يكفاه فضيحتة أنه يصبح مهزله

ويتضح أمره وحالته تنكشف

\*\*\*

كل النصائح دى أنا قاصد بها      تصبح جميع الناس يحب بعضها  
والخط هاديني للجميع وضحتها      خطه سليمه ما فيهاش أى ضرر  
وإن كنت عاقل مش حتجهل نفعها

\*\*\*

بإلله بنا نصفى قلوبنا لبعضنا      ونقوم بواجبنا ونحفظ ودنا  
علشان بلاد النيل تصير حره لنا      ونعيش كرام بين الأنام ونموت كرام  
ونخلي أولادنا حبايب بعدنا

\*\*\*

ونتحد والحب هو الاتحاد      ونسود بهمتنا ونحكم البلاد  
وأدى الطريقة اللى توصل للرشاد      أما إذا فضلنا نخوض فى بعضنا  
حنعيش أدله ونبقى عبره للعباد

\*\*\*

إيدى على إيدكم وعهدى للصغير      أرحاه بإخلاصى وأخدم الكبير  
ونعيش فى نعمه كلنا وف خير كثير      ونبقى إيد واحد ونكمد خصمنا  
ونبقى أمه فى الأمم ما لهاش نظير

\*\*\*

### كنت مخطئ فى الخيار

من زمان عندى حكاية      بدى أقولها للنهاية  
بس خليك معايه      وانظروا فيها بدقة  
واسمعوا يا أهل العقول

الغرض منها التيسالي      والكلام فيها حلال  
والى كان يخطر ببالى      قبلها إن المعالى  
والأدب فوق كل غالى      والغنى وبها المناصب  
كل دى أشياء تـزول

\*\*\*

كنت مخطئ فى الخيال      أطلب الأمر الجحال  
بحسب أن السدهر دال      لأجاو بسد الرجـال  
والحقيقه إنه مال      وانعكس حال الزمان يا  
نـاس وضـاعت الأصـول

\*\*\*

الحكاية أصلى مره      كنت قاعد جوه سهره  
حودت عينى لسبره      شفت ناس أفكارها حره  
فى مناقشة مستمره      قمت أسمع من وراهم  
كل واحد أيـه يـقول

\*\*\*

كان حديثهم فى شئون      جسد ما هياش مجون  
يعجبك منهم فنون      بالأدب وبها السكون  
وللى آروه تكـون      صايبه لازم ينصفو منه  
دول رجـال العـدل دول

\*\*\*

كان حديثهم فى مواضع      م المهمه وكنت سامع



وكلامهم كله نافع      في الأدب يشجى المسامع  
والمكان حاوى وجامع      من أبو لاسه ولبده  
كلهم ناس م الفحول

\*\*\*

جلسه هاديه ومستقيمه      ناس من الموضه القديمه  
الى فطرتهم سليمه      ومجالسهم عظيمه  
ومباحثهم حكيمه      وإن أردت أشرح صفاتهم  
في الكمال دا شيء يطول

\*\*\*

همادول نهضم حقوقهم      ياترى وللا نقاطهم  
ونعاكسهم في طريقتهم      لا دا واجبنا نساعدهم  
في المنافع ونشاركهم      موش دواعى الفقر بينا  
وبين كرام الناس تحول

\*\*\*

إين ينوبنا م الفلاسوس      دا الميؤدب عالرؤوس  
وكرامته في التفوسوس      والسفيه الى يدوس  
عالكرامه لويوسوس      ملك كسرى دا الى حتما  
من إهانتته لونظول

\*\*\*

وإن ما طولنا هشى كفايه      القلوب تنفيه نفايه  
أونقاطعه للنهائيه      تبقى تكفاه الزرايه

و غـضـب كل البرايـه      زى روض من غير غدير  
زهـره يـصـبـح فى ذبـول

\*\*\*

الـفـطـانـه والكـمال      والـشـهـامـة فى الرـجـال  
دى حاجات ماهاش مثال      هيا من غير الجمال  
ترفعك فوق الهلال      تلقى نفسك فى صعود  
بعـدما تـكـوـن فى نـزول

\*\*\*

كـن مـؤدب وفـقـير      بـقـى مـسـالكـش نظـير  
تـبـقـى أحـسن مـن وزـير      عـالـقـلـوب تـصـبـح أـمـير  
يـبـقـى لـك أحـباب كـثير      يـنـكـشـف لـك نـجـم سـعـدك  
بعـدما يـكـوـن فى أفـول

\*\*\*

وإن حـسـبت المـسـال يـفـيدك      ولـلام التـكـرـيم يـزـيدك  
أو زعمت النـاس عـيـدك      دا خـداع مـالـى يـرـيدك  
بـس لـما تـفـضى إـيدك      تـلـتـقـى عـز الحـبـايـسب  
هـيـصـوا ودقـوا الطـبـول

\*\*\*

كـانوا ويا كـزى جـيش      وإن صـبـحت تـقـول مـا فـيش  
فى الجـيـوب حـق الدـشـبـش      ولـلا هـدمـه البـسـها خـيش  
عـن يـمـينـك مـا تـلـقـيش      أو يـسـارك حـد مـسـنـهم

يسعفك يا ابن الأصول

\*\*\*

يا الى تتعجب بجسمك      يا الى تتفاخر بعلمك  
يا الى تباهى بأصلك      يا الى تتدل بشكلك  
كل دا من كتر جهلك      فوق بقى واسمع نصا يحى

إن كنت لازم في ذهول

\*\*\*

كن مؤدب يا أديب      كن مهذب كن لبيب  
مش غرضنا انك تجيب      من كلامك شيء عجيب  
أو تقوم في الناس خطيب      يسمعوك ويسقفولك

لما تنشد أو تقول

\*\*\*

إيه ينوبنا ال كنت شاعر      وللا ناظم وللا ناثر  
وللا خايب وللا شاطر      وللا تنزل في المقابر  
وللا تطلع مع المنابر      وانت أفعالك ذميمه

مثلت أبـرد فـصول

\*\*\*

شفت في جبلنا عجائب      شفت فيه ناس م الغرايب  
فعلهم شيء لم يناسب      دول تقدرهم مصايب  
م الهوى نزلت تحارب      في الأدب وإن جيت تدور

تلقتهم م الفـصول

\*\*\*

بس نسمع دا أديب      دا مفسوه دا خطيب  
 ينظم الشعر العجيب      والغزل ويا النسيب  
 وسفalte شيء غريب      هو داهيه م الدواهي  
 وللا حمله م الحمول

\*\*\*

الأدب مسك برىء      صدره من قبحك فى ضيق  
 لو يقابلك فى الطريق      مش حتاخد منه ريق  
 طول ما بيشوفك جرىء      هوا وانست فى خصام  
 لو تعيش ميت ألف حول

\*\*\*

فى العلوم جدت حاجات      اسمها خلط اللغات  
 الرجال والسيدات      ادعوهام الموضات  
 منها أكبر معجزات      جد من يافىرى باد  
 يا يجرى يا بلاد فول

\*\*\*

الموضات لسه تزيد      والتمدن الحديد  
 شيء يفرتك الحديد      والكلام مش راخ يفيد  
 والكلام دا شيء بعيء      وإن أجبت تنصح لصاحبك  
 تلتقيه قال لك برول

\*\*\*

والنكت والاسـتـعارة      شيء بيفقه فى المـراره

نـاس بأوضـح العبـاره      الكـلام فـيهم خـساره  
دا كـأنـه فـي الحـجـاره      والحـجـر يـمكـن يـلـين  
يـخـرج المـاء الـذلول

\*\*\*

دا الـلى شـفـته وصـرت أشـرح      للـنـيـه الـلى بـيـلمـح  
بـس مـش غـادر يـصـرح      والـغـرض مـش قـصدى أـجـرح  
قـصدى أقـول لـازم نـطـوح      هـيـادى صـارت طـباعـنا  
مـش راحـين عـنـها نـحـول

\*\*\*

## من أزجال الرسائل

### إلى الصديق فهميم

جانى جواب من حضرتك يا سى      حاوى معانى فيها يختار الفهميم  
منثور ولكن يشبه الدر التنظيم      شيء مش غريب عنك عرفناه من قديم  
وعرفنا فيك اللطف والذوق السليم  
لما إجا الساعى قابله باحترام      وأخذت مظروفك فتحت به ابتسام  
ولمحت أول سطر من بعد السلام      وفضلت أكرر فيه وأمعن في الكلام  
ما عرفت إن كان سحر وللا كاس مدام  
وقريته غير مره وكانت لهجته      تزداد حلاوه كل ما أعيد نغمت  
ويزيد جمال لفظه وتظهر بهجته      مين في البلد ياسى فهميم نال شهرته  
زيك وفاقت في البلاغة سمعته  
نفسى أشوفلك في الزجل زى مالك      من شعرك اللى بالفصاحه جملك

للعقل والإحساس وللأرواح ملك      والرقدة دى الى فيك ماهياش فى ملك  
الله يزيـد نبـلك كـمان ويكـمـلك  
أنا منتظر منك جواب ملىان طرب      م الى سبق فيه من أفانينك عجب  
يا الى رفعت الدوق وشرفت الأدب      جبت الكلام من در وللأمن ذهب  
شعرك ماشوفناهى ولاف شعر العرب  
يا سى فهم انت مقامك عندنا      محفوظ ولك فى القلب خالص ودنا  
ولك مكان فينا مكين فى نفسنا      خدت القلوب وياك ولأخر عقلنا  
عندك رهين واوعى تنوه عن ودنا  
وادى جوابى أبعته بالشوق إليك      يا الى حدانا نقدرك زى المليك  
وأهل المودة كلهم سائلين عليك      زى الهلال الكل عايز يجتليك  
كل المحاسن يا فهم مجموعة فيك  
منى التحية والوداد لازم نعيده      أحسن ما كان فى قربنا ودائما نزيده  
واللى بعد عن صاحبه مش رايح يفیده      غير المكاتبه وهى أحسن شيء يريدہ  
توصل وداده والبعاد شى مش بإيسده

\*\*\*

## الشاعر محمد البدرى محمددين

١٨٩١ - ١٩٥٥

لو استطاع أن ينظم أنفاسه شعراً لفعل !

يقول الشاعر الدمياطى محمد طاهر الجبلاوى « كان البدرى مشغولاً بالشعر شغوقاً به .. يقوله وهو صبى يافع يبيع الحلوى بدكان والده . ويقوله وهو فى البيت . ويقوله وهو فى الشارع . ويقوله وهو فى اليقظة . ويقوله وهو فى نومه . ويقوله وهو سابح فى عالم الأحلام !!

كان يقضى سحابة يومه بعد أن يترك الدكان فى مصنع أبيه هائماً فى الشارع كالطائر الطليق، فتراه أحياناً عند باب الحرس ، وأحياناً عند المظلوم ، وأحياناً عند النفيس ، وأحياناً عند (المجاير) على شاطئ النيل ، وأحياناً عند الكباس بالشارع الجديد .. فإذا انصرفت من سهرة عند صديق بعد منتصف الليل ووجدت شبهاً يترنح ذات اليمين وذات الشمال ، ويرف تحت ضوء مصابيح الشوارع وفى يده قلم وورقة بيضاء .. فذاك هو البدرى محمددين وقد أدركه الإلهام .

وكنا نجتمع ونحضر صبية بالمدرسة الأميرية بدكان محمددين لأنس بالبدرى ونسمع منه الأشعار، وكان ينظم لنا القصائد مطرزة بأسمائنا .. فإذا كان الاسم محمداً ابتدأ البيت الأول بالميم، والثانى بالحاء .. وهكذا إلى أن تنتهى القصيدة .. وكنا نأخذ منه هذه القصائد ونجرب بها فرحين .. وقد ترك البدرى ذات مرة أحد المشترين ( ملطوعاً ) أمامه وهو مشغول بتسجيل بضعة أبيات. وقد تراه يقفز على حين غرة ليسترد ورقة من مشتر آخر ويعود ضاحكاً ، فسأله عن الأمر فطلعنا على الورقة وإذ بها أبيات من الشعر ! » .

إلى هذا الحد كان غرام البدرى محمددين بالشعر كما وصفه الشاعر الجبلاوى .. وكما كان يراه عليه كل دمياطى .

ولقد ولد البدرى محمد بن بدمياط في حوالى عام ١٩٨١ .. ونشأ بها ، وتعلم في (جامعة) شاعر دمياط في النصف الأول من هذا القرن المرحوم على العزبي ، فلم يختلف على أستاذ غيره ولم يعتز بأكثر من إرشاداته ومن أنه نشأ هذه النشأة ..

يقول البدرى في قصيدة معتزاً بنشأته ومنوهاً بهويته :

|                   |                   |
|-------------------|-------------------|
| لزمست دميّاط عمري | دار الكمال لعمري  |
| ألفتها وهى عندي   | أهنا وأهدأ ثغري   |
| دميّا ط منبت زرعى | وربّع أهلى وصهرى  |
| نشأت للعلم أبغى   | إذ كان للمال غبرى |
| صحيفة الأفق طربي  | وظلمة الليل حبرى  |
| وأصبح النجم سطرًا | منسقًا حين يسرى   |
| ولست أسبّح إلا    | منظّمًا عقـد دُر  |
| أزفّ مثل عروسي    | من كل عصاء بكر    |

ولقد روّث الشاعر عن والده صناعة الحلوى وبيعها ، لكن هذا ما كان يشغله عن مواصلة رسالته في قراءة الشعر ونظمه ، وفي الإطلاع وإشباع رغبة القراءة في نفسه . فقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي كله ، وقرأ الشعر القديم ، واستطاع أن يقرض الشعر بإرشاد من أستاذه ، وأن يبرع فيه ويكثر إلى حد كبير ، حتى أن صديقه طاهر الجبلاوى يقول يوم وفاة البدرى : (لقد كان البدرى محمد بن يتنفس الشعر مع الهواء ..) والحق أنه ما من موضوع كان يشغل بال الناس على أيامه إلا قال فيه الشعر .

يقول ولده الأستاذ وفاء عن بدء اشتغال والده بالشعر : «من الطرائف التى حكها لى والدى رحمه الله ، أن أول عهده بنظم الشعر يرجع إلى العهد الذى كان فيه طفلًا بمدرسة شمس الفتوح التى كان صاحبها وناظرها المرحوم الشاعر على العزبي .. وكان سعد زغلول - وزير المعارف أيامها - يطوف بمدارس القطر



، فأعد له العزبي قصيدة واختار البدرى محمد بن - التلميذ الصغير بالمدرسة - لإلقائها في استقبال الوزير ، فقد كان بارع الإلقاء منذ صغره . ولكن البدرى أبى أن يحفظ قصيدة غيره ويلقيها ، وتطلعت نفسه إلى أن يحاكي أستاذه ، فينظم قصيدة بإسمه يحیی بها الوزير .. وقال له العزبي سوف أدعك لتختبر موهبتك وتختار أجود القصيدتين ، فإن رضيت بها نظمت كان بها ، وإلا فلتقدم قصيدتي .. فأتى في الصباح وأطلع أستاذه على أبيات كان مطلعها:

يا وزير المعارف      وكثير اللطائف  
لما أتيت لدارنا      الفهم ييسم والشفاف

فما كان من العزبي إلا أن ردد بعض عبارات الاستحسان منعاً لإحراج الصبي ، ثم وضع أبياته إلى جانب تلك الأبيات .. فخجل الشاعر الصغير وتنازل عن قصيدته الساذجة ، وألقى شعر أستاذه .. ولكنه وضع نصب عينيه أن يعمل على أن يكتب من الشعر ما يستعيد به احترام أستاذه وثقته بعد هذا الفشل الذي منى به في أول عمل أدبي قام به ... » .

لقد واصل البدرى الإطلاع ونظم الشعر باهتمام بالغ ، ومضى يتقدم بعد تجربته الساذجة حتى استطاع أن يجد نفسه مكاناً في ندوات الأدب بدمياط . وما كان أكثرها في أوائل هذا القرن . وكانت ندوات يتنافس فيها المجتمعون في قرض الشعر في كل الموضوعات ، وحلقات يجرى فيها تقويم الأعمال الأدبية في دمياط ، مما ساعد الشاعر على أن يجود إنتاجه ويغزر ، فنظم القصائد في شتى المناسبات حتى أصبح لا يقام حفل في دمياط أو تجمد مناسبة من المناسبات الوطنية وغيرها إلا قال فيها الشعر . فكان شعره بذلك أشبه بسجل لأحداث دمياط .

ومن ذلك أن المرحوم الشيخ محمد الرمالى كان يدين بمذهب أهل السنة ، ولم يكن يستسيغ زيارة الأولياء والتمسح بأعتابهم .. ورأى البدرى أن الشيخ على حق ، فسار معه يلقي القصائد الطوالى في ذلك ، حتى اتهم مع الشيخ الرمالى بالكفر ، وثار في دمياط فتنة يعرفها كثيرون ممن عاصروا تلك الفترة .. فرد

عليهم الشاعر بقصيدة منها :

جمعوا كيدهم فلم يغن شيئاً      كيف يرقى الثرى مكان الثريا؟  
أيها المفترون مهما ادعيتم      ليس نرضى بعد الهداية غيا  
نحن أولى بالصالحين فحاشا      ننقص الرسل أو نين وليا  
فارتعوا في هرائكم ودعونا      نعبد الخالق القدير اعلييا  
لا نرجى سواه في أى أمر      ما سلكنا إلا السبيل السويا  
وإذا شئتموا الهدى فتعالوا      نخلص السدين للإله سويًا  
أو خلّوا سبيلنا وغد تدر      ون مَنْ بسالجحيم أولى صليًا

وعندما ثارت دمياط وسائر البلاد على الحماية الإنجليزية وما بعدها ، كان  
البدرى فى مقدمة الشعراء الثائرين .. فيلقى أشعاره الوطنية فى كل مجتمع وفى  
كل محفل . وكان الطلاب يرددون أناشيده فى مظاهراتهم بشوارع المدينة .. فحين  
حضرت إلى مصر (لجنة ملنر) للتحقيق فى مطالب المصريين ولم تعترف بالزعماء  
الذين وكلتهم الأمة فى ذلك الوقت لتحقيق هذه المطالب، وأعرضت الأمة عن  
هذه اللجنة .. قال البدرى نشيداً كان منه :

لجنة التحقيق إنا      قد أنبنا الوفد عنا  
فاسألوا سعد مجبكم      لا جواب اليوم منا  
إننا شعب قوى      للمعالي قد نهضنا  
وكسرنا القيود عبداً      وعلى الأعداء ثرنا

فكانت المظاهرات فى دمياط تهتف بهذه الأبيات .

ومن الشعر الاجتماعى الذى كان يتميز به قوله فى أحد بائعى (الشيرج) فى  
دمياط ، وكان يخلط زيت السمسم بزيت الخصى :  
الشيرجُ الخس مزج الشيرج البلدى      قد شاع غشك يا محمود فى البلد

لما أتيتك أشكو من غضاظته  
وقلت بالله ألقا أن قسطكمو  
فحرت بين يمين أنت حالفها  
وشاع في الناس من تأثير خلطكمو  
فارحم حشا الناس كم ولّى ضحيه  
وتب إلى الله وارجع للهدى فعسى  
كذبت ما قلته في ذلك الصدد  
من سمس خالص عبأته بيدي  
وبين ما صنع المخلوط في كبدي  
داء الصداق وداء البطن والرمد  
قوم ضعاف ولا أنبيك عن عدد  
أن تهدتدي ، وللك الويلات أن

وكان البدرى يشارك بكثير من القصائد في مشكلات التموين ، من ذلك  
أنهم في أحد العهود حرموا مصنعه من السكر - وكان الشاعر عندئذ مصاباً  
بمرض السكر - فقال :

يا من منعتكم سكرًا عن مصنعي  
في سكر ضيعتموه معايش  
عجبًا أرى في السكرين تباينًا  
وكما أخذتم ما حلا من سكر  
فقد استحال الحلو عندى علقما  
هلا أخذتم سكرًا أضناني  
أحيا بها .. ومصائبى في الثاني  
وأراهما في الإسم يتحدان  
فخذوا الذى قد فتّ في الأبدان  
وهما لدى الآن يستويان

وفي أزمة الدقيق الأسود أيام الحرب العالمية الثانية فيقول :

للسوق خبز نظيف  
مراقب لا بخسر  
وللبسوت تراب  
ماذا جنى الشعب حتى  
يا قوم هذا حرام  
جئتم بكل عجيب  
شعيره والغلال  
ولا بغش ينال  
وردة ورمال  
عدنا لأسوأ حال  
في شرعكم أم حلال ؟  
في الناس والأمر طال

يا رب ماذا دهاننا كادت تموت العيال!

وقد حفلت جريدة « أخبار دمياط » بكثير مما نظمه البدرى فى هذه النواحي وأمثالها .

وفى السنوات الأخيرة من عمره عاش فترة تفرغ فيها للتأمل والنظر .. فنظم كثيراً من شعر الحكمة فى ثنائيات طبعها فى كتاب سماه ( النظرات ) . ونظم كذلك رباعيات فى موضوعات متقابلة ، مثل التواضع والكبر . الكرم واللؤم .. إلخ وجمعها فى كتاب سماه ( الخواطر ) .. كما نظم ملحمة فى حياة الرسول الكريم وطبعها باسم ( ملحمة الذكريات الإسلامية والرسالة النبوية المحمدية ) .. بدأها بقوله :

جددوا الذكرى لخير الأنبياء      من لداء الشرك وافى بالدواء  
وبدا فى ظلمات فأضاء      وبه الأرض استنارت والسماء

ثم ختم حياته الأدبية بكتيب صغير فيه عشرون قصيدة صاغها فى مرضه الأخير ، حين أنهكته العلة وهو ما بين شكرى وصبر وتصبر ، شكوى من الناس وصبر على ما يأتى به القدر ، وتصبر على هذه العلل التى أطاحت بساقه اليمنى وأوقفت يده عن الحركة ست سنوات كان فيها مثلاً للصبر والجلد ، ولم ينفعه طب الأطباء حتى سخط عليهم وأنشد أبياتاً منها :

من الأطباء أشكو ، لا من الداء      يا ويح قلبى من فعل الأطباء  
قالوا تداوى ، فقلت الصبر خير دوا      وطبكم زاد فى تبريح أدوائى  
قالوا الطيب رأى ، فقلت نعم      يبدى لسلب نقودى خير أراء  
قالوا النطاسى فلان . قلت وا أسفى      من النطاسى فلان أصل بلوائى  
رأى شفاى قريباً ، وهو فى يده      لو اعتنى خلصاً فى وصف أجزاء  
لكن رأى جيبه لم يمتلى فقضى      يوصف أشياء تأتى بعد أشياء

وعلى الرغم مما عاناه البدرى ، فقد أستطاع فترة أن يقاوم وأن يتحمل ..

حتى كل جسمه وضعفت مقاومته .. فلقى ربه في ١٩ مارس ١٩٥٥ ، بالغامن  
العمر حوالى أربعة وستين عامًا.

ويقول البدرى محمددين :

كل وحى إلى التراب مآله  
ولو أن الجبال ملك يديه  
رُبَّ ساع في العيش راح مُجَدًّا  
وأرى العيش لحظة تنقضي  
أيها الجاهل الذى تاه زهوًا  
هل رأيت الحياة إلا سرائبا  
قد يعيش الفتى زمانًا طويلًا  
وأخو الضعف عنده وقوى  
كم ضعيف معمر ، وقوى  
وسقيم له على الدهر مكث  
كل ضيف مؤهل لرحيل  
أيمنها سرت فالمنية ظل  
آية الله فى الخلائق جلّت  
مفرد فى وجوده أزل  
شأنه يقبض الوجود إليه

ليس يفديه ماله أو عياله  
كيف تجديه فى الممات جباله ؟  
غررتة فى سعيه آماله  
يعشق العيش فى الورى جُهاله  
حين أعماه كِبْرُه واختياله  
فى فضاء الغرور يلمع آله  
وعلى لحظة تُشَدُّ رحاله  
يستوى فيه ليثه وغزاله  
لَقى الخنف حين هل هلاله  
وسليم يد الردى تغتاله  
عن قريب مهما تطل آجاله  
وعن المرء كيف ينأى خياله ؟  
فتعالى ربي وجل جلاله  
واحد فى البقاء جلّ مثاله  
وهو باق ومستحيل زواله

ومن نظمه فى كتابه «النظرات» عن الصداقة ؛ على الرغم مما قاله فى بعض  
شعره فى شكوى الناس :

املا من الود كأسًا      واسق الخليل رحيقًا

تجده في الأنس أنسًا وفي الخطوب رفيقًا

\*\*\*

عساك في الناس تلقى مودة من صديق

نكون أنقى وأبقى محبة من شقيق

\*\*\*

إن صح في السود صحب فاقوا على الأهل بفعا

فرب في الصحب طب ورب في الأهل أفعى

أما رأيه في الأدب والأدباء فإنه يقول عن ذلك في قصيدته (الأدب الزائف):

أكل مفوه لبق فصيح يجيد القول تحسبه أديبا؟

ومن صنع المدائح والأهاجي ومن صاغ الأغاني والنسيب؟

أديب من حوى أدبا كريما فنال من القلوب به نصيبا

فلا من يملأ الدنيا هراء ولا من قام في حفل خطيبا

\*\*\*

## دمياط الشاعرة

وهى شاعرة منذ أوجدها الله على شاطئ النهر وساحل البحر وحفاف البحيرة .

وأهل دمياط - منذ كانوا - شعراء . لأن دماء الفنان تجري في عروقهم .. فهم أصحاب أمزجة جمالية . ترتاح نفوسهم إلى الفن . ويغرمون به ويمارسه بعضهم ويحسُّه الجميع .

وإذا أردنا أن نرحل وراء جذور الحركة الأدبية في دمياط فلا بد أن نُؤلَّى وجهنا شطر الشعر . والشعر وحده دون غيره من سائر فنون القول . إذ لم تكن القصة - بمعناها الفني - قد ظهرت . وإلى أوائل عصرنا هذا لم يكن هناك من الفن القصصي غير إرهاصات رأيناها في كتاب (يحكى أن) للأديب الراحل طاهر لاشين .

وقد ظهر في دمياط منذ عهود بعيدة شعراء طواهم الزمان وطوى أخبارهم وضاعت أشعارهم تحت ركام الزمان المهمل فلم يبق منها إلا نتف قليلة مبعثرة نعثر عليها في نطاقها من كتب التراث ومراجعته القديمة إذا تيسَّرت .

ونحن على - سبيل المثال - نجد في (جريدة القصر . وجريدة العصر) للعماد الأصفهاني المتوفى عام ١٠٦٩ م - نجد في هذا الكتاب شاعرًا دمياطيًا اسمه (ابن قادوس) يقول عنه (العماد الأصفهاني) إنه كان شاعرًا مكثراً غزير الإنتاج وأنت تقرأ شعره فتجد رقة ورشاقة كما ترى في قوله:

إذا عُذَّتْ إلى وِصْلِكَ فالألطافُ مرجوَّة

وإن لَجَّ بك الهجرُ فلا حول ولا قوَّة

ثم هو شاعر ظريف يبالغ ويعابث .. يصف رجلاً (أنوفًا) كبير الأنف فيأخذ عليه هذا أنه يعيب (خلقة ربنا) فردة عليه قائلاً :

عليك لا لك أنف ظلّ مشتركاً حتى غداً بنجوم الأفق ملتصقاً

فلا تقل (خلقة الله) ازدرست بها فقد يُعَادَ به من شرٍّ ما خلقا

وفي (ريحانة الألبا) للشهاب الخفاجي نجد ذكراً للشاعر دمياطى يقول هو عنه إنه شاعر دمياطى قديم . ثم لا يسميه . ويكتفى بذكر قصيدة له يتحدث فيها عن جنوح العالم إلى الزلل . وركوب الهفوات . وينصح للعلماء أن يستتروا إذا ابتلوا لأن جهرهم بالهفوات يتسرب منه إلى أذهان العامة أن ما يفعله العالم مباح .

وقد يقال إن هذا كلام مغسول . يخلو من ماء الشعر . وإنه من شعر العلماء وإن مكانه هو المقال وليست القصيدة . ولكن صاحبنا على أى حال من شعراء دمياط الأوائل ونحن لم نطلع على أشعاره كلها حتى يستقيم لنا الحكم على شعره ..

ولست أذكر فى أى مرجع من فطان التراث وجدت ذكراً للشاعر دمياطى قرآن هو (ابن رهيّب الفارسكورى الفران) . وقد غابت عنى أخباره . وما كنت أستظهر من أشعاره .

أردت بهذه الإشارات السريعة أن أصل إلى تأصيل الوجود الفنى فى دمياط . وأن أقول : إن دمياط بلد شاعر منذ أوجده الله فى هذا الموقع الجغرافى الممتاز . فقد كانت - منذ كانت - بيئةً جمالية يرفد جمالها النهر والبحر والبحيرة . وتزيدها جمالاً غابة النخيل على شاطئها الغربى .. وصاحبتها الصيفية الجميلة بموقعها على (اللسان) بين البحر والنهر .. ثم كان ميناؤها العتيد همزة الوصل بين دمياط وبين موانئ وبلاد شرق البحر المتوسط وشماله . ولم تكن السفائن الكثيرة التى تطرق هذا الميناء تتبادل مع دمياط عروض التجارة وحدها . فقد كانت تنقل - مع ذلك - العادات والتقاليد والمهارات المختلفة . وتسَلَّلت بعضُ المفردات اللغوية ، وحدثت هجرات متعاقبة نرى آثارها فى الأسر والبيوتات التى تدميطُ منذ أزمن بعيد <sup>(١)</sup> .

إن هذا أحدثَ بطريقة تلقائية عملية لقاح فكرى . فتفاعلت الثقافات . والتقت الحضارات على أرض دمياط . وكانت المدرسة المتبولية متألفة فى هذه

(١) طاهر أبو فاشا . قصة ميناء دمياط .



العهود . فانعكس هذا كله على دمياط رواجاً ورخاءً وازدهاراً في جميع المجالات فكانت دمياط - بحق - عاصمة من عواصم التجارة والصناعة والمعرفة والفن أيضاً .. وفي النهاية كان ذلك كله إضافات - مادية ومعنوية - إلى عناصر دمياط الجمالية ليحدث ذلك الازدهار الذي أدركنا طرفاً منه . والذي كانت تعيش في بحبوخته دمياط .

لهذا لم يكن من المستغرب أن يزدهر الشعر في دمياط . وأن تكون دمياط مدينة الشعراء أيضاً . وبخاصة بعد حركة البعث التي قادها البارودي . ولقد أدركنا نحن العهد الذي كان الأدب فيه هو الشعر فقط قبل أن تظهر فنون القول الأخرى . وكان في دمياط مشيخة من الشعراء المجيدين على رأسهم شاعر دمياط (على العزبي) طيب الله ثراه . فقد كان شاعراً محفلياً جهيراً تألق نجمه في سماء دمياط والتفّ حوله المعجبون والتلاميذ وكأنهم في مجلس شراب يدور عليهم بكئوس مترعة من شعره الذي يرفعه بجودة إلقائه درجاته . وهكذا عرفت دمياط أول تجمع أدبي أو نقول أول مدرسة أدبية .

وهكذا تنشأ التجمعات الأدبية : يتألق شاعر من الشعراء ويلتفّ حوله المريدون - كما قلت آنفاً - يجمعهم التمتع بجمال ما يسمعون . ومناقشته أحياناً .. وليس من النادر أن يثور في هذا التجمع الجدال حول قضية أدبية أو مسألة لغوية ويقود المناقشة أحد أبناء هذا التجمع وقد يؤيده بعضهم ، ثم لا يلبث هؤلاء أن يعتزلوا التجمع ويلجئوا إلى مكان آخر يجتمعون فيه .. على رصيف أحد المقاهي أو في بعض الدكاكين عندما تهدأ حركة البيع . وينقلب الدكان إلى مجلس أدب كما كان يحدث في دكان شاعرنا الراحل فهيم القلبي فقد كان يُعَدُّ لنا داخل دكانه مجلس أنس وأدب في أصائل تلك الأيام ولياليها .

وأنت ترى أن هذه التجمعات كانت تكون ولم تكن الدولة قد مدّت ظلها على الفن والأدب وأنشأت لهما قصور الثقافة وبيوتها ومكباتها ليلتقى فيها الشداة يتناشدون الأشعار . ويتبادلون الأفكار بينما كان أجدادنا وآباؤنا الرواد يجتمعون في الدكاكين وعلى أرصفة المقاهي .

على هذا النحو نشأت التجمعات الأدبية في دمياط .. وكان على العزبي -

صاحب مدرسة للشعر التقليدى فى دمياط . ومن عباءته خرج جميع شعراء دمياط : الأسمر والجبلاوى ومحمود عبد الحى . والبدرى محمددين . وجميع شعراء دمياط فى ذلك العهد .

شاعر واحد شدد عن ذلك . الأستاذ حسن كامل الصيرفى . وقد قلت له فى ذلك فقال : ربما لأنى خرجت من دمياط وأنا حدث لم تعلق بى أنفاس على العزبى .

ولما تحركت ثورة سنة ١٩ تحركت معها الحركة الأدبية فى دمياط حيث ازدهر الشعر وازدهرت الخطابة .. ثم تقدم الزمان واستمر المد الأدبى فظهرت فى دمياط أقلام تكتب القصة الفنية . وأقلام تكتب المسرحية . ثم انتقلت عدوى الشعر الحديث إلى دمياط فقد استهوى الكثيرين من الشداة الذين وجدوا فيه تحرراً من قيود الزماتة التى يفرضها عليهم قانون الشعر الكلاسى .

ونحن لا نتخذ موقفاً من الشعر الحديث . فالشعر هو الشعر . وليس بنا أن نرفض قصيدة جميلة لمجرد أنها كتبت على نظام التفعيلة . كما لا يمكن أن نقبل قصيدة رديئة لمجرد أنها كتبت على النظام الخليلى ذى الشطرين . القضية (شعر أو لا شعر) .

ولكننا ننكر ما يسمى « قصيدة النثر » . وننكر تسميتها شعراً وربما كان الأقرب إلى الصواب أن نسميها (نثرًا فنيًا) . هذا إذا كانت جيدة .

وفى دمياط . أيضًا . جانب من الأدب لا يمكن أن نسقطه من حسابنا ونحن نكتب هذه السطور . الأدب الشعبى وبخاصة الرجل وقصيدة الشعر العامى . وهنا أقول إن الفروق بين الزجل وشعر العامية هى بذاتها الفروق بين الشعر الحديث والشعر الكلاسى الذى يسمونه خطأ الشعر العمودى .

إن الفروق بينهما تتماثل إلى حد بعيد . ففى الزجل يلتزم الزجال بوحدة البيت أو وحدة ( الكوبلية ) كما يلتزم بالقافية فى نهاية كل بيت . أو فى نهاية كل مقطع . بينما يتحرر شعر العامية من هذه القيود . فلا يلتزم الشاعر هنا إلا بوحدة الإيقاع أو التفعيلة . وهو يتصرف فى معمار القصيدة على أساس التفعيلة دون

ارتباط بعددها في كل سطر . وبعضهم يميل إلى التقفية وبعضهم يتحرر من القافية .

وهذه الفروق التي نشير إليها هي فروق من حيث الشكل . أما من حيث المضمون فذلك موضوع آخر لا تتسع له مساحة هذه الرجاسة .

وأنا شخصياً أفضل الفصحى . وأسير في ركب الذين يعملون على نشرها وازدهارها .. ولكنى لا أتذكر للأدب المكتوب بلغة الشعب اليومية .. فالشعر هو الشعر مهما كانت اللغة التي كتب بها .

ومن المعروف - علمياً - أن المجتمعات التي تزودج فيها اللغة . بحيث تكون لها لغة (أو نسميها لهجة) عامية يستعملونها في حياتهم اليومية . ولغة أخرى رسمية يستعملونها في الكتابة . عندئذ لا بد أن يظهر فيها أدب شعبي يُلبى حاجة الجماهير هذا القانون الفنية .

وهذا يعنى أن ظهور آداب العامية ظاهرة اجتماعية . وطبيعية في ظروفنا التي مرّت وتمرّ بنا . وغاية ما نرجوه في قضية العامية والفصحى أن ترتفع العبارة في الأدب الشعبي حتى يقترب من الفصحى كخطوة على طريق انفراد الفصحى بالساحة الأدبية . وحتى ترتشف الجماهير من رحيق لغتنا الجميلة ، وترتفع إلى تذوق جمالها أذواقهم . وهذا يؤدي - بطبيعة الحال - إلى ضمور العامية ، وازدهار اللغة الرسمية .



## الشاعر الشيخ سليمان عياد

١٨٤٥ - ١٩٢٥

هو من أسرة عياد بسنية دمياط . ويرجح أنه ولد في عام ١٨٤٥ من القرن الماضي ، وأنه توفي حوالى عام ١٩٢٥ عن ٨٠ عامًا .

وهو ليس شيخًا من شيوخ الأزهر كما يوهم ذكر ( الشيخ ) قبل اسمه ، فلقد كان الدمياطيون يرونه بطربوشه وبزيه الإفرنجي ، لكنه مع ذلك يبدو لهم في أحاديثه معهم أزهرياً.. فربما بسبب ذلك أطلقوا عليه ( الشيخ ) ..

تقلب الشيخ سليمان في شتى الوظائف حتى تركها وهو ناظر لمدرسة عبد العزيز للمعلمين بالقاهرة . وأحيل إلى المعاش ، فعاد إلى دمياط عام ١٩١٨ وبقي بها ثانية حتى وافته المنية .. ولقد كان أديباً ظريفاً وجليلاً لطيف المحضر حسن النكتة . كما كان صاحب شعر يفيض بالملح والدعابات ، على الرغم من أنه وهو موظف بالقاهرة كان ينشئ ، المدائح الفخمة للحكام وللوزراء أمثالهم .. لكن الذى بقى لنا من شعره هو بعض ما كانت تشيع منه الفكاهة والدعابة والنكت والملح التى كان يعتمد فى كثير منها على المحسنات البديعية كالجناس والطباق والتورية .. وبذلك يمكن أن نعهده من الشعراء البديعيين .

فعلى الرغم مما قاله الشيخ سليمان من أشعار ، فإنه لم يشتهر إلا بهذا الشعر الفكاهى وبالدعابات التى لا يزال بعض الدمياطيين حتى اليوم يتندر بها . أما باقى شعره فى المدائح والإخوانيات وأمثاله فلم يصلنا منه شيء .. ولا شك أنه كان له منه الكثير ، بدليل ما قلناه من أنه وهو بالقاهرة كان يكتب قصائد المدح للحكام والوزراء والكبار .. ولكن معظم شعره فيها وفى غيرها لم يجمع ، وقد عاش ينظمه أكثر من نصف قرن .

لذلك فنحن حين نعرض بعض ما جادت به قريحته ، لن نجد أمامنا سوى أبيات قليلة من شعره الفكاهى ، وما تضمنه من ألوان البديع التى كان مغرمًا بها ويحسن صياغتها . ومعظم ما نسجله هنا من شعره يحفظه بعض معاصريه أو من

سمعوه منهم .

ولعل أشهر هذه القصائد تحفته الخالدة التي قالها في (منزل العزوني) حين أقام به فترة قصيرة. وهو منزل كان مهجورًا فملأته الحشرات ، والبق والفئران ، وشتت عليه حربًا شعواء ، ودارت بينها وبينه معركة طويلة صورها في قصيدته التي طار ذكرها وحفظها بعض الأدباء وغيرهم من أبناء دمياط . فقد جعلها على صورة ملحمة حربية متأثرة في ذلك بأحداث الحرب العالمية الأولى التي كانت تشغل الناس في ذلك الوقت .. لكن مرور الأيام وغياب معظم أبناء جيله أتيا على معظم تلك الأبيات ، فلم يبق منها في ذاكرة الناس سوى القليل الذي يكاد بدوره ينقرض .

يقول الشيخ سليمان في مطلع قصيدته :

لله أشكو منزل العزوني يا قوم عزوني به عزوني  
بيت كأن البق فيه عقارب ويلى بلسع زبانه المسنون

ثم يمضى يصف ما يفعل به ذلك (البق) ويعرض صورًا من المعارك القائمة بينها . فمن ذلك أنه استعان برجل معروف في ذلك الوقت اسمه (الفؤي) ويبدو أن هذا الرجل كان يعالج القضاء على البق بإحراقه بالنار . أو أنه كان يعد معجونًا خاصًا يضعه في شقوق الجدران التي يطليها بعد ذلك بطلاء ربما أودعه مادة تقتل مثل هذه الحشرة .. فيقول عنه :

ناديت بالفؤي ونار وبؤره فطلى بفرشته مع المعجون

لكن هذا كله وأمثاله لم يفد ، وأعجزت الشاعر الحيل ، فلم يجد في النهاية إلا أن (يسلم) ويعلن الهزيمة طالبًا الأمان .. وذلك في قوله :

ناديت : يا بقّ الأمان ، فإنني يا بق أترك منزل العزوني

وكان الشيخ سليمان يعبر النيل كل يوم من السنانية إلى دمياط - ولم يكن الكوبري القديم قد أنشئ إلا في أواخر العشرينات بعد وفاة الشاعر - وفي دمياط كان يقضى يومه في ثلاثة محال ، هي محل رضوان ، ومحل العتر ، أما الثالث فهو (مدق الخضري) .. وهذه المحال كانت معروفة في أيامه وبقيت فترة بعد وفاته ..

وكان يعقد بها ندواته التي يجتمع فيها بعدد من الشيوخ علماء الدين ، وعدد آخر من التجار كآل رضوان ، وكان يحضرها كذلك بعض الموظفين .. فكانت هذه الجلسات مجالاً لذكر شتى الطرائف والمداعبات .

كما يذكر من هذه الطرائف أن الشيخ العتر أرسل إليه يومًا إناء كبيرًا مملأه بالبراغيت (أى الجمبري) .. فحين أعاد الشاعر إليه الإناء كتب عليه بخطه الجميل الذى اشتهر به والذى كان من عادته أن يكتب به أشعاره التى يبعث بها إلى الآخرين .. كتب هذين البيتين :

يآل بيت العتر دام فخاركم      متنقلًا فى ولدكم موروثنا  
قد كان ذا (البرغوث) يأكل جسمنا      فيكم غدونا نأكل (البرغوثا)

واشترى يومًا بطيخة طيبة أرسلها إلى منزله مع شاب يعرفه اسمه (صالح دندوشه) وقد كان هذا الشاب فى ذلك الحين صغيرًا فقد توفى فى يوليو ١٩٥٤ - حينما هو فى الطريق التقط البطيخة منه أصدقاء الشيخ من أسرة رضوان رغبة فى مداعبته واستثارت .. فلما اعترض عليهم صالح وأبى أن يتركهم دون أن يأخذها . اشترى له بطيخة أخرى وأرسلوه بها إلى بيت الشيخ . فلما عاد إلى داره ورآها مستبدلة ببطيخته ، استنتج ما حدث فكتب أبياتًا بدأها بقوله :

أخذوك بابطيختى أخذوك      لم ير أفوبك حينما قطعوك  
أكلوك خمرًا كالعقيق رضية      واستبدلوك وبئس ما بدلك  
جاروا عليك وأنت فى يد (صالح)      هل كنت ناقة صالح عقروك !؟

وفى أحد أيام الانتخابات رأى صديقه الشاعر الدمياطى فهيم القللى يعارض أحد المرشحين المشهورين ويبدو أن الشيخ سليمان أيضًا لم يكن يؤيد هذا المرشح .. فقال مشيدًا بموقف القللى :

شباب دمياط قد أبدوا غيرتهم      فى الانتخابات انتقادات بلا وجل  
قد أسكرتنا ولذت فى مسامعنا      كأنها سكر يُسقى من (القلل)

وكلمة (القلل) فى آخر البيت الثانى مجرورة بالكسرة فتتطق (القللى) وهو

لقب فهيم القلي.. وفي هذا من البديع ومن الإبداع ما فيه !!

على أنه من أطرف ما وقع له وهو بالقاهرة ، ما رواه للشاعر طاهر الجبلاوى من أنه نظم قصيدة عامرة يهنيء بها الخديوى فى عيد جلوسه - كعادة الشعراء فى أيامه - وأرسلها إلى السراي . فجاءه رسول السلطان يدعوه لمقابلة كبير الأمناء ، فلما سأله عن الجائزة التى ترضيه .. وكان الشيخ سليمان قد قرأ فى الصحف قبل ذلك أن شاعرًا مدح الخديوى فأنعم عليه بإشراقة . فطلب منه هذه (الإشراقة) ..

ثم عاد إلى بيته وهو لا يصدق ما حدث .. ولم ينتظر سوى أيام حتى توافد رسل السراي إلى منزله يحملون أثنائًا وأمتعة غالية ، ويعدونه بإرسال الإشراقة إليه فى موعد حدوده له . فجلس فى نافذته يرم الموعد ينتظر ، حتى فوجئ بعربة فخمة تجرها الخيول المطهمة ، تقف أمام الدار ، وينزل منها رجل يلبس (الردنجوت) .. ومن خلفه (الإشراقة) .. ونظر . فإذا هى عجوز شمطاء تتوكأ على ذلك الرجل الرسمى .. أتوا بها إليه لتكون العروس التى طلبها .. !! وانهاالت عليه التوصيات والأوامر من رجل القصر بأن هذه (الغمة) ذات حظوة كبيرة لدى الخديوي ولدى أم المحسنين ..

ولم يستطع الشيخ أن يفوه بكلمه . ولم يفعل شيئًا بعد ذلك سوى أن يكون هو الخادم الأمين المطيع لها .. إلى أن أراحه الله تعالى منها حين أوفد إليها رسولاً من عنده لينقذه من الهم والغم والموت الذى كان يتمناه لنفسه لو لم يتداركه الله بلطفه ..

لكنه أخذ درسًا لا ينسى . فإنه من يومها لم يرسل إلى الخديوى أى شعر يمدحه به .

\*\*\*

## الشاعر حسن الدرس

١٨٥٩ - سبتمبر ١٩٥٠

نشأ بعد منتصف القرن الماضى من أسرة معروفة فى دمياط ، ودرس فى الأزهر ، ثم اشتغل بالأدب والصحافة ، وتلمذ فى شبابه على السيد « جمال

الدين الأفغانى « كما اتصل بالإمام «محمد عبده» وتأثر بمبادئها وآرائها وبدعوتها للإصلاح . كما شهد أحداثاً وطنية متعاقبة ، وذاق حلوها ومرها .. وقد تقلب فى وظائف وزارة الداخلية حتى شغل وظيفة مأمور مركز أبى تيج .. إلى أن وقع خلاف بينه وبين مفتش مديرية أسيوط الإنجليزى لمطالبته بإصلاح لم يرضه ذلك المفتش الذى كانت له الكلمة العليا فى المديرية وعند كبار رجال وزارة الداخلية ، وانتهى الخلاف بإحالة حسن الدرس إلى المعاش . فرئى الانتفاع بكفائته الأدبية وتعويضه عما خسره بسبب موافقه الوطنية ، فعين فى ديوان الأوقاف حيث ألحق بقلم السكرتارية . وبقي به إلى أن أحيل إلى المعاش سنة ١٩١٩ وعاش بعد ذلك حتى توفى فى سبتمبر ١٩٥٠ وقد تجاوز التسعين .

كان حسن الدرس أميل إلى قصر القامة ، ممتليء الجسم قوى البنية ، صريح الرأى صادق العزيمة . وكان رائق الفكر سمح النفس كثير الملح بارع النكتة ولو مست شخصه . وكان يستخدم شعرد فى صوغ هذه النوادر والنكات ، فكان له فى ذلك طابع الذوق المصرى الذى تميز به الشعراء المصريون ، وكان له فى هذا المطرب المعجب . كما كانت السمة البارزة فى خلقه الوفاء والمروءة وكرم النفس ، مع الحرص على الإحسان فى تشئة بنه .

وكان على وفرة إطلاعه وجمعه محصولاً كبيراً من مفردات اللغة العربية وأشعار القدماء ، وتعمقه فى البحوث الدينية والخلقية والاجتماعية ، معدوداً من شعراء القرن التاسع عشر الذين يعنون بالمحسنات البديعية واتباع طريق تأريخ الأحداث بحساب الجُمَّل فى المناسبات . وكان هذا يعد فى صعره من محاسن الشعراء .

كان أكثرًا فى شعره لا يدع مناسبة إلا نظم فيها . ومن ذلك مدائحه التى كان يرسلها إلى خديو مصر . كما كان مطيلاً فى قصائده ، لا تفوته القافية ولا يضيق أمامه مجال القول . ولو جمع شعره الذى نظمه فى حياته المديدة وفى مختلف الأغراض والمقاصد لكان سجلاً حافلاً لكثير من أحداث عصره ، وتاريخاً صادقاً لما جرى من أمور الناس وأمره .. لكن شعره لم يجمع ولم ينشر .

ومن قصيدة له قدمها إلى (جعفر ولّى باشا) وزير الأوقاف يشكو فيها تبرج



الفتيات وإغفال الواجب الأدبي والديني في تعليمهن ببعض المدارس - وهى أكثر من ١٠٠ بيت وقد طبعها فى كتيب خاص :

من الحزم أن نرعى الكرامة للعذرا      فما أبقت الدنيا لم فرطوا عُذرا  
إذا شردت إحدى الظبا عن كناسها      وطاردها الراعى ، فهل تسأمن  
وإن أطلق الورقاء حرّاس وكرها      فهل يسألون الجو عنها أو الوكر؟  
أقام لكم هذا الوجود دليله      على ما به ترفى بناتكمو قدرا  
هو الدين والتهديب والصون والحيا      فبالحفظ للأصدا فكم تلد الدرا  
إذا شئتمو تهذيبها فانتقوا لها      وسائل ترضى عنكمو الناقد الحرا  
ولا تهملوا تعليمها أمر دينها      لتلقى به عن كل شائنة زجرا  
إذا ملأ الإيمان والرشد مهجة      فلا زغ نخشى عليها ولا ضيرا  
بأعناقكم قد قلّد الله أمرها      فلا تهملوا بالله فى شأنها أمرا

ومن شعره ما كتبه على صورة أهداها إلى بعض أصدقائه :

مثل الودّ صورتي لتراكم      أعينى دائما بكل مكان  
وخيال الأشباح يبعث حقّا      فى شعور الأرواح نور الحنان  
وفى قوله فى التصوير الشمسى :

براعة الصنع فى التصوير تحفظ من      أشباحنا ما أردناه إلى أجل  
فاجعل صنيعك أبقى من خيالك إذ      لم ينظر الناس ظلا غير مرتحل

\*\*\*

## الشاعر على على العزبي

١٨٨٣ - ١٩٤٢/١/٩

هو (شاعر دميّاط) كما أطلقوا عليه فى حياته وبعد مماته .. فمنذ مولده فى عام ١٨٨٣ - أو قبل ذلك بعام أو عامين - لم يبرحها إلا لأمر من الأمور التى

تستوجب السفر . فإذا أضفنا إلى هذا موهبته الأدبية الكبيرة ، وجهوده لخلق جيل من الشعراء في مدرسته الشعرية ، أدركنا كيف استحق هذا اللقب عن جدارة .

كان والده تاجرًا للغلال . وقد ألحق ابنه بمدرسة أهلية ، لكن عليا شب عصاميًا يدرس لنفسه ويتثقف بالاطلاع على شتى الكتب ، وبالتردد على المعهد الديني في غير انتظام لتلقى الدروس اللغوية وغيرها على يد الشيوخ من العلماء .. فلما صار شابًا كانت قد تملكته موهبة الأدب ، فبنى مستقبله على عمل لا يبعده عن هوايته ، لذلك ما لبث أن أنشأ في عام ١٩٠٦ مدرسة خاصة سماها (شمس الفتوح) وظل يشرف عليها ويرعاها ، ويرعى أبنائها حتى لقي ربه في ٩ يناير ١٩٤٢ - وكان قد تزوج في عام ١٩١١ - كما اختاره صاحب جريدة (دمياط) منذ إنشائها في عام ١٩٣٦ ليكون رئيسًا لتحريرها - فكان يكتب بها المقالات الوطنية والاجتماعية وينشر على صفحاتها بعض شعره . ولقد كان مؤهلًا لهذا العمل بحكم اشتغاله بالصحافة هاويًا منذ شبابه ، فلقد كان ينشر شعره ومقالاته وخواتمه في بعض الصحف والمجلات مثل اللواء والشعب والهلل والمنار والمفتاح وأنيس المجلس وفتاة الشرق وغيرها .

يصور الأستاذ الشاعر طاهر أبو فاشا بعض صفات الشاعر على العزبي وصفًا غاية في الدقة .. فيقول <sup>(١)</sup>:

« كان العزبي صاحب سميت لا يتكلفه . معتدلاً في كل شيء ، حتى في حجمه وجسمه . فليس هو بالقليل الناصل ، ولا هو بالبادن . ولا تستطيع أن تصفه بالطول ، ولا تستطيع أن تصفه بالقصر ، وتتجافى الصدق إذا وصفته بالبياض ، وتخطئك الدقة إذا وصفته بلسمرة . وجهه إلى الاستدارة ، وفي حاجبيه زجج ، وعينه سوداوان نفاذتان ، وحديثه رقيق ، وصوته خفيض .. فإذا تحدثت إليه هز رأسه قائلاً : تمام . تمام ، في موضع التمام .. ولا كلام .. ولم أره في حياتي مغاضباً أو عالى الصوت ، إلا فوق المنابر .. وإنه ليسترعى نظرك إذا رأيته ماشياً في ستمته ووقاره . فهو يتخطر الهوينى في مشيته ، يرفع العصائم

(١) من مقال للأستاذ طاهر أبو فاشا بجريدة «أخبار دمياط» في ٦/٤/١٩٧٠ .

ينزل بها إلى حيث يتبعها قدمه اليمنى ، مع حركة خفيفة يميل فيها بكتفه حيث يعتمد على عصاه .. ثم ينقل اليسرى . ثم يرفع العصا . ثم يقدم كتفه ويميل بها في توده وهواده ، وكأنه يحصى على نفسه كل حركة ، فيخيل إليك أنه يطلع وما به من ظلع .. فإذا اعتلى المنابر اهتزت أعرادها طرباً ، أو ثورة وغضباً ، وأثار المواجد ، وأدمى الأكف وألهب الخناجر .

ولقد بلغ من اهتمام العزبي بالأدب وتنشئة الأدباء والشعراء أنه أنشأ في عام ١٩١٠ جمعية أدبية سماها ( جمعية التربية الحقة ) وجعل مدرسته مقراً لنشاطها حيث تعقد بها الأمسيات الأدبية كل ليلة ، وتقام بها الندوات العامة يدعى إليها الجمهور لسماع المحاضرات وقصائد الشعراء الذين يختارهم من بين تلاميذه ليدرهم ويعودهم نظم الشعر وإلقاءه . ولقد عطلت سلطات الاحتلال الإنجليزي هذه الجمعية بعد قيام الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ بحجة أن رئيس هذه الجمعية كان ينتمى إلى حزب الزعيم مصطفى كامل ، وأنه كان له نشاطه السياسى بشعره وخطبه ومقالاته الصحفية ، وأنه كان في كل هذا يدعو إلى الجلاء والحرية والاستقلال .

لكن العزبي مع ذلك لم يقطع نشاطه الادبى في مدرسته التى تتلمذ على يديه بها عدد من الأدباء المعروفين مثل محمود عبد الحى وطاهر الجبلاوى وطاهر الطناحى وفهيم القللى ومحمد منيعم والبدرى محمددين وغيرهم ، مع من كان يرعاهم العزبى من الشدة فى المدارس الأخرى مثل على الغياتى ومحمد مصطفى الماحى ومحمد الأسمر ومحمد عبد الرازق وغيرهم .

يقول الأستاذ محمد طاهر الطناحى فى عدد خاص من (كتاب الهلال) كتبه عن حافظ وشوقي<sup>(١)</sup>:

« ... كان العزبي ينظم الأناشيد والقصائد المدرسية والقومية فى مناسباتها ، ويجيد الإلقاء نظماً ونثراً كأحسن ما يلقى الشعراء والخطباء . وكنت مع اثنين من زملائي الفرسان والأطفال الثلاثة الذين يختارون لإلقاء بعض القصائد الوطنية

(١) كتاب الهلال الصادر فى مايو ١٩٦٧ .

والأناشيد القومية في حضرة زائر كبير أو مفتش قدير من مفتشى وزارة المعارف العمومية ، أو لقيادة التلاميذ في أناشيدهم المدرسية التى ينظمها على العزبى فى سهولة وقوة . وكان هذا الناظر الشاعر نابغة دمياط فى الشعر ، وهو شاعرنا الأول، بل شاعر مصر الأول فى نظرنا فى ذلك الحين . وكان يشتد علينا فى حفظ القصائد والأناشيد وإجادة إلقائها فى هذه السن الصغيرة .. وكان للشاعر على العزبى صلة بشاعر النيل حافظ إبراهيم والشاعر إمام العبد . وطالما كان يرسلهما ويرسلانه ويداعبهما ويداعبانه ، وهو فى قوة معانيه وفصاحة ألفاظه أقرب إليهما من سائر الشعراء . ولكنه كان يميل فى بعض شعره إلى أنواع البديع ، وأذكر من جناسه وتوريته فى غزله قوله فى حسناء :

جَنَسْتُ وَجَنَيْتُ الْوَرْدَ مِنْ وَجَنَاتِهَا      فَقَالَتْ : مَنْ الْجَانِي . فَقُلْتُ : أَنَا  
وكان إبقاء هذا الشاعر لا يقل قوة وجودة إلقاء حافظ إبراهيم ، بل كان صوته أرق وأجمل من شاعر النيل ، فكان تأثيره فى شباب دمياط أقوى تأثيراً .  
ولا عجب أن يشهد للعزبى تلاميذه من الشعراء الدمياطيين ، بل أن يشهد له غيرهم من أبناء دمياط وغير دمياط ، فلقد كان شاعراً موهوباً بحق ، وله فى البيان قدرة واسعة ، كما كان واسع الأفق شاحذ الذهن رقيق الحساسية . بالإضافة إلى سباحة خلقه براعة ذهنه وتناجه الشعرى الذى لا تصنع فيه ولا تكلف .. وكان من أوسع الناس اطلاعاً على كتب اللغة . وكان شعره سهلاً يفهمه من يسمعه ، فلقد كان يشغل المستمع إليه وإن لم يكن يتذوق الشعر ، فهو إذا لم يفهمه فإنه يتأثر به ويحس بها وراءه من مقاصد وأهداف .

ولقد أنشأ العزبى المطولات والمقطوعات فى شتى الأغراض الدينية والوطنية والاجتماعية والوجدانية والغزلية وغيرها ، وبرع فى قصائد المناسبات والإخوانيات والمساجلات .. كل ذلك فى أسلوب قوى بليغ متمكن ودال على إطلاعه على الكثير من الشعر العربى قديمه وحديثه.

يصور لنا الأستاذ طاهر أبو فاشا بعض هذا فى مقاله بجريدة «أخبار دمياط» فيقول :

« ... وكان على العزبى بعد هذا وقبل شاعراً جهيزاً فى دمياط ، يملأ

الأسماع والعيون .. وكان حسن الإلقاء يرفع شعره بإلقائه درجات ، فيروج بين الجماهير رواجاً منقطع النظير» .

وحين قامت ثورة الشعب عام ١٩١٩ كان العزبي في ذلك الوقت يعاني مرضاً شديداً ألزمه الفراش بضعة أشهر ، لكنه ما كان يسمع صوت مظاهرة تصل إلى أمام منزله لتقف بعد أن جابت شوارع المدينة ، فيعلم صوته تحت شرفته تطالبه بالكلام . فلقد تعود الشعب في دمياط أن يسمع قصائده الوطنية الثائرة في الاجتماعات التي كانت تعقد بجامع البحر وفي كنيسة الأقباط بدمياط وغيرهما . فهنا يترك العزبي فراشه ويطل عليهم ليلقى بضعة أبيات من قصيدة كان قد نظمها وهو على فراش المرض ، مطلعها :

يا شباب الحمى وخير الشباب أنقذوا مصر من نيوب الذئاب  
فلما لم يستطع أن يكمل القصيدة لضعفه ومرضه ، ناب عنه أحد الشباب في إلقاء باقى الأبيات.

فهكذا كان على العزبي هو نجم سائر الحفلات الوطنية ، يخاطب فيها الجماهير بشعر جيد وسهل يصل إلى القلوب من أقصر سبيل . فلقد كان يعرف كيف يؤثر في الجماهير وكيف يستهويها .. من ذلك أن يستعين في شعره ببعض آيات القرآن الكريم وخاصة في المراثى ، ومن ذلك قوله في الدعوة إلى انتخاب النائب الصالح :

ولا تثق بمن يخون الحمى بيذرة أو رتبة أو وسام  
ويشهد الله على ما به في قلبه (وهو ألد الخصام)  
أو في قوله شطر بيت من قصيدة عن سعد زغلول :  
( ... قال أهل الرأي ما هذا بشر ) .

ولقد اشتهر العزبي في شعره بطل النفس والقدرة على أن يقول أكثر من قصيدة في الموضوع الواحد وفي المناسبة الواحدة .

يروى الشاعر الدمياطى محمد طاهر الجبلاوى أنه رآه يوماً يلقي قصيدتين طويلتين في حفلين للمولد النبوى الشريف بمكانين مختلفين وفي ليلة واحدة ،

حيث كانت المنافسة شديدة بين المحتفلين، بالمولد ، فلم يشأ العزبي أن يؤثر فريقاً دون آخر حين دعى إلى الحفلين ، فألقى قصيدة في كل منهما ، في طبقة واحدة من الجودة .

وأضيف أن من ذلك أيضاً أنه أنشأ قصيدتين في تأبين القطب الصوفي الدمياطى الشيخ محمد محمود خفاجى بعد أن لقي ربه في ١١ يوليو ١٩٤٠ - وفي إحداها يقول في فلسفة الحياة والموت<sup>(١)</sup>:

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| خلود ، وهل للصالحات فناء؟      | وموت ، وهل للحادثات بقاء؟  |
| وكون مليء بالغموض وإنسا        | له الفاجعات الرائعات جلاء  |
| نهار وليل قائمان على الورى     | يُسراح لأمر فيهما ونجاء    |
| وما عصمتنا ساعة الفى حكمة      | ولا صائنا يوم الغرور ذكاء  |
| رأيت الورى ركباً سراعاً لم وعد | على أنهم عند الظنون بطاء   |
| وتلك الليالى كالرياح مسيرها    | هبوب ، وفيها زعزع ورخاء    |
| وعيش الفتى ما لم تزنه محامد    | بَوارٍ ، وأيام الحياة هباء |
| متى كانت الدنيا تؤول إلى الفنا | فأنت وأرباب العروش سواء    |
| ولله سر فى الخليقة غامض        | لديه استوى الجهال والعلماء |

أما المراثية الأخرى فعندى صورة كامئة منها منسوخة بخط اليد ، وهى فى ستة وسبعين بيتاً اقتطف منها هذه الأبيات المتفرقة :

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| عالمٌ لو عاصرت أيامه     | منزل النوحى لحيتته السور   |
| قد تسوارت شمسه فى حفرة   | عجباً للشمس تهوى فى الحفر! |
| يا مقيل الناس من عشرتهم  | من لهم بعد له إن رأى عشر؟  |
| كنت هدياً لمريسديك الآلى | بك فازوا زمرا بعد زمر      |

(١) من مقال للأستاذ نقولا يوسف بجريدة «أخبار دمياط» فى ٩/٢/١٩٧٠ .

فإذا ما ائتمروا في مشكل كنت بالرائى رشاد المؤتمر  
كنت في عقد لهم واسطة نثر الموت حلاها فانثثر

\*\*\*

حارب الأيام بالزهد ، ومن حارب الأيام بالزهد انتصر  
تقهر الدنيا بنيتها ترقا وهو بالعفة للدنيا قهر  
إن في الموت لمن لم يذكر عظة كبرى وفيه مزدجر  
حكمة بالغة ، عن فهمها عجز الناس فما تغنى النذر  
كل حى ذائق الموت .. فهل غفل الناس ؟ وهل من  
سفر غايته مجهولة ليت شعري ما الذى بعد السفر ؟!  
أيها التائه في بيد الهوى طاعة الله طريق مختصر

\*\*\*

أيها الراقد في مثوى الرضا قر عينا ، فلك الله غفر  
وسقى الرحمن من رضوانه قبرك الطاهر رحى كالمنطر  
لك في الخلد مقام طيب بين جنات وظل ونهر  
فتبوا مقعد الصدق الذي نلته عند مليك مقتدر  
ناعمًا في كنف الله وفي جنة الخلد .. ونعم المستقر  
وكثيرًا ما كان العزبي يلجأ إلى النكتة الطريقة في قصائده التى يلقيها على  
الجماهير .. فيقول مثلاً في الإنجليز المستعمرين<sup>(١)</sup> :

ولو جاز إكرامهم عندنا وقد يُكرم الضيف فيه الثقل  
مزجنا لهم ألف (طلناته) من الملح في درهم من غسل

(١) من مقال للأستاذ طاهر الجبلاوى بجريدة « أخبار دمياط » فى ٣٠ / ٧ / ١٩٦٢ .

وحدث أن سرق ديكان من شيخ من علماء دمياط ، فكتب إليه العزبي قصيدة - صعبة القافية - يعزيه بها في الديكة ، وقد بدأها بقوله <sup>(١)</sup> :

وَجَدَّ لشدته يدنى من الهلكه شيبته في الحشا يا سارق الدِّيكه

ثم يضيف بعد عدة أبيات :

ديكان رخصان مملوءان من سمن تروح كل يد مستتها ودِّكه

ويمالآن عيون الناس أبهه إن أغفيا سكنا أو أبديا حركه

ثم بعد أبيات أخرى يقول في اللص الذي سرقها :

لص أساء شيوخ الفضل قاطبة وخلف الهمم الشماء متتهكه

يا ليته حين وافى ناله حجر في رأسه ، أو أصابت رجله حَسَكه

وقال يؤنب طالبًا شكاه والده لأنه ترك الصلاة .. وكان الطالب كبير الأنف <sup>(٢)</sup> :

ترك الصلاة فأنبوه وجاوزا فيه الحدود

قلت اتركوه ، فللفتى أنف يعوق عن السجود

ومن شعره الوطنى قصيدة كتبها حين وافى العيد أيام الاحتلال ، والمجاهد عبد العزيز جاويش في السجن .. نقتطف منها أبياتًا قليلة تمثل شعره الوطنى وقوته التى كانت تلهب نفوس المستمعين <sup>(٣)</sup> :

عيد وهل زف شيئًا من أمانينا ؟ أم بات أحرارنا فيه مساجينا !

نعم نرى كل يوم من نضارته عيدا متى غادر العادون وادينا

يا عيد والناس فى صفو وفى طرب هل جئت تسعدنا ، أم جئت تشقينا ؟

(١) المصدر السابق . وليس به سوى الأبيات المذكورة هنا .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نشرها الشاعر بجريدة «دمياط» فى ٧/ ٤/ ١٩٣٩ أيام كان رئيس تحريرها .



يا عيد بالأمس أهدينا تهانئنا      واليوم يا عيد تهدينا تعازينا  
لا أطلع الله شمس الأفق مشرقة      إذا نعاننا لأهل الغرب ناعينا  
لا والذى خلق الإنسان من علق      وكون النفس فى الأحشاء تكويننا  
لسوف نبني الذى أقوى الزمان به      ونرفع المتدلى من معالينا  
وبالعلوم نعيد الشرق سيرته الأ      ولى ، ونرجع بالعرفان ماضينا

\*\*\*

يا قوم لم نأت بهتانا ولا شططا      ونقبوا إن تريدوا عن خوافينا  
يا قوم لم نرج غير الحق مطلبنا      والله يشهد والدنيا تزكينا  
يا قوم حسبكمو فالعدل قائدنا      والصدق رائدنا ، والرأى هادينا  
إن شئتمو كبّلوا يا قوم أرجلنا      وتلك أعناقنا غلّوا وأيدينا  
وقطّعوا ألسنا بالصدق ناطقة      وأنبتوا النبيل غرسا فى تراقينا  
وأعملوا السيف فى أعناقنا عظة      وأرسلوا النار بالطغيان تضلينا  
وصادروا الطير حتى لا يكون لنا      مُشاطرًا فى بكانا أو تشاكينا  
واستنصروا الكون واستعدوا الوجود      شعب له موثق عند العلاجينا  
فليس ذاك بمؤ من عزائمتنا      كلا ولا بمضيع من أمانينا

فعلى هذا النحو من القوة والرصانة والفخامة ، كان معظم شعر العزبي فى شتى الأغراض ، خاصة ما كان يقوله عن إحساس وطنى ، أو من فيض مشاعره نحو الناس ممن تربطهم بهم صلات الأدب والصداقة وأمثالها . فإذا عاتب أحدهم كان رقيقاً مهذباً مع احتفاظه بكرامته وعزة نفسه ، كما نرى فى أبيات يعاتب فيها أحد أصدقائه<sup>(١)</sup> :

(١) تضمنها «ديوان الماحي» ص ٢٣٧ .

أكن له في كل جانحة حبا  
سقيت بعذب الود روضة وأملي  
وإنى لأخشى أن يقال لصاحب  
ولى خلق فخم البناء متينة  
بنيت به سدا على الدهر آيبا  
فحين يزول سبب العتاب ، فإنه الوفى الذى يحفظ للصديق حقه ، والمجامل  
الذى يشاطره فرحه ويهنته إذا كان هناك مجال لتهنته .. وإنك لترى ملامح من  
هذا الوفاء والتقدير فى قصيدة له يهنئ فيها صديقه الشاعر محمد مصطفى الماحى  
بنشره ديوانه الأول .. فيقول :

نسقتَ درأ أم نظمتَ جاننا  
شعر هو الأدب الصميم سجية  
يُهديك أزهار الربيع نضيرة  
ويربك من متع النفوس أرقها  
لله درك يا محمد كاتبًا  
ببراعة سَحَرْتُ ، نظمتَ فرائدًا  
فإذا عتبْتَ فِرْقَةً ومودة  
وإذا وصفتَ ففِقدرةً وطبيعة  
وإذا مدحتَ فعزة وكرامة  
وأفضت عاطفة الأبوة كوثرًا  
يا صاحب القلم الرخيم صويره  
ديوان نفسك أو كتاب شعورها  
ونفقتَ سحرًا أم أدرتَ دِنانا؟  
ودراسة وبراعة وبياننا  
فتهيم أرواحًا بها ألوانا  
والحانَ والألحانَ والريحاننا  
فخم البيان ، وشاعرًا فنانا  
درا ، وصغت قلائدًا عِقبانا  
وإذا نسبتَ فصبوةً وجناننا  
تمَّهب الحياة وتبعث الوجدانا  
وإذا رثيت أذبتنا أشجاننا  
يُجسِّى البنوة رحمة وحنانا  
كالعندليب شَدًا فهز البانا  
بالمعجزات تقدِّم «الديوانا»

قد كنت أقرأ في صباك سطوره      وعلى جبينك ألمح العُنوانا  
هو منهل الأدب الغزير عذوبة      يروى بها المتأدب الظمآننا  
قد كنت أرجو أن أزف تحيتي      حين الورود وأبعث الشكرانا  
لكن سكرت بخمره ، لم أستفق      من نشوة الإعجاب حتى الآننا

ويصور بعض أبناء جيل العزبي كيف كان شعره قوى وتأثيراً وإحياء للشعر ، وذلك في كلمة موجزة ، ولكنها عميقة الدلالة .. تقول «حين ظهر العزبي ، كان الشعر في دمياط يتعثر في يد الشباب ، ويمشى على عكازين في يد الشيوخ..!» .

لكن آثار الشاعر التي بين أيدينا اليوم - وهى غاية في القلة بالنسبة لما عرف عن غزارة ما أنشأ وما أنشد .. لا يمكن أن تعبر عما قالوا عنه أو كتبوا تعبيراً كاملاً شاملاً . ولقد كنت أنا واحداً ممن بحثوا وألحوا في طلب ما خلفه من أشعار .. وحدثت في هذا ابنه المرحوم الدكتور رجاء العزبي الذى كان زميلى في الجامعة .. لكننى لم أظفر بشيء .. فلم يبق أمامى بعد هذا سوى أن أرجع إلى ما وقع بيدي واحتفظت به من بعض شعره وإلى بعض ما كتب عنه هنا أو هناك .. فكانت الحصيلة ضئيلة لا تتناسب وشهرة (شاعر دمياط) وهو أمر يبعث على الأسف ، أن تضيع على هذا النحو آثار النابهين من أبناء دمياط ... !

\*\*\*

## على الغياتى

١٨٨٥ - ١٩٥٦

في هذه المدينة العريقة - دمياط - والتي يعمل أهلها بالتجارة منذ زمن بعيد كان هناك شعاع من الضوء ينبعث من المدرسة المتبولية القائمة بالمدينة منذ عام ١٤٧٥ م نسبة إلى الشيخ إبراهيم المتبولى، والتي انتقلت إلى جامع البحر ثم المعهد الأزهرى .

من هذه المدرسة تخرجت أجيال حملت لواء العلم والدين والثقافة فكان منهم شيوخ مساجد ومؤلفون ومعلمون ، ومنهم من استهوته الكتابة الأدبية

فتجمعوا حول موائد الأدب ومجالسه التى كانت تعقد فى حوانيتهم ومنازلهم يناقشون ما يكتبون ويبارون بما جادت به قرائحهم من نظم أو نثر ويدرسون ما يقع فى أيديهم من كتب التراث ومن صحف ومجلات كانت تصل إليهم من القاهرة ومنها جرائد «الأهرام» و «المؤيد» و «اللواء» وغيرها من الصحف التى كانت تصدر فى هذه الفترة وتحمل آراء ومقالات كتاب هذه المرحلة العصبية من تاريخ مصر منادين بالحرية والاستقلال كما تحمل لهم خطب ومقالات الزعيم مصطفى كامل .

فى هذه الفترة أنجبت دمياط شعراءها الذين ملأوا الأسعاع .. ومنهم شاعرنا (على الغيايى) الذى ولد يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٨٨٥ .

ولكى نتعرف على شاعرنا ونعرف اتجاهاته الأدبية والسياسية لابد أن نلقى الضوء على العصر الذى ظهر فيه والظروف التى كانت تحيط به حين رحل إلى القاهرة : فالدولة العثمانية قائمة ومصر ولاية عثمانية تحت الاحتلال البريطانى ، وقد ترك فيها جمال الدين الأفغانى ( ١٨٧١ - ١٨٧٩ ) أثرا كبيرا لإيقاظ الفكر وظهور تيار جديد أساسه الدعوة إلى الحرية والحكم النيابى والدستور والتخلص من النفوذ الأجنبى المتمثل فى الاحتلال البريطانى وامتيازاته وسيطرته على مقدرات الوطن وكذلك التخلص من حكم الفرد المطلق ونفوذ الخديوى وحاشيته التركية المحيطة به .

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين كانت القاهرة تغلى بالحركة الوطنية التى فجرها الزعيم مصطفى كامل والتى وجدت لها صدى كبيرا فى أوساط المثقفين المصريين الذين التفوا حوله .

وفى أحد الكتابيب الكثيرة المنتشرة بدمياط فى هذه الفترة تلقى تعليمه الأولى فى كتاب كان يملكه والده الشيخ (محمود الغيايى) وبه تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض آيات القرآن الكريم ، ثم استكمل مرحلة تعليمه الابتدائى فى مدرسة (الفتوح الربانى) التى أنشأها الشيخ (على الحزاوي) عام ١٨٧٣ . انتقل بعدها إلى المعهد الأزهرى بجامعة البحر ، ثم عمل مدرسا فى نفس المدرسة التى تلقى فيها تعليمه الأولى ( الفتوح الربانى ) .

في اليوم الرابع من إبريل عام ١٩٠٧ رحل إلى القاهرة فقيرًا مجهولًا يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا ، وفيها بدأ يشق طريقه إلى الحياة التي يريدها ويحقق الأحلام التي كانت تراوده وهو بدمياط في ميادين القلم والجهاد ، فاتخذ مسكنًا له بحي عابدين قريبًا من دور الصحف التي كانت تصدر في هذه الفترة ، وكانت القاهرة تشهد أحداثًا جسام :

- استقالة كرومر ورحيله عن مصر في مايو ١٩٠٧ .
- القاهرة تستقبل مصطفى كامل عند عودته من أوروبا - أكتوبر ١٩٠٧ .
- وضع نظام الحزب الوطني وإعلان قيامه .
- مصطفى كامل يخاطب في الأسكندرية في ٢٢ أكتوبر من نفس العام .
- وتلتهب مشاعره فنظم عدد من القصائد تناول فيها هذه الأحداث والتقى بالزعيم مصطفى كامل الذي ضمه إلى صفوف حزبه .
- عمل محررًا بجريدة «الجوانب المصرية» لصاحبها خليل مطران ثم انتقلت الجريدة إلى (عطا حسني) وهو أحد أصحاب الأسرة الخديوية وحدث أن كتب (الغاياتي) مقالته بعنوان (الدستور أميرنا) لم تعجب صاحب الجريدة فجمع الجريدة من أيدي الباعة ووضع مكانه مقالة أخرى خشية غضب الخديوى ، وغضب (الغاياتي) لهذا التصرف وترك العمل بالجريدة حيث عمل بجريدة «اللواء» .

وكان لاتصاله بعدد كبير من الكتاب والأدباء الذين يترددون على دار الجريدة أثره الفعال في تكون شخصيته الأدبية والوطنية مما كان له الفضل الكبير في تمهيد الطريق لتحقيق آماله وأحلامه وفي جريدة «اللواء» نشر معظم قصائده ، ثم عمل بعدها في جريدة «العلم» التي أصدرها الحزب بعد وفاة مصطفى كامل .

في الفترة من عام ١٩٠٧ إلى ١٩١٠ وهى الفترة التى قضاهـا (الغاياتي) بالقاهرة كان لعمله فى الصحافة أثر كبير فى اتصاله بالعديد من أدباء عصره فكان يشاركهم جلساتهم ومناقشاتهم وكان يعرض عليهم ما يكتبه من مقالات وقصائد ويناقشهم فيها فتشكلت مكونات فكره وثقافته وتجربته والجذور

الأساسية التي ترتب عليها بعد ذلك كل تصرفاته وأعماله .

في يولية من عام ١٩١٠ أصدر (الغياي) ديوانه « وطنيتي » وكان لصدوره دوى كبير فأنثر في حياة الشاعر وحول مجرى حياته وأصبح حدًا فاصلاً بين حياته الهادئة في وطنه وبين حياة الغربة في بلاد أجنبية عاش فيها مرارة الاغتراب وعذاب البعد عن الأهل والعشيرة .

وما كاد يظهر هذا الديوان حتى هاجت السلطة فقدمت صاحبه والزعيم محمد فريد وعبد العزيز جاويز لمشاركتها في كتابة مقدمته للمحاكمة بإيعاز من الشيخ على يوسف الذى كتب مقالاً هاجم فيه الديوان ورد عليه الغياي بمقال أعنف وأشد .. وبدأت المأساة فوجهت إليه تهمة ( تحييد الجرائم وإهانة الحكومة ) واختفى (الغياي) عن الأنظار ولم يحضر المحاكمة وحضرها عبد العزيز جاويز وحكم (غياي) على الغياي بالحبس سنة مع الأشغال وثلاثة أشهر على الشيخ جاويز (ونفذ الحكم فوراً) وبالحبس ستة أشهر على الزعيم محمد فريد (نفذ فيه الحكم بعد عودته من أوروبا) كما حكم على الناشر والبائع بالحبس شهرين مع إيقاف التنفيذ وقد قبلت هذه الأحكام باستياء شديد من الأوساط الوطنية والشعبية وقد تجلّى ذلك فى الاستقبال الكبير للزعيم محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويز عقب مغادرتها السجن بعد نفاذ العقوبة.

وقد نشطت السلطات فى البحث عن (الغياي) الذى غادر البلاد ظهر يوم الأربعاء ٦ يولية عام ١٩١٠ متنكرًا فى ملابس أفرنجية فقصر شاربه ولبس نظارة سوداء وسار بجانب ضابط تركى سهل هروبه من ميناء الأسكندرية حيث نزل بالآستانة وبها تولى رئاسة تحرير جريدة (دار الخلافة) وأخذ ينشر قصائده ومقالاته ضد السلطة الطاغية فى مصر التى كانت تبحث عنه فى كل مكان وأخيرًا عرفت عنوانه بتركيا وخوفًا من تسليمه بمعرفة الحكومة العثمانية للسلطات المصرية استقر عزمه على التوجه إلى سويسرا .

وفى اليوم الثالث من ديسمبر ١٩١٠ وصل إلى جنيف بسويسرا لا يحمل معه سوى حقيبة صغيرة تحوى ملابس قليلة ونقودًا أقل وإيمانًا أقوى بقضية

وطنه ، وبعض كلمات فرنسية وعمل في تدريس اللغة العربية لبعض الطلبة العرب هناك وتعلم في الوقت نفسه اللغة الفرنسية التي ساعدته على العمل في الصحف السويسرية يترجم لها الأنباء ويكتب المقالات ، ثم قرر أن يصدر جريدة (منبر الشرق) التي استمرت في الصدور حتى عام ١٩٣٧ حين غادر سويسرا عائداً إلى مصر فأصدرها باللغة العربية حتى توقفت بعد وفاته في عام ١٩٥٦ .

ظل (الغياطي) هذه السنوات الطويلة في سويسرا وقلبه يهفو إلى وطنه ويحن إلى أهله وعشيرته ولاح في الأفق ضوء جديد حين وصل إلى (مونترية) بسويسرا وفد مصري فطلب إليه أن عيود إلى وطنه .. وعاد إلى مصر يوم ٢٨ يونيه عام ١٩٣٧ . وكان يوماً مشهوداً في حياة (الغياطي) حين نزل بأسرته إلى أرض الوطن الذي غاب عنه سبعة وعشرين عاماً ، عاد ومعه قلمة وجريدته (منبر الشرق) لبدأ مرحلة جديدة من كفاحه التي استمرت حتى وفاته في اليوم السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٥٦ بالقاهرة ودفن بها .

### شعره :

كان شعره معبراً عن الرأي العام المصري مثلاً لشعور الأمة أقرب تمثيل ولأنه لم يكن يستطيع أن يتحكم في عواطفه - كما يقول - فقد كان يجهر في بعض المواقف بما لا يجب الجهر به مما كان يسبب له مشاكل كبيرة .

وقد امتاز شعر الغياطي بأنه يعتمد إلى الحقائق السهلة التي تصل إلى النفوس فيصوغها في صور مناسبة ، ولم يغرق في المعاني العميقة أو التي يصعب فهمها ، كذلك يمتاز شعره برقة الألفاظ وجزالة المعاني وكان كثيراً ما يلجأ إلى الموعظة والحكمة والحث على الفضيلة والبعد عن الرذيلة .

ويقول الشيخ عبد العزيز جاديش في مقدمة ديوان (وطنيتي) :

« من شاء أن يرى نموذجاً من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعاني وألف بين أحكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من (وطنيتي) .. » .



## نماذج من شعره :

علم الشاعر وهو بدمياط بوفاة الزعيم مصطفى كامل فقاد حركة الحداد بالمدينة ونظم قصيدة ألقاها في اجتماع كبير أقيم بجامع البحر .. يقول في قصيدة (آية الأسف) :

إن مصر اليوم تكلى دمعها  
يا حياة النيل جف النيل من  
يا فقيد الشرق تخلت أمة  
يا خطيبا خطبه هد القوى  
أنت أوجدت الشعور الحى في  
أنت أعربت لنا عن مبدأ  
ونشرت العدل والنور وقد  
مازج النيل فأجراه دما  
وهج الوجد وأسقانا الظما  
كنت تهديها الصراط الأوقما  
بعد ما كانت بناء محكما  
أمة النيل فأحييت أمما  
أنطبق العرب به والعجما  
كان فينا الظلم يعلو الظلما

ويقول في أول قصيده له بالقاهرة تعيقا على خطبة للزعيم مصطفى كامل والتي أعلن فيها تكوين الحزب الوطنى :

أصدع بقولك إن أردت مقالا  
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه  
ورأوك تقترح الصعاب بهمة  
وتجادل الخصم العنيف بقوة  
جينوا لعمرك عن طلاب حقوقهم  
فاصبر فسوف يذيقهم بأس الحمى  
فالقوم جندك إن دعوت رجالا  
من قبل أن يمسى سواك هلالا  
لم تدر فيما تبتغيه مالا  
حسبوا لها بعد الجدل نزالا  
حتى بدا لهم المقال قتالا  
أن أضمرُوا هذا العدا وبالا

قام الزعيم محمد فريد بأول رحلة إلى أوروبا بعد رحيل الزعيم مصطفى كامل لعرض قضية مصر على المحافل الدولية وحين عاد قدم له الشاعر هذه الأبيات :



عاد للنيل فتاه  
أسعد القطر لقاها  
جاء أوروباً ونادى  
شاكياً أعمال قوم  
جلبوا الشر إلينا  
بيد القهر الأثمية  
بأياديهِ العِمية  
ورعى الله قدومه  
أمم الغرب الحكيمة  
حسبوا مصر غنية  
بيد القهر الأثمية

وفي الأستانة حيث تولى رئاسة تحرير جريدة (دار الخلافة) نشر قصائده الوطنية .. فيقول في قصيدته ( مصر ودار السعادة ) :

يا أهل مصر قفوا وصيحوا صيحة  
واقضوا بحد السيف حقنا له  
إن امتشاق السيف أبلغ حجة  
ويقول :

دار السعادة طال ليل شقائنا  
دار السعادة أنت دار رجائنا  
إننا كرهنا العيش في أوطاننا  
وفي قصيدة له بعنوان (ثمن الاحتلال) يهيب بالشباب أن يثور على الظلم ويحطم قيود الاستعباد .. فيقول :

أيها الشعب أفق ولى الظلا  
فدع النوم وقف مستخبرا  
سائل التاريخ عنها إنه  
تلك دار سجلت آثارها  
هذه مصر وهذا ذكرها  
م ولاح النور للمستبصر  
هل لمصر في الورى من خبر؟  
صادق الأخبار جم العبر  
بين أطلال وذكر عطر  
ناطق الآيات باقى الأثر

فانهض اليوم ولا ترقب غدا      وادفع الشر بسيف الحذر  
ويحذر الشعب من الركون إلى الإستسلام واليأس فيقول :

فلا تيأسوا فاليأس مجلبة الردي      وشدوا إلى نيل الرجاء رجالا  
ولا تفزعوا من حاكم أو حكومة      ترى نشر آمال الجهاد ضلالا  
وسيروا إلى ما تأملون بحكمة      ولا تحسبوا الفوز المبين مجالا

وفي قصيدة دعا فيها إلى إنصاف الأزهر يقول :

يا ولاة الأمر ويلكمـوا      أدركوا الأمر الذى عظميا  
أصبح الأزهر معتركا      وأراكم تطلبون دما  
ليست شعري هلى جنى أحد      يشتكى الظلم لمن ظلميا  
فاعمدلوا فى القوم إنهم      يشتكون الضيم والألما  
واحذروا يوم ترون به      إن أبيتم ذلك الندما

ويتحدث عن الوحدة بين المسلمين والمسيحيين فيقول :

نسينا خير وحدتنا      وما فى دونهـا خير  
كفى ما مر من جهل      أباه الدين والفكر  
ومن خلف إذا استعصى      دواه فاتمه القبر  
لنصبح واحدا فردا      فلا زيد ولا عمر  
فنحن لمصر أبناء      ونعمت أمنا مصر

وكانت تحركه ذكرى النيل وشعبه دليل مصر وجوها وبحارها ونجومها  
فانطلق بالشعر.. يقول:

لهفى على النيل الحزين وشعبه      وفؤادى المضنى به يتفطر  
مالى لدى الذكرى نثرت مدامعى      وأخذت أنظم فى الدجى ما أنثر

الليل أذكرنى البلاد وخطها  
ليل وبحر بين أمرهما فتى  
يا نجم هل بعد التنائى عودة  
يا نجم هل أقضى الحياة مهاجراً  
و يذكر آثار مصر الخالدة وحضارتها العريقة التالدة وماضيها المشرف إذ  
يقول:

عند سفح الأهرام والليل سار  
وأبو الهول جاثم يرقب الكو  
بين ماضى عنت له جبهة الده  
موقف للخلود بين جلال  
نعم القلب عنده بعد بؤس  
وفتى مصر سالته الليالى  
كيف يقوى بعد اللقاء على الهج  
أثر فى نفس الشاعر ما لقيه من تباعد أكثر الناس عنه عقب رحيله عن مصر  
ويقول فى ذلك:

علام أذكر عهدى وإخوانى  
واليوم شط فرارى والتوت سبلى  
وصرت فى زمن أنكرت معرفتى  
فطالما كنت أزهو عند كثرتهم  
وقلت لى واحد منهم أو اثنان  
وفى قصيدة تدل على عاطفة دينية قوية وتدعو إلى التسليم المطلق لله يقول :

ولست أحسب موتاً لم يكن قهراً  
يجود بالنفس حتى يسكن القبرا  
لكنها الموت غر الموت فاعترا  
إن كان في المبتدأ والمنتهى صفرا  
من بالحياة عليهم بالردى كرا  
غير الرضا بقضاء من دبر الأمرا  
وان أينا جرى مقداره قسرا

وسنى يلذلزائر ومقيم  
لأولى النهى من نابسه وعلیم  
يحيا بقلب طاهر وسليم  
بذكاء موهوب وحذق حكيم

منكم وقلبي بينكم فى مربع  
وحبالنا موصولة لم تقطع  
أخلاص قلب فى هواكم طبع  
أنأى عن الأعدا وإن لم تهجع  
ما لاح بدر قصيدتى فى مطلع

فلست أحسب عيشاً لم يشبه أذى  
والمرء محتضر من يوم مولده  
وما الحياة حياة فى حقيقتها  
فما الوجود ومعناه وغايته  
وما عزاء بنى الدنيا وحظهمو  
فليت شعرى أقيم قبل تعزية  
سبحانه قد رضينا ما بقدره  
ويقول متغنيا ببيته دمياط :

دمياط مشوى راحة ونعيم  
دمياط وحى عوارف ومعارف  
دمياط نجوى ناسك متبتل  
لا زال هذا الثغر يمضى للعلا  
ويقول أيضاً :

يا أهل دمياط الكريمة أننى  
فعلام بتم تقطعون حبالنا  
إنسى أمد يدى إليكم مهدياً  
وأصافح النصراء والخصما ولا  
فعليكموا منى السلام تحية

\*\*\*

## الشاعر عبد الله بكري

١٨٩٢ - ١٩٦٢/٥

في عام ١٩٢٦ زار شاعر النيل حافظ إبراهيم مدينة بورسعيد ، فأقام له الأدباء هناك حفل إستقبال ، كان في مقدمة المتحدثين فيه شاعر دمياطى حسن النكتة ، سريع البديهة قادر على الارتجال .. فاستهل قصيدته بقوله :

فقاطعه حافظ إبراهيم بقوله : يعنى يا أخى من تخانة جسمك ؟ فلم يمهله الشاعر بل قال على الفور مرتجلاً : لا من تخانة جسمى فذلك ما لست أعنى فضحك حافظ وضج الحاضرون بالتصفيق لهذا الرد السريع الموفق .. لكن الشاعر نظر إلى حافظ مبتسماً وتابعه بقوله : أراك تضحك.. لكن .. إضحك على غير ذقني

فلم يتمالك السامعون أنفسهم من الطرب بهذه البديهة السريعة والدعابة المناسبة تمامًا لما يحدث ، وأغرق شاعر النيل في الضحك .. ثم بعد أن هدا الجميع استمر الشاعر فى إلقاء باقى أبيات قصيدته .

كان هذا الشاعر هو الأديب الدمياطى عبد الله بكري ، الذى ولد بدمياط فى أواخر القرن الماضى ، وكان يعمل بها مفتشاً بمصلحة التليفونات .. ثم رحل بحكم وظيفته إلى بورسعيد حيث عاش أخصب أيام حياته الحافلة بالشعر والأدب .. حتى نقل إلى القاهرة ليشغل وظيفة كبيرة فى مصلحة التليفونات . كان عبد الله بكري متوسط القامة بين القصر والطول ، أزرق العينين ، أبيض الوجه ، أقرب إلى التحول منه إلى السمنة . وكان وسيماً أنيقاً يعنى بهندامه ويحسن زيه .. وكان عندما يتكلم خافت الصوت رقيق المنطق ، لكن محدثه كان إذا قضى معه فترة من الوقت فإنه يألفه ويحبه ويشغل به .

وكان عذب اللفظ حسن الأسلوب والديباجة ، يعنى بشعره غاية العناية .. لذلك كان يحفظه رفاقه وأصدقائه الذين عاشوا معه بدمياط فى أوائل هذا القرن فلما نقل إلى بورسعيد وجد مجالاً لنشر شعره ومقالاته فى صحيفة

(المؤدب) الأدبية التي كان يصدرها هناك الشيخ محمود حلبة، وأصبح له مجال الصدارة في المحافل والمنتديات . وكان يكتب مقالاته في (المؤدب) بتوقيع «أبو الشمقمق» ويدبجها على نسق المقامات ، وقد أودعها الرقيق من لفظه والبديع من خيالاته وآرائه الاجتماعية ، في أسلوب فكه سلس أخاذ .. فلم يكن يخلو عدد من هذه الصحيفة من هذه المقالات.

وكانت ناحية الفكاهة والدعابة بارزة في نثره وفي شعره على السواء ، وكان كثير من شعره في الإخوانيات والفكاهات التي كثيراً ما كان يتحرر عند كتابتها من قيود اللغة .

ولقد ظل بقية عمره يقول الشعر ولا ينقطع عن نظمه ، حتى لقي ربه في مايو من عام ١٩٦٢ ، ومما يبعث على الأسف أننا لم نستطع أن نحصل إلا على هذا القليل جداً من شعره الطريف الذي لو أمكن العثور على المزيد من لكان متعة للقارئ بحق .

\*\*\*

## الشاعر محمد مصطفى الماحي

٢٥ / ٩ / ١٨٩٥ - ٧ / ١١ / ١٩٧٦

كان آخر عهدي به لقاء معه في أواخر صيف عام ١٩٧٦ داخل صومعته الصغيرة الملحقة بعشته ، حيث اعتاد أن يقضى بهذه الصومعة معظم فترات يومه قارئاً أو مسامراً بعض الزائرين ، ومعظمهم من الأدباء والشعراء .. أو مجالساً قرينته التي ربطت بينهما ألفة الحب والشعرة الطويلة والاحترام المتبادل ، وكانت قد لقيت ربه قبل ذلك الصيف بأشهر قليلة ، فكان لذلك أثره الواضح ولمساته المؤلمة في حديثه في ذلك الصيف ، وفي صومعته تلك التي بدأ فيها يذوق مرارة الوحدة والانفراد بعد غياب شريكة العمر التي ألف - وبخاصة بعد شيخوخته - أن تشاركه هذه الجلسات . فمن ساعتها أحسست قرب النهاية ، كما نحس إزاء طائر من الحمام فقد الزميلة التي يألفها .

حتى كان يوم الأحد ٧ نوفمبر من عام ١٩٧٦ - أي بعد أشهر قليلة من رحيلها عنه ، وفيه انتهت حياته بعد ٨١ عاماً وشهر وثلاثة عشر يوماً ..

فلقد ولد الشاعر محمد مصطفى الماحي بدمياط في ٢٤ سبتمبر ١٨٩٥ ، وعاش حياته بعد ذلك قصة من قصص الكفاح والدأب والقصد والاستقامة . فهو نموذج حي لأولئك الذين يشقون طريقهم في الصخور إلى الحياة الحرة الطيبة ، ذلك أنه قطع مسيرته من السفح وحيداً في طريق مزروعة بالأشواك ، لا زاد له في هذه الرحلة إلا إرادة الحياة .

في البداية تلقى الماحي تعليمه الأولى في مدرسة الخزاوي بدمياط ، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الأميرية فكان فيها متفوقاً ، خاصة في اللغة العربية . فلما نال الشهادة الابتدائية ، وبعد كارثة حلت بأسرته عندما فقد والده بصره ، انتقلت أسرته إلى القاهرة في عام ١٩١١ ليترك الابن باب الوظيفة لعلها تكون المنقذ له وللأسرة . واستطاع أن يجتاز بنجاح مسابقة لوظيفة في ديوان الأوقاف (وزارة الأوقاف فيما بعد) وفي ٢٥ نوفمبر من العام نفسه تم تعيينه بها .. ولقد حظى في مراحل عمله برياضات فطنت إلى قدرته وكفايته ومدى ما يبذل في العمل من جهود فوق الطاقة ، فما زال ينال الترقية إثر الترقية ، من موظف صغير في قلم السكرتارية ، إلى رئيس لهذا القلم، فمدير لقسم الإدارة ، فمدير لقسم الأملاك ، فمدير الأوقاف الأهلية .. وهكذا حتى أحيل إلى المعاش وهو مراقب عام للوزارة .

كما أنه أختير في عام ٣٧ - بناء على رغبة حكومة العراق - خبيراً لتنظيم شئون الأوقاف هناك . فبذل جهداً كبيراً ووضع تقريراً شاملاً طبعته الحكومة ووزعته على مكاتب المعارف العامة، وأنعم عليه الملك غازي ملك العراق بوسام الرافدين ، فكان أول مصري يناله .

كان الشاعر الماحي مديد القامة ، ذا وجه أبيض مشرب بحمرة ، وعينين زرقاوين زرقة خفيفة ، وحتى جاوز الشباب تخلى معظم شعره عن رأسه لتبدو مكانه صلعة زادته وقاراً ومهابة .. على أنني لم أجد وصفاً له في ذلك الشباب أبلغ مما قاله عنه الأستاذ على الجندی عميد كلية دار العلوم الأسبق ، في إحدى الندوات الأدبية :

« ... ذات ليلة إلتقينا مصادفة بإنسان مرموق الشباب ، سنى الطلعة ،

وضيء المحيا ، بادى البشر ، ظاهر البراءة والطهارة ، ساكن الجوارح ، زميت ، وقور ، وديع الخلق ، دمث الطباع ، سلس الحساسة ، عذب الروح ، كثير التواضع ضافى الحياء ، لا يكاد يثبت بصره فى وجه أحد ، يسمع أكثر مما يتكلم ، خفيض الصوت ، يقطع حديثه العذب بالابتسام الرقيق ... وإذا هو الشاعر محمد مصطفى الماحى ... » .

ويصف الماحى نفسه وطريقه فى الحياة ويذكر عناصر أدب النفس لديه فيقول :  
صدق فى القول ، وإخلاص فى العمل ، وكنح فى سبيل العيش ، واتعاظ بالأحداث والعبر ، وتدير فى شئون المال ، واعتدال فى القول والفعل ، وحرص على محبة الإخوان ، واعتزاز بخلق الوفاء ، وحب فى عمل الخير ، وصراحة فى الرأى ، وتمسك بالحق إلى حد الإصرار الذى يراه بعض الناس تشدداً أو صرامة .

كما كان الماحى يحب الناس ويتحجب إليهم ويحتمل هفواتهم فى كرامة منه وإباء ، وفى غير ملق أو رياء أو ضعف .. إنه كما قال عن نفسه فى قصيدته ( نفس حرة ) التى نشرتها له صحيفة ( الزمان ) التى كانت تصدر فى مصر فى أواخر الأربعينات <sup>(١)</sup> :

ولله نفس حرة لا تميجها  
إذا رضيت كانت على الناس رحمة  
وإن غضبت لم تحمل الحقد والمكرا  
سواء عليها نعمة تبعث المنى  
أداة ولا تفشى الخطوب لها سرا  
وإن هى لم تخلق إلى الصدر منفذا  
لما ساءها فى اليأس أن تلج القبرا  
كما كان يتميز بالوفاء والاحتفاظ بالعهد والتماس العذر للإخوان .. وفى هذا يقول <sup>(٢)</sup> :

إذا تباعد جسماً صاحبين فما  
بين القلوب اتصال فى تباعدها  
فى ذاك نقص لو دُ ضم روحين  
نور الوفاء يزيد الحب ضعفين  
به ، وقسم روحا بى جسمين  
كم ألف الود من قلبين فائتلفا

(١) قصيدته « نفس حرة » بديوانه ص ١٠٠ .

(٢) ديوان الماحى ص ٢٤٦ .



ولقد شغف الماحي منذ حداثته بالأدب العربي ، وتوافر على دراسة آثار الشعراء الأقدمين وتذوق محاسن المعاصرين ، واطلع على مراجع اللغة حتى لانت له وأجاد استخدامها في شعره.. وكان خير ما قرأه في صباه وما دفعه إلى نظم الشعر ما قرأه من شعر المتنبي وأبي العلاء المعري، وابن زيدون ، والبيهاء زهير. فلما بدأ عمله الوظيفي في الأوقاف كان من حسن حظه أنه عين أول الأمر في إدارة يرأسها الكاتب الكبير محمد المويلحي صاحب كتابي ( حديث عيسى بن هشام) و(علاج النفس) .. وفي زمالة أدباء وشعراء بارزين من بينهم عبد العزيز البشري وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصري وحسن المدرس وكامل الكيلاني وعباس محمود العقاد ومحمود عماد وغيرهم.

كما استطاع أن يقرأ كثيراً من روائع الأدب الغربي في لغته الأصلية أو معرباً عنها ، فكان لذلك كله ، كما كان للبيئة التي نشأ فيها بدمياط أكبر الأثر في تثقيفه وتكوينه .. وقد صاغ الشعر منذ حداثته ، ونشرت قصائده له منذ عام ١٩١٣ وهو في السابعة عشر من عمره في صحيفة (المؤيد) وغيرها .. ثم بدأ يغشى محافل العلماء وينشد بها القصائد والمقطوعات . واختير وكيلاً لرابطة الأدب الحديث في عام ١٩٣٢ - وأصدر الطبعة الأولى من (ديوان الماحي) عام ٣٤ ثم الطبعة الثانية المزيّدة والمنقحة من ديوانه في عام ٥٧ وأقيمت بعد صدور هذه الطبعة أربع ندوات لتقييم شعره من كبار الأدباء ، وذلك في جمعية الشبان المسلمين ، ورابطة موظفي الحكومة ، ورابطة الأدب الحديث ، والرابطة الإسلامية .. ثم أصدر في عام ٦٨ الطبعة الثالثة من الديوان شاملة الجديد من شعره إضافة إلى معظم ما نشره في الديوانين السابقين .

وكان الماحي عضواً في المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وفي جمعيات العشراء والأدباء ورابطة الأدب الحديث ، بالإضافة إلى عمله المتواصل في الخدمات الاجتماعية والأعمال الخيرية.

أما شعره فقد كان معظمه أثراً لتجارب صادقة مرت به في أطوار حياته ، ودواوينه تترجم عن نفسه أصدق ترجمة . فلو لم نعرف الماحي وسجايه لعرفناه من شعره .. وأغراض هذا الشعر أغراض متنوعة تدور حول الروحانيات ،

والوطنية والعروبة ، والاجتماعيات والعتاب والشكوى والرثاء والوصف وبعض الأغراض الأخرى ، وإن كان يصعب أن تجد صريحاً بينها المدح أو الهجاء بمعناها المعروف .. أما الغزل فشعره فيه كثير خاصة في مرحلتى الصبا والشباب .

ولأن (الاعتدال) كان من أهم طباع شاعرنا ، فلقد كان شعره وسطاً بين الأدبين القديم والجديد ، أو هو كما يقول عنه الشاعر طاهر أبو فاشا في إحدى مقالاته التى يتحدث فيها عن الماحي: ( .. إنه من الرعيل الذين عايشوا بواكير الحركة الأدبية الجديدة ، فكان من أنصار الجديد الذى أصبح بعد ذلك قديماً .. ) .. على أنك واحد أثر هذا الاعتدال واضحاً في أسلوب شعره ومعانيه ... ويقول الشاعر عزيز أباظه في شعر الماحي<sup>(١)</sup>:

« ... تشيع فيه السلاسة والركة والعدوبة ، فلا تكاد تعثر في طوياه على ما ينبو عنه الذوق أو تنفر منه الأذن ، إنما تنتسم في جوه عبق الشاعرية الصافية الخالصة ، وتلمح في ثناياه إشراقة الذهن المتوثب في توده واتزان .. ولا تحس في قصائده تداعيا في البناء ولا تنافاً في التعابير ، إنما تجد التماسك والترابط والقوة والأصالة » .

ولنقرأ أبياتاً مختارة من قصيدتين له في الغزل والعتاب والشكوى ، صاغهما في أيام الشباب ، أو ربما وهو يتذكر أيام التباب ...

يقول من قصيدة يناجى فيها الفجر بعد ليلة سهر وعذاب طويلة<sup>(٢)</sup>:

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| يا فجر صاح الديك وابيض الدجى  | ومزار من أهوى بعيد الموضع       |
| لا طيفه دانٍ ، وكيف ؟ ولم تـ  | مذق عيني الرقاد ولم أكفف الأدمع |
| أشكو ما تجد الشكاية للذي      | بسوى هوانٍ تحبّه لم يقنع        |
| لا سِرّه بادٍ ، ولا جى له     | واهٍ ، ولا عهدى له بمُضِيع      |
| عَذَبَ الهوى حيناً كأصفى مشرع | حتى وَرَدْتُ فكان أكرّ مشرع     |
| وامهجتى ، وأنا الذى أطمعتها   | في وصل مشهور الملاحاة مُطْمِع   |

(١) ديوان الماحي ص ٣٣٤ .

(٢) ديوان الماحي ص ١٨٠ .

يا مُورِدًا قلبي الأسى ، لا تنسى  
خفقات قلبي موشكات أن تُرى  
لك أن تعذب قادرًا ، وعلى أن  
أما قصيدته الأخرى فيصف فيها لقاء مع الحبيبة <sup>(١)</sup>:

لا تكتفى الحب إنى قد علمت به  
قالت : رويدك ، هذا القول أعرفه  
يغرهن بإذعان لهن ، وكم  
يشتااق واحدة من بعد واحدة  
فتطمئن إليه وهى واثقة  
وهذه غاية يصبو الرجال لها  
فإن تكن واحد منهم ، فلست أرى  
فقلت والنفس حيرى من شكائتها  
أفديك بالروح لا قولاً أريد به  
تبينى صدق قولى إن شككت بما  
أخلق بنى الحسن إن يسرى إليه  
حتى إذا استوثقت مدت إلى يداً

على أن الشاعر فى معظم حبه وغزله يمشى كما يقول فيه الأستاذ حسين  
عفيف فى مقال له بصحيفة الأهرام بتاريخ ١٩ / ٤ / ١٩٣٤ :

« ... إذا تألم فليس البكاء الصامت ، وإنما الدمع الصامت الحزين .. إنه لا  
يفتقر الإحساس القوى المرفه ، لكنه يرمى حرمة عواطفه فلا يتذللها .. يجب

(١) المرجع السابق ص ١٧٢ .

فى إباء ، ويتوسل فى إباء ، فإذا برّحه الهوى بكى أيضًا فى إباء .. ثم هو لّاح بتصيد  
التعابير الشعرية الرائعة فيرصع بها شعرد ... » .

ومن طريف شعر الماحى قصيدة له يجمع فيها كل ألوان الحب التى يجعل  
منها مذهبه فى الحياة، أقتطف لك هنا بعض أبياتها<sup>(١)</sup> :

أنا لا أعرف الحياة سوى الحب      سب بشتى ضروبه وافتتانه  
حب ربي وقد تجلى لعيني      ولقلبى مادق من أكوانه  
حب من بلغ الرسالة للناس      س وجلى اليقين فى برهانه  
حب قوميتى وحب بلادي      وهما ناظرى وفى إنسانه  
علمانى الهوى وكنت خليا      وكما الفتى هوى أوطانه  
حب أهلى ووالدى ووُلدى      وصديقى وإن ثنى من عنانه  
حب ما أبدع الإله من الخلق      ق وسوى من سمعته وكيانه  
إن فى الزهر والفراشة سرًا      يستحث الفتى إلى إيمانه  
أودع الله سره فى جهال      أسر للنفوس فى صولجانه  
وسِع القلب ما عرفت من الحب      سب وغالى فى صدقة وافتتانه  
كان حظ المشيب منه كما      ن نصيب الشباب فى ريعانه  
أترانى جاوزت فى الحب قصدي؟      أم ترانى بالغست فى تبيانه؟  
لا وربى قد عرفت طريقي      وبدأت الكتاب من عنوانه  
وتتجلى هذه العاطفة قوية وهو فى الروضة النبوية يناجى الرسول ﷺ  
ويدعو الله بالغفران<sup>(٢)</sup> :

يا أسمح الناس خلّقًا طاهرًا ويدًا      هلا رويت لهيف القلب ظمآنًا؟

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٢) ديوان الماحى ص ١٤٥ .

دعوتنى يا رسول الله ، ها أنذا  
واشفع لنا عند رب العرش إنك إن  
يا رب إنا ضيوف للنبي، وقد  
إننى جنيت ذنوباً بست أُرهبها  
وما سألت سوى من باب رحمة  
فأبلغ الأمل المنشود واقض لنا  
ليبك ، فاقبل أبا الزهراء نجوانا  
تشفع لديه نجونا من خطايانا  
جئنا لساحته نفضى بشكوانا  
يوم الحساب ، فهب لى منك غفرانا  
وعفوه يسع الأكوان إحساناً  
من ديننا ما تميننا ودينانا

ومن شعره الوطنى ما أنشده فى حفل أقيم يوم ٢٤ من مايو سنة ١٩٥٣ أيام  
كان الإنجليز المحتلون لا يزالون يهاطلون فى الجلاء عن مصر<sup>(١)</sup> :

لا تُرَجِّسى حريّة بكلام  
إن من يركب المخاطر لا ير  
فى سبيل الجهاد يا مصر يفنى  
قد سئمنا الوعود تترى ولا نب  
وملئنا طول الحديث بلا جد  
لا تُنال الحقوق إلا نضالاً  
هب بطنشاً ، ولا يخاف نزالاً  
كل حر ، ويستطيب القتالاً  
صر إلا أذكوبة وضلالاً  
وى ، وما استشعر العدو ملالاً

وكان لشعر الماحى دوره كذلك فى الحديث عن المجتمع والحث على  
النهوض به وتخليصه مما يشينه من عيوب .. فمن ذلك أنه شاهد فى بداية  
الثلاثينات بعض مسرحيات يوسف وهبى وهى فياضة بالعبر والعظات ، وقد  
لقيت من الشعب إقبالاً وإعجاباً كبيرين . فأهدى الشاعر إليه قصيدة يقول فى  
بعضها<sup>(٢)</sup> :

كم من مأسى رفعت عنها نقابا  
رُبَّ جرح أعيى الأساة توليد  
وخفايا كشفت عنها اللثاما  
ست - برفق علاجه فالتاما

(١) ديوانه ص ٨ .

(٢) ديوانه ص ٨٢ .

رب داءٍ لمسته بيننا  
كم شهدنا التمثيل في مصر فوضى  
ويرد النفوس لليأس ، حتى  
إن دار التمثيل مدرسة الشد  
فتقدم إلى الأمام ، فإننا  
واغز فوضى الأخلاق في مصر بالحكم  
نحمد الناس ما صنعت ، فزدهم  
(الأعلام في آخر البيت السابق المقصود بها : الجبال) .

وليس يتسع المجال هنا لتسجيل كل أبيات القصائد ، ولا لتناول نماذج من  
جميع أغراض الشعر التي نظم فيها الشاعر الماحي .. لذلك أختتم هذا البحث  
ببعض ما قاله في الرثاء .. فلقد رثى - على عادة معظم الشعراء - بعض الأصدقاء ،  
خاصة الشعراء منهم ، كما فعل في رثاء أحمد شوقي وعبد الحليم المصري ومحمد  
الحواري ومحمود رمزي نظيم .. أو بعض من كانت تجمعهم بهم صلات خاصة ..  
لكن ما أرى عرضه هنا هو رثاؤه لأحب الناس إليه ، فهنا تظهر العاطفة على  
حقيقتها ، ويكون من ورائها الشعر الحزين بالغ التأثير ..  
فمن ذلك ما نظمه في رثاء والدته التي لقيت ربها في ليلة القدر من أحد  
شهور رمضان<sup>(١)</sup> .

طوباك يا أمي الحبيبة حينما  
في ليلة القدر الجلييلة رفرفت  
آثرت لقياء الله في (رمضان)  
في الخلد روحك تنشد اطمئنانا  
من بات خلوا ناعماً جذلانا  
وذكرت من حسناتها ألوانا  
يستقبل الأعياد في فرحتها  
فإذا لقيت العبد فاضت عبرة

(١) ديوان الماحي ص ٣٠٠ .

عاشت وتقوى الله ملء رداثها      لم تأل إصلاحًا ولا إحسانًا  
ومضت إلى الأخرى بأكرم صفحة      تلقى بها وبنورها الديانا  
حسبى وقد أودعتها بطن الثرى      أن تغنم الغفران والرضوانا

وفجع الشاعر في سنة ١٩٣٢ في صغرى بناته « هدى » وهى فى الرابعة من العمر ، وكانت - كما يقول - ريجانته المنورة وعلالته المروحة .. فكتب فيها قصيدتين ، أولهما بعد رحيلها ، والأخرى عندما أقبل العيد وزار قبرها فعاودته الذكرى .. فكتب الثانية .. وكان منها <sup>(١)</sup> :

كبدى .. عليك نحتى وسلامي      هذا مقامك ، هل عرفت مقامي ؟  
أمضى القضاء إليك سهما نافذا      قرّت ذوائبه بقلبى السدامي  
وطوال أظهر ما تكون طفولة      فتركتنى للسهد والأسقام  
ها أنت مشرقة الجبين ، وإننى      لأرى ابتسامة تغرك البسام  
هذا حديثك لا يزال كعهده      ملء المسامع مُشجى الأنعام  
هذا خيالك ظل يصحب خاطري      لم يُخَفِّنى فى صحوتى ومنامي  
إنى أحس حنان قلبك صارقا      عنى الهموم ، مضيعا آلامي  
العيد جاء فما نعمت بعوده      هل فيه غير تحرق وأوام  
دمع يسيل وأنفس ملتاعة      لم يشفهن تطاول الأيام

والقصيدتان طويلتان ، تفيض من بين ثناياهما اللوعة والحزن والأسى ، وينبثق منهما تأثير بالغ فى نفس من يقرأ ما شملتهما من أحاسيس الأبوة وحرقتها لفقد فلذات الأكباد .. ولقد قرأتها الشاعرة العربية (جليلة رضا) وأنشدت قصيدة فى رابطة الأدب الحديث ، ختمتها وهى تخاطب الوالد الحزين بوصف مدى تأثرها بمرثيته لابنته الطفلة <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) ديوان الماحى ص ٢٨٦ .

(٢) قصيدة الشاعرة منشورة فى «ديوان الماحى» ص ٤٣١ .

## الشاعر فهيم القلبي

١٨٩٦ - ١٩٥٩

ولد بدمياط عام ١٨٩٦ وتلقى تعليمه الأولى بمدرسة الأقباط الأهلية بدمياط ، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الأميرية ونال شهادتها عام ١٩١١ ثم توظف بالمجلس البلدى فى عهد المحافظين محمد على الشاذلى بك (المحافظ من أكتوبر ١٩٠٤ - يناير ١٩١٤) محمد رسمى باشا (يناير ١٩١٤ - سبتمبر ١٩٢١) لكنه ترك الوظيفة وعمل بالتجارة ، ثم نزح إلى الإسكندرية فى عام ١٩٣٥ وهو فى حوالى الأربعين . وكان قد تزوج للمرة الثانية عام ١٩٢٩ وله خمس من البنين وخمس من البنات ..

أهم ما يذكره الأدباء له أن متجره كان الموضع المختار لتجمعاتهم وجلساتهم عدة سنوات ، فقد كانوا فيه يتعلمون قرص الشعر ونقده والإجادة فيه .. فكانت فرصته كبيرة فى أن يجاريهم فى هذا الأدب الرفيع ، وبدأ ينظمه معهم من أيام ثورة ١٩١٩ ولقد نظم لهذه الثورة نشيداً قومياً ذاع فى المدارس ، وكان مطلعة<sup>(١)</sup> :

أيها المصري ذكّر إن فى الذكرى عظّات

كيف ننسأهم وننسى ما لهم من سيئات ؟

كيف ننسأهم وفينا ذى الجراح الداميات ؟

وهو بهذا يقصد الإنجليز . وعلى هذا النحو مضى ينظم القصائد الوطنية التى كانت صدى لأحداث الثورة ، حتى حاولت الشرطة العسكرية اعتقاله ..

كما حركت شاعريته أيضاً العوامل العاطفية للشباب ، والتنافس بينه وبين زملائه من شعراء ذلك العهد ، بالإضافة إلى الفراغ الكبير الذى توافر لديه مطمئناً إلى ما تدره تجارة والده الذى كان من كبار تجار دمياط .

ولقد بدأ ينظم الشعر العاطفى منذ عام ١٩٢٦ وهو فى الثلاثين . كما نظم

(١) من مقال للأستاذ نقولا يوسف بجريدة «أنصار دمياط» فى ١١/٨/١٩٥٢ .



في الوصف وأحياناً في الإخوانيات . وبحكم عمله كان يتعامل مع شتى الطبقات ومختلف النفوس والطباع ، فكان لهذا أثره في خواطره الذي ينظمها شعراً ، مع ما أخذ به من تثقيف نفسه طوال هذه السنوات بقراءة الأدب العربي والإطلاع على دواوين الشعراء ، خاصة البحترى وأبو تمام وجريير وأبو نواس .. وغيرهم .

ومما يذكر له وهو يصف بلده دمياط <sup>(١)</sup>:

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| حبي لنا النيل في دمياط موطننا  | رقت أصائله رقت غواديه        |
| كالنور رسماً ، وكالأجفان منظره | والروض كالهذب ملتقاً حواليه  |
| هلا وقفت به والشمس جانحة       | نحو الأصيل ، فما أبهى حواشيه |
| وقد تزينا بثوب الشمس زاهية     | كأنها ذوب تير في مجاريه      |
| يا حبذا نسائم من شمائله        | وحبذا وقفات في مغانيه        |

ومن قصيدة له في أهل بلده قالها في عام ١٩٣٥ وهو بالإسكندرية <sup>(٢)</sup>:

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| دمياط ما زلت طول الدهر رافعة   | لواء مجدك خفاقاً على القمم     |
| قد عاش أهلك في مجد وفي شرف     | وفي إباء وفي علم وفي كرم       |
| لم يرسلوا القول قد طاشت عواهنه | بل أرسلوه يغذى النفس بالحكم    |
| هم الغزاة بلا سهم ولا قُصْب    | والقاهرون بلا جيش لهم عِرم     |
| في كل مُتَجَر رمز لصنعتهم      | هذا هو النصر بالأعمال لا الكلم |
| ما سادهم نفر بل ساد صانعهم     | أرقى الشعوب بعزم غير منهزم     |
| شباب دمياط ما أخلى شمائلهم     | وما أرق وما أصفاء من شيم       |
| وفي الشيوخ عزيمات الشباب ، وفي | عزم الشباب عقول الناصح الهرم   |

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ومن شعره في وصف رأس البر<sup>(١)</sup>:

ورأس البر ملهـاة  
خريـر النيل منـساباً  
يقابل هـادراً لـجـبا  
فتـسمع حـين يلتقيـا  
وتـسرح في شـواطئه  
ويـسرح كل مُـدّرع  
لتأكلـه ومفـئـود  
كلـين الغـادة الـرؤـد  
كزـمـجرة الـصـناديد  
ن صـوت النـاي والعـود  
جـوع الخـرّـد الغـيد  
بـقلب غـير رـعـيد

وفي أقصوصة شعرية طريفة له يقول<sup>(٢)</sup>:

أعـددت للـعيد كـعكاً  
محـشّو بمـعـجون لـوز  
ملـيح طـعم وشـكل  
ونـاعم الجـسم حتـى  
فلـو تـناولت مـنـه  
وبـات مـنـك حـيـباً  
ونـمت تـحـلـم فيـه  
صـنعته باقتـدار  
وقلـت يا أخت ذوقـي  
لـما افتـخـرت عـليـها  
قالـت رويـدك مـهـلاً  
يسـير للـبطـن وحـدة  
وبفسـستق وبزبـدة  
تـشتاق تلـثم خـده  
يـشق لحظـك كبـده  
جـزءاً لأصـبـحت عبـده  
تـشكو هـواه ووجـده  
تـحـشى نـواه وصـده  
والفـرن أنقـنت وقـده  
مـن كـعكة العـيد (وحـدة)  
بـه وأكـثرت حمـده  
قـد جـاوز الفـخر حـده

(١) المصدر السابق .

(٢) نشرها الشاعر بجريدة «أخبار دمياط» في ٢٨/٧/١٩٥٢ .

إننا لصنع كعكًا  
من ذاقه بات منه  
صنع الحبيب أبيننا  
طال الجلال ، فقالت  
وأسرعت ثم عادت  
وفي يدها سبلال  
تقول خذها دليلاً  
حملتها باشتياق  
فما صنعت كعكًا  
بل اشترت قليلاً

يموت كعكك بعده  
كطالب الثأر عنده  
والكل يعرف جهده  
قد جاوز الهزل حده  
وتلك أحمد عوده  
بالكعك ملأى مَعْدَه  
لا تقدر اليوم جده  
فتلك أكبر نجده  
ولا عجننت بزبده  
والمرء يحكم كيده

وقد حاول القليل في بعض شعره أن يتناول موضوع الحياة والموت كما فعل  
من قرأ لهم ، فقال يخاطب (عالم ما بعد الموت) كما سماه :

أجبنى . أ بالموت تفنى الحياة  
ويسرى بروحى إلى عالم  
وهل تنعم الروح في خلدتها

أم أنه ضجعة الساهر؟  
أشف من الوهم والمخاطر؟  
وتفلت من خطى العائر؟

\*\*\*

أم الموت بدء الفنا والبلَى  
وأغدو كما جئت من نطفة  
وتصبح (كان) هى الروح إن

لروحى وجسمى ، فما من أثر؟  
تحير فيها التَّهْيَ والفكر  
تذكرنى الصَّخْب عند السَّخَر

\*\*\*

أجبنى . تلك حياتى التي  
تبدت وولت كلمح البصر

أأولد للموت؟! لا للبقا؟! إلهى .. فما نفع خَلق البشر؟  
 مُنَحَّتْ الحياة ولم أرجهها وتسلبنيها .. وما من مفر  
 ولو أننى قد سُلبت النهى لعشت كما عاش هذا الحجر  
 فلا العقل يشقى بآماله ولا كنت أرسم تلك الصور  
 وفى عام ١٩٥٩ لقي فهيم القللى ربه عن حوالى ثلاثة وستين عامًا ، بعد أن  
 ترك ديوانًا سجل به كثيرًا من قصائده وخواطره فى الغزل والوصف  
 والإخوانيات والمساجلات وغيرها ...

\*\*\*

## الشاعر محمد طاهر الجبلاوي

١٩٧٩/٨/ ٢٤ - ١٨٩٨/٥/١٨

هو الشاعر الكاتب والمترجم ، الذى التقى فى عام ١٩٢٢ بالعملاق عباس  
 محمود العقاد، ليصبح من يومها تلميذه وصديقه وصاحبه على مدى ما يقرب  
 من ٤٢ عامًا ، حتى لقي العقاد ربه فى ١٢ من مارس عام ١٩٦٤ .

والجبلاوى من مواليد دمياط فى ١٨ مايو ١٨٩٨ وتلقى دروسه بمدرستها  
 الأميرية . لكنه - كما قال - كان يضيق بالفصل ونظام التعليم المدرسى الذى كان  
 يتسم أيامها بالشدة والجمود، فلم يجد فى نفسه صبرًا عليه حيث وجد أن فصل  
 المدرسة للشاعر كالفقصة للطائر ، فأثر الحرية ولم يواصل الدراسة ، وكان مما  
 قاله فى ذلك :

تغنيت بالشعر عن تعليم مدرسة أنقاذ فيها لعلم غير منقاد  
 ورحت أنشد تعليمًا يجود به سحر الطبيعة ، شأن الطائر الشادي  
 فألهمنى أناشيدًا نظمت بها معنى الحياة بواد غير مرتاد

ومع هذا فقد ندم بعد ذلك على ترك المدرسة .  
 هكذا كان للشعر كل التأثير عليه حين بدأ يقوله وهو فى الرابعة عشرة من

عمره تلميذاً بتلك المدرسة .. ووجد في نفسه الرغبة في الإطلاع على الكتب الأدبية ، والاتصال بالأدباء والشعراء والعلماء ، فوجد ضالته في مكتبة المعهد الدينى بدمياط وأساتذته وطلابه ، ومنهم من كان يقول الشعر .. وفى كل هذا كان الجبلاوى يقول الشعر ويسجله ، حتى أتيح له أن يبارح دمياط إلى القاهرة عام ١٩٢٠ وهو يحمل معه حصيلة لا بأس بها مما أفاده من الأدب القديم . وكان قد أعد منها مجموعة نظمها من سن الرابعة عشرة إلى العشرين سماها (ديوان الجبلاوي) .. فعرضها على كبار الشعراء بالقاهرة ، ومنهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم و خليل مطران .. وقد نشره بعد ذلك وعلى غلافه أبيات شوقي :  
دمياط ، شاعرك الفياض مغترف      من نهرك العذب أم من بحرك  
أطلعته في سماء الشعر مؤتلقا      يُنشئ الفرائد عن وحى وإلهام  
أهدى لنا من قوافيه وحكمته      باكورة الأدب المستكرم النامي  
لا زال في كل سمع من بدائعهم      لفظ شريف ومعنى فائق سامي  
أما حافظ إبراهيم فقال :

رأيت ديوانك في حسنة      كأنه الروض وقد أمطرا  
تفتحت أكام أزهاره      فأشبهت شعرك إذ نورا  
واهنأ بما أوتيت من حكمة      كم ناشيء عن مثلها قصرا

وحين اطلع شوقي على أبيات حافظ لم تعجبه منه كلمة (ناشيء) في البيت الأخير ، وأصر على تغييرها بكلمة (شاعر) .. لعلها مبالغة منه في تكريم الشاعر الشاب ، أو لعلها شيء في نفسه مما بينه وبين حافظ .

على أى حال لم تكن هذه المجموعة الشعرية مما يرضى رواد الأدب الحديث حيث كان كل هم صاحبها في تلك الفترة من حياته الصياغة ومحاكاة القديم تأثرا بالبيئة الأدبية التى نشأ بها في دمياط أول ما نشأ .

لكن رحلته إلى القاهرة كانت فتحاً جديداً في حياته الشعرية والأدبية . فإنه ما كاد ينتهى من طبع ديوانه ذاك حتى تعارف وشعراء القاهرة وكبار أدبائها .

وكان من حسن حظه أنه تلاقى والأستاذ عباس العقاد ، حيث أطلعه على شعره فلم يعجبه فيه غير الصياغة وحسن السبك ، وأشار عليه بالإطلاع على كتب الأدب الحديث ، وأن يضيف إلى محصوله في الأدب العربي محصولاً من الأدب الأجنبي ، وفتح أمامه آفاقاً جديدة في الأدب .

من يومها انسلك الجبلاوى فى مدرسة العقاد الأدبية ، وجعل منه رائده وقدوته وصديقه حتى آخر العمر .

فلما عاد الجبلاوى إلى دمياط ، عاد ومعه ذخيرة من الكتب ومن التوجيه والإرشاد . فنظم ديوانه الثانى ( ملتقى العبرات ) .. ثم سافر إلى القاهرة فى عام ١٩٢٥ حيث عرضه على العقاد الذى هذه الخطوة الجديدة وكتب له أبياتاً قدم بها هذا الديوان .

وفى القاهرة تقلب الجبلاوى موظفاً بين دواوين وزارة المعارف العمومية . كما كان اسمها وقتذاك . فألحق عضواً بالإدارة العامة للثقافة بها ، ثم تنقل بين عدد من المدن فى صعيد مصر ، حيث كان للسياسة الحزبية دخل فى إقصائه عن القاهرة أو إعادته إليها ، على أساس رضا المسؤولين أو عدم رضاهم عن صديقه العقاد . لذلك قضى الجبلاوى فى عمله سنوات بأسىوط وسوهاج والمنيا والفيوم حتى عاد أخيراً للعمل فى القاهرة ، وكان آخر المطاف أنه أصبح مديراً لإدارة الثقافة بالوزارة حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥٨ ، كما كان عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .

وكانت هذه الفترة حياة خصبة للدراسة ، حيث اشتغل بالآداب الأوربية إلى جانب الأدب العربى ، ووضع أكثر من ثلاثين كتاباً ما بين ترجمة وتأليف ، بالإضافة إلى ما كان ينشره فى الصحف والمجلات من أبحاث ومقالات . ومن كتبه حوالى عشر كتب مما ألفه شاعر الهند ( تاجور ) وما ترجمه له . وكذلك ترجم «مملكة العميين» عن ( هـ . ج . ويلز ) ومسرحية «بستان الكرز» لأنطون تشكوف .. كما وضع بحثاً نقدياً بعنوان ( الكلام فى شعر البحترى وأبى تمام وكتب مسرحيته الشعرية (ديك الجن الحمص) .. وكثير من هذه الكتب قام بطبعها ونشرها وزارة التربية والتعليم ضمن «الألف كتاب» أو وزارة الثقافة والمجلس

الأعلى للفنون والآداب .. بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى ومقالاته وأشعاره التي نشرت بالصحف والمجلات بالقاهرة وفي جريدة (أخبار دمياط) .

وفي عام ١٩٤٨ نشر ديوانه الثالث ( هواتف وأحلام ) فقدم له العقد كذلك بمقدمة بليغة تحدث فيها عن تطور شعر الجبلاوى على مدى تلك السنوات .. وفي عام ٦٤ أصدر الجبلاوى ديوانه ( من بقايا الكأس ) ويقصد به كأس الشعر .. كما أنه بعد وفاة العقد أصدر كتاب ذكرياته ( في صحبة العقد ) وهو كتاب شائق يضع يدك على كثير من نواحي الحياة العامة والخاصة لهذا العملاق ، ويعرض طرائف من الصلة التي كانت بينهما .

ولقد كان الجبلاوى ذا قامة مرفوعة ، لا هو بنحيل ولا بسمين ، جميل الطلعة حلو الملامح ، وجهه مشبع ببياض مشوب بحمرة خفيفة . فلما كبر وابتيض شعره كله زاده الشيب وقاراً ومهابة .. وكان في طبعه ألوفاً ودوداً وفيها للأهل والأصدقاء ، هادئ الطبع ، غاية في الأدب والرقّة وفي إحساسه المرفه ، محباً للجمال الذي تولد في نفسه منذ طفولته وصباه وهو يعيش في مدينته الجميلة دمياط . وكثيراً ما سعدت معه بجولات كلما زار دمياط ، فيقف حيناً بعد حين يتأمل الخضرة المزدهرة في ضاحية « السنانية » ، أو ينظر إلى انحناء النيل الكبيرة وهو يخترق المدينة ، والرياض الزاهرة على جانبيه .. فهكذا كان يستلهم أشعاره في صباه وشبابه من محاسن تلك المدينة .. وهو يقول عن ذلك وعن بيئته الأدبية الأولى في مقدمة ديوانه الثالث . « هواتف وأحلام » :

« ... وإذا كانت هذه الطبيعة قد ما زجت نفسي وخامرت قلبي ، فنظمت الشعر في هذا السن المبكرة ، فإن البيئة الأدبية كان لها كذلك أثرها في اتجاهي الأول . فكنت أذهب مذهب من حولي من الشعراء في نظم الشعر ، وأعرض قولى عليهم ، وأهتدى بهديهم ، وجلهم من المحافظين .. فوقعت في أسر اللفظ . وأقبلت على القراءة وإن كنت لم أجد من يرشدني في ذلك الوقت إلى ما أقرأ ، فاهتديت بعامل الفطرة إلى قراءة دواوين شعراء العرب المتقدمين ودراسة كتب اللغة وتاريخ الأدب القديم .. ووقفت عند هذا الحد .. » .

لقد كان في تلك الفترة الأولى من نشأته يمضي مقلداً ، شأنه في ذلك شأن

كثيرين من الشعراء في بدايتهم . لكنه كان حريصاً على إشباع هوايته التى بزغت مبكرة ، فكان يقصد الندوات الأدبية التى يجدها فى كثير من الأماكن بدمياط ، خاصة تلك الندوة الليلية التى كانت تعقد بمتجر فهيم القلى ، حيث يعرض مع زملائه ما لدى كل منهم من شعر حفظه أو نظمه .. لقد ذكر لى أنهم كانوا فى بعض الليالى يتفقون على موضوع ينظمون فيه ، فينزوى كل منهم فى ركن من الدكان يستوحى عنده القرية ويكتب ، حتى إذا انتهوا اجتمعوا ليعرض كل منهم نتاج قريحته ، ثم يتناولونه بالنقد والتصحيح أو التبديل والتحسين .. فكان هذا ( المنتدى ) مدرسة يتلقون فيها السروس ويشبعون الملكة وينطلقون إلى مزيد من الإجابة .

لكن الإرشادات التى تلقاها من أستاذه العقاد هى التى كان لها بعد وذلك أكبر الأثر فى تطوير شعره .. يبدو هذا فى المقدمة التى قدم بها العقاد الديوان الثالث للجبلأوى . فقد كان مما كتبه عنه :

« ... وانتقل من دمياط إلى القاهرة فجاء منها بذخيرة السلف من الأدب القديم ، واتصل فى القاهرة بكل مدرسة من مدارسها الأدبية وهى يومئذ ملتقى التقليد والتجديد ، فأخذ من كل بنصيب .. إلا أنه هجر لفضول من القديم والجديد على السواء . فندر جداً لديه شعر المناسبات ، كما ندر فيه شعر العمل ، أو الشعر الذى يتعسف فيه غلاة المجددين فتون الابتداع فيندفعون إلى التلفيق والاختلاق .. وأخذ نفسه بأن ينظم فيما يعنيه ويحيك بضميره ، فسهل موده من القرية ، وسهل مجراه على اللسان ، فلا تعثر فهى ولا تعسر ، لأنه يطلب الرياضة فى مسيره ، ويمضى حيث يطيب له السير . فنظم فيما رآه وأحسه ، وهو غير قليل لأنه أنتظم محاسن البحر ومفاتيح الصباح والليل الحالم اللامح .. ونظم فيما عطفته إليه السجية ، وهو غير قليل ، لأنه انتظم العطف بين الأصدقاء كما انتظم العطف على الأحياء من غير العقلاء .

وفى مناجاته لكلبه الذى غاب ، وورثائه لكلبه الذى قضى ، عنوان صادق لهذا العطف الكريم .. إلخ » .

أما وفاؤه وحبّه للأصدقاء ، فمن ذلك أنه وهو جالس فى مكانه المختار كل



صباح بكازينو (الفطيري) برأس البر ، لمح صديقه الأستاذ طاهر أبو فاشا الذى كنت معه لحظتها وسط الزحام تنتظر فرصة قدوم سيارة تنقلنا إلى دمياط ، فما كاد الجبلاوى يلمحه حتى هرع إليه يحتضنه ويقبله ، ويتحدثان قليلاً .. ثم تصل فجأة سيارة قفز إليها طاهر أبو فاشا وهو غير ملتفت إلى الجبلاوى الذى يقول له أنه سينتظره في كازينو الفطيري ليلاً ، ويرد عليه طاهر أبو فاشا وهو لا يعي ما يقول بسبب حرصه على اللحاق بالسيارة قبل استئنافها السير ... وينتظره الجبلاوى وقتاً طويلاً ، ولكن طاهر لا يجيء ، لأنه لم يتذكر .. فهو إذن قد أخلفه وعده !

وفي لحظة أسف لضياح اللقاء ، ينشد الجبلاوى هذه الأبيات <sup>(١)</sup>:

|                                                                                                             |                           |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------|
| لنا في الليل جمع (بالفطيري)                                                                                 | سنذكره إذا عدنا بخير      |
| يطالعنا به إخوان صدق                                                                                        | بما حذوقه من شعر وثر      |
| أبو فاشا أديهمو ، وأنعم                                                                                     | بصحبة طاهر في (رأس بر)    |
| تجمل بالنهى وازداد فضلاً                                                                                    | على فضل ، وقدرًا فوق قدر  |
| سوى أنى أراه قد تجافى                                                                                       | فلا ألقاه ، وهو صديق عمري |
| وينسى ود من لم ينس ودًا                                                                                     | وذلك مذهب يرضاه غيري      |
| أعيذ رحيق أيامي الخوالي                                                                                     | إذا بقى الرحيق بغير عطر   |
| ويترك موعدى وأنا حريص                                                                                       | على لقياه .. حتى عيل صبري |
| جزاك الله من خل عزوف                                                                                        | يخل بموعدى في غير عذر     |
| ومن وفائه كذلك وحيه وحنينه إلى إخوانه وأصدقائه ما قاله في رثائه للشاعر محمد الأسمر .. ومنه <sup>(٢)</sup> : |                           |

هاتف الأيك عن الأيك يغيب وانطوى الجمع على صوت النحيب

(١) نشرها بجريدة «أخبار دمياط» في ٢/ ٩/ ١٩٦٨ .

(٢) ديوانه «من بقايا الكأس» .

وأجوس الدار كى ألقى بها  
حيث كنا نلتقى فى رفقة  
نشدد الأشعار فى مجلسنا  
فإذا الدار خواء صفصف  
كننت سباقاً إلى أوج النهى  
وقطعت الشوط للمجد ولم  
نم قريب العين وراقب يومنا  
وأما (وفاؤه وعطفه على الأحياء من غير العقلاء) - كما يقول العقاد - فلقد  
كان له كلب دهمته سيارة فقضت عليه ، فرائه بقصيدة طريفة قرأها العقاد  
فأرسل إليه ( وهو بالصعيد وحده) يعتريه بشعر فكه ظريف .. كما أرسل إليه  
الفنان صلاح طاهر كلباً بديلاً ، أطلق عليه الجبلاوى اسم «ديوجين» وهو اسم  
الفيلسوف الكلبى «ديوجين» الذى كان يبحث عن الحقيقة بمصباح فى يده ،  
فوضع الجبلاوى مصباحاً فضياً فى عنق كلبه ، وأعد له حجرة خاصة بمنزله ،  
ولكن الكلب (على الرغم من وقاره) كن يلوذ بكلاب الجيران .. حتى عاد  
صاحبه ذات يوم فلم يجده ، فنظم شعراً قل فيه <sup>(١)</sup> :

غادرتنى واختفيتـــــــ  
ما كان حظك منى  
اللحم والخبز عندي  
وحجرة لك فيها  
وشاعراً فليسوفاً  
كم من كتاب نفيس  
فأى بيت قصدتا؟  
أقل مما طلبتــــ  
والعطف والود فتــــ  
من الرغائب شتى  
مليئاً إن عويتــــ  
بلا حساب قطعــــ

(١) من كتابه «فى صحبة العقاد» .

وكم صـ حيفة شمـعر  
فيا ديـوجين قلـ لي  
وكلـبة كنـت تمـوي  
فلا وداعاً جمـيلاً  
بـالله قلـ لي ما إذا  
وبـين قوم كـرام  
أم أنـت بـين صـغار  
موثّقـاً في حبـال  
وعلم العقاد بضياح «ديوجين» فأرسل إلى الجبلاوي مداعباً ، وبنفس البحر والقافية<sup>(١)</sup>:

أمست كلابك شتى  
كلب نجـا وهـو حيّ  
ما بـين تارك دنـيا  
قلـ لي بـربك ما إذا  
حتـى ديـوجين ولىّ  
والله ما كان يـأبى  
زعمته راح يـوى  
لا تلـزم الحـبّ ذنبـاً  
أنعم بـه من حكيم  
رأى السـلامة حقـاً  
وأنـت يا صاح أنـت  
وأخـر فرّ ميثـاً  
وتارك لك بيتـاً  
على الكلاب جنـياً؟  
يا سوء ما قد صـنعتا!  
لو صادف الخبز بحتـاً  
من قومـه الغـرّ بتـاً  
من الصيام تـأتى  
إلى ديـوجين مـتـاً  
ومن رأى الحق أفـتى

(١) من كتابه «في صحبة العقاد» .

وللجبلأوى كذلك أبيات رقيقة حزينة فى رثاء طائر ( كنارى ) كان يقتنيه فى وحدته .

وليكن الرأى فى مثل هذا النوع من 'شعر ما يكون ، فإنه فى نظرى مثال لما ذكره العقاد فى تقديمه للديوان ، عن هذا الشاعر وطباع الوفاء والرحمة فيه .. ومثال يوضح كذلك مدى الصلة التى كانت بين الصاحبين .. إنها صلة عميقة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع ، حتى فيما كان بينهما من مراسلة بالشعر ، فلقد كان شعراً سهلاً خفيفاً تملؤه الدعابة الطريفة البعيدة عن الصرامة الجادة فى باقى ما كان يقولانه من شعر .

لكنه لا يزال فى جعبة المداعبة بينهما الكثير .. أذكر منه أن الجبلأوى كان يقضى كل عام شهراً بمصيف رأس الر فى نفدق (الإمام) وكان ينتهز هذه الفرصة فيزور دمياط بحث ينعم بلقاء الأهل والأحباب والصحاب ، ويناجى فى ربوع بلدته أطلال ذكريات الصبا والشباب .. وكان كالعادة يكتب ويرسل إلى العقاد ، والعقاد يرسل إليه ...

وحدث فى صيف عام ١٩٦٢ أن أرسل العقاد إليه تحية رقيقة فرد عليه بأبيات يبث فيها شوقه وتقديره لأستاذه ، ويصف حينه إلى ندوته الأسبوعية بالقاهرة ، فيقول <sup>(١)</sup> :

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| بعثت إلى من وادى الظلال  | بأبيات من السحر الحلال  |
| عرائس من مروج الشعر جاءت | ترود الفن فى شط الخيال  |
| فأنستنى المصيف وما حواه  | من الفن المدلّه بالجمال |
| تذكر بالندى وزائر به     | كأنى بالندى على اتصال   |
| وأنت تطالع الإخوان فيه   | بأطراف من الحكم الغوالي |
| (خليفة) صامت يصغى ، ولكن | (دياب) عنده ألف أسؤال   |

(١) المرجع السابق .

وصاحبنا (حسام) في هدوء  
وهذا (الشوربجي) له هدير  
وأنت تسأل عن (الزيات) إني  
على الغيطان مشغول ، وأنا  
وهذا الشعر مرتجل فعفوا  
[ والزيات في الأبيات السابقة هو المرحوم الأستاذ عبده حسن الزيات ،  
وهو شقيق الدكتور محمد حسن الزيات ] .

ورد العقاد بأبيات يقول فيها <sup>(١)</sup> :

سلام في سلام في سلام  
برأس البر مصطافاً وأنعم  
يطيل بها الصلاة مع الصيام  
ويرناد الشواطئ بين عذب  
ويركب طفطفاً .. ويخاف جداً  
ويأكل لحم طير يشتهي  
ولا ينسى الفطائر ذات حشو  
وقل ما شئت في عشرين صنفًا  
وحين نرى (المشبك) في يديه  
فبعد عودة الجلاوى إلى القاهرة ، عقب هذه الأبيات <sup>(٢)</sup> :

وهذا فضل أستاذ كريم  
فقل ما شئت في فضل الكرام

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

وهأنذا أغادر رأس بري إلى رأس من العلياء سامي  
تجمل بالنهى وازداد حباً إلينا بالمودة والوئام  
وفصل القول أنى عدت توأ وفى يدى (المشيك) فى الإسلام  
وما خلع المصيف على شيئاً أحب إلى من لقياً الإمام

هذا طرف يسير فى حياة الجبلاوى فى صحبة العقاد ، ومن حياته بعيداً عنه  
فى رأس البر.. وإن كان له فى المصيف وبحره وشاطئه ونيله والحياة الحلوة به  
شعر كثير لا يتسع له المقام .

وإذا كنا قد ذكرنا نماذج من مثل هذا الشعر الذى تغلب عليه الدعابة وحرية  
التعبير عن كل ما يدور بالخاطر ، فمن الحق أن نذكر أن للجبلاوى شعراً جاداً  
وكثيراً يتغنى فيه بحب وطنه مصر والجنين إلى مسقط رأسه دمياط ، وقصائد  
ألقاها فى بعض المهرجانات الأدبية الكبيرة فى مصر وفى دمشق ، وقصائد أخرى  
عبر فيها عن أحاسيس قلبه فى صباه وفى ثبابه ثم فى كهولته .. إلى غير هذا من  
خواطر وأفكار :

ويجن إن دمياط فيقول<sup>(١)</sup>:

دمياط يا وطنى ودار طفولتى وصباى والنجوى .. عليك سلامي  
أنا إن نأيت وطوحت بى غربة فهوإى فياض كبحرك طامي  
مُدَى حبال الوصل أنى نبتة من أرضك اقتلعت وعز مقامي  
جفت موارد ريهافتصوحت وذوت أزاهر كُنَّ فيك نوامي  
فى كل يوم لى بحبك لاعج تذكو به نفسى وشوق دامى  
وإذا حُييت بكل أرض موطناً فأليك يا دمياط صدق غرامى

وفى أبيات له بعنوان (بقايا شباب) يقول<sup>(٢)</sup> :

(١) ديوانه «بقايا الكأس» ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق .

ولى الشباب ولم تزل  
خرقاء تعبث كالولي  
خضراء كالغصن مالنض  
أغفوا على أحلامها  
هيانة بالحسن وهي  
نشوى بذكر الراح مبن  
أيام أستبق الصبا  
وأروض صمدح اللهولا  
فى رفقة غر الوجو  
ويغيب الشباب فيتحسر على أيامه ، ويحاول أن يطمئن نفسه .. فيقول <sup>(١)</sup> :

قالوا كبرت وخف وزني  
وجرت نسائم روضتي  
ما هزها فلق الصبا  
ومضيت أسأل خاطري  
هل غيرت منى السنو  
أم أن أيام الشباب  
فخطوت ألتمس الطر  
والكأس حاضرة وما  
وتصوّحت أزهار فني  
متخلفات الخطو عني  
ح إلى معاودة التغني  
عما يكون .. فلم يجبني  
ن ، فنامت الدنيا بعيني؟  
ب مضت وقد أسلفن ديتي؟  
يق إلى مفاتها بظني  
نفعى بها إن جف دني؟

.....

(١) المرجع السابق ص ٧١ .

يا نفس مُتَيْتِ الرضَا  
هَذِي الْحَيَاةَ جَمِيلَةً  
الأَرْضَ لَمْ يُخْلَقْ لَغِيَمِ  
وعلى مَرُوجِ الْحُبِّ قَلْبِي  
فِي مَوَكِبِ الدُّنْيَا فَسَسِ  
ويلقى الْعَقَادَ رَبِّهِ ، فِرْثِهِ الْجَبَلَاوِي بِقَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ ، يَقُولُ فِي بَعْضِ أَيْاتِهَا :

خَبَا الْفَلَكَ الْمَاضِيءُ وَكُنْتُ أَسْرِي  
وَأَلْتَمَسَ الطَّرِيقَ فَتَزْدَهِنِي  
يَفْتَحُهَا فَرَادَسٌ يَانِعَاتِ  
وَفَكْرٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا

.....  
أَخُونِ الْوَدَّ لَوْ حَاوَلْتُ صَبْرًا  
وَأَرْضِي أَنْ أَعِيشَ الْعَمْرَ وَحَدِي  
هُوَ الْعَقَادُ حَسْبِي ذَاكَ ذَكَرَا  
كَرِيمِ النَّفْسِ فِي نَعْمَى وَبُؤْسِي  
وَيَعْصِفُ ثُمَّ يَقْصِفُ لَا يَبَالِي  
وَيَغْضَى الظَّرْفَ عَنْ غِرِّ عَيْي  
وَزَادَ مَهَابَهُ فِي الْعَيْنِ حَتَّى  
سَلَامَ اللَّهِ يَا دُنْيَا عَلَيْهِ  
ثُمَّ يَعِيشُ الْجَبَلَاوِي أَسِيرَ ذِكْرِيَاتِ طَوِيلَةِ حَزِينَةٍ ، وَقَدْ أَخَذَ الْوَهْنَ يَأْخُذُ مِنْهُ  
وَيُضْعَفُ نَظْرُهُ مَعَ الْأَيَّامِ .. حَتَّى لَقِيَ رَبَّهُ فِي ٢٤ مِنْ أَوْغُسْطُسِ عَامِ ١٩٧٩ ..  
وَقَدْ جَاوَزَ الْحَادِيَةَ وَالْثَمَانِينَ بِقَلِيلٍ .

\*\*\*



## الشاعر محمد الأسمر

٦ نوفمبر ١٩٠٠ - ٧ نوفمبر ١٩٥٦

قلتُ للسائل عن مَبْنَى ————— بلغ إيمانى برى

لا أرى التفصيل فاسمعُ ————— للذى يأتى ، وحسبى

أعرف الله بعقلي ————— وأرى الله بقلبي

آيات صدر بها الشاعر ديوانه (بين الأعاصير) وقد شاء الله أن يظهر بعد غياب صاحبه لتبقى لنا ذكراه ممثلة في مجموعة أعماله وهى على التوالى :

١ - (تغريدات الصباح) أول مجموعة شعرية وقد كتب مقدمتها - (أنطون الجميل) رئيس تحرير الأهرام - في ٢١٦ صفحة - الناشر دار المعارف القاهرة .

٢ - ديوان الأسمر يحوى إنتاج الشاعر حتى سنة ١٩٥٠ كتب مقدمته صديقه القائم مقام عبد الحميد فهمى مرسى .. عدد صفحاته - ٦٨٧ الناشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي، القاهرة .

٣ - مع المجتمع كتاب ثرى .. الناشر دار إحياء الكتب العربية - عدد صفحاته ١٩٢ .

٤ - ديوان بين الأعاصير ٢٢٥ صفحة وعن هذا الديوان يقول الشاعر :  
(حينما أخرجت في سنة ١٩٥٠ مجموعة شعري المعروفة باسم «ديوان الأسمر» كنت أظن أنني لن أقول بعدها شعراً لا اعتلال صحتى ، ولا م أعانيه في نظم الشعر ، ولكننى وجدت نفسى مسوقة بفطرتها إلى نظم ما نظمته بعد ذلك حتى تكونت هذه المجموعة ، والأعوام التى نظمت فيها هذه المجموعة كانت صحتى معتلة ، وكان الشرق يموج فيها بالحوادث السياسية والاجتماعية وبالعواصف التى يديرها ويثيرها فى العالم العربى الاستعمار والمستعمرون لهذا أسميتها «بين الأعاصير» .)

وعن هذه الحوادث نظم الشاعر قصيدته (علة العلل) :

والله ما فى الشرق شعبٌ واحدٌ ————— يُملئ إرادته على من يحكمُ

يكفيك منه أن بعض شعوبه      نهبٌ على بعض البيوت مُقَسَّم !!  
والبعضُ مُلقى هاهنا أو هاهنا      سلَّعُ مُبَعَّرَةٌ لِمَنْ يَتَقَدَّم !!

ولد الأسمر في مدينة دمياط يوم اثلاثاء ١٣ رجب ١٣١٨ هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٠٠م لأسرة متوسطة ويقول الأستاذ (قاسم مظهر) (٥).

« تحت سماء دمياط الساحرة وعلى أرضها الضافية الجمال ، ولد الشاعر النابغ الأستاذ محمد الأسمر ، وقد استمد من جمال بلده وخصوبتها دماء الخلق ووداعة النفس ، وطيبة القلب ، وخفة الروح ، ووسامة الوجه وبشاشته » .  
وعن لقب الأسمر يقول الشاعر :

« إن لقب الأسمر موجود بالبلاد المغربية وبلاد الشام .. وفيها مضى قدم من مراکش إلى دمياط رجل من كرام الرجال وهو فاتح ابن عثمان الأسمر التكروري ، كان من المتصوفه الذين لا يجيدون عن الكتاب والسنة في أقوالهم وأفعالهم وكان محبا للخير فاعلاً له ، داعياً إليه ، وكان فيه ترفع وكرم ، وقد أطنب المقرئزي وهو يتحدث عن دمياط في ذكر شائله ، مما قال عنه «ويبذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام ، ويستقل ما يؤخذ منه مع كثرة إحسانه ويستكثر ما يدفع إليه وإن كان يسيراً ، وقد توفي وترك ولدين وليس لهما قوت يوم وليلة ، ومات وعليه مبلغ ألفى درهم » .. وفاتح هذا هو المعروف عند الدمياطيين باسم (أبي المعاطي) لكثرة عطاياه وبركاته، وضرجه يزار بمسجده هنالك بأقصى المدينة من الناحية الشرقية وهو معروف باسم (جامع أبو المعاطي) » .

وعن دمياط نظم الشاعر وكان يومئذ طالباً بالقسم العالى بالأزهر قصيدته (دمياط .. أو الحنين إلى أرض الطفولة) عندما وقف وقفة بجزيرة القاهرة فذكرته مناظرها بمناظر دمياط .

(\*) الشاعر محمد الأسمر هو عم الأديب القاص الشهير مصطفى الأسمر.

هَبَّ النسيمُ فما أمسكت بلُبالِي<sup>(١)</sup> بين الفؤاد وإن أمسكت إعوالي<sup>(٢)</sup>  
 إن (الجزيرة) هاجت لي مناظرها ذكرى مناظر أرض الصحب والآل  
 أرضى وأرض لداتى ، كم جَرَيْتُ بها طفلاً يعيثُ فساداً بين أطفال  
 أيام نحن جراد في ملاعبها أو أننا فوقها جُرذَانُ بِدَال  
 طوراً على الماء ، أما في زوارقنا أو سباحون ، وطوراً بين أدغال  
 (الحوت) نصطاده من قاع لجُتته و(التوت) نَقْطفه من فرعه العالى !!  
 وقد التحق الشاعر في طفولته بمكتب من مكاتب تحفيظ القرآن بدمياط ثم  
 التحق وهو في الثامنة من عمره تقريباً بمدرسة (الحزاوي) الأهلية وكان من  
 العلوم التي يتلقاها في هذه المدرسة القرآن الكريم وقد حفظ نصفه بها ، وبعض  
 المحفوظات الأدبية شعراً ونثراً والنحو الإملاء والحساب ...

وقد استهوته المحفوظات الشعرية . كما استهواه ما كان يرتله شعراء المقاهى  
 في دمياط على رباباتهم كقصه (أبى زيد الهلالي) ولما شب استغنى عن الوقوف  
 على أبواب المقاهى بشراء قصة أبى زيد ، وسيف بن زى يزن ، ورأس الغول ،  
 والهضام ، وعلى الزبيق المصرى ، والأميرة ذات الهمة وأقبل على قراءة القصص  
 البوليسية المترجمة مثل (شرلوك هولمز) و(لارو كامبول) وغيرها ويتذكر  
 الشاعر عن هذه الفترة من حياته هذه النادرة عندما لاحظ أن الكتاب الذى يملئ  
 منه المدرس الشعر اسمه (جواهر الأدب) فيقول :

« فوضعت نصب عيني شراء هذا الكتاب ، ولكن ما السبيل إلى شراءه  
 وثمنه عشر قروش إذ لا بد من العزيمة والصبر فاشتريت حصالة وظللت أدخر  
 فيها ما يقع في يدي من نقود ، وشاع أمر هذه (الحصالة) بين أفراد أسرتى فقد  
 عرفونى مسرفاً الإسراف كله ، ومرت الأيام وقر في ذهني بعدها أن الحصالة  
 أصبحت تجمع القروش العشرة ففتحتها وكأنها كنت أفتح كنزاً وذهبت من

(١) البلبال : الهم ووساوس الصدر .

(٢) الأعوال : رفع الصوت بالبكاء .

ساعتى إلى حيث يباع الكتاب فاشتريته وعدت به إلى دكان والدى وكنت أجلس فيه عصر كل يوم نائبا عنه حتى يشتري لنا ما يعده المنزل للعشاء .. وعاد والدى بعد نصف ساعة من الزمن فوجدنى مهملاً شأن الدمان آخذاً مكانى بين جوالتين من الدقيق فقال أين نقودك التى كانت بالحصالة ؟ فقلت وأنا مزهو اشتريت بها كتاب جواهر الأدب وناولته إياه فقلب صفحاته تقليياً سريعاً وقال لى فى أى شيء يبحث هذا الكتاب فقلت له فى الشعر ثم ضربنى به على رأسى وكان به جرحاً لم يندمل فسال الدم على وجهى ، وأشفق أبى على فقال وهو يحاورنى ألم أنك عن الشعر فقلت: يا أبى إن الشعر الذى فى هذا الكتاب غير الشعر الذى يقوله شعراء المقاهى ، وأحس والدى أنه ظلمنى فسكت عنه (الغضب ...).

وقد تخرج الأسمر من المدرسة المذكورة عام ١٩١٤ تقريباً وزاول بها التدريس شهوراً ثم قام بعمل كتابى فى إحدى المحلات التجارية برأس البر فترة المصيف .. ضاق الأسمر بالتدريس فى المدارس الأهلية والأعمال الحسابية للمحال التجارية فالتحق بمعهد دمياط الدينى طالباً سنة ١٩١٥ وعن هذه الفترة من حياته يقول :

( وفى السنة الدراسية الأولى لى بمعهد دمياط الابتدائى أنست من نفسى القدرة على نظم الشعر وكنت أعرض ما أنظمه على المغفور له شاعر دمياط (على العزبي) فكان أول مقوم وأول مشجع ) .

ثم غادر الأسمر دمياط عام ١٩٢٠ لينتظم بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة وظل بها ثلاث سنوات حتى ألغتها الحكومة لأسباب سياسية فالتحق طالباً بالأزهر . وفى مرحلة التلمذة بمدرسة القضاء الشرعى داعب صديقه الأستاذ / إبراهيم النحاس بارجوزة بعد ليلة قضاها بمنزل الصديق ومن أبياتها:

فقلت (إبراهيم) قم لاقمت  
يا صاحبي وأنت شر صاحب  
سهدت طوال ليلتى ونمت  
بيتك فيه البق كالعقارب

كأنه في زحفه الجيوش      كأنه في فتكه الوحوش  
يهزأ بالجمرة حين يلدغ      ويسبق العداء حين يفرغ  
هيهات أن تدركه لوفرا      ولاذ بالشقوق واستقرا  
وفي مرحلة التلمذة يداعب الشاعر صديقاً بأبيات :

ولى صاحب أنفه نصفه      تقوس منه ومن ثقله  
تقوس حتى بدا كالهلال      لما كابد الدهر من تحمله  
سُصبح (دائرة) رأسه      يزاحم ما حل في نعله

ويعتري الشاعر في أيام شبابه اضطراب نفسى فضايق بالحياة وكاد يرى التخلص منها .. وحينما كان يعاني ثقل هذه الحالة النفسية نظم قصيدته التى عنوانها (الشيخ المنتحر) وقد نشرتها السياسة الأسبوعية فى عددها ٢٦ فبراير ١٩٢٧ وحينما قرأ هذه القصيدة الشيخ مصطفى عبد الرازق كتب بعدها كلمة بالسياسة الأسبوعية عن الانتحار وذكر فيها بعض أبيات من قصيدة الشيخ المنتحر وقدم هذه الأبيات بقوله «كدنا نقول فى الانتحار ما قاله الشاعر الأزهرى الطريف الأستاذ محمد الأسمر» .. فذهب إليه الأسمر لي شكر له استشهاده فى مقاله بشعر شاعر ناشئ فأعجب به وسعى لإيجاد عمل له وهو طالب ، عينه مصححاً بجريدة السياسة اليومية وبين رعاية الشيخ مصطفى عبد الرازق وتشجيعه له نشرت له فى ذلك الحين جريدة السياسة الأسبوعية الكثير من شعره فأخذ الشاعر وهو طالب بالأزهر الطريق إلى الشهرة فقد كانت هذه الجريدة واسعة الإنتشار فى مصر والبلاد العربية واعترافاً من الشاعر بفضل الشيخ مصطفى عبد الرازق عليه صدر ديوان للأسمر برأى للشيخ فى شعره .

( .. لشعرك تأثير فى نفسى أحسبه يفوق ما يفعل الشعر ، ذلك أنه نبض نفس أحبها ، وقد يكون سحرًا ذلك الذى نرسله نغمًا موسيقيًا فى أسلوب سهل فيسرى فى الأرواح ، ويفجر العواطف خلالها تفجيرًا ) .

ولئن كان الأسمر يعترف بالأثر المحمود لشخصية الشيخ مصطفى فى حياته

الأدبية فقد كانت هناك شخصية ثانية ( أنطون باشا الجميل ) عرفه الأسمر بعد أن تخرج من الأزهر وقد انعقدت بينها صداقة ومودة وكان أنطون الجميل يعجب بشعره ويفسح له صدر جريدة الأهرام لنشره ومن خلال ندوة الأهرام يتعرف الأسمر على الكثير من رجالات مصر والعالم العربى وأدبائه ومن أرجوزه له يصيف بها أمسيات جريدة الأهرام التى كانت تعقد بغرفة أنطون الجميل.

يا حبذا أمسية (الأهرام) ومجلس المعاشر الكرام  
غرفة أنطون بهم روض عبق وأفق فيه النجوم تأتلق  
فمن خطيب وأديب ناثر وعالم وشاعر وتاجر  
وذلك ( حرى ) وذاك ( وفدى ) وذاك ( كتلى ) وذاك ( سعدي )  
فيا لها مذهباً مختلفاً تجمعها أفئدة مؤتلفة  
ويا لها من سوق علم وأدب أشبه شيء بعكاظ في العرب

وقد كتب مقدمة ديوان (تغريدات الصباح) أنطون الجميل ، أما الإهداء فكان إلى هدى هانم شعراوى التى تصف شعر الأسمر فتقول :

« إن شعر الأسمر كنغمات بيانو ، وهو غذاء كامل للروح وأن الأسمر يمتاز بمقدرته على إبراز معانيه التى يريدها إبرازاً كامل الوضوح حتى لنكاد نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا» .

ويقول الشاعر كامل الشناوى وكان من رواد ندوة الأهرام فى يومياته بجريدة الجمهورية نوفمبر ١٩٥٧ عن الأسمر :

( وعندما انطلقت الصيحات من تسع سنوات بوجوب تعبئة الشعب بالأنشيد الوطنية ، أخذت الإذاعة المصرية تذيع كل يوم أكثر من مرة نشيد اسلمى يا مصر ، ونظم الأسمر أبياتاً يسخر فيها من التعبئة بالكلام ويحض فيها الشعب عن التسليح قال :

هل بات يغنى أن يقال لها اسلمى إن صَحَّ ذلك فاسلمى ثم اسلمى

يا مصر إن الله جل جلاله لا يستجيب إلى دعاء النوم  
اليوم السنة المدافع وحدها مقبولة الدعوات طاهرة الفم  
وفي قصيدة من قصائده منشورة بديوان الأسمر يخاطب الأسمر أبناء مصر :  
حطموا الأغلال عن أمتكم وأزأروا بالحق فيمن زأرا  
لا تمؤوا همرة محبوسة بل أسوداً غاضبات للشرى  
وتستفز الأسمر الامتيازات التي تعطى المستعمر حقوقاً لا ينعم بها أبناء  
الوطن .

في الامتيازات ما أغرى النزيل بنا فيا لها نعم جرت جرت إلى نقم  
وكم قتيل على الوادى وقاتله في الإمتيازات مثل الطير في الحرام  
صعب المنال على القانون ممتنع كالنجم في الأفق لم يدرك ولم يرم  
والأسمر حتى لحظاته الأخيرة كان يرى أن علة العلل هي قوى الاستعمار  
ومن أبيات قصيدة علة العلل بديوان بين الأعاصير :

بنى قومنا ، ما علة الشرق ؟ هل لها طيب مداو أو لها متطبب ؟!  
به وحواليه ذئاب كثيرة يجرحه فيها قريب وأجنب  
(الجنول) فيه مأرب ثم مأرب و (للعن سام) مأرب ثم مأرب  
هما سره الخافي وإن كان بادياً وعندهما عنه الكثير المغيب

وتنتشر السياسة الأسبوعية للأسمر أيام كان طالباً بالأزهر إحدى قصائده  
فتنقلها جريدة عراقية وقرأ كاتب مصري هذه القصيدة في الجريدة العراقية فظن  
أن الشاعر عراقي ثم كتب بعد ذلك مقالاً في جريدة الاتحاد يتحدث فيها عن  
نهضة الشعر بالعراق وذكر قصيدة الأسمر على أنه شاعر عراقي ، فنظم الأسمر  
نسبتي إلى الشام رجلاً ورجال إلى روابي العراق

حبذا حبذا وما أنا بالخا في ولا موطنى بواق العراق  
إنما مصر منبتى وعليها نضر النيل وحده أوراقي  
ويتخرج الأسمر عام ١٩٣٠ في الأزهر ويسند إليه عمل حكومى وظيفة  
كتابية تتعلق بحضور بعض الطلبة بالأزهر :

من بحيرى من (خليل غائب) و (لييب) أو سعيد حاضر  
وأجازات (على) بلغت منهاها و (مريض طاهر)  
وفلان (راسب) أو موقف وفلان (أول) أو آخر

وينظر مجلس الأزهر الأعلى فى شكوى للشاعر وجاء فى المذكرة :

( .. عين الشيخ محمد الأسمر أحد علماء الأزهر كاتباً فى المعاهد الدينية فى  
الدرجة الثامنة من ١٠ مارس ١٩٣١ وكان مقترحاً فى مذكرة تعينه التى عرضت  
على مجلس الأزهر الأعلى فى جلسة ٧ مارس ١٩٣١ منحه راتباً قدره ثمانية  
جنيهاً ولكن المجلس قرر أن يكون راتبه سبعة جنيهاً ونصف فعين بهذا  
الراتب ثم منح علاوة دورية قدرها نصف جنيه فى أول مايو ١٩٣٣ ويستحق  
مثلاً فى أول مايو ١٩٣٥ وقد شكوا إلينا من قلة الراتب الذى عين به إذ أن  
الكتاب العلماء الذين عينوا قبله قد أعطى كل منهم ثمانية جنيهاً ونصف فى  
بدء تعيينهم وأن تعينه كان سابقاً لصدور الكادر الجديد .. وللشيخ الأسمر ميزة  
خاصة تستدعى العناية بأمره وذلك أنه اشتغل بالأدب كثيراً حتى أصبح من  
الشعراء الذين لهم قيمتهم فى نظر المتأدبين فرفع من شأن خريج الأزهر فى  
مناسبات مختلفة أمام الهيئات التى تتصل بالتعليم الأزهرى عن كتب .  
نعرض ذلك على المجلس للنظر وتقرير ما يراه .

١٧ صفر ١٣٥٤ - ٢٠ مايو ١٩٣٥ شيخ الجامع الأزهر

ولم الأسمر أن أدباء مصر أقل الناس حظاً فقال :

أنت يا رب ترزق الأتس والجن جميعاً فارزق مصر الأديبا  
إنه كالورى يربد (طعاماً) و (لباساً) و (مسكناً) و (طيباً)



هو عظم كما عملت ولحم  
ويرسل له الشاعر عبد الحميد الديب رسولا بخطاب يقول فيه أن مالك  
لديب الأبيات التالية:

قد بعثنا إليك شيئاً يسيراً  
لو جانا الزمان أكثر منه  
كيف تشكوا (ديب) ما رحت تشكو  
أنت يا (ديب) يا أديب غني  
فتقبله شاكرًا أو غديرًا  
لجوناك منه شيئًا كثيرًا  
ه وأنت الذي يشيد القصورا  
بالقوافي وإن رهننت الحصيرا  
ويداعب الأسمر صديقاً له في قصيدة يصف الغلاء في الحرب العالمية  
الثانية:

شد ما لاقت الجماهير في مصر  
ما كفاهها أعباؤها من قديم  
ما كفاهها الأمراض والجهل حتى  
عزت اليوم أقة (العجالي) و (البتلو) وعز رطل (الضاني)

وفي باكورة حياة الأسمر تقيم وزارة الدفاع مسابقة للأناشيد العسكرية  
ويفوز فيها بالجائزة الأولى عن نشيد (الجيش المصري) وعن هذه الجائزة كتبت  
مجلة الراديو المصري يونية ١٩٤٠ :

(.. وقد ألفت لإختيار هذه الأناشيد العسكرية لجنة روعى في تأليفها أن  
يكون أعضاؤها من رجال الأدب والجيش والموسيقى وأسندت رئاسة هذه  
اللجنة إلى حضرة صاحب المعالي محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع وعضوية  
حضرات الأساتذة أنطون الجميل بك .. عباس العقاد .. توفيق الحكيم .. محمد  
حسن الشجاعى .. محمد عبد الوهاب .. مصطفى رضا بك ، وقد أذيع نشيد  
الجيش المصري من غناء ملحنه الأستاذ رياض السنباطى ) .

وينال الأسمر أيضًا الجائزة الأولى من قصيدة الديمقراطية في مباراة شعرية  
أقامتها إذاعة لندن بين شعراء البلاد العربية وكان ذلك أثناء الحرب العالمية

الثانية ومن أبيات هذه القصيدة:

إن يكن فضل الإله إناسًا وأولوا الفضل من تراهم مواز  
فأولوا الفضل معشر الحكماء  
ولا الطغاة البغاة أمثال (نيـ  
ين البرايا ليسوا مع الأهواء  
غـرهم أنهم جبايرة الأرض  
سرون) من المحدثين والقدماء  
لم ير الغاب قتل وحش أخاه  
وعاشوا على دم الأبرياء  
رب عم الفساد والشر فابعث  
ورأته عواصم العقلاء  
كما عرف الأسمر أن الاستعمار هو سبب البلاء ووراء كل انقسام يحذر أبناء

الوطن من الوقوع في الشرك مؤكداً أن لا خير يرجى في الأحزاب :

خصام وصلح كل يوم وحالة  
إلى عبث الأطفال واللهم أقرب  
نعمت بإشعال الخصومة بينكم  
ومصر على نيرانها تتعذب  
غرسنا بأيدينا العداوة بيننا  
ورحنا إلى أعدائنا نتجيب  
بنى وطنى إن البرية كلها  
تجد وأحزاب الكنانة تلعب

أحزاب قد يختلف رجالها ظاهرياً إلا أنهم في النهاية متفقين على هدف وهو الوصول إلى كرسى الحكم .

تروح وزارة وتجيء أخرى  
ومصر تقلب النظرات حيرى  
تشيم فلا ترى إلا بروقا  
كواذب ربما أمطرن جمرًا  
فيا وزراء مصر بكل عهد  
لقد مل الرواية شعب مصرًا  
تعشقنا مصالحنا وهمنا  
بها ومصالح الأوطان أخرى

بنفس النظرة يحذر أبناء مصر من مستعمر يعمل جاهداً لخلق الفرقة بينهم :  
يا بنى القبط من بنى مصر ما نـ  
نحن أنتم ، وأنتم نحن ، كالعـ  
نحن وأنتم لا فرق بين عين وأخرى  
نحن وأنتم لا فرق بين عين وأخرى

شهر (ذى الحجة) الكريم علينا مثله عندنا (أييب) و (مسرى)

النبي الكريم أكرم مسوا كم فأوصى بالقبط فى مصر خيرًا

وفى عام ١٩٤٤ بمناسبة افتتاح جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى بمصر حى الشاعر العرب والعروبة وحث على الإتحاد ونبه إلى أفاعيل الغرب مع الشرق :

وحذار الوعود فهى سراب وكلام منمق ليس إلا

نحن فى مصر بنى من الماء قصورًا ونفتل الرمل حبلاً

قل لخلو الوعود ليتك انحز ت قليلاً منها فذلك أحلى

وفى عام ١٩٤٦ زار الشاعر الخرطوم فى صحبة صديقه الزعيم السيد / ميرغنى الأدرسى وطُلب منه ألا يتكلم فى وحدة الوادى فأعطى عهدًا فلما ألح عليه بعض إخوانه السودانيين أن يذكر رأيه وسكت قليلاً ثم قال وحدوه وارجل البيتین الآتين :

جل رب عن الشريك فما يجرى سوى ما يشاء ويريد

يا بنى النيل منبعًا ومصر سبا وحدوه فديتنا التوحيد

وعندما وقَّع مندوبوا الأمم العربية الميثاق العربى عام ١٩٤٥ أقيمت لهذه المناسبة حفلة كبرى وينظم الأسمر قصيدة لمثل العروبة وقد غنتها فى هذه الحفلة أم كلثوم ولحنها زكريا أحد ومن أبياتها :

عجبت للنيل وهو الماء ينسكب يكاد من لفحات الشوق يلتهب

حياكم وهو جزلان وقال لكم أن العروبة فيما بيننا نسب

وعن أغنية فرحة الشرق غناء أم كلثوم يصل الشاعر إخطار من الإذاعة فى ٧ مايو ١٩٤٩ (محددًا مبلغًا وقدره ٢٠ ج أجر تأليف الأغنية + ١٠ ج أجر تأليف أربعة أبيات شعرية أضيفت إلى قصيدة سلوا قلبى بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز آل سعود لمصر .

والأسمر كان يعرف ما للأغنية من بالغ الأثر فى الجماهير فهى من العناوين

التي تدل على جوهر الأمة وتقدمها وكان له رأياً فيها تأليفاً ولحناً وآداء .  
 قالوا الأغاني قلت فيها صالح حسن ، وفيها تافه أو ناب  
 ليست أغاني أمة لكنها شيء كرجم حصي ، وسفى تراب  
 وكأنها من سخفها أو لحنها تهوى على الأدباء بصوت عذاب  
 اللحن مسروق لها ومكرر والصوت نونوة ونبح كلاب  
 أما الأداء فمنه ما هو مخجل عاب وقل عليه وصف لعاب  
 ويحضر غرساً ذات يوم :

حضرت عرساً وغنى به مغنى فنونو  
 فلأنزلوه وجاءوا لنا بشان فوعو  
 ففرت الناس خوفاً من عضه حين هو هو  
 حتى العريس تولى مع الذين تولوا  
 ويصف مطرباً كان اسمه على غير مسمى :

حين غنى داود خلناه بيكي فرثينا لحاله وبكينا  
 صير العرس مأتماً فمكثنا ساعة في مناحة وأنثينا  
 وتم اختيار الأسمر عضواً في اللجنة الفنية لنصوص الأغاني بالإذاعة  
 المصرية في ديسمبر ١٩٥١ .

(حضرة الأستاذ الأديب محمد الأسمر تحية واحتراماً وبعد ، فقد رأى  
 حضرة صاحب المعالي رئيس مجلس الإذاعة الأعلى اختيار حضرتكم عضواً في  
 اللجنة الفنية لنصوص الأغاني .. ) .

وترسل له إدارة الدعوة والإرشاد بالمركز الرئيسى لهيئة التحرير .  
 ( ... يسر الإدارة أن تقبلوا دعوتها لعضوية لجنة التحكيم في فن الشعر ) ،  
 وفي اجتماع اللجنة الموسيقية العليا ١٠ مارس ١٩٥٣ يقع اختيارها على الأسمر  
 عضواً بلجنة التحكيم .

وبجانب مشاركة الأسمر في العديد من لجان التحكيم وكما اعترف بشاعريته وآمن بقدراته الإبداعية في بدء حياته الأدبية الكثيرون آمن الأسمر أن الحياة دائماً معطاءة ومتجددة فأنشأ في جريدة الزمان باباً يظهر مرة في الأسبوع أسماه ركن الأدب هدفه الأول الأخذ بيد الشعراء وعن طريق هذا الباب عُرف الكثير من الشعراء .

وكما يتميز الشعراء بالقلوب الشفيفة تميز الأسمر .

وكل أديب يحب الجمال      فليست الجميل يحب الأدب  
ويقول :

وقالوا قد صبوت فقلت كلا      ولكن كدت من شغف أذوب  
وما ذنبى وهذا الحب أمر      يخالف فيه صاحبه القلوب  
ويقول :

قال ألم تحب ؟ فقلت أهو      كما تهوى فلست معى غريباً  
ولكنى . ولا أخفيك سرى      كتمت هواى فى صدرى لهيباً  
وأنت أرحت نفسك بالتغني      فناجيت الحبيباً أو الطيباً  
نفس القلب المحب يكابد محنة الشوق :

لم أصغ شعري نظماً      هو قلب ينفطر  
محنة الشرق عذاب      لبنى الشرق مسعر  
نحن تلج بين نار      ما لنا لم نتخير ؟!  
ويصف الشاعر خليل مطران شعر الأسمر :

(أن شعر الأسمر رائع فاتن ، وهو أشبه الأشياء بقوس قزح فى جماله وتعدد ألوانه ..).

ومن أمريكا يبعث الشاعر المهجرى (رشيد خورى - الشاعر القروي) :  
(أخى شاعر الفحولة والرقعة والدعابة ، لما شرعت فى مطالعة ديوانك

حرصت أن أطوى زاوية الصفحة عند قصيدة أو بيت أو خاطر يعجبني ،  
فرايتني أو شك أن أطوى كل صفحاته..).

وتقول عن ديوان الأسمر بنت مواطنته الدكتور عائشة عبد الرحمن (بنت  
الشاطيء).

(قل أن يظفر شاعر في أيامنا بمثل ما ظفر به «الأستاذ محمد الأسمر» من  
تقدير زملائه الشعراء وتأييدهم فقد أجمعوا - غير قليل منهم - على الإعجاب  
بشعره وشهدوا له بالتفوق واختاروا له بينهم المكان المرموق ..).

وقال عنه الشاعر عزيز أباطه :

(إن شعر الأسمر مزاج من احلس الدقيق في الشعر الرقيق وتلك مرتبة  
ارتفع لها الشاعر الكبير ، وأخشى أن تكون قد أعجزت بعده كان شاعر كبير ) .  
نشر الأسمر إنتاجه في العديد من المجلات والجرائد منها على سبيل المثال :  
الأيام / دمشق .. الإسرائ / بغداد .. المواطن / بغداد .. جريدة العرب /  
باريس .

ويطلب مجلس التعليم الثانوى بكراتشى من السفارة المصرية بهذه المدينة  
راجياً أن توافيه ببعض المؤلفات المصرية في الأدب العربى الحديث مع الترخيص  
له بترجمة ما يقع عليه الاختيار .. فتطلب الإدارة العامة للثقافة من الشاعر أن  
يرشح لها ما يختاره من شعره .

وكان آخر منصب شغله الشاعر «أمين مكتبة الأزهر» ، ويتم اختيار الشاعر  
عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى في ٩ / ٧ / ١٩٥٦ وكانت اللجنة تتكون  
من الأساتذة / عباس محمود العقاد مقرراً وعضوية كل من : د . زكى نجيب  
محمود ، عبد الرحمن صدقى ، عزيز أباطه ، على أحمد باكثير ، كامل الشناوى ،  
محمود عماد ، محمد الأسمر .

وكان الأسمر دائم الشكوى من حصى الكل وفى قصيدة مطولة منشورة  
بديوان الأسمر :

أشكو إلى الله حصى بالكلى كأنه فيها رواسى الجبال

بعض الذى ألقاه من وخره  
أظلم منه قائماً قاعداً  
أسأل كل الناس مستشفياً  
يقول لى (ناجي) وقد زارنى  
إلى أن يقول :

فكان مما جاء فى قوله  
الرأى للمشروط إن لم تفد  
والمرء قد يحيمه قول يقال  
(دميسة) العشب و(بزر الخلال)

وفى أكتوبر ١٩٥٦ يلجأ الأسمر للمشروط لإجراء جراحة بالكلى بمستشفى  
الجمعية الخيرية الإسلامية (مستشفى العجوزة) ويقوم بإجراء الجراحة واحد من  
مشاهير جراحى الكلى فى مصر.. ويدهم مصر غدر العدوان الثلاثى ، ولم يمض  
على جلاء قوات الاحتلال البريطانى عن أرضها شهور.. وكأنها كان الشاعر  
يتنبأ بهذا فى قصيدته التى نظمها بعد عقد اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ :

بنى مصر إن الجيش أمضى وثيقة  
ولكن (جنبول) موائق كلها  
أراها (أساساً) للذى نترقب  
مواثيق (جنبول) ثعلب  
مواثيق (جنبول) مع الناس كلهم  
أرى الغاب لا يحيمه غير أسوده  
فليس بحاميه وثائق تكتب

وتخصص مستشفى العجوزة للمجهود الحربى فيستضيف الأسمر صديقه  
الجراح دكتور عبد الله الكاتب بمستشفاه بالدقى . ووسط الغارات الجوية المغيرة  
على سماء القاهرة ووسط ظلام كامل للمدينة يقع قضاء الله بعد أن رفض جسم  
الأسمر عمليات نقل الدم المستمرة وتتوقف الكلية عن أداء وظائفها وتقف به  
رحلة الحياة عام ٥٦ عن ٥٦ عاماً ، وكأن الأسمر بحسه الشعري المرهف قد  
استشرف النهاية وكأنه لم يخطأ عندما رتب بخط يده أصول ديوانه بين الأعاصير  
ففى باب الاجتماعيات توابت القصائد التالية كما رتبها وهو :

بعد الرابعة والخمسين

هيهات هيهات لست اليوم متبعًا  
هيهات خمسين عامًا ثم أربعة  
هيهات المجانين في ماضى شببيتنا  
بعد الخامسة والخمسين :

خمسون مرت ثم خمس لقد  
وليت شعري ما الذى أبتغي  
وقد كان مفترضًا أن تكون القصيدة الثالثة بعد السادسة والخمسين ولكنها  
تأتى تحت عنوان (صوت من القبور) :  
فراقب الهك في كل آن  
عفيف اليدين ، عفيف اللسان  
وما العمر إلا سراب الزمان  
إلينا وقبل فوات الأوان  
وينقل جثمان الأسمر إلى دمياط كوصيته فتذكر مرثيته في صديقه الشاعر  
على محمود طه:

خلا الروض يا غريد إلا بقية  
يخالمهم الرءاءون أحياء فوقه  
فيا صاحبي لبث قليلاً فإنني  
إذا كنت للمنصورة اليوم راحلاً  
إذا مر نعشى يا صديقى مسلماً  
تذوب على الوادى من الحشرات  
وليسوا - من الأحزان - غير رفات  
مواف على نفس الطريق موات  
فإنى إلى دمياط بعدك آت  
عليك ، فسلم وادع بالرحمات

ويشاء الله أن تتحقق نبوءة الشاعر - فنتيجة العدوان الثلاثى كانت المدن مع  
الغروب تغلق مداخلها - لهذا السبب كان مفترضًا أن تسلك العربة التى تحمل



جثمان الشاعر طريقها خارج المنصورة - حيث الطريق غير ممهد ، وفي ليلة كان مطرها متصلاً - لكن بسبب يعلمه الله رُفِعَ هذا الحظر ذات الليلة فتعبر العربية القادمة من القاهرة في طريقها إلى دمياط شوارع وقلب المنصورة... تقف الحياة ويبقى لنا التراث الأدبي . فالأسمر لم يعقب ولدًا وكثيرًا ما قال :

( إننى لم أنجب أولادًا في الحياة ، ولكن أولادى هى دواوينى وكتبى فى عالم الأدب ) ..

فالكلمة ظلت رفيقة دربه ، وحياته الحقيقية وامتداده الطبيعي .

تلك القوافى لسن صنعة صانع لكنهار روح وقلب يعصر

والشعر ما أوحى الشعور وغيره قول يقال وزخرف متخير

الكلمة رسالة وأمانة وقد قال الشاعر هذه الأبيات ردًا على كتاب من الزعيم أحمد حلمى باشا رئيس حكومة عموم فلسطين عام ١٩٤٦ :

ونقول أعرض عنهم وأراك لست المعرضا

متحملاً من أجلهم عبثاً إناء وأمرضا

سأظل المسهم بشعر رى موقظاً أو منهضاً

ويقيم المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة حفل تأبين للشاعر يشاكر فيه نخبة من شعراء مصر والعالم العربى .. ويستهل الحفل بتلاوة قرآنية مباركة من صديق الشاعر الشيخ مصطفى إسماعيل ..

( وحيث بدأ الشاعر تنتهى الرحلة )

وانتهت الرحلة بعد الذي كان بها من متهة أو عذاب

وقد فعل الموت بها مثلاً تفعله شمس الضحى بالضباب

فأين طفل الأمس ؟ أين الفتى ؟! وأين من كان شاباً فشاب ؟!

وتعترف دمياط بفضل ابن بار من أبنائها فتقيم فى مدرج مدرسة دمياط الثانوية حفل تأبين بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الشاعر .. يشارك فى الحفل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والجامع الأزهر ووزارة التربية

والتعليم والمجلس الأعلى للطرق الصوفية .. والشعراء والأدباء وأبناء دمياط  
وشعرائها وفي الحفل يرثى الشاعر محمد مصطفى حمام صديقه الأسمر بقصيدة  
من أبياتها :

وفي ختام هذا الحفل يُعلن عن إطلاق أسم (الشاعر محمد الأسمر) على  
شارع من شوارع مدينة دمياط - هو حاليًا الشارع الملاصق لقصر الثقافة -  
وتسمية مدرسة باسم (الشاعر الأسمر) وهكذا يظل اسم الشاعر الأسمر مُردّدًا  
على ألسنة تلاميذ المدرسة المسماة باسمه مسجلًا على أغلفة كتبهم وكراساتهم  
نموذجًا يحتذى به . وتظل الأعين كلما وقعت على اللافتات التي تحمل إسمه  
بطول الشارع تذكر هذه البلدة الوفية أنها لا تنسى أعلامها ويظل لنا الأسمر  
الشاعر باقيا ما بقيت أشعاره ترددها الألسن وعلمًا في سلسلة طويلة ممتدة تتميز  
بها دمياط .

هل دنا الزورق من شط الخلود      ودنا دور انتقالي وصعودي  
خالعًا جسمي صعيدًا في الصعيد      تاركًا خلفي سجنى وقيودي  
سابعًا في عالم الروح السعود

\*\*\*

## الشاعر محمود عبد الحى

هذا شاعر يعيش حياته شعرًا كأنه يتنفسه في يسر وسهولة فائقة ، وفي تمكن  
واقترار يثيران العجب والإعجاب ..

إنه ابن دمياط ، الذى ولد بها في ٢١ / ٥ / ١٩٠٤ وتربى في كنف (عمه) على  
العزبى (شاعر دمياط) وتعلم في مدرسته (شمس الفتوح) فنشأ في بوتقة الشعر  
والأدب وتأثر بأسلوب العزبى ومدرسته الأدبية ، وتمرس على منبره بمواقف  
الإلقاء والخطابة وهو في بواكير شبابه حتى نظم الشعر وهو في الخامسة عشرة  
من عمره ثم مضى على درب زملائه شعراء ذلك الجيل ، فبدأ ينشر شعره  
وخواطره في الصحف الأدبية التي كانت في تلك الأيام تفتح صفحاتها للشده .

ولقد تتلمذ الشاعر على الكتب الأدبية ودواوين الشعر القديم ، ودرس في أسلوب عصامي اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، حتى نال شهادة (البكالوريا) القسم الأدبي في عام ١٩٣٠ فكان أول القطر على الناجحين فيها .. وكان إلى ذلك الوقت يشتغل بالتعليم ، ثم اختار السلك الإداري في مدارس الوزارة إلى أن أصبح مفتشاً إدارياً ، ثم وكيلاً للإدارة فرئيساً لها ، وهو يتنقل في وظائفه ما بين دمياط والمنصورة ودمهور وغيرها ، حتى انتهى به المطاف مديراً بمديرية التربية والتعليم بالإسكندرية . واستقر بهذه المدينة وربى أولاده في جامعتها أفضل تربية .. وتعطرت منتديات الإسكندرية وصحيفة «أخبار دمياط» وغيرها بها أفاض عليها ، وحتى اليوم ، من نفحات شعره ونتاجه الأدبي الوافر .

ولن أجد صورة كلامية توضح حياته وجهاده وكفاحه وخطواته فيها أروع مما قاله هو عن نفسه في قصيدة له ألقاها في حفل تكريم أقيم له بمناسبة بلوغه السبعين .. لذلك أدعها هنا تتحدث وحدها فإنها تغني عن أى كلام نقوله نحن في ذكر حياته ومراحلها مدعمة بالتواريخ والأرقام وأمثالها .. فاستمع إليه إذن وهو يقول <sup>(١)</sup> :

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| سبعين عاماً يدق قلبي؟! | لو صمتها ما شكرت ربي   |
| لو أنه صيغ من جديد     | ذابت مع العمر دون ريب  |
| فإن تكن قاربست ختاماً  | فإنها في الحياة حسبي   |
| تلميذ نفسي ظللت فيها   | وكنيت أستاذها المربي   |
| قالوا : عصامية ودأب    | فقلت : كلا .. ودون عجب |
| بل كان لي من هدى إلهي  | شعاع نور أضاء دربي     |
| ألم يجردني فتىً يتيماً | يهيم في وحشة ورعب      |
| وليس لي من حطام دهري   | إلا يراع وبعض كئيب     |

(١) القصيدة نشرها في ديوانه «أصداف البحر» .

أضرب في التيسرة أى ضرب  
كأنه تـوأـمى وتـربى  
ولا توقفت دون صعب  
يظنها الجاهلون عيبي  
لصونها، فسُـرْتُ بذنب  
وكان ملحقى دليل عسـبى  
وخمسة يملأون رَجْـبى  
لا يشربوا منه مثل شربى  
ظلت إلى اليوم خير صحبى  
أفضى إلى ذى جنى وعشب  
من بعد ما طار كل سربى  
أن يصبح النصف فى المهب  
أخادع الموت خلف ركبى  
بقية من ضئى وكرب  
أو هن من خوض أى حرب  
حتى أوافى بغير ذنب  
شكرًا لهم من صميم قلبى  
يندى له بالسرور هُـدبى؟  
وهم يـزفون عُرس شيبى  
وأذنتُ صحتى بأوب  
فلست فى حاجة لطـب!!

وعشت فى عالمى وحيدًا  
وكان شعرى رفيق عمري  
ومما تمنيت مستحيلًا  
صراحة الرأى فى حديثي  
وعزتى كلما دعتني  
وكان فقري سبيل وفري  
ولم أكن أشتكى فراغًا  
أعددتهم للزمان حتى  
(صاحبتي) فى ربيع عمري  
سرنا معًا فى طريق شوكة  
اليوم عدنا كما بدأنا  
أخشى إذا نـصفنا تداعي  
ركبت متن المعاش عـشـرا  
يارب إن كان فى حياتي  
فأنت أدرى بأن روحي  
فعافنى واعف عن ذنوبي  
شكر صالمن كرموا وجودي  
ألم يروا كيف حال دمعا  
يـردلى قـربهم شـبابي  
نسيت فى عطفهم سقامي  
ما دام هذا الدواء عندي

هكذا تجدد الشاعر المجيد الذى يعرف كيف يعبر عن خلجات نفسه وعن خواطره ، لا يستعصى عليه القول ولا تعوقه أوزان ولا تعجزه قافية مهما كانت صعوبتها . فلقد قال فأجاد فى كل الأغراض التى عاجلها من مناسبات قومية ووطنية ودينية وسياسية ، وفى عرضه للأحداث الكبيرة فى مجتمع ، وفى دروسه التى يقدمها للناس وللشباب ولغيرهم ، وفى ندواته وصالونات الأدب التى كان يحضرها .

فإذا مدح أو رثى أو كتب فى الإخوانيات والمداعبات وأمثالها ، فإنها هى مقطوعات قد لا يزيد بعضها أحياناً على البيتين أو الثلاثة .. ويطيب له أحياناً أن يختم بعض شعره فى الأحداث بيت ينظمه على طريقة (حساب الجُمَّل) التى كانت معروفة حتى أوائل هذا القرن ، وذلك باختيار كلمات هذا البيت من حروف لها أرقام خاصة بحيث يتكون من مجموع أرقام الكلمات تاريخ الحدث .. وعلى الرغم مما فى هذه العملية من صعوبة وجهه مبذول فإنه يبرع فيها غاية البراعة .

ولقد أصدر الشاعر ديوانه الوحيد (أصداف الشاطئ) فى عام ١٩٧٧ - فلما لم أجد فيه شعراً للغزل والحب سألته : أليس لك فيها شعر ؟ فلقد اقتقدته فى ديوانك ، وإن شاعراً فى مثل ثرائك وإجادتك .. و(حلاوتك) أيضاً لابد أن يكون له فيض من هذا التعبير الوجدانى الحلو .. وأجابنى يقول إنه منذ بدأ معالجة الشعر صادف ذلك أياماً عصيبة فى حياة الوطن عند قيام ثورة ١٩ وما أعقبها ، فكان موضوع شعره الأثير هو العاطفة الوطنية والاهتمام بأحداث البلد ، كما كان للبيئة الأسرية وقربه من عمه المرحوم على العزبى أثر فى اتجاهه ذاك .. ثم إنه تزوج فى منتصف عشرينيات عمره ، فلم يعان مما يكابده ظماء العاطفة فى مثل سنه .. على أن له محاولات فى الغزل لا يرضى عنها لأنها أقرب إلى أحاسيس المراهقين ..!

أما أنا فأقول إنه استغنى عن شعر الغزل بمعناه المعروف ، بتغزله فى بلده دمياط وحبها وحنيه الدافق إليها ، خاصة فى ثايات مطولاته التى يكتبها كل عام مهتئاً جريدة «أخبار دمياط» فى إحدى هذه المطولات <sup>(١)</sup> :

أنها منها ، وإليها ، وبها ولها أمسى ويومى وغدى

(١) فى ديوانه . وفى «أخبار دمياط» .

كلما عاودتها بعد النوى  
جها ينزل من عاطفتي  
وإذا وليت وجهي شطرها  
كعبتي أنت ومحرابي ، وما  
لك يا دمياط روحى ودمي  
عاودتني فلذة متن كبدي  
منزل التوحيد من معتقدي  
خلتني ولبت نحو المسجد  
دون أركانك لي من معبد  
لك قلبي ولساني ويدي

و يصف سحر دمياط وجمالها فيخاطبها بقوله :

وافتحى الصدر وضميني إلى  
فأنا الشادى على قيثاره  
ها هنا الفتنة والسحر لمن  
ومغان كلما طففت بها  
قلبك الحانى وقرى واسعدي  
لك شدو العندليب الغرد  
يتغنى بباجال المغرد  
ذكرتنسى بعيون الحسد

ثم هو لا يكتفى بحبها ، بل هو يعشقها عشقا ، حتى بعد أن اشتعل رأسه  
شيئا كما يدعى (فإنه حتى اليوم لا يزال سواد شعره أكثر من شيبه) .. إنه يقول :  
وقبل حسبك إن العشق تهلكه (أنا الغريق فما خوفي من البلبل؟)

أكلما اشتعلت بالشيب ناصيتي  
حُبك أكبر من قلبي ، وأعذب من  
أصليلتنى بهوى كالنار مشتعل؟  
شدوى ، وأبلغ من شعرى ومن

وحتى حين مرض فى أوائل السبعينات ونصحه الأطباء بالراحة والكف  
عن إجهاد نفسه فى القراءة وقول الشعر ، فإنه مع ذلك يكتب كعادته قصيدة  
مهدها إلى دمياط فى عيد صحيفتها ، أحصيت أبياتها فوجدتها ١٨٩ بيتاً (!!)  
وهذا ما لا يقدر عليه شاعر غيره .. وكان مما قاله فيها مناجياً بلده الحبيب <sup>(١)</sup> :

ويا دمياط معذرةً وعفوًا  
يقول لى الطيب كفاك شعراً  
ونبع الشوق فى مناك فائز  
فحاذر أن تعاطاه وحاذر

(١) جريدة أخبار دمياط فى ٢٠ / ١١ / ١٩٧٢ .

وهأنذا أقدمه دليلاً      على فرط احترامى للأوامر!!  
ألا يدري الأساة بأن داءً      يميت أخفّ من تكميم شاعر؟!  
فكيف إذن أشيد بحب داري      وكيف إذن بأهلها أفاخر

على أن شاعرنا يحرص في كل شعره على أن يشرك وطنه الكبير في حبه لوطنه الصغير ، ويضمن ذلك قصائده الوطنية وأناشيده التى برع في إنشائها ودخل ببعضها مسابقات أعلنت عنها الدولة فحظى بالمراتب الأولى في معظمها ..  
ويكفى أن نذكر له (نشيد القسم) الذى كتبه فى عام ١٩٥٣ والذى وقع عليه إختيار الموسيقار محمد عبد الوهاب فلهذه .. ومن يومها أصبح على لسان الإذاعة وتلاميذ كل مدارس الدولة فى طواير الصباح وغيرها ، وسمعه الشعب وطرب له وحفظه .. إنه النشيد الذى يقول <sup>(١)</sup> :

أقسمت باسمك يا بلادى فاشهدى      أقسمت أن أحمى حماك وأفتدي  
سأفى بعهدك بالفؤاد وباليد      وينور حبك أستضيء وأهتدي

أقسمت باسمك يا بلادى فاشهدى

عاهدت نفسى أن أكمل لتنعمي      وأخوض أخطار الحما لتسلمي  
فإذا حييت فإن ذكرك فى فمي      وإذا قضيت فقد فديتك بالدم  
أقسمت باسمك يا      بلادى فاشهدى

.. إلى آخر النشيد ..

على أنك تراه كلما تحدث عن دمياط وعيدها القومى فى ٨ مايو من كل عام ، أفاض فى ذكر أمجادها القديمة والجديدة بتفاصيلها . فيذكر مثلاً أحداث انتصارها فى الحروب الصليبية ، وذلك فى مثل قوله من قصيدة طويلة <sup>(٢)</sup> :

سفر البطولة فى (حطين) أوله      للقارئ وفى (دمياط) آخره

(١) «أخبار دمياط» ٢٣/٣/١٩٥٣ .

(٢) جريدة أخبار دمياط .

هنا على هذه الأرض التى كُرِّمت  
وها هنا سأل للأبطال حمر دم  
فهل رأيت جواد الملك منكفئاً  
عشرون ألفاً تراءى فى مصارعهم  
كل لمن عد قتلاه ليحصىها  
دار (ابن لقمان) لم تدرس معالمها  
ومنزل الأسر باق تعتريك به  
فى جوه من رنين القيد موعظة  
كذلك يلقى جزاء البغى مقترِفٌ  
ومن تصدى لشعب فى منازلهم

شذى من النصر يستهويك عاطره  
لما يَزَلْ فى ثرى دمياط فائره  
يحسوا لنجيع وخذو التاج حافره  
بحر من الدم قتلاه جزائره  
جيش الكرامة لا تحصى خسائره  
ولا عداها من التاريخ ساخره  
من روعة الحق روح لا تغادره  
يكاد يسمعها كالهمس زائره  
ويحصد الشر بالقسطاس باذره  
وفى كرامته ، فالشعب قاهره

وفى ديسمبر ٧٥ يكتب قصيدة بمناسبة عيد النصر ، فيخاطب الشعب فى بعض أبياتها موضحاً له بعض عيوب مجتمعنا ويحثه على تلافيها .. فيقول <sup>(١)</sup>:

متى يحسنُ المصرى تدبير أمره  
وليس الغنى جمعاً لمال وإنما  
وما قيمة الإنتاج فى رفع أمة  
زيادة الاستهلاك من غير ضابط  
كمثل دجاج الدار يأكل بيضه  
وإن كان ما نبى يشاد لهادم  
وليس بكاف أن يقوم اقتصادنا  
وليس كريماً أن نعيش ليومنا

ويكبح من إسرافه ما تعودا؟  
غناؤك أن تأبى له أن يبددا  
إذا كان الاستهلاك أعلى وأزيدا؟  
ستخلق للإنتاج وضعاً معقداً  
وليس به للدار نفع ولا جدي  
فأنى نرى يوماً بناء مشيداً  
ويبقى بهال الآخرين مُسَنِّداً  
على الأمس ، والطوفان من بعدنا غدا

(١) «أخبار دمياط» فى ٤/١٢/١٩٧٥ .



أنجمد والأحداث تجرى صواخباً وتجرى في تصخاها من تجمدا؟  
ولعلك تلحظ هنا كيف استطاع الشاعر أن يتناول بالشعر موضوعات  
كالإقتصاد والإنتاج والاستهلاك ، وأن يعرضها على هذا النحو من البراعة  
الفنية التي يعجز عنها معظم الشعراء.

وكثيراً ما كان الشاعر يتناول في شعره المناسبات الدينية . كما في قصيدته  
التي كتبها بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ، وقد تحرى فيها على خلاف  
عادته - أن يغير القافية في فقراتها المتتالية .. فيقول في بعض أبياته <sup>(١)</sup> :

أيها المبعوث للعالم من خير الأمم  
أيها الموصوف في سورة (ن . والقلم) ..  
بألهدى والخلق الأعظم من بعد القسم  
في سبيل الدعوة الكبرى تحملت الألم  
يوم هاجرت لتحمل الحق فيها والقيم  
إن من تملك العباء ، من الناس عصم

\*\*\*

يا رسول الله بلغت إلى الناس الرسالة  
وهديت الناس من زئغ وكفر وجهاله  
ومحوت الظلم في الأرض وأرست العدالة  
فإذا الأرض عليها من سنا الإسلام هاله  
ترشد الناس إلى الحسنى وتهدى من ضلاله  
وإذا السلم على أرجائها يلقي ظلاله

وعن الصحافة وحرية الرأي يقول في ثانيا شعره وهو يهنئ صحيفة بلده

(١) « أخبار دمياط » في ٢٤ / ٤ / ١٩٧٢ .

بعيدها الخامس<sup>(١)</sup>:

حرية الرأى ، والأقلام عدتها  
هى الصحافة إرشاد ومعرفة  
والنبر الحر إن نادى الخطيب به  
وما دعت أمة سارت صحافتها  
لا يعدل المنتضى سيفاً يقول به  
وحين أنقذه الله من مرضه الذى أصيب به فى عام ٧٢ نفث نفثته حامداً الله  
بها شاكرًا فضله.. ومنها هذه الأبيات<sup>(٢)</sup>:

إلهى بما تقضى رضيتُ ، وإننى  
ففى البرء مما أبتغى منك نعمة  
فإن كانت اليسرى شكرتك منعماً  
تعاليت عن ظلمى .. ولكن لحكمة  
وكيف أحس الحلو حلوا مذاقه  
ويا ربَّ يوم ليس فى العمر مثله  
وما كنت أخشى الموت والداء  
ولكننى خفت الحياة أحبها  
رضيت قضاء الله سقماً وصحة  
فإن هو أضنانى سجدت له رضا  
وإذا كانت معظم قصائد الشاعر محمود عبد الحى فياضة وطويلة ، بل هى

(١) « أخبار دمياط » فى أكتوبر ١٩٥٣ .

(٢) أخبار دمياط فى ١/٥/١٩٧٢ .

أحياناً غاية في الطول فإنك تجدها من أولها إلى آخر بيت فيها على درجة واحدة من الجودة والإتقان والاهتمام، حتى لو تحدث عن الموضوع الواحد في قصيدتين أو ثلاثة - فإنه في كل مرة يتدع الأفكار ولا يكرر المعاني، ولا يكل ولا يضعف أو يغتر ..

وهو مع ذلك لا يخلو شعره من مقطوعات صغيرة طريفة ينشئها في بعض الأحيان، ليعرض فيها حكمة سريعة تخطر له، أو يعلق بها على بعض ما يقرأ أو يسمع أو يرى، أو ليضمنها مشاعر يمسه في حالة خاصة، أو رأياً في أمر من الأمور العارضة، أو مداخلة للإخوان والأصدقاء ..

ولعل من أشهر هذه المقطوعات أبياته التي قالها بعد بلوغه سن المعاش وفك قيود الوظيفة عن كاهله .. وفيها يقول <sup>(١)</sup> :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| يقولون المعاش نذير موت    | فقلت جهلتمو معنى المعاش     |
| فإن الموت يطرق أى باب     | وقد يلقي ابن آدم وهو ماش    |
| وكنت على المكاتب كل يوم   | أموت ، فكيف أخرج من فراشي؟  |
| شقيتْ بلقمتى ستين عاماً   | وقد سعدتْ بلقمتها المواشي   |
| وكان الكدح يشرب ماء وجهي  | ويتركنى أهيم مع العطاش      |
| وداعاً للشقاء إذن ، فإنني | خرجت من المهات إلى (المعاش) |

أما الحكمة التي يعرضها منفردة في غير قصائده الطويلة .. فمنها قوله <sup>(٢)</sup> :

|                                 |                         |
|---------------------------------|-------------------------|
| (أعدوا لهم ما استطعتم) .. شعارٌ | على طالب النصر أن يرفعه |
| و (نصر من الله) .. ليست تقال    | إذا لم تكن بقوانا معه   |
| وللشعب في حربه جبهتان           | وزندان ترجوهما المعمة   |
| فرند يضم بها مدفعه              | وأخرى يدير بها مصنعه    |

(١) في ديوانه «أصداف البحر» .

(٢) « أخبار دمياط » في ١٤ / ٨ / ١٩٧٢ .

وحكمة أخرى طيفة ينشئها في بيتين <sup>(١)</sup> :

لا تنظر في مرآه غرو      رك ، واحذر تضليل المرآه  
الناظر في المرآه يرى      يسراه فيحسبها يمناه  
وأرسلت ابنته الطيبة وهى فى خارج مصر ، تبته أشواقها وتسأله عن  
صحته ، فكتب إليها :

لا تسألنى عن قلبى وعِلَّتْه      فقد عرفت دواه فى العقاقير  
إذا استبد به فى ساعة ألم      داوئته بحبوب فى القوارير  
بل إسألنى عن قلبى وشعلته      وحرقة جاوزت آفاق تقديرى  
تلك التى لا يد الآسى تعالجها      ولا الأشعة تجلوها بتصوير  
مدبر الأمر ، أمرى تحت رحمته      لعلله يتولاه بتدبير

وحين بلغ الأديب المؤرخ نقولا يوسف الستين فى ١٢ مارس ١٩٦٤ أقام  
حفلاً أنشد فيه الشاعر أبياتاً يهنئه فيها هو وعقليته وكريمته « كيتي » حيث أنهم  
جميعاً ولدوا فى شهر مارس . فكان مما قاله <sup>(٢)</sup> :

لو لم تكونوا باقة تزهى      بالفل والياسمين والنرجس  
ما شاءت الأقدار أن تولدوا      مع الربيع النضر فى (مارس)  
أخى (نقولا) أنت أخرجتنا      من الشتاء وبرده القارس  
إلى ربيع دافئ بالوفاء      نستبدل الأخضر باليابس  
ابنتك الحسنة غرس الهلدى      بورك فى الغرس وفى الغارس  
هُنْتُ « كيتي » بربيع المنى      وورده وقوده المائس  
وعندما توفى المرحوم عبد الفتاح أبو حجاجه . أحد تجار دمياط الأذكياء ممن

(١) فى ديوانه .

(٢) نشرة كاتب هذا البحث فى مقال له بجريدة « أخبار دمياط » فى ٣٠ / ٣ / ١٦٤ .

كانوا يعملون في ميدان نهائها وازدهارها ، والذي لم يتزوج حتى وفاته وبالتالي لم ينجب . قال الشاعر في رثائه بيتين اثنين لم يزد عليهما ، لكنهما يعبران عن شعوره بأكثر مما تعبر عشرات الأبيات :

مصابي فيك يا خلى مصاب      أجل من التصبر والتأسي  
ومالك من أقول له : عزاء      ولكنى أعزى فيك نفسي

ولقد كتبت يوماً في صحيفة «أخبار دمياط» أوصف شوارعنا في الشتاء بأوحالها وبرك المياه بها ، وأقترح أن يفتنى كل دمياطى مظلة يتقى بها المطر ، وجاروفاً ينزع به أو حال الطريق حتى يستطيع أن يمشى بها .. فكتب محمود عبد الحى أبياتاً كريمة يقول فيها <sup>(١)</sup> :

دعاني إليها الشوق بعد غيبة      فقلت أوافيهـا لأطفئ من على  
وألقى دياراً شطّ عنى مزارها      فسارعت من فوري أشد لها رحلي  
ولكن (سعد الدين) أكرم صاحب      لوانى عن لقيا الصحابة والأهل  
عفا الله عنه ، زادنى عن رغبة      لألقى عزراً بالخصاصة والجهل  
فمالى (جاروف) ولا لى (مظلة)      ومالى علمٌ بالسباحة فى الوحل!!

وفى ٢١ مايو عام ٨٣ أرسلت أهنته باستقبال عامه الثمانين من عمره المديد بإذن الله ، واخترت لأبياتى قافية رويها حرف التاء ، وختمته بقولى :

يا أنبل الناس خلقاً      وأحسن الناس سَمْتاً  
ومارأيت وفاء      كما أراك وفيتاً  
فعش لنا خير زخر      وكل عام وأنتا ..  
فرد على بأبيات طريفة ، أقتطف منها ما يلى :

أبدعت فيما كتبتا      بيتا يعانق بيتا

(١) جريدة «أخبار دمياط» فى ١٨/٢/١٩٧٤ .

(بالتاء) ماذا فعلت؟!

إزاء (تائك) نحتنا

وكان لي ما أردت

يا ليت لي فيه بختا

لكن حبك أعتى

ولا أدري فيه زيتنا

بها مصيف ومشتى

ولا (لعل وليتنا)

يا سعد بالله قل لي

حاولتُها فالتوت بي

أردت لي صفو عيش

هنأت عمري بعام

بلغت فيه عتيها

مصباح عمري يُجَبو

وصحتي قد تساوي

لم يبق لي من أنيس

\*\*\*

مواهبها فيك شتى

أخ يحدث أختها

وطبت نبعا ونبتا

وأنت في الثغر .. يُفتي؟

(أخبار دمياط) أبدت

حديثك الخلو فيها

صدقت رأيها ورؤيا

يا (مالك) الثغر أنى

\*\*\*

## الشاعر محمد مصطفى حمام

١٩٠٤/٨/١٨ - ١٩٦٤/٣/٢٣

ولد الشاعر محمد مصطفى حمام بفارسكور في ١٨ أغسطس ١٩٠٤ . وعندما شب ألحق بكتاب البلدة حيث حفظ القرآن الكريم وجوّد . ثم دخل المدرسة الابتدائية .. وفي أثناء دراسته بها توفى والده الموظف بالسكة الحديدية ، ثم لحقت به أمه ، فعاش الطفل يتيمًا يكفله بعض أقاربه .

وله في تلك الفترة من حياته قصة متداولة تثبت بعض مواهبه منذ صغره وتوضح كيف أمكن أن يواصل الدراسة في بعض مراحل التعليم التالية .. فلقد

حدث أن السلطان حسين كامل (حاكم مصر من ١٩/١٢/١٤ إلى أن عزله الإنجليز في ١٩/١٩/١٩١٧ وولوا مكانه السلطان أحمد فؤاد والد الملك السابق فاروق) .. أقول أن السلطان حسين زار فارسكور في أثناء جولة له في عام ١٩١٦ وشملت الجولة زيارة المدرسة الابتدائية بفارسكور . فاختارت المدرسة من الصف الثالث بها التلميذ الصغير محمد حمام ليلقى أمام الحاكم خطبة أو أبياتاً من الشعر أعدت له . وكان حمام أيامها صبياً ضئيل الجسم لكنه يتوثب نشاطاً ، فيعجب السلطان به ويحادثه ، ثم يهدى إليه ساعة ذهبية ، ويقرر أن يكون تعليمه على نفقة السلطان في جميع مراحل التعليم .

أما ما ألقاه حمام أمام السلطان فقد اختلفت فيه الآراء . بعضهم يقول أنه كان شعراً . ويقول آخرون بل كانت خطبة . أو كان الأمر مجرد تلاوة آيات من القرآن ليفتح بها الحفل ..

والأستاذ طاهر أبو فاشا يناقش هذا الأمر في كتابه (الذين أدركتهم حرفة الأدب) ويؤكد الرأي الأخير ، مستنداً في ذلك إلى بعض الأدلة التي استفهاها من الشاعر محمد حمام بنفسه الذي روى له القصة عارفة من ذكر هذه القصيدة ، وكذلك بسؤال ابنة الشاعر حمام بعد موته ، وبعض من يعرف من (بلدياته) ممن كانت له به صلة حميمة .. ثم يضيف إلى هذا أن (حمام) كان معروفاً برخامة الصوت وجودة الأداء قراءة وإنشاداً وغناء أيضاً ، وهذا يرشحه لافتتاح حفل السلطان بتلاوة لآيات من القرآن الكريم .

ونعود إلى الصبى حمام وقد انتهى من الدراسة الابتدائية في بلدته ، فلقد انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية مستقراً بالقسم الداخلي بها وهو ينعم بكفالة السلطان حسين ، ومن بعده السلطان فؤاد ، حتى نال الشهادة الثانوية ( البكالوريا ) وفي أثناء دراسته اشتعلت ثورة ١٩١٩ فاشترك في مظاهرات مدرسته التي كانت تصل إلى الأزهر الشريف ، حيث يتعاقب المتحمسون على منبر الخطابة ، فكان حمام من هؤلاء مستعياً بإجادة الخطابة وبتدقيقه فيها وحسن إلقائه مما كان يشهد إليه الجماهير .. ومن هنا ظل حتى نهاية حياته يسهم بلسانه وبقلمه في شتى الانتفاضات الوطنية والمناسبات

القومية واصلحونات الأدبية والثقافية فى مسقط رأسه بفارسكور دمياط.

وبعد أن انتهى حمام من حياة الدراسة بالمدارس ، بدأ كفاحه من أجل العيش ، وفيه عرفته المحافل الأدبية شاعرًا ظريفًا وراويّة فكها يحفظ الشعر والطرائف ويرويها ، ويسترعى انتباه وإعجاب من يسمعون من أصحاب الشأن خاصة أولئك الذين يتذوقون الأدب والشعر . وما كان أكثرهم فى ذلك الزمان ففتحوا له باب العمل فى شتى الوظائف ، واختير موظفًا بإدارة التعاون بوزارة الزراعة فحرر فى مجلتها (التعاون) .. ثم انتقل إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، ثم مراقبة الصحف ، ثم مصلحة البريد .. إلى أن استقال عام ١٩٥٢ ليعمل محررًا بالصحف ويكتب المقالات الأدبية والسياسية والاجتماعية ، وينشر كذلك الطرائف والنداعات فى المجلات الفكاهية ، إلى جانب القصائد الجدية والهزلية ، ويوقع بعض ذلك باسمه ، وبعضه الآخر بشتى التوقيعات ..

فكان من الصحف التى كتب بها : الأهرام والبلاغ والسياسة والقاهرة والزمان .. ومن المجلات : التعاون ، والشباب ، وآخر ساعة ، والاستقلال ، ودنيا الفن ، ومسامرات الجيب ، وصوت الشرق ، والمصور ، والبعكوك .. كما حرر فترة فى مجلة (الرياض) وكان يكتب معظمها وينشر بها الكثير من أشعاره . وفى آخريات حياته انتقل من الكتابة فى الصحف إلى الإذاعة الثقافية من إذاعات مصر والسعودية والكويت . فكان له من وراء كل هذه الكتابة والإذاعة رصيد ضخم أعانه عليه موهبته ورصيده اللغوى الكبير وذاكرته القوية الخصبة وصداقاته مع أهل العلم والفن ، وصلاته لطيبة بالجميع .

وقد لقي مع ذلك فى حياته كثيرًا من الشظف وضيق العيش ، خاصة أن حياته الأسرية كانت تثقله بشتى الاحتياجات والمسئوليات . فلقد تزوج ثلاث زوجات أنجب منهن ١٥ ولدًا (٧ ذكور ، ٨ إناث) وبذلك كان مسئولاً عن ثلاث بيوت .. لكنه كان يروض الفقر ويعايشه راضياً بحياته مهما لقي فيها .. فلقد كان من طبعه ألا يضيق بها أو يتجهم لها .. وإن لم يمنعه ذلك أحياناً من أن يشكو الفقر والبؤس فى صورة تأملات للحياة وأوضاعها من واقع نظراته الساخرة إليها ومن تصرفاتها (وفى قصيدته «علمتى الحياة» التى سوف نعرضها



بعد قليل ، أبيات نابضة بهذه الأحاسيس) .

على أنه لما ضاق به العيش في مصر ، ارتحل إلى المملكة العربية السعودية في أوائل عام ١٩٦٠ حيث عمل مراقبًا لغويًا في إذاعتها . ثم انتقل منها إلى الكويت وفيها عين خبيرًا بالقسم الأدبي في الإذاعة . ورحل إلى بعض إمارات الخليج العربي ، ثم عاد إلى الكويت ليشغل في الإذاعة والتلفزيون .. حتى لقى ربه في ٢٣ مارس ١٩٦٤ بعد مرضه بالذبحة الصدرية التي دهمته ثلاث أيام ، ونقل جثمانه إلى القاهرة ليدفن بها بعد أن طالت غربته عن وطنه وأسرته وأولاده خمس سنوات ، وبعد أن ترك ثروة أدبية زاخرة اجتمع بها من شعره ثلاثة دواوين أعلن عن أسمائها وإن لم تنشر في حياته وهي (ديوان حمام) و (من المحيط إلى الخليج) و (الكويت) ..

وكما قلنا لقد ذاعت شهرة حمام بلباقته وبنوادره وفكاهاته .. وفي ذلك يقول عند صديقه الأستاذ أحمد الشرباص :

« كان حمام يضمّد للناس جراحهم على حين تنزف جراحه الدماء الغزيرة . وكان يضحك ويطرب وفي أعماقه الحزن والآلام .. لقد كان عجبًا من العجب ، وبذلك أضاع نفسه ، ويمكن أن نقول أيضًا : وبذلك صنع شخصيته المتميزة في جيله .. ولقد تجلس إلى حمام وأنت مكروب أو حزين ، فإذا هو يتزحك إنتزاعًا مما أنت فيه إلى الضحك والبهجة ، وهو يستطيع ذلك بدعاباته ، وإنشاده وإنشائه وغنائه ، وترتيله ، وتقليده ، وانتحاله ، وبفنون أخرى له .. » .

وبمناسبة الحديث في هذا الكلام عن (تقليده) نذكر أنه كان يجيد تقليد الآخرين إلى حد غاية في الإقتان ، بحيث يحاكي صفات من يقلده ولوازمه في النطق حتى أنك لا تكاد تفرق بينه وبين صاحب الصوت الذي يحاكيه .. ومما يذكر عنه في هذا الشأن أنه عندما وقعت جفوه بين عباس العقاد وتوفيق دياب ، اتصل حمام تليفونيا بكل منهما واحدًا بعد الآخر مقلدًا الصوت ولوازم الكلام ، فالعقاد يحسب محدثه دياب ، ودياب يحسب محدثه العقاد .. فما زال حمام بها حتى صفّى ما بينهما . واتفقا على موعدا اللقاء .. ثم يلتقى الرجلان ، ويجرهما الحديث

إلى بعض ما دار بينهما في التليفون ، لينكشف (المقلب) وليعرفا أنه ! حمام<sup>(١)</sup> وعلى هذا النحو كان له جولات طريفة.. كان مثلاً يهجو الوفديين وهم في الحكم حتى يفصلوه من وظيفته .. فيتصل بالأحرار الدستوريين كضحية من ضحايا خصومهم فيصلونه ويبرونه ، حتى إذا عادوا إلى الحكم أعادوه إلى وظيفته وردوا له ما تجمع من راتبه في مدة الفصل .. وهكذا .

ولقد عمل حمام فترة في سكرتارية مكتب أحد رؤساء الوزارة قبل الثورة ، وكان المكتب في زحمة عمل هذا الرئيس - يصوغ له بعض خطبه ، فكان حمام يصوغ بعضها أو يشترك في تلك الصياغة .. قد أشار إلى ذلك في أبيات يقول فيها<sup>(٢)</sup>:

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| أسلموني إلى زعيم جهول     | أخرق الصوت أعجمي البيان |
| صغر الله أصغر به فقيه     | بعض قلب ، وفيه بعض لسان |
| صار دُرِّي حصًا على شفّته | شاه دري وشاهت الشفتان   |

ولقد كان شعر حمام متنوع الأغراض ، وكانت له المطولات والمقطوعات من الشعر الوجداني والوطني والديني . كما نظم في المدح وفي المراثي وفي شعر المناسبات . وكثيراً ما نظم الشعر الفكاهي والساخر .. وهو يتحدث عن الشعر فيقول عن قصيدة ، ألقاها في حفل لتكريم الأستاذ محمد مصطفى الماحي<sup>(٣)</sup>:

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| هو الشعر كم ثل عرش الظلوم | وكم هدبأس العتّى الوقاح |
| وكم في ثناباه من مرهفات   | وكم في ملامح من رماح    |
| إذا رق كان كخفق النسيم    | وإن ثار كان كعصف الرياح |

(١) روى هذه لقصة الأستاذ طاهر أبو فاشا في كتابه (الذين أدركتهم حرفة الأدب) ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٥ .

(٣) القصيدة في (ديوان الماحي) ص ٤٢٦ .

وكم هياً الشعر من نصره لأهل الزباد وأهل النفاح

ومما قاله وهو في الكويت قصيدة تقطر إيماناً وتصور صورة من حياته المضطربة وإنطباعاته العامة والخاصة وهو يعانى الغربة عن الوطن<sup>(١)</sup>:

إلى الكويت شددت الرحل مغترباً وما أزال غريب الدار مرتحلاً

نأى بى الرزق عن أهلى وعن ولدى مستسلاً لقضاء الله ممتثلاً

خلفت فى مصر أكبادى ، وهأنذا من أجلهم أزرع الآفاق والسبلا

وأبتغى الرزق من جهدى وأحملة إذا أتانى رذاذاً أو إذا هطلاً

وأرقب الله فى سرى وفى علنى ولست إلا على جدواه متكللاً

ولست أو من بالشكوى إلى أحد وليسأل الله دون الخلق من سألأ

وإن أحدث بجرحتى من أحب فكم رقت قلوب لجرح القلب فاندملا

ومن شعره فى «ذكرى الهجرة» قصيدة قال فى ختامها<sup>(٢)</sup>:

أيها المسلمون هذا مجال لانعاض ، وموضع لادكار

كم دعى يقول ضحيت جهداً ويباهى بالبدل والإيثار

وهو فى الحق لوح لحم وشحم وهو خزان فضة ونضار

ما المضحى ولا المجاهد إلا من يطبق الطوى وجوب القفاز

وفراق البنين والأهل عمراً وركوب الصعاب والأخطار

وفى أبريل ١٩٤٧ حضر مهرجاناً أدبياً أقيم بالمنصورة التى كان لها دوراً

كبيراً فى هزيمة الصليبيين ، والتى سجن بها قائدهم الملك لويس التاسع بعد

أسره وهو عائد إلى دمياط .. فكان له مما قاله مخاطباً المنصورة<sup>(٣)</sup>:

(١) كتاب «الذين أدركتهم حرفة الأدب» ص ١١٩ .

(٢) من مقال للأستاذ نقولا يوسف بجريدة «أخبار دمياط» فى ٣٠ / ٣ / ١٩٧٠ .

(٣) المرجع السابق .

غضافراً شغل الأيام حمدهم  
سلى المغيرين هل صارت جماهم  
وسائلى الخلف الأخيار هل ورثوا  
وهل بقوا عصبة للحق عاملة  
نعم ، على الشاطئين العزم ممتشقاً  
وأمة حفظ التاريخ آيتها  
وخلدت مجدهم «دار ابن لقمان»  
إلا أساساً لمبناها وجدرانا  
عن الأوائلى إخلاصاً وإيماناً؟  
وفى العروبة والإسلام إخواناً؟  
والرأى متفقاً ، والعقل يقظاناً  
فاختارها لكتاب المجد عنواناً

على أن من أروع شعره وأصدقه تعبيراً عن نفسه وسخرية منه بأوضاع  
الناس فى الحياة ، قصيدة له جعل عنوانها (علمتنى الحياة) .. ألقاها فى المركز  
العام للشبان المسلمين ، ونشرتها مجلة «الأديب» فى عدد نوفمبر ١٩٦٨ . يقول  
الأستاذ محمد الغزالى فى كتابه «جدد حياتك» إن الشاعر ما كاد ينتهى من إلقاء  
قصيدته تلك حتى أجهدش بالبكاء .. ونحن نقتطف منها هذه الأبيات<sup>(١)</sup> :

علمتنى الحياة أن ألقى  
ورأيت الرضا يخفف أثقلاً  
أنا راض بكل ما كتبه الله  
أنا راض بكل صنف من النسا  
لست أخشى من اللئيم أذاه  
فسح الله فى فؤادى فلا أر  
فى فؤادى لكل ضيف مكان  
ضل من يحسب الرضى عن هوان  
فالرضى نعمة من الله لم يسـ  
كل ألوانها رضى وقبولاً  
لى ويلقى على المأسى السدولاً  
سه ومزج إليه حمداً جزيلاً  
س لنسيماً ألفتته أو نبيلاً  
لا ولن أسأل النبيل فتيلاً  
ضى من الحب والوداد بديلاً  
فكن الضيف مؤنساً أو ثقيلاً  
أو يراه على التفاق دليلاً  
عد بها فى العباد إلا قليلاً

(١) كتاب «جدد حياتك» عدد خاص من سلسلة كتب ثقافية رقم ١٣٤ فى يناير ١٩٦٢

والرضى آية البراءة والإيب

— إن بالله ناصراً ووكيلاً

\*\*\*

علمتنى الحياة أن لها طعميد  
فتعودت حالتها قريباً  
أيها الناس كلنا شارب الكأ  
نحن كالروض نضرة وذبولاً  
نحن كالريح ثورة وسكوناً  
نحن كالظن صادقاً وكذباً  
قد تُسرّى الحياة عنى فتبدي  
فأراها مواظماً ودروساً  
أمعن الناس في مخادعة النفس  
الأديب الضعيف جاهاً ومالاً  
والعُتْل القوي جاهاً ومالاً  
وإذا غداة تجلست عليهم  
وتلوا سورة الهيام وغنو  
لا يريدون أجلاً من ثواب اللـ  
وإذا ما انبريت للوعظ قالوا  
أرأيت الذى يكذب بالديـ

من ، مرا ، وسائغاً معسولاً  
وألقت التغير والتبديلاً  
س إن علقماً وإن سلسيلاً  
نحن كالنجم مطلعاً وأفولاً  
نحن كالمزن ممسكاً وهطولاً  
نحن كالحظ منصفاً وخذولاً  
سخرات السورى قبيل قبيل  
ويراها سوى خطباً جليلاً  
س وضلوا بصائراً وعقولاً  
ليس إلا مثرثراً غبولاً  
هو أهدي هدى وأقوم قبلاً  
خشعوا أو تبتلوا تبتيلاً  
ها وعافوا القرآن والإنجيل  
ه إن الإنسان كان عجولاً  
لست ربّاً ولا بُعثت رسولاً  
من ولا يهرب الحساب الثقيل

\*\*\*

أكثر الناس يحكمون على النا  
فلكم لقبوا البخيل كريماً

س وهيئات أن يكونا عدولاً  
ولكم لقبوا الكريم بخيلاً

ولكم أعطوا المَلَحَّ فأغنوا  
 ربَّ عذراء حرة وصموها  
 وقطيع اليدين ظلماً ، ولصَّ  
 وسجين صبوا عليه نكالاً  
 جُلَّ من قلد الفرنجة منا  
 فأخذنا الخبيث منهم ولم نقد  
 يوم شَنَّ الفرنجة كذبة إبريد  
 نشروا الرِّجس مجملاً فنشرنا  
 علمتنى الحياة أن الهوى سيـ  
 ثم قالت والخير في الكون باقٍ  
 إنْ تَرَ الشر مستفيضاً فهوَّ  
 ويطول الصراع بين النقيض  
 وتظل الأيام تعرض لونيـ  
 فذليل بالألمس صار عزيزاً  
 ولقد ينهض العليل سليماً  
 رُبَّ جَوْعَانٍ يشتهي فسحة العمـ  
 وتظل الأرحام تدفع قابيـ  
 ونشيد السلام يتلوه سقاً  
 وحقوق الإنسان لوحة رسا  
 صورٌ ما سرحتُ بالعين فيها

ولكم أهملوا العفيف الخجولا  
 وبَغَى صوروها بتولا  
 أشيع الناس كفَّه تقبيلاً  
 وسجين مدلل تدليلاً  
 قد أساء التقليد والتمشيل  
 بس من الطينيات إلا قليلاً  
 بل غداً كل عمرنا إبريلا  
 ه كتاباً مفصلاً تفصيلا  
 بل فمن ذا الذي يرد السيولا؟  
 بل أرى الخير فيه أصلاً أصيلا  
 لا يحب الله اليئوس الملول  
 من ويطوى الزمان جيلا فجيلا  
 لها على الناس بكرة وأصيلا  
 وعزيزاً بالألمس صار ذليلاً  
 ولقد يسقط السليم عليلاً  
 ر ، وشبعان يستحث الرحيل  
 فلا فريد يبغيه هايبلا  
 حون سَنُوا الخراب والتقتيلا  
 م أجاد التزوير والتضليلا  
 وبفكرى إلا خشيت الذهولا

\*\*\*

علمتنى الحياة أنى إن عشد      ست لنفسى أعيش حقيراً هزلاً  
علمتنى الحياة أنى مهما      أتعلم فلا أزال جهولاً

وعلى الرغم من هذه الصورة التى يتسم معظمها بسمة الحزن والبؤس والأسف لأحوال الناس والزمان ، فلقد كان حمام فى معظم حالاته أنيساً وندياً وسميراً يملأ المجالس بالطرائف والنوادر والفكاهات ، ويشيع حوله جواً من البهجة يسرى به عن الإخوان والأصدقاء .

ويقول عنه الكاتب الصحفى «كمال النجمي» فى عدد خاص عن الفكاهة من مجلة الهلال (أغسطس ٦٦) :

« كان حمام آية فى خفة الظل ، وطلاقة اللسان ، وصياغة الفكاهة الذكية شعراً ونثراً . وكانت الفكاهة إحدى صناعاته يكتسب بها أحياناً ، ثم يفارقها ولا يمارسها إلا للتسرية عن نفسه وعن أصدقائه ... وكان كثير الإفلاس ، دائم الحاجة إلى المال ، لأنه كان ينفق بلا عقل . يحصل على المال بسهولة أحياناً ، وبمشقة أحياناً أخرى .. لكنه ينفق دائماً بلا مبالاة .. » .

ثم يروى إحدى قصائده الفكاهية التى يعارض بها قصيدة للشاعر أحمد شوقي .. فيها يقول :

أما الفلوس فبالأحبة أخلق      والقرش أقرب للفؤاد وألصق  
لم يبق فى جيبي سوى تعريفه      والله يمنح ما يشاء ويرزق  
لما قصدت البنك أطلب سلفة      قالوا : ابتعد .. فالبنك لا يتصدق  
شاورت للتاكسى أريد ركوبه      فمضى يبرطع كالخمار وينهق  
السائقون دروا بإفلاسى فما      يقفون لى وأنا أشير وأزعق  
وفى قصيدة له هى أقرب إلى المداعبة منها إلى الهجاء ، يقول فى صديق له أسمه «نجاتي» وكان أديباً يحب الغناء ويمارسه ، ولكن حماماً كان يستقبح صوته فقال فيه <sup>(١)</sup> :

(١) كتاب «الذين أدركتهم حرفة الأدب» ص ١١٦ .

ألا قبّحاً لصوتك يا نجاتي      لحقّ أنت إحدى المزعجات  
فلو أنسى استعنت على عدو      بصوتك لاسترحت من العداة  
ولو غنيت في عرس بهيج      لصيّرت الرواقص لاطمات  
ولو أذنت للصلوات يوماً      رددت المسلمين عن الصلاة  
ولو جاورت بيت الله تشدو      بصوتك في البقاع الطاهرات  
لقلنا الحج ليس بمستطاع      فأبطلت الفريضة يا نجاتي  
ويروى الأستاذ طاهر أبو فاشا أبياتاً من شعر العامية الذي يعرض فيه حمام  
بؤسه في صورة ترى على وجهها ابتسامة ساخرة ، وهو ينظر إلى عباد الله المترفين  
وما يوفرونه لكلاهم المدللة من أسباب النعيم ، ثم ينظر إلى حاله وما يعاينه  
فيقول <sup>(١)</sup>:

يا مدلعين الكلاب والادمي منسي      ضحكى على الكلب بگّانى على نفسي  
وفضلت أفكر في سعد الكلب وف      وأقول لروحى مسير الدنيا تتعدل  
وأدخل في جنس الكلاب والعن أبو جنسي

أربطني في سلسلة واصلبنى فيها صلب      وارمى لى لحمة وشيء م الى يسر القلب  
تلقانى طول عمرى محسويك      وعمرى ما ازعل من اللى يقول لى يابن الكلب  
هكذا كان الشاعر محمد مصطفى حمام فى حياته العامة والخاصة ، فى جده  
وفى هزله ، فى ارتباطه بالناس وفى مكانتهم بينهم .. ولقد عبر الشاعر محمد  
مصطفى الماحى عن هذه الحياة تعبيراً طيباً فى قصيدة له ألقاها فى حفل تكريم  
للشاعر حمام أقيم فى أكتوبر ١٩٥٦ قبل سفره إلى لبنان ..  
نذكر منها أبياتاً لعلها أن تكون صورة واضحة ومعبرة عن حاله وحياته <sup>(٢)</sup>:

(١) المصدر السابق ص ١١٧ .

(٢) ديوان الماحى . ص ٢٧٦ .



بالله قل لي يا أخى يا حمام  
حتى غدوت اليوم في منزل  
لا أنت في الثرين ذو ثروة  
كلا، ولا أنت أخو سطوة  
بل أنت ذو العيلات أعبأوها  
جواب آفاق ترى متعة  
تنفق ما تجمع في لحظة  
وقد يراك الناس في ساعة  
إنى عرفت السر فيما نرى  
ومن إخاء ليس يحظى به  
هو الحديث العذب يسرى كما  
هو ابتسام الثغر مهما عدا  
هو التزام الصبر في قوة  
هو الوداد المحصن تمضى به  
تنأى عن الغيبة إما سعي

بأى سلطان ملكت الزمام؟  
- من كل قلب - سامق لا يرام  
يطمع فيها طامع في حطام  
تحمل بها من خاف بطش اللئام!  
تنوء بالقوم السراة العظام  
في العيش ألا يستقر المقام  
وتعشق الفوضى وتحفو النظام  
ممتليء الجيب رفيع المقام  
من احتفاء كل حين يقام  
من عاش يرجوه، ولو في المنام  
يسرى شذا الطيب ونفح المدام  
خطب وإن حَزَّ حَزَّ الحسام  
ترتد عنها رائشات السهام  
طلق المحيّا لا تطيق الخصام  
واش، وتلقى جانباً بالملام

وبعد .. فهذا قليل من كثير يمكن أن يقال عن الشاعر حمام، ولكننا لا نضع القلم قبل أن نسجل هنا أبياتاً من بكائيه وهو يرثى صديقه الشاعر محمد الأسمر في حفل التأبين الذي أقامته دمياط لابنها البار بعد وفاته في ١٩٥٦/١١/٦ يقول محمد حمام في ثنايا بكائه على الصديق<sup>(١)</sup>:

ما زلت أبكى على الأحباب منتحباً حتى توهمت أن الدمع قد نضباً

(١) نشرتها جريدة « أخبار دمياط » في ١٩٥٧/٢/٤.

وأنتى عن قريب لاحق بهمو  
لكن طول بقائى محنة كُتِبَتْ  
يا بنى وصحى ، إن سبقتكمو  
فلا أكلفكم حزنا ولا جزعا  
لكن دعونى حديثا بينكم عطرا  
ما كان من سيرتى مرا بسألتكمو  
ويا أخى الأسمر المنزوع من كبدي  
هناك لا نشتكى بشا ولا حزنا  
ولا حسودا تلظى قلبه حسدا  
أخى تقبل ثواب الصالحين وطب  
إن الذى أنت مردود لرحمته

فلا أصادف يوما للبكاسيّا  
على جبينى ويمضى الله ما كتبنا  
فقد بلغت المنى العصماء والأربا  
ولا أطلبكم بالدمع منسكبا  
وأرجو بالدعاء الشعر والخطبا  
نسيانه ، واذكروا بالله ما عذبا  
سنلتقى بعُد الميعاد أو قربا  
ولا ملالا ولا سقما ولا وصبا  
ولا ظلوما بغى أو غال أو غصبا  
نفسا فقد أجزل الوهاب ما وهبا  
وعفوه كنت من آياته عجبنا

\*\*\*

### حسن كامل الصيرفى

وهذا شعر دمياطى مرموق يختلف شعره عن شعر إخوانه من شعراء  
دمياط الذين شربوا من روافد على العزبى . فغلب على أشعارهم منهج العزبى  
الخطابى ، وقد أشرنا آنفا إلى تعليل ذلك فقد ترك الصيرفى دمياط وهو حدث لم  
تعلق به أنفاس على العزبى وشد رحاله إلى القاهرة حيث اتصل بالشعراء  
المهجرين . وأدمن قراءتهم فجاء شعره ذا مذاق خاص ولون خاص وسلك  
طريقه فى ركب الرومانسيين . وغلفت شعره تيمة حزينة من الشجن الحزين  
والجميل وبخاصة بعد أن فشل فى حبه مرتين . فجعل يعزف على قيثارة نغوم  
الشجن والحب والحرمان .

ولد شاعرنا بدمياط فى حارة الشرباصى عام ١٩٠٨ ، وتلقى تعليمه فى

مدرسة دمياط الابتدائية ثم رحل إلى العاصمة عام ٢٣ لاستكمال تعلمه في مراحل التعليم التالية والتحق بمدرسة رقى المعارف بشبرا ، ولكنه لم يستمر في دراسته طويلاً فقد ترك التعلم في عام ١٩٢٧ ليلتحق بوظيفة في وزارة الزراعة وظل بها إلى عام ٤٢ عندما جاءت وزارة الوفد وأختير عبد السلام جمعة رئيساً لمجلس النواب فاختر الشاعر على محمود طه مديراً للمكتبه .. والشاعر على محمود طه صديق صدوق للشاعر حسن كامل الصيرفي فسعى سعيه عند رئيس المجلس حتى تم نقله إلى مجلس النواب للعمل في مكتب الشؤون الصحافية . ثم لم يلبث أن صار مديراً لمكتب الصحافة بالمجلس إلى أن أحيل إلى المعاش عام ١٩٦٨ .

والصيرفي شاعر متعدد المواهب . وله نشاطات متعددة تتمثل في أعماله الصحفية بالمجلات الأدبية وفي دواوينه الثائرة العذبة . وفي تحقيقاته التي يمدّها إطلاع واسع فتميزت بالدقة والأمانة.

وعندما أنشأ الأستاذ إسماعيل مظهر مجلته (العصور) عام ٢٧ كان الصيرفي ساعده الأيمن وفي هذه الفترة أصدر ديوانه الأول (الألحان الضائعة) وكان ينشر في (العصور) بواكير شعره . ثم انتقل إلى مجلة المقتطف وهي مجلة لها وزنها فجعل ينشر فيها أشعاره منذ أوائل الثلاثينات .

وفي عام ٣٢ اشترك مع الدكتور أحمد زكى أبو شادى في تأسيس (جماعة أبوللو) وانتخب عضواً في مجلس إدارتها في الوقت الذي كان يرأسها فيه الشاعر الكبير أحمد الشوقي . وقام بنصيب كبير في تحرير مجلتها .

وفي سنة ٥٦ انتدبته وزارة الإرشاد القومى للاشتراك في إخراج وتحرير مجلة (المجلة) مع الدكتور محمد عوض محمد ثم مع الدكتور حسين فوزى فالدكتور على الراعى . ثم الأستاذ يحيى حقى ، ولكنه ترك (المجلة) ليدير تحرير مجلة (الكتاب العربي) التي أصدرتها مؤسسة الثقافة بوزارة الإرشاد ...

وأخيراً ترك كل هذا ليتفرغ للشعر من ناحية ولخدمة التراث العربى من ناحية أخرى حين عهد إليه معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالاشتراك في مشروع إحياء وتحقيق هذه المخطوطات وقد اختير عضواً في لجنة

الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . فعضوا بـلجنة الدراسات الأدبية وعضوا بـلجنة التفرغ في وزارة الثقافة .

وللصيرفي دواوين طبع بعضها ، وبعضها لم يطبع . فمما طبع له (الألحان الضائعة) وديوان (الشروق) وديوان (قطر الندى) وثلاثة دواوين ضمها في مجلد واحد تحت عنوان (الصدى والنور والدموع) .

أما دواوينه التي لم تطبع فمنها (نوافذ الضياء) و (النبع) و (صلواتي أنا) ... ولنا رجاوة لا تنقطع أن يُشمر بعض دور النشر . أو بعض الجمعاعات الأدبية لإخراج هذه الثروة الأدبية من مقابرها بين الأضابير والعمل على نشرها لنشر هذا العبير الذي تبلله الدموع ليستروحه عشاق الكلمة النبيلة الجميلة .

ثم كان للصيرفي في تحقيقاته لكتب التراث منهج خاص يمتاز بالدقة والفهم كما نرى في تحقيقه لديوان البحترى ولكتاب (لطائف المعارف) للثعالبي .. وغيرهما وكان دائم التردد على الندوات والصالونات الأدبية في دمياط خاصة صالون معبد .

كتب عنه الشاعر فيصل أبو فاشا دراسة في مجلة روز اليوسف عندما كان يحرر الصفحة الأدبية بها ، وقد جاء في هذه الدراسة :

« إن الصيرفي هو بقية الصفوة من الشعراء الرومانسيين الذين نشأوا على الشاطيء الشمالى أو على مقربة منه . فكان منهم إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، وصالح جودت . الذين تناولوا القيثارة على شاطيء (المنصورة) أما شاعرنا فقد تناول قيثاره على شاطيء دمياط . وحملها معه إلى العاصمة ليوقع عليها هذه الدموع المنغومة .

وظلت القيثارة في يده صبية تفيض شبابًا ونضارة حتى بعد أن تقدمت به السن فقد كان على طول كفاحه شبابًا دائمًا ، وقلبًا خفافيًا دائم الوجيب » .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن شعر الصيرفي من الشعر المهموس الذى يتعد عن الجهارة والنبرة الخطابية التى نراها فى شعر غيره من شعراء دمياط الذين تأثروا بالمدرسة الكلاسيكية التى كان قيّمها فى دمياط الشاعر المحفل على العزبى ، ولا شك أن ذلك ناشئ من إعجابه وتأثره بشعراء المهجر كما قال هو فى ذلك .

وهو ككل الرومانسيين يغلف شعره سحابة خفيفة من الشجن والحزن الجميل . وللصير في قدرة بارعة في اختيار الكلمة والعبارة السهلة الموحية والمشعة يرسلها في يسر يشبه العفوية . كما ترى في قوله :

كانت لنا أيام      يا ليتها دامت  
إن هانت الأيام      والله ما هانت

كما نلاحظ في شعره التجديد في الإيقاع فهو يوزع تفعيلاته توزيعاً جديداً لا يلتزم فيه بالأنماط الخليلية كما نرى في قوله :

كل ما تسمعون      من أغاني السلام  
كهديل الحمام

يارفاقي هنا

صلواتي أنا

صغتها في سكون  
من فؤاد حنون  
طهرت به العيون  
صلواتي أنا  
صغتها مؤمناً

بمعاني السلام  
بالرضا والوئام

وأخيراً لنستمع إليه في قصيدة من أوليات قصائده يعبر فيها من تجربة لا تزال نابضة في نفسه يهوى الشباب الأول :

أخشى عليك تناول الأيدي      يا زهرتي وتكالب الورد  
وأخاف أن تمتد في جشع      أيدي تريبك لمسها يُردي

يا زهرتى هل تقسمين بما  
أخلصت من حب ومن ودّ  
الأيّمتّع بالشذى أحد  
يا زهرتى إلا أنا وحدي

\*\*\*

## على على الفلال

واحد من الرواد الذين مهدوا الطريق أمام الجيل اللاحق . وكان إسمه يتردد في الأربعينات حيث كان ينشر روائعه الشعرية في البلاغ الأسبوعي ، ومجلة الصباح وصحيفة الأهرام ، وصاحب الصالون الأدبي الشهير في مسقط رأسه.

وشاعرنا من مواليد قرية الزرقا (محافظة دمياط) عام ١٩٠٨ وقد حفظ القرآن الكريم وجوّده قبل أن يبلغ التاسعة . وظل يتردّد على الكتاب لتثيت حفظ كتاب الله وإتقان تجويده . ثم التحق بمعهد دمياط الديني عام ١٩٢٣ . ولكنه لم يسترح إلى منهج الدراسة به فتركه والتحق بمدرسة المعلمين الأولية بالمنصورة سنة ١٩٢٤ ولما كان بالفرقة الثالثة تقدم إلى إمتحان كفاءة دار العلوم التجهيزية ، ونجح في (الكفاءتين) فآثر الانتحاق بالصف الرابع لتجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي ، وحصل على شهادة الدراسة الثانوية (قسم أول : البكالوريا) فالتحق بالقسم العالي بدار العلوم حتى تخرج فيه عام ١٩٣٣ ، فعزف عن وظائف الحكومة ، وبدأ العمل في حقل التعليم الخاص ففتح أول مدرسة ثانوية بالريف المصري (بالزرقا) وهو يفخر ويعتز بمن تخرجوا على يديه من الأعلام أمثال المهندس عبد الهادي سماحة ، واللواء سعد الشربيني . والأستاذ حمزة السنباطي، والدكتور حسن الشطوري والمستشار إبراهيم صالح ، والمرحوم أنور ناصف .. وغيرهم ممن يخطئهم العد من رجالات مصر الأفاضل .

وقد تعلق بالشعر والأدب منذ نشأته في الكتاب فحفظ الكثير من الشعر حتى استوت له الملكة وساعدته الفطرة والمهبة ، فظل يواصل القراءة ونظم الشعر كما تقدم بأبحاث في مسابقات أدبية كان فيها مجلياً ... وحصل على الجائزة الأولى من المجمع اللغوي خمس مرات كانت أولها من مهيار الديلمي وشعره ، وآخرها عن المرحوم أستاذ الجيل الشيخ مصطفى عبد الرازق، وله في ميدان

القصص قصته الطويلة عن التفرقة العنصرية عنوانها «المعذبون في الجنوب» كما تقدم في العيد الألفى للأزهر يبحثه عن دور الأزهر في الحفاظ على اللغة العربية وقد نال عليها الجائزة الأولى في مارس من عام ١٩٨٣ .

ولعل الفلال مسرحيتان شعريتان ، إحداهما كتبها سنة ١٩٣٢ وكان لما يزل طالباً في دار العلوم وتناول فيها (نكبة البرامكة) وكتب الثانية في الخمسينات عن لويس التاسع وأسرّه في دار ابن لقمان ونال عليها الجائزة الأولى من محافظة الدقهلية .

وفي عام ١٩٤٢ حصل على الميدالية الذهبية مع درجة التفوق الأولى في الشعر وقد تقدم هذا العام (١٩٨٧) إلى المجمع اللغوي ببحث مستفيض عن (على الجارم) أديباً وباحثاً . وقد كتب هذه الدراسة وهو يجتاز العقد الثامن من حياته .

جمع أشعاره وأخرجها في ديوان نرجو .

وشعر الأستاذ الفلال يمتاز بقوة الديباجة والجزالة مع الرقة والسهولة ويترقرق ماء الشعر في أشطار أبياته الشعرية وليس تحت أيدينا القطوف الجميلة من شعره الذي قرأناه وطربنا له .

ولكن بين الأضابير التي نحتفظ بها قصيدة يبدو فيها طويل النفس وقد تناول فيها تحية المعرفة في عيد العلم . يقول في أولها :

هتف الداعي فَخَفَّوْا طَرَبًا      يطلبون المجد من فجر الصُّبا  
حسدَ الروض سنّاهم ورنّا      فَلَقَّ الصبح لهم مرتقبًا  
وفيها يقول :

حى يا شعر وبارك خطوهم      حى أبناء البلاد النّجبا  
وأدغ عتبي على قومي فكم      نبّه الغافل حرّ عتبا  
من سوانا علم الغرب ومن      أيقظ الفكر به والأدبا  
حكمة اليونان من أنشرها      ورعاها غيرنّا أو هذبا  
عبرت مع طارق آثارنا      توقظ الغافي وتحى المجدبا

يا شباب النيل يا ذخر غدٍ      جَدَّت الدنيا فخلوا اللعبا  
لا تظنوا سلم المجد المنى      إنما سلمه أن نتعبا ..

وهنا أرانا مضطرين لوضع القلم لنقول للقارئ إن هذه (البائية) ليست من أطايب شعر الفلال. فإن للأستاذ على الفلال شعراً رائعاً رائعاً، وله في الوجدانيات شعر يفهق بهاء الشعر ويسيل رقة وعذوبة، ولكننا لم نستطيع ونحن نكتب هذه الفصول أن نعثر عليه، ولعلنا نقرأه قريباً منشوراً في «ديوان الفلال».

\*\*\*

### الشاعر طاهر أبو فاشا (\*) الإذاعة أكلتني

بين يدي هذا الرجل .. بحار المرء ،، بين الرضا عن الطريق الذي قدر له ،  
والأسف على الطريق الذي ابتعد عنه طوال السنوات الخضراء من عمره .  
فهذا الرجل ولد شاعراً .. وتهايت له منذ الصبا مقومات الإبداع الشعري  
.. وكانت براعمه منه بشارة جليلة بشاعر كبير .

وفي ذلك الوقت كانت الإذاعة فناً أسراً يملأ حياة المجتمع ويبحث عن مبدعين  
يغذونه ويعتمد عليهم في أداء رسالته .. فكان طاهر أبو فاشا في المقدمة من طلائع  
هؤلاء المبدعين .. استطاع أن يكتشف أسرار الكلمة الإذاعية .. ويعتمد منها روائع  
غنية بالفكر واليسر والفن والجمال .. فأسرت الألباب وسكنت القلوب وغذت  
الأرواح .. واشتهرت أكثر من اسم مبدعها .. فما أكثر من يعرفون بالحب  
والأعجاب «ألف ليلة وليلة» و «أعياد الحصاد» و «ملاح النيل» و «رابعة العدوية»  
.. إذا قيسوا بمن يعرفون اسم مبدعها طاهر أبو فاشا .

إن الرجل كان إضافة حقيقية غنية للفن الإذاعي .. ولكن ذلك حرم الشعر  
العربي من ثمار شجرته السخية عشرات السنين . وذلك بمقياس الأدب خسارة تثير  
الأسف .

(\*) أبرز من كان يحضر الصالونات الأدبية والثقافية بدمياط وبورسعيد والزقازيق والقاهرة.



لكن العزاء على أية حال أن الشجرة كانت تسخو بين الحين والآخر بروائع من ثمار الشعر .. وأنها عادت في سن النضج والحكمة تجود بأطيب الثمر .. الأمر الذى تجلى في ديوانه البديع «راهب الليل» .

اسمح لنا ببندة موجزة عن رحلة الطلب والحياة ؟

- ولدت في مدينة دمياط ودمياط مدينة تشتهر بالجو الجميل وبالشعر .. ونشأت في أسرة متوسطة .. وتعلمت في المدارس الأولية ثم التحقت بمعهد دمياط الدينى .. ثم التحقت بكلية دار العلوم بالقاهرة ، حيث تخرجت عام ١٩٤٠ ، وكنت ثانى دفعتى .

ومن الطريف أن الحكومة لم تكن توظف آنذاك من الخريجين سوى الثلاثة الأول ، الذين كانت ترسلهم في بعثات إلى الخارج .. ولكن تخرج دفعتى جاء أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية ، فلم تسافر .. وعينا معلمين في الأماكن النائية .. وكان من حظى مدينة عنينة قرب حدود السودان .

في عنينة نظمت قصيدة أشكو فيها من حرها واصف عقاربها .. ومنها :

وجماهير من عقارب رعين شائلات أذانبها كالبنود  
تلفظ الحى والجهاد كما استلهم أعمى عصاه فوق الصعيد

هذه القصيدة أوجعت إخواننا أهل النوبة والملتهم فذهبوا إلى نائبهم فى البرلمان المرحوم سليمان عجيب وطلبوا نقل طاهر أبو فاشا من بلدهم .. فذهب بدوره إلى العشماوى باشا وزير المعارف آنذاك فنقلنى من عنينة .. وأى بلد أنقل إليه لا بد أن يكون أقرب من عنينة .. وكان من حظى أن نقلت إلى الواحات الخارجة .. فقضيت سنة خضراء جميلة .. لأننا نمكث هناك فترة الشتاء حيث يكون الجو جميلاً جداً .. أما الصيف فهو فصل الإجازة حيث نسافر إلى بلادنا .

ثم نقلت إلى مدرسة دمياط الابتدائية فالمدرسة الثانوية .. ثم صدر قرار إلى مدرسة المعلمين بسوهاج فأردت أن أتفقت من النقل فذهبت إلى دسوقى باشا أباطة وزير الأوقاف آنذاك وكان صديقى عليه رحمة الله ، وكان يسمى «أبا الشعراء» وكان يرأس «جمعية شعراء العروبة» التى كنت عضواً فيها .. فنقلنى

إلى وزارة الأوقاف حيث عملت سكرتيراً برلمانياً لمدة سنة حتى حدث تعديل وزارى انتقل به دسوقي باشا إلى وزارة المواصلات ، وذهب معه إخوانى كلهم ، وبقيت وحدى فى الأوقاف .

كان وزير الأوقاف الجديد هو على بك عبد الرازق .. فجاء معه بلدياته الصعايدة واستولوا على كل المكاتب .. فوجدت نفسى وسطهم تائهاً ضائعاً .. فكتبت إلى دسوقي باشا قصيدة طويلة اشتكى فيها .. ومنها :

«أعندك أننى شاكٍ مثار وإن القوم قد جاروا وجاروا  
ولو أجمرت كنت عرفت ذنبى ولكن الرحى دارت فداروا  
فمالك لا تعيق وأنت يمن ؟ ومالك لا تجير وأنت جار ؟

فلما وصلته القصيدة جاء إلى بيتى .. ونقلنى إلى وزارة المواصلات فعملت فى مصلحة البريد فى الحسابات .. وأخيراً نقلت لأرأس قسم التأليف والنشر فى إدارة الشؤون العامة بوزارة الحرية .. حتى سنة ١٩٦٨ التى أدخلت فيها على المعاش .

✽ من الواضح أن الشعر كان له دوره فى حياتك .. فكيف كانت بداية رحلته معك ؟

- كما ذكرت فإن دمياط مدينة شعر .. وفى فترة نشأتى كان فيها شاعر جهير محفلى هو الأستاذ العزبى .. وقد بلغ من جهارته ومن نفوذ شعره أنه كان يلقي القصيدة .. وفى اليوم التالى نجد الباعة على عربات اليد يرددون بعض أبياتها ، من عباءة هذا الشاعر الكبير خرج جميع شعراء دمياط : محمد الأسمر ، وطاهر الجبلاوى ، وفهيم القللى ، والبدر محمدى .. ما عدا الشاعر محمد كامل الصيرفى لأنه خرج من دمياط صغيراً .

هذا الشاعر الكبير - الأستاذ على العزبى - حبنى فى الشعر ، فقرأته وسمعته وحاولته منذ المرحلة الابتدائية .. حتى إننى أخرجت وأنا فى الصف الأول الثانوى ديواناً أسميته «صورة الشباب» .. وقد كتب مقدمته الدكتور محمد غلاب ، كما كتب لى على الغلاف الشيخ حسن القياتى بيتين من الشعر يقولان :

شباب العلم أولى أن يحيا وأن يختال طاهره عليا  
غيايل طاهر ملئت بياناً كما تعد العناقيد الحميا  
واعترف لك أن الديوان لم يكن يستحق ذلك ، فقد كان مجرد تجربة بدائية  
لشباب حدث .

وواصلت سيرى على الدرب .. وقبل أن أنهى تعليمى الثانوى أخرجت  
ديواناً بعنوان «القيثارة السارية» .. أما فى كلية دار العلوم فقد أخرجت ديوان  
«الأشواك» وكان خيراً من سابقه ، وقد كتب مقدمته شاعر الأقطار العربية  
خليل مطران .

ثم كان انصرافى عن نشر الشعر بسبب انشغالى بالكتابة للإذاعة .. وأخيراً  
صدر ديوانى «راهب الليل» عام ١٩٨٣ ، أى بعد حوالى خمسين عاماً من نشر  
ديوان «الأشواك» .

\* « راهب الليل » هو حصاد عمر طويل من الفن .. فماذا تقصد بهذا  
العنوان ؟

- تحييك كلمات القصيدة التى يحمل الديوان اسمها ، حيث أقول فى مطلعها:  
راهب الليل لا ينام  
عاشق الروح مستهام  
كلما استقبل السهام  
هكذا نحن فى القمم  
إنما الحب كبرياء  
هات يا ليل ما تشاء  
عندما يقبل الصباح  
وارتفعنا على الألم

والجوى عنه لم ينم  
ضمه الليل والألم  
غالط الدمع وابتسم  
نصنع الخلد والقيم  
تصل الأرض بالسماء  
سترانا مع الصباح  
قد كبرنا على الجراح

\* وصلت بنا إلى رحلتك مع الإذاعة .. فحدثنا عنها ؟

- صلتى بالإذاعة بدأت فى الفترة التى بدأت فيها أكتب الشعر الذى يرضينى .. ولكن بكل أسف أكلتنى الإذاعة أكلاً .. فقد انصرفت عن الشعر ورحت أكتب البرامج الغنائية والتمثيلية .

والذى جرنى إلى الإذاعة هو أخونا الأستاذ محمد فتحى - رحمه الله - فقد ظل يلح على لأكتب برنامجاً غنائياً بالزجل .. وأنا أرفض لأن مفاهيمنا فى تلك الفترة كانت تعتبر الزجل فناً زائفاً وهابطاً .. وطل يلح إلى أن كتبت برنامج « أفراح النيل » ولحنه الفنان محمود الشريف .. فأحدث ضجة ودويًا .

✽ الحق أنه يعتبر من روائع التراث الإذاعى ؟

- أنا أحببت فعلاً هذا العمل .. وحفزنى على العمل .. فكتبت « ملامح النيل » للأخ عبد الوهاب يوسف ، رحمه الله .. ثم كتبت سلسلة اسمها « أعياد الحصاد » .. فكنا نصور بالغناء أعياد المحاصيل المختلفة .. من بدء عمل الفلاح فى حرث الأرض ووضع البذور إلى يوم الحصاد حيث ترقص رقصة المحصول .. فكان هناك عيد القطن ، وعيد الأرز ، وعيد القمح ، وعيد البطيخ ، وعيد البرتقال ، وعيد الزهور .

✽ هل تعطينا مثلاً من هذه الأعياد ؟

مثلاً عيد العدس .. تصور .. عملنا للعدس عيداً ! مكثت أكثر من شهر أجهد وافتش عن الصعايدة وأذهب وأقعد معهم لأسمع نغماتهم .. حتى ساقى لى الحظ فرحاً صعيداً وسمعت به المزمار بأنغامه الصعيدية الأصيلة .. وهكذا وجدت ضالتي .. فعدت إلى بيتى وكتبت من فورى :

|                             |                      |
|-----------------------------|----------------------|
| أســناوى يا بــوى           | يا أبـو جـبة وبـس    |
| بـس الـى ما يـخـبرش         | يقـول عـدس           |
| الله ع العـدس               | يا أبـو جـبة وبـس    |
| وفيه أقول عن العدس الأصفر : |                      |
| العـدس لا بـس تـوب          | عـايش عـلـيه يا دـوب |

والجبة لما تدوب لون الذهب ببيان  
ياما يخلق الرحمن

✽ فماذا عن «ألف ليلة وليلة» عطاؤك الأكبر والأشهر؟

- تبدأ القصة حين طبع الأستاذ يرافق كتاب «ألف ليلة وليلة» وأخذى نسخة منه إلى الأستاذ الرحمانى مدير الإذاعة المصرية آنذاك ، الذى أعجب بالكتاب وقال : ألا يمكن استغلاله إذاعياً .. فكلفونى بأن أكتب خمس عشرة حلقة ، وكلف الأستاذ سيد بدير بإخراجها .. ثم كلف به الأستاذ شعبان ، بابا شارو .. فلما أذيعت الحلقات أحدثت دويًا منقطع النظير فسحبوا عقد التكليف منى وكتبنا عقدًا جديدًا بثلاثين حلقة .. ثم استمر العمل حتى بلغ ما كتبته من ألف ليلة وليلة ثمانمائة حلقة .

وبالمناسبة ، كانوا يعطوننى عن كتابة الحلقة خمسة جنيهات وكنت أفرح بها فرحًا شديدًا ، بل كنا نرى أن الإذاعة عندها سفه وتبذير .

أما البرنامج الغنائى الذى يتضمن خمس أو ست أغانى ، فكنت أتلقة عن كتابته ثمانية جنيهات وأنا سعيد جدًا .. ولكى يرفعوا الأجر إلى عشرة جنيهات كانوا يجعلوننى أمثل دورًا فى البرنامج مع الممثلين !

✽ على ذكر البرنامج الغنائى ، دعنا نتوقف قليلاً عند أشعارك وأغانيك الصوفية وبرنامجك العظيم «رابعة العدوية» .

- إنك تذكرنى بأجمل أيامنا .. وعلى كل حال أنا أعطيت رابعة قلبى .. فأنا أحبها وأعرفها من صغرى .. إلى درجة أننى أتصور أننى لو بعثت يوم القيامة ورأيتها لقلت : هذه هى رابعة .. وقد كتبت البرنامج دون تعب على الإطلاق ، فقد كنت أنقل الصور التى فى ذهنى عنها نقلًا .

✽ أستاذ طاهر .. أنت ممن درسوا الشعر الصوفى .. فحدثنا قليلاً عنه وعن مميزاته ؟

- الشعر الصوفى شعر يتميز بمعجمه وتصاويره وأسلوبه وخصائصه الفنية التى أجعلها فى اثنتين :

الأولى أن دواوين عامة الشعراء فيها الهجاء والمدح والوصف والغزل والثناء وبقية الفنون الغنائية السبعة .. أما الشعر الصوفي فدواوين شعرائه لا تجد فيها إلا موضوعاً واحداً هو الوجد والمواجيد الصوفية .. فهو يمتاز بوحدة الموضوع ووحدة الجلو النفسى .

أما الثانية فهى أنك لا تكاد تجد فى تراث الشعر العربى كله من الشعر الرمزى إلا ما هو موجود فى الشعر الصوفى .

※ فما تفسير هذه الرمزية فى الشعر الصوفى ؟

- قيل فى تفسير ذلك أن الشعراء انصوفيين أرادوا أن يصونوا أسرارهم العليا عن العامة فكتبوها رمزاً .. وهناك رأى آخر هو أنهم كانوا يشطحون فى كلماتهم وأشعارهم ، وكان علماء الظاهر يترصدونهم ويكفرونهم ويؤذونهم فاضطروا إلى أن يحفظوا هذا الشطح بالرمز .. والمثال على ذلك حاضر .

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى :

يا من يرانى ولا أراه كـم ذا أراه ولا يرانى  
بطبيعة الحال كبر على العلماء أن يقول هذا .. فتخلص بمتعلقات للأفعال وقال لهم :

يا من يرانى جارماً ولا أراه آخراً  
وكـم أراه مـنـعـماً ولا يرانى لائماً

※ الحق أنك قدمت روائع من أعمال الفن الإذاعى .. فلماذا توقفت ؟

- لقد ظللت أكتب حتى تقدمت بى السن .. ولكن من المؤسف - بعد كل هذا العمل - أننى وجدت أن كل ما يذاع على الهواء يذهب مع الهواء .. لذلك ندمت على الثلاثين سنة التى أنفقها فى الإذاعة .. لقد ضاعت فى الهواء .. وإلا فأين أحمد شكرى ، عم أمشير ، وكان من كتاب الإذاعة اللامعين ، وأين أعماله ؟ وأين يحيى نزار الذى كان يكتب سلسلة جيدة جداً فى علم النفس ، وأين أعماله ؟ وأين أنا ؟ وأين أعمالى ؟

أين «ألف ليلة وليلة» الآن ؟ لو أنها كانت كتباً مطبوعة لبقيت على الزمن .

وهكذا .. قررت الرجوع إلى أصلى .. فتركت الإذاعة واتجهت من جديد إلى الكتاب .

❖ فماذا قدمت كم كتب ؟

- أخرجت رحلتى إلى أمريكا تحت عنوان « وراء تمثال الحرية » وأخرجت كتاباً بعنوان « الذين أدركتهم حرفة الأدب » وقد أثبت بعد التحقيق أنها بضم الحاء .. وأعددت كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » .. وعندى كتاب بعنوان « ألف يوم ويوم » وهو فى الأصل سلسلة إذاعية من ثلاثمائة حلقة قدمت إلى إذاعة الكويت .. هذا إضافة إلى دواوين الشعر ..

\*\*\*

هو شاعر كاتب وأديب ومؤلف وفنان شامل . تميز من غيره من الشعراء والأدباء بأنه رائد فى مجال لم يكن معروفاً فى مصر إلى زمن قريب ، وهو مجال (الأدب الإذاعي) وكانت برامج الإذاعية - وبخاصة برنامج «ألف ليلة وليلة» الذى استمرت إذاعته ٢٦ سنة متواصلة - إضافة مبتكرة فى ميدان الأدب ، جمعت بين المتعة والفائدة .

والشاعر اللامع طاهر أبو فاشا ، ولد بدمياط فى ٢٢/١٢/١٩٠٨ ونشأ بها حتى أتم تعليمه الابتدائى ، فرحل يواصل خطاه فى دروب الدراسة ثم فى دروب العمل ، لكنه مع ذلك لا يزال يزورها عدة مرات فى كل عام حينئذ منه إلى منبته وأيام صباه وشبابه ، وشوقاً إلى الأحباب والأتراب والأصدقاء .

بدأ فى صباه يرشف من مناهل العلم بمدرسة الحزاوى ثم بمعهد دمياط الدينى .. ثم التحق بمعهد الزقازيق ، حتى حصل على الشهادة الثانوية فرحل إلى القاهرة والتحق بدار العلوم ليتخرج فيها سنة ١٩٣٩ بترتيب الثانى على دفعته ، ويعين بمدرسة (عنية) الابتدائية ، ثم ينقل إلى الواحات .. وهكذا حتى عاد إلى القاهرة ليشغل بالفن والصحافة .. وراح يؤلف التمثيليات الفكاهية وغيرها ويختلط ببعض الفرق الفنية التى تدرس من خلال وسطها الفنى الشعبى بخفايا الفن وبطباعه ومشاربه .

فلما زارت إحدى هذه الفرق مدينة الزقازيق ، أقام لها إبراهيم دسوقي أباطة

باشا حفل عداء، ألقى به الشاعر الشاب طاهر أبو فاشا قصيدة استرعت نظر الداعي، فتعرف به ودعاه إلى العودة للتعليم، فعاد مدرساً بمدرسة دمياط الابتدائية الأميرية، ثم رقى مدرساً بمدرسة المعلمين بسوهاج.. وحين أنشئت (جماعة أدباء العروبة) برئاسة دسوقي أباطة بادر أبو فاشا إلى الانضمام إليها، وعينه الوزير سكرتير برلمانيا بوزارة الأوقاف.. فلما نقل (الباشا) وزيراً للمواصلات نقله معه وجعله وكيلاً لمكتب بريد العباسية، ف رئيساً للمراجعة العامة، فوكيلاً لإدارة الحسابات بمصلحة البريد.. وكانت كل هذه وظائف لا علاقة له باختصاصاتها ولا بعلمها، لكن هكذا كان.. إلى أن انتهى به آخر أمراً لوظيفة إلى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة رئيساً لقسم التأليف والنشر بها.. فبقى بها حتى أحيل إلى المعاش.

لكنه كان خلال فترة عمله الوظيفة يشترك في مهرجانات الشعر وهو عضو بجماعة أدباء العروبة، ولما ترك الوظيفة تفرغ للشعر ولشتى الأعمال الأدبية والإذاعية وأمثالها ليضعاف بذلك فيضه الوفير من نتاجه الأدبي والفني..

إنه كتب للإذاعة أكثر من ٢٠٠٠ عمل فني ربما كان أشهرها برنامج (ألف ليلة وليلة) الذي كتب منه ٨٠٠ حلقة أذيعت على امتداد ٢٦ سنة. وكتب أوبريت (رابعة العدوية) الذي لحن أغنية السنباطي والموجي والطويل وغنتها أم كلثوم، وتعد هذه الأغاني من أرق الشعر وأعذبه.. وله مجموعة من التمثيليات والصور الغنائية، منها (ملاح النيل) و (أصل الحكاية) و (الشيخ مجاهد).. ألخ. كما أعد سلسلة (أعياد الحصاد) وهى سلسلة غنائية تمثيلية راقصة كتبها في حلقات لركن الريف بالإذاعة.. وكتب عملاً درامياً غنائياً ضخماً عنوانه (سمير أميس) كان مفروضاً أن تغنيه أم كلثوم.. ثم قدم للإذاعة أيضاً مسلسل (ألف يوم ويوم) في ٦٠٠ حلقة.. وإلى جانب هذا كله فلقد قدم مجموعة من الأغاني والأناشيد في مختلف الموضوعات، ومن ذلك نشيد الجيش ونشيد الطيران وقد غنتها أم كلثوم.

أما في مجال النشر فله دواوين: صوت الشباب في عام ١٩٢٧ وأصدر بعده (القيثارة السرية) ثم ديوان (الأشواك) في عام ٣٨ و (راهب الليل) في عام



١٩٨٣ و (الليالي) في عام ١٩٨٧ وأخيراً (دموع لا تحف) في عام ٨٧ أيضاً .  
 وإلى جانب هذه الدواوين فإن له كتباً ومقالات صحفية تشمل شتى  
 الدراسات الأدبية والصور الاجتماعية والتاريخية .. ونذكر منها كتابه (الذين  
 أدركتهم حرفة الأدب) وكتاب (هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف)  
 وسلسلة عن التصوف الإسلامي ، وله كتاب حقق فيه مقامات بيرم التونسي .  
 وكتاب (وراء تمثال الحرية) وهو من أدب الرحلات . وله (قصة السد العالي) و  
 (الجلاء من الألف للياء) و (قصة ميناء دمياط) .. إلى غير ذلك من الكتب التي  
 يصعب عليه هو نفسه حصرها .. هذا بالإضافة إلى ما ينشره بالصحف العامة  
 والمجلات ، وما يكتبه في صحيفة إقليمية (أخبار دمياط) منذ صدور العدد  
 الأول منها في ١٧ أكتوبر ١٩٤٩ .

وطاهر أبو فاشا شاعر كاتب وفنان شامل .. وقل ما شئت . وهو كذلك  
 قارئ واع ومطلع واسع الاطلاع ، وحافظ مستوعب يستفيد بما يقرأ . ثم هو  
 صاحب ثروة لغوية فائقة يدلك عليها استعماله ألفاظاً واشتقاقات وجموعاً غير  
 مطروقة ولكنها سليمة صحيحة فصيحة وبالغة التأثير والإمتاع ، فإنها في الواقع  
 (تلبس) موضعها وموضوعها في يسر وشفافية فتبدو ثوباً جديداً كاشفاً عما  
 وراءه من حسن . ذلك أنه يحتفل بأسلوبه ويحتشد له حتى أصبح ذلك طبيعة في  
 كتابته .

وشعره يمتاز معظمه بالحفاظ على تقاليد القصيدة العربية من حيث اللغة  
 والإيقاع ، مع الحرص على المعاصرة وإبداع القيم الجمالية والعناصر البلاغية .  
 وأكثره من الشعر الخليلي ذي الشطرين ، وله إلى جانبه محاولات في تطوير نظام  
 القصيدة ووزنها كما نرى في قصيدته (حانة الأقدار) مثلاً وهي قصيدة شائعة  
 ومعروفة .. ثم هو بعد ذلك قد بدأ في السنوات الأخيرة ينمو نحو الشعر  
 الحديث في بعض شعره الجديد .

وشعره يمتاز بحسن البيان والسلاسة والنصاعة ، كذلك يمتاز بالحوية  
 والانطلاق دون أن تقف في وجه انطلاقته قيود من وزن أو صعوبة في قافية ،  
 فكان أبياته فيض من المشاعر زاخر بالحركة تلهث لهاث منعش وأنت تتابعها .

ثم وقد صورنا بعضاً من تدرج خطراته في الحياة ، وأجملنا الكلام عن شعره وأسلوبه .. فلقد آن إذن نعرض نماذج متفرقة من بعض قصائده لعلها أن تكون توضيحاً لبعض ما ذكرنا .

ففى ديوانه (الأشواك) مثلاً ٤٥ قصيدة ومقطوعة فى شتى الأغراض والموضوعات الاجتماعية والسياسية وغيرها مما استلهمه الشاعر من أحداث بلاده فى ذلك الوقت . وفى معظم هذه القصائد تبدو ثورته على الأوضاع العتيقة التى كان يحاربها رغبة منه فى نهوض بلده وإصلاح ما به من عيوب . فحين ثار بعض الناس فى تلك الأيام على نزول الفتاة إلى ميادين العمل واختلاطها بأخيها الشاب ، نظم قصيدته (ثورة على ثورة) وكان مما قاله فيها <sup>(١)</sup>:

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| أنتمو أعضاء جسم واحد         | أفيؤذى الجسم بعض البدن؟   |
| إنما الجنس إن مصر ، فماتركوا | مصر لا تلقوا بها فى الفتن |
| لا تذودوا عن فتاة حقها       | فتسيئون نصف هذا الوطن     |
| ما حياة الطير فى أقفاصه      | كحياة الطير فوق الفنن     |
| كيف تبغون حياة حرة           | لبلاذ نصفها فى كفن؟       |
| لا يكن فى مصر أشواك لها      | حسب مصر شائكات الزمن      |

وحدث فى عام ١٩٣٥ أن أعيد الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر بعد إبعاده عنها عدة سنوات .. وفى أحد الحفول التى أقيمت للترحيب به أنشد شاعرنا قصيدة سخر فى جزء منها بالمراثين الذين يبدون المسرة بعودة الشيخ بعد أن كانوا يحاربونه بالأمس .. فقال <sup>(٢)</sup>:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| اليوم يبدون المسرة ظاهراً  | ويقول قائلهم أعيد حجاها    |
| بالأمس كان خروجه عيداً لهم | يتبادلون (الحلو) فى مغناها |

(١) من قصيدته «ثورة على ثورة» بديوانه (الأشواك) .

(٢) من قصيدته «العرقسوسية» بديوانه (الأشواك) .

ولقد رأيتمو بعينى يشربو      ن العرقسوس ويحمدون الله  
 أيكون في يوم الخروج عدوها      ويكون في يوم الرجوع أخاها؟!  
 وتبدو هذه السخرية كذلك في (اسكتش) ألفه ومثل فيه مع بعض زملائه  
 حين كان طالباً بدار العلوم ، فجعل من نفسه مدرساً في (حصة لغة عربية) يسأل  
 والتلاميذ يجيبون بمزيج من الفصحى والعامية وبأسلوب ساخر باللغة  
 وينحوها وإعراها ومشتقاتها ، وكل هذا بالغناء الذى تلازمه الموسيقى على  
 شكل الأناشيد الهازلة وذلك في حفص بدار العلوم ، واللغة العربية أساس من  
 أسسها ، وعميد الدار المرحوم الشاعر الكبير على الجارم يحضر الحفل يسمع  
 ويشاهد فلا يستطيع أن يتمالك نفسه من الضحك !! .. ولقد رأيت طاهر  
 بشحمه ولحمة يمثل هذه التمثيلية بعد ذلك في أحد الحفول التى أقيمت برأس  
 البر في صيف عام ١٩٣٩ .

وربما كان هذا بداية أعماله التمثيلية والغنائية التى قدمها فيها بعد للإذاعة ..  
 فإنه بعد أن عين مدرساً كان يشترك في حفلات مدرسته بتأليف التمثيليات  
 والأغاني والأناشيد . بل كان يلحنها أيضاً . وأذكر من ذلك تمثيلية رائعة له  
 مثلتها مدرسة دمياط في أوائل الأربعينيات وكان عنوانها (طيفور الساحر) .

ولا عجب في ذلك كله ، فلقد كان طاهر منذ البداية (شقياً غاية الشقاوة) ..  
 في صباه ثم في بداية الشباب خاصة .. وهو يعترف بهذا في قصيدة له أنشأها في  
 صيف سنة ١٩٦٨ وهو في سيارة كانت تنقله إلى دمياط ، حيث هاجت في نفسه  
 ذكريات (شقاوته) القديمة ، فبدأ أبياته بالحنين إلى مسقط رأسه قائلاً<sup>(١)</sup>:

شاقنى في البعاد بعض هوائك      لم يُشقنى على البعاد سوائك  
 يا تراب الأجداد يا أرض أحبا      بى ، سقى الله عهدهم وسقاك  
 يا عروس الزمان ، يا واحة الأشواق      يا سلوة الغريب الشاكي  
 كلما هاجنى الحنين إلى لقيـ      اك أغمضت مقلتى لأراك

وأرى ما دفتته من شبابي      قبل يومى - ودیعة فی ثراك  
حفنة من تراب أرضك يا دمي      ساط يشفى شميمها مضناك  
ثم يذكر بعض أمجاد دمياط وصحبة الأتراب والأصدقاء ، ويصف بعض  
أسرارهم ولهم في ليالى دمياط ، فيقول عن بعض ما كانوا يفعلون :  
وانطلقتا بين الحوارى سكارى      ما شربنا غير القريض عقارا  
نقطع الليل سامرين إلى الفجر      فما تلقى مثلنا سُمارًا  
فإذا نامت الحياة بعثنا      ها حديثًا موقعا أو حوارًا  
وتركنا رصيف «قهوة شاهين»      و سرنا تجاه «غيط النصارى»  
وجعلنا نعابث الخلق لاهين      ونلقى النكات والأشعارا  
لانبالى من ذا أصابت .. صغارا      من أصابت سهامها ، أم كبارا  
إن جروا خلفنا غضابًا جرينا      أو أقمنّا من الكراسى جدارًا  
أين أيامنا هنا حين كنا      نتعاطى الحياة فيها مرارًا؟  
يوك كانت دمياط فرحة لقيًا      وصلاةً وقبلةً ومزارًا  
وحكايات شاعرنا في هذا المجال كثيرة لا يتسع لذكرها هنا المجال .. لكنه  
مع ذلك ، وحتى في تلك الأيام الملاحية العابثة ، كان له شعر فيه حكمة وآراء  
فلسفية ونظرات تزخر بالخبرة والشك اللذين سيطرا عليه وعلى فكره فترة في  
مرحلة الشباب .. يبدو بعض هذا واضحًا في قصيدته الخاسية الطويلة  
(الأشواك) التى يقول في بعضها <sup>(١)</sup> :

آه لو يكشف عن مخبوءه سر الحياة  
إننى ظمآن .. ظمآن على ورد المياه  
إننى حيران .. حيران تردى في أساه

(١) ديوان (الأشواك) وقد أعاد نشرها بديوانه (إهـب الليل) .

ليس يشفينى سكوتى . لا ، ولا تجدى الشكاه  
وطريق الشك دونى .. لست أدري متاه

\*\*\*

ليلة تلك التى أطلعها الغيب ، وراحت  
ونعاهما الديك واستبكى الندى حتى توارت  
أين راحت هذه الليلة ؟ .. بل من أين جاءت ؟  
ما الذى ينقص عمر الكون ولت أو أقامت  
إنها الأيام دارت .. إنها الساعة حانت  
هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله  
جاهداً يسبقه الظل ويغريه بنؤله  
هو منه خطوة لكنها كالكون كله  
هكذا الإنسان فى الدنيا ضليلاً خلف عقله  
كلما ازداد علوماً زاد إيقاناً بجهله

\*\*\*

سبحه فى كف شيخ راهب بالموت يغري  
كلما سبّح مرت حبة فى الغيب تجري  
ما الذى أبقاه من حباتها ، ليتك تدري  
أيها الشيخ رويداً إننى فى الموت غيري  
هذه الحبات فى كف الردى ساعات عمري

وإذا كان لكل شاعر - خاصة فى أيام الشباب - شعره العاطفى .. فإن  
لشاعرنا فى هذا المجال قصائد كثيرة ، لعل من أقدمها أبياتاً أحفظها له يقول

فيها<sup>(١)</sup>:

أعندك أن لى قلباً يذوب؟ وأنى رغم ذلك لا أتوب؟  
وأنى قد دعوت وبع صوتي وأنك لا ترق ولا تجيب  
يُشيب بعض ما ألقى البرايا فهل أغراك أنى لا أشيب؟!  
وفى تصوير جيد وخيال بديع يصور حبيبه فى قصيدته «الملاك النائم»  
فيقول<sup>(٢)</sup>:

يا مرسلًا تحت الكرى عينه ومقرَّبًا لمحبه حينه  
ما كنت أشبع ناظرى من المعبد سود لولا هذه الوسنه  
هى لحظة الإلهام صامتة يا طيب ما تبقى ويا حُسنه!  
حتى الجفون تعانقت وهوى جفن يقبل حالًا جفنه!  
أو هكذا إن غاب حارسها تَغشى، ويقطف زهرها الجنه؟!  
يا حارس الأحلام: غفوتة دع سيفه فى الغمد، دع عينه  
هى فتنة الشعراء نائمة يا صاحبي لا توقظ الفتنة  
وفى أبيات رشيقة حافلة بالمعانى الفريدة والإغراء العذب لحبيبة الجميل ..  
يقول<sup>(٣)</sup>:

أهواك .. هل سواك فى مهجتي تسبيحة فى قلبى العابد؟  
أهواك .. هل سواك فى خاطري يا خطرة المعذب الساهد؟  
أهواك أهواك ولا ذنب لى لا يدلى فى حسنك الناهد  
لم تدر ما ألقاه، يا للهوى متى يحسن النجم بالراصد؟

(١) ديوانه (الأشواك) .

(٢) ديوانه (الليالي) ص ٥٥ .

(٣) ديوانه (الليالي) ص ٤٧ .

هذا الجمال يا حبيبي لنا  
إن العيون لا ترى نفسها  
ولن ترى حسنك إلا صدّي  
هل ينشقُّ الزهر الشذى؟ هل يرى  
الروض ورضّ لصدوح به  
ويقول في قصيدته « في انتظار الفجر »<sup>(١)</sup>:

بقلبي ما بقلبك أو أشدّ  
ولكنى أكابر فيك ضعفي  
تراودنى دواعيه فأغضي  
إذا سكنت إليه العين يوماً  
ولو أنى بكيت لخف ما بي  
تعال إلى خميل الحب نشدو  
تعال فليس بعد الحب شيء  
يد الأيام أقصد من هوانا  
ولكن الظلام إذا تمادى  
وقد يأتى الصباح على هوانا  
ومن طريف ما قاله في ديوانه « الأشواق » تصويره ما يعانيه من (سيجارتته)  
التي يصاحبها على الرغم مما يجد من عذابها<sup>(٢)</sup>:

معلقة كأن النار فيها ديب اليأس يصرخ في إهابي

(١) ديوانه (راهب الليل) ص ٤٧ .

(٢) ديوانه (الأشواق) .

وأحسب أنني أشعلت فيها  
تخدر من همومك وهى وهم  
كأنى حين أنفثها دخاناً  
أحيل قليل أيامى بخوراً  
بقايا مهجتي دون الثقاب  
وتوردك المعاطب كالرغاب  
وأغرق في سحابتها سحابي  
وأعقده على هذا الضباب

\*\*\*

مصاحبتي وأنت حطام نفسي  
إذا أرفض الندى وبست وحدي  
هربت لها على علمى بأنى  
أفر من العذاب إلى العذاب!  
إن شعر طاهر أبو فاشا في الحب والغزل كثير . ولقد قلت من قبل إنه قاله في  
صباه وفي شبابه . لكنى أعود فأتصور أنه قال بعضه في فترة الكبر كذلك .. فإنه  
في ديوانه «الليالي» يقول :

... وسنرى في بعض قصائد هذا الديوان أننا أمام شاعر شيخ وأدركته  
الكبرة بعد أن تقدمت به السن . ولكنه ما زال يحمل قلباً شاباً ينبض بالحب  
والحياة<sup>(١)</sup> :

جف عودى غير أنى  
لم يزل قلبى أخضر  
في خريف العمر يصبو  
والهوى شيء مقدر  
ثم يضيف :

والليالى بعد هذا  
اسألونى أنا عنها  
أنا منها وهى منى  
واسألوها هى عنى  
بعد أن جاوزت سبعين  
وما زلت أغني

لذلك أقول إنه شاعر يجيد غاية الإجابة ، خاصة عندما يتذكر .. أى عندما

(١) ديوانه (الليالي) .



يعيش مع الذكريات.. وما أكثر ما تجد هذا في شعره ، لا في الغزل وحده ، ولكنه في شتى الأغراض الأخرى.

اقرأ له وهو يتحدث في قصيدته « رجعة إلى موسى » حيث كانت له على شطآن هذا النهر الذى يمر بالزقازيق ذكريات شائعة أيام كان (يتعاطى) المعرفة في معهد الزقازيق . وقد ألقاها بمهرجان جماعة الأدب الحديث بالزقازيق في يوم ٢٧ / ٢ / ١٩٤٧ .. فكان مما قاله <sup>(١)</sup>:

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| وصل الركب يا نديم فهاتِ      | هذه رملتى وتلك رباتي     |
| الرياض اللقاء والرفرف الخضر  | ومغنى الصبا وملهى اللذات |
| ومغاني عماتك النخل فرعاء     | صموتاً كعهدها قائلات     |
| ومويس السكران راية الحب      | وساقى لحونه الشمالات     |
| معبد الراهب الخليع بساط      | لندامي وموعده للغواة     |
| العجوز الزنديق خمارة الشعر   | وعُزّى ندمانها واللات    |
| خَطُر الفن حوله فبحثا يستغفر | الحسن والعيون اللواتي    |
| وعلى صدره بغم حنين           | وعلى شطه عُرام سقاة      |
| أنا أيضاً من السقاة ولى في   | ذلك الشط قصتى ورواتي     |
| يا سقى الله بالزقازيق أيا    | م صباى النواضر العطرات   |
| من ترى أيقظ الخواطر حولي     | وأثار المطوى من صفحتي؟   |
| وأعاد الأيام والمعهد السامق  | مسروج بالنجوم الهداة     |
| الفحول الأعلام أمثلة الزهد   | وشيخانه العدول الثقاة    |
| ورفيق كأنه هامش الشر         | ح إذا صات يمضغ القافات   |

(١) ديوانه «راهب الليل» ص ٣٥ .

حنبل كانه الجميل الأو  
السراج العليل يشهق في محمر  
ونضيج مفلفل لاذع الطعمة  
يتصبى المجاورين فتنصص  
أترك المتن، واطو حاشية السعد  
أنا من مازن ومازن مني  
وهي قصيدة طويلة لا تدرك روعتها وحلاوتها وخفة روجها إلا إذا قرأتها  
كلها .. فإذا قرأتها فلسوف تستعيدها مرات ...

وفي مجال احتفاله بالذكريات، اقرأ له أبياتاً من قصيدة ألقاها في  
١٠ / ١٩٧٦ وذلك في الاحتفال بعيد المعلم<sup>(١)</sup>:

خذوني أغنيهم وأنثر عندهم  
ويذكر أيام الشباب الذي مضى  
ويذكر أحلاماً قطعنا طريقها  
ونشرها رتقا ونرضى بشرها  
وما زال عندي ذكريات غزيرة  
كراريس يغنى الليل تصحيح بعضها  
وما زال في سمعي صدى جرس لهم  
إذا ما دعا للدرس باكر فتية  
فإن لمحوني داخلاً صاح صائح  
وأشهد أني قد تعلمت منهمو

خواطر منسى يحن إليهمو  
فيأسأ على أيامه ويرحم  
على الشوك لا نشكو ولا نتبرم  
وتحلوا لنا أيامنا وهى علقم  
غزارة من عانوا ولم يتألمو  
ودفتر تحضير يبين ويعجم  
يدق فيدي، أو بدق فيختم  
كأفراخ طير حول ورد تحوم  
قياماً، فقاموا . واستقاموا وعظموا  
لقد كنت أيضاً منهمو أتعلم

(١) ديوانه «راهب الليل» وجريدة «أخبار دمياط» في ١٨ / ١٠ / ١٩٧٦ .

تعلمت معنى أن يعيش لغيره      دؤوبٌ ليغنى غيره وهو معدم  
تعلمت معنى أن نسير بمشعل      يشق غبار الليل والدرب مُعتم  
وأدركت أن المرء حيث نصابه      من العمل الباقي أتم وأحكم  
وإن كان من بينى العنائر معظماً      فإن الذى بينى النفوس لأعظم  
وما زالت الدنيا بخير إذا وفى      بنوها لمن ذادوا ورادوا وقوموا  
سلام على يوم المعلم ، إنه      وثيقة حب .. والسلام عليكمو

وطاهر أبو فاشا شاعر مجدد .. إنه كما رأيت لا يكتفى بما يقوله الشعراء عادة  
فى شتى المناسبات والاحتفالات . بل هو يطرق الموضوع من جانب شائق جديد  
فى فكرته وفى معاناة فيطرب سامعيه أى طرب .. واقرأ معى هذه الأبيات التى  
أقتطفها من قصيدة له أنشدها فى ٢٥ / ١١ / ١٩٤٦ فى حفل استقبال هلال العام  
الهجرى<sup>(١)</sup> فى إحدى الندوات بمسقط رأسه دمياط التى يعشقها:

عاد بعد النوى وألقى الرحالا      صامت قام يخطب الأجيالا  
وشهيد على الزمان قديم      كالزمان القديم يأبى زوالا  
خَطَّه الغيب فى السموات سطرًا      وَهَمَّ النَّاسُ إِذْ دَعَوْهُ هَلالًا  
هو همس فى خاطر الكون مشبو      ب يفص التاريخ والأبطال  
خنجر فى يد المحرم مسلو      ل على عالم يضج خبالا  
قد طواه الطعان فى لجب الد      هر وعنف الطعان يلوى النصالا

\*\*\*

هيه يا أول الطريق من العا      م يمينًا فتهتدى أم شمالًا؟  
أى شيء صُورته حين صور      ت من النور جَابَةً وسؤالًا؟

(١) ديوانه «راهب الليل» .

أترانا على الطريق أم أنبتـ  
سُ بنا السُّبُل وانتحرنا جدالاً؟  
وقنعنا من المعارك بالوصـ  
ف وخضنا غمارها أقوالاً  
ونصبتنا لك ساع شراكاً  
وملأنا طريقه أو حالاً  
وأقرأ له هذا الإبداع في مرثية لصديقة الشاعر محمود حسن إسماعيل  
بمناسبة ذكره الرابعة<sup>(١)</sup>:

غاب عن روضه وطال الغيابُ  
غاب عن الكأس يا جديد المعاني  
شأن من عاقروا أغاريد محمو  
وتساقوا على هواه أهـاز  
ذاك محمود، في أبوابه الشـما  
شاعر الحليبة المحلق كالنسر  
فنسـيم معطر، وهـجير  
وضبابية تشف عن المعـ  
وأفانين من رُوى لا تراها العـ  
وحنين لعالم ليس يـدو  
ريشة من جناح جبريل في كـ  
يحد الفن في ثراها وتنـدي  
ذاك محمود، ما لمحمود أنـدا  
جمعتهم في حانة الشعر أقـدا  
ولعلك تلحظ في هذه النماذج التي قدمتها لك من قصائده بعض ما ذكرناه

(١) ديوانه «راهب الليل» ص ٤٥ .

من صفات شعره، خاصة ما كان ينظمه على نسق الشعر الخليلي، من تدفق وجيشان كالموج المتتابع المتلاحق، والأبيات التي يأخذ بعضها بتلايب الأبيات .. مما يضيف على شعره الحركة النابضة والحيوية البالغة والتأثير الفياض في نفس المستمع والقارئ على السواء ..

وعلى أى حال فإن له طريقته في الشعر بما يناسب الموضوع الذي يطرقه . وهو الذي يقول عن (الشعر) في ثنايا رثائه للشاعر على محمود طه<sup>(١)</sup>:

|                                  |                              |
|----------------------------------|------------------------------|
| هو الشعر ، ما غنى ربيع ، وما بكى | خريف ، وما أخضلت عيون        |
| تراتيل أنسام ، وتسبيح جداول      | وأنة موجوع ، ومصباح حائر     |
| تغنّت به الآباد من قبل عزفه      | كلاماً ، فجاب الدهر أول عابر |
| وأرهمص للأوتار حتى إذا شدا       | تجاوب فرح الكون في برّح ساهر |
| ودقت نواقيس الحياة ، وأطلقت      | رهايئها في الجوروح المباخر   |
| ونادى مناد في السموات : أوقدوا   | كواكبها ، فالיום ميلاد شاعر  |

وبعد .. فلقد كان آخر دواوين الشاعر «دموع لا تحف» الذي سجل به ما قاله حتى اليوم في زوجته التي لقيت رها في ١٩٧٩ / ٩ / ٢٩ . ومنه ما قاله في أول عيد أتى عليه بعد فقدها .. وفيه هذه الأبيات<sup>(٢)</sup>:

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| أتى العيد «نازلي» ولم نلتق | وغامت سمائي فلم تشرقي    |
| أتى العيد يطرق بابي فما    | أجاب سوى دمعى المهرق     |
| أعيد وأنت بعيد هناك        | تقيمين تحت الثرى المطبق؟ |
| لقد كنت ظلاً أفى إليه      | وأهرب من يومى المرهق     |
| وقد كنت قلباً كبير المنى   | لغير المحبة لم يخلق      |

(١) ديوانه «راهب الليل» .

(٢) «دموع لا تحف» ص ٢٥ .

وكنـت قصيـداً جديـد الرؤى      شـجياً ، معانيـة لم تُطرق  
مضى كل هذا ولم يبق لي      سوى ذكريات الأسى الموبق  
فيالهـف نفسى ماذا مضى      ويالهـف نفسى ماذا بقى

\*\*\*

## (شاعر الفلاحين)

عبد القادر السالوس

(١٩٨٢ - ١٩١٥)

(شاعر الفلاحين) عبد القادر أحمد سالوس ، ولد بقرية كفر البطيخ في ٢١ فبراير عام ١٩١٥ .

تلقى تعليمه الأولى بكتاب القرية على يد «الشيخ محمود أبو إسماعيل» فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وعمل بالزراعة في أرض والده مع أخوته .

في سن الخامسة عشرة أصيب بجرح حول ركبته اليسرى ألزمته الفراش عامين كاملين، وفي هذا الرقاد الطويل كان يتأمل الحياة حوله بعقل صاف وفكر شاب وعقل منفتح للحياة ، يدرس الأوضاع المحيطة به في قريته التي يعمل كل أهلها بالزراعة فأحس بأحاسيسهم وهم يقومون في صبحهم المبكر إلى حقولهم مع برد الشتاء القارس وحر الصيف اللافح لتنتج لهم الأرض ما يسدون به رمق الحياة ويستخرجون حبة قمح من أرض رملية قاحلة .

في الشرد والبرد بيداحل لياكل عيش      عايش عشان يشتغل وبishtغل ليعيش  
وزاده عيش الدره وسريس وجبنة      أعطوا له فرصة يخللى لكوا الجبل  
كان الصبى قعيد فراشه يتأمل كل ما حوله ويحاول أن يعبر بالكلمة عن كل هذا .. فكتب .. وكان زجلاً .. رده بين زملائه من الشباب وبين أهل قريته ولم يحتفظ بما رده إلا بعد عام ١٩٥٢ فسجل أزجاله في مجموعة (كراسات) تحوى كل إنتاجه .

عاش «السالوس» بين أهل قريته فتبنى مشاكل الفلاحين وقضاياهم وكم

كتب للمسئولين مطالبًا بإنصاف مظلوم ورد حق مغبون وكان همه الأكبر هو الأرض وزارعها ، والرى والبذور والسماد والتسويق .

هكذا كان الرجل متحدًا باسم أهله من الفلاحين بقريته والقرى المجاورة يحمل حقيقته الصغيرة وبها أوراق ومستندات خاصة بهم متنقلًا بين قريته وبين المركز ، وكم تكون سعادته وهو يحل مشكلة ترسم البسمة على الوجوه أو يكون سببًا في إحياء أرض من البوار ، ومن أشعاره في الندوات أو الصالونات الأدبية في دمياط:

أنام الليل وأتمنى      يحينى الصبح يلقياني  
عشان الفجر اتهمنى      تدوبم الشمس أحزاني

\*\*\*

وساعة م النهار يطلع      أقوم أجرى على عيشي  
في غيطى كل يوم أزرع      ويكره يفيدنى تحويشي

\*\*\*

وأرضى وعرضى وأولادي      أمالى وكل أحزاني  
وترخص روحى لبلادي      وأشيل الأهمال على كتافي

\*\*\*

كان الرجل فلاحًا أصيلاً ارتبط بالأرض وأهله ، ولم يترك قريته إلا حين أحس أن مراحل التعليم أمام أولاده قد نفذت في قريته فانتقل ليسكن مدينة دمياط ولم يتعد عن قريته بل كان مستمرًا في الاتصال كل يوم يحل مشاكل أهلها بسعيه لدى المسؤولين الذين فتحوا له قلوبهم ومكاتبتهم بحب وإخلاص .

وفي عام ١٩٦٠ أنضم كواحد من أعضاء (جمعية الرواد الأدبية) بلون كتابته الجديد وأزجاله المميزه التى تعبر عن قطاع كبير من أبناء مصر .

الخير ورزق ورزقك من حدا الفلاح      المنجه والشهد واللبن والحليب  
بطل فى أرضه بيخدمها مسا وصباح      عمره ما خد أجازة حتى يوم العيد

يبقى سعيد لما يتعب والضمير مرتاح

تملى مخلص وعمرك ما حداك إهمال تحش برسيم تلم الرز رزق حلال

تجنى قطنك وتقليع الخطب فى الحال وتضم رزك وبعد ما تدرسه تعبیه

وكل وقتك عمل أصلك من الأبطال

وعمل بدمياط ملاحظاً للعمال الزراعيين باستاد دمياط الرياضى من عام ١٩٦٣ حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٨٠ ، فتفرغ تفرغاً تاماً لحل ما يقابل أهل قريته من عقبات ومشاكل ، وكان يعتبر ذلك رسالة لابد أن يؤديها ..

البذل والتضحية لازمين بمجهودك

سيطر على الوقت قبل الوقت ما يسودك

وحتى وقت الفراغ لو تشغله يفيدك

وبالعلم راح تلاقى ف كل يوم عيدك

\*\*\*

ويقول :

سهرت أترجم متاعب الفلاحين كأديب

دقت المرار زيمهم خمسين سنه ف تعذيب

فلحت خمسين سنه ، فلاحنا يومى يجيب

م البلهارسيا عانيت ، ما فادنى ألف طيب

\*\*\*

وعاش (السالوس) فى مدينة دمياط فأحبها ... فيقول فيها :

أنا سعيد بالعروبة ومصرى دمياطي

عروبتى تاج فوق دماغى وعمرى ما أطاطي

وطنى وشاحى بأحبه بقلبى وبذاتي



دمياط وسامى وياأما أنجبت فلتات  
خيرها يفيد الوطن بعد اكتفاء ذاتي  
دمياط عرين الأسد والمجد في دمياط  
أبطال كثير أنجبتهم حطموا الأزمات  
أبطال في كل العصور خدموا الوطن بالذات  
مجندين للوطن دايماً في كل مجال  
ما شفت دمياطى يوم يفوت ولا ينفات

\*\*\*

وقد شارك (السالوس) في كثير من الأنشطة الفنية والثقافية بدمياط ونشر إنتاجه في أغلب الصحف المصرية وسجلت له بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية وحصل على الكثير من شهادات التقدير والجوائز المالية تقديراً له لمساهمته بالزجل في التوعية للخدمات المختلفة .

نشر له ديوان «فلاح وأقول الزجل» عام ١٩٦٨ ، كما نشر له ديوان «صحبة زهور» عام ١٩٧١ بالاشتراك مع الشاعرين أحمد سليمان حجاب وزكى عمر في سلسلة (اخترنا للفلاح).

وفي يوم الاثنين ٢٥ أكتوبر ١٩٨٢ توفي عبد القادر السالوس (شاعر الفلاحين) بمدينة دمياط ودفن بقرية كفر البطيخ .

أديت رسالتى ورضيت ربي وضميرى ارتاح  
والخط باقى .. وروحي حاتحصل الأرواح  
فرض على الزجل ما ابقاش في يوم مرتاح  
لأن عندي أمانه وحق كل الناس  
وحا أموت وأسبب الزجل للناس مسأ وصباح

\*\*\*

لو افكرتوا اطلبوا الى الرحمة الرحمن  
وقولوا عاش للزجل بتفانى للأوطان  
وعاش مصارع لفقر وبؤس والحرمان  
وعاش تمللى سعيد راضى بقضاء الله  
فلسفته كل البشر تبقى في خير وأمان

\*\*\*

### عبد العليم عيسى

من مواد كفر المياسرة عام ١٩٢٠ بمحافضة دمياط في أسرة تشتهر بالعلم والأدب وسلك طريقة في التعلم فتخصص في علوم اللغة العربية وتخرج في كلية اللغة العربية عام ٤٣ ومعهد التربية عام ٤٥ واشتغل بالتدريس فعرف تلاميذه الكثيرون كيف يتذوقون جمال اللغة العربية وأحيل إلى المعاش وهو موجه عام في اللغة العربية وتلك الفترة كانت حافلة باندواته الأدبية التي كان يحضرها كبار الشعراء والأدباء .

وقد بدأ ينظم الشعر في سن مبكرة ، وكان ينشر شعره وهو دون العشرين في مجلة السياسة الأسبوعية وكان يرأس تحريرها الأستاذ حافظ محمود بعد الدكتور هيكال ثم جعل ينشر أشعاره في مجلة الرسالة التي كان يصدرها أمير البيان احمد حسن الزيات . إلى أن ظهرت مجلة الثقافة التي كانت تصدرها هيئة التأليف والترجمة والنشر برئاسة شيخنا الأستاذ أحمد أمين فأخذ ينشر فيها أشعاره بجانب نشرها في مجلة الرسالة . وقد كان لهاتين المجلتين بالذات أثر كبير في شد أوتار قيثارته التي مازالت تشجينا بأنغامها .

\*\*\*

وعبد العليم عيسى شاعر محلق من شعرائنا الكبار الذين لم ينالوا حظهم من الشهرة لشبه انطوائية نراها في رهافة إحساسه بكبرياء الشاعر . وترفعه عن استجداء كلمات التمدح والتنويه بأشعاره الجميلة . وتعالیه عن هذه الأساليب

الرخيصة . ومن المؤسف في جونا الأدبي أن النباهة والخمول تخضع لدوى تلك الطبول الجوفاء .

وقد أخرج ديوانه الأول «ألحان ملتبهة» وهو في مطالع طريقة ، وقد سار على الطريق حتى أصبح ما هو الآن . فقد استمر عطاؤه الخصب وظل الطائر الغرد يرسل ألحانه الطروب إلى اليوم .

وشخصية «عبد العليم عيسى» كما نفهمها تحتاج إلى وقفة للتأمل . فهو رومانسى يحمل كل خصائص الرومانسيين الشجية المطربة الحزينة . وهو مع ذلك واقعى يميل إلى التنوير العلمى المادى . فأعجب لشاعر تترنح ميوله بين المادية والروحية .

وقد انعكس الجميع بين هذين المتناقضين على شعره . فهو يصوّر تجاربه الخاصة في الحياة وهى تجارب تفور بالحُب والشجن . والقلق والحيرة .. كما يعبر في شعره عن تعاطفه مع المسحوقين الذين يكابدون الظلم وقسوة الحياة ويشوفون إلى الحرية ، ويكدحون من أجل غِذٍ أفضل . ومن هنا عددناه من الشعراء الذين تمتزج فيهم الرومانسية بالواقعية .

يقول في قصيدته «لسواى أنت» وعنوانها توجعٌ كما ترى . يقول في أولها :  
 وكتمتُ عنك لواعجى ومواجعي      وحملت وحدى صامتاً أتراحي  
 بينى وبينك حائل لو جزته      لتساقطت نفسى وضاق براحى  
 ولضاع إيمانى بما أحياه      وَلَسِرْتُ في دَرْبى بلا مصباح  
 ولعشتُ في الوهد الذليل يُمَجِّننى      زمنى . وتردينى دماء جراحى  
 أنا لن أبوح إليك مهما هدّنى      حبى . ومهما انْهَاصَن منه جناحى  
 سأظل أكتمه وأطوى سره      ولسوف تحمله معى ألواحى

والقصيدة طويلة لا نستطيع أن نأتى عليها في هذه الوجازات . وهى كما ترى تضرب على هذه الأوتار الشجية وَتَفْعُمُنَا بهذه الأشجان المنغمة .

وقرأنا له في صحيفة الأهرام قصيدة جعل عنوانها (الجوع) وأهداها إلى

الأطفال الذين يموتون من الجوع في إفريقيا .. يقول :

وَحُشٌّ خرافي سطا على الصغار

في ظلمة مخيفة ممتدة بلا نهار

أنشب فيهم ظفره ونابه

وهم مُطَّرَحون راسفون في الأسار

سدت عليهم الدروب واعتَصَى عليهم الفرار

أهّا على الصغار .

القابعين في مقابض الدمار

عيونهم تقول لي

وفي مقاهها عتاب

أُتسَحِّلُ لذة الطعام

ولا تحسّ لدعة الملام .

وتمضي معه في هذا الغضب الذي يحتمه بقوله :

العار كلّ العار للذين يعزفون كل يوم

معزوفة القيم

ويزعقون كل حين في محافل الأمم

ويسكبون حسرة دموعهم

على الحقوق والذّم .

العام كل العار للبشر

ما دام فيهم جائعون ..

يسقطون يغتة بلا أثر .

ولعلك قد لاحظت أنه يعطى نفسه حرية في تجديد شكل هذه القصيدة (الجوع) ولكنه لا يشطح كما يفعل بعض إخواننا الذين يطالعوننا بما يسمونه الشعر الحديث .

وأخيراً . فأنت إذا قرأت شعر عبد العليم عيسى تلمس فيه حرارة الانفعال . . وصدق الشعور ، وانسيابية النغم . ودقة التركيب اللغوى .

وشاعرنا يغرد على مدى أربعين عامًا . وليس له غير ديوانين صغيرين . هما ديوان (ألحان ملتبهية) وديوان (ولهذا أنا أحياء) وما زال إنتاجه الوافر من أشعاره الكثير غير مطبوع . ويقول إنه يتهيأ لإصدار شعره الموفور تبعاً في دواوين متلاحقة .. وأفلح إن صدق .

\*\*\*

## الشاعر السيد مسعد الأطروش

١٩٦٧ / ١٠ / ٢٦ - ١٩٢٦ / ٧ / ١٥

هو شاعر الجمال والخيال الذى عاش قليلا ولكنه انتج في عمره القصير القصائد الطوال يسجل فيها خواطره ويصف ما يراه من جمال في النفوس وفي الطبيعة التى نشأ بين أحضانها في بلده دمياط .

ولد السيد الأطروش بدمياط في ١٥ يوليو عام ١٩٢٦ - فلما بدأ عامه الثامن أرسله والده إلى كتاب الشيخ محمد الفار ، حيث حفظ القرآن كله في عام واحد - كما قيل لى - ثم دفعت به الأسرة إلى معهد دمياط الدينى حتى حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية ، فسافر إلى الزقازيق ليوصل دراسته في معهدها الثانوى الأزهرى . ثم حصل على عالمية الأزهر عام ١٩٥٠ بترتيب التاسع على مستوى المعاهد كلها ، والتحق بكلية اللغة العربية ليتخرج فيها ويعمل مدرسا في مدارس دمياط الثانوية وغيرها لينتهى به المطاف إلى مدرسة دمياط التجارية الثانوية بدمياط .. وفي ثنایا هذه السنوات يعار إلى الصومال في عام ١٩٥٩ ليبقى بها أربع سنوات بين أخوة وزملاء كرام ، يشاط هم الأنشطة العامة والخاصة هناك ، حتى يعود إلى وطنه في نهاية الإعارة ليوصل الدراسة في مدارس بلده من

جديد ، وليشبع هوايته الأدبية في أنديتها الثقافية وغيرها .

وليتزوج وينجب طفلا ، ولكن القدر لا يمهل له لينعم بوليدته ويريه ، فقد مات بعد مولده بحوالى سنة واحدة ، وذلك في ٢٦ أكتوبر من عام ١٩٦٧ بعد أن تجاوز عامة الحادى والأربعين بثلاثة أشهر وأحد عشر يوما .

كان السيد الأطروش زهرة يانعة في روض الأدب والشعر ، وزهرة يانعة كذلك في ساحة مجتمعة ... فلقد كان يعتنى بزيه وبأناقته غاية العناية ، لا تراه قادما عليك حتى يسبقه أريج العطور التى يتعطر بها . كان وجهه يميل إلى البياض المشوب بحمرة خفيفة ، وشعره حالك السواد ناعما ومصفوفا فوق رأسه بعناية . وكان حلو اللسان عذب المنطق يألف الناس ويألفونه ، مما جذب إليه الأصدقاء في كل مكان .. ولقد عرفت شتى المحافل والمنتديات كان يباشر فيها نشاطه الأدبى ويعرض أشعاره التى كان يلقيها بطريقة تستهوى السامعين .

وكان الأطروش يحرص على الاستفادة من آراء كبار الأدباء من أمثال الدكتورة بنت الشاطىء والشاعر محمد الأسمر وغيرهما .. وكان يهوى الطبيعة ويستلهمها ويعبر عنها وعن جمالها في كثير من شعره ، ويخلق أحيانا في سماء الخيال وهو يصف بعض ما يراه في الكون وفي الكائنات ..

يحدثنا هو عن أيام طفولته قبل أن يرتاد معاهد العلم ، فيقول من قصيدة طويلة يحن فيها إلى بلده وهو في الصومال ، ويذكره بهاضى حياته وصباه فيه <sup>(١)</sup> :

|                     |                     |
|---------------------|---------------------|
| أذكر في الصبا ولدا  | غريرا ثائرا جسيدي ؟ |
| يعربس في دروب الحصى | .. فعل الطائش المرد |
| ويقفز مثل عصفور     | خفيف ناشط غرد       |
| ويركب خلف (حنطور)   | ويدفع (طوقه) بيد    |
| ويملا جيبه (باليلي) | ألوانا بلا عدد      |
| ويجري في الشتاء ولا | يخاف تساقط البرد    |

(١) المرجع ص ١٦٣ ، من ديوانه «الشاطىء المسحور» الذى صدر في أغسطس ١٩٦٦ .

يظل يدور بالخذرو  
يطارد قطرة سنحت  
وجللب عنزة ضلت  
ويؤنلى شصه فى الما  
ويصعد للطبور العـ  
فإن جاء المساء مضى  
وملء فؤاده مـرح  
ف.. فى لهو وفى جلد  
مع الصبيان والولد  
ويمشى مشية العمـد  
ء يرقب غمزة الزرد  
ش فى صمت ، بلا عمـد  
إلى أهليه فى جهـد  
وأحلام ليوم غد

ويستطرد الشاعر فيصف الأطوال التالية من تاريخه المدرسى فى دمياط وفى غيرها ، حتى يعود بالشهادة المأمولة .. فيقول :

أتذكره وقد مر الصبـ  
وودع عهد المنصـو  
يروح البصبح للكتـاب  
يهرول تحت جلباب  
وما مرت شهـور الحفـ  
تتوجه عمامته  
يسير به المعهـد  
وكم لقيت عمامته  
أتذكره وقد ركب القطـ  
يغلب دمعـة للبين  
ويكتم حرقـة شـبـت  
وقالت أمه توصيـ  
«بنى اعمل وكن رجلا  
ولا تـركن إلى الأشرا  
ـا فى غفوة ودـد  
رفى شوقى وفى حسـد  
يسعى سعى مجتهـد  
ويحمل (كيسة) بيد  
فظ حتى كان فى البلد  
وفى أثوابه الجـدد  
رزينا سير مرتشد  
من التكيـت عن نكد  
ـار ، وراح فى كمـد  
خانقة على جـلد  
بقلب خائف وجـد  
ـه إذ يسعى إلى الرشد  
ولا تتوان واجتهـد  
رأوتنقم على أحد

فلإن المرء بالأخلا  
وقد راعى وصاياها  
ليطلب في ذرة العلم  
ومال زال الغريب على  
إلى أن عاد مبتهجاً  
بيمنه شهادته  
جنى منها القليل ، وما  
ق ، لا بالمال والجسد  
وسار بها إلى بلد  
تواقها إلى صُعد  
فراق كادح جهد  
كطير آيب غرد  
وآمال بلا عدد  
أحسب القلب لم يجد

هكذا تحدث عن نفسه شعرا ، في طفولته وصباه ، وتناول ذكريات من حياته الدراسية .

وأسهب في ذلك إسهاباً أتعب معه قافيته .. لكن هكذا كان منهجه ، خاصة عندما يتناول وصف ما يحس أو ما يرى في بيئته الجميلة وغيرها .. إنه يقف أمام الطبيعة في كل منظر يراه موقف شاعر يبهره الجمال ويشحذ فكره ويخلق بخياله ، فيصوره بعد ذلك بقلمه تصوير فنان يبدع بفرشته صورة شاملة وإن حشدتها من خصب خياله بشتى «الرتوش» .

يتف ذات يوم على شاطئ بحيرة المنزلة فتروعه مساحتها الواسعة ومناظرها الساحرة ، ويسترعى نظره على مائها الطيور تلهو ، تسبح تارة ، وتقف تارة ، فيشحذ ذلك خياله ، ويصف بعض ما يرى بقوله <sup>(١)</sup> :

والوز يسبح فوق الماء متئدا  
إن راح تحسب أسطولا قد انتطلقت  
أو جاء تلقه مختالا قد ارتفعت  
مازلت أرقبه حيناً ، وأرمقه  
وأرسل الطرق في دنيا منمقة  
كالغيد يمشين في شيء من الخفر  
منه البوارج خلف القائد الظفير  
هاماته في اعتداد بارع حذر  
بالحب حيناً ، وألقى الماء بالحجر  
بالسحر والعطر والألوان والثمر



حتى انتشيت وصاح القلب من طرب هل في ديار الخلد مثل الشاطئ العطر؟

وفي قصيدة له بعنوان (ربيع بلادي) يصف الشاعر كثيرا من نواحي جمال هذا الربيع في مصر .. ولكنني أكتفى بأبيات قالها في جمال الريف المجاور لبلدته .. حيث يقول<sup>(١)</sup> :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| على جانب الدرب خلف البيوت | تغنى السواقي على الجدول  |
| تُعَبِّ المِياه بأفواهها  | وتشرب من عذبه السلسل     |
| وتمشي الحسان على شبطها    | وهن يغنّين في محفل       |
| تزَيْن هاماتهن الجرار     | كتيجان رمسينا الأول      |
| ويغمرنها في مياه الغدير   | فتضحك للحسن والجدول      |
| ويرجعن في فرحة وابتهاج    | بجراتهن إلى المنزل       |
| يرددن أنغامهن العذاب      | بصوت شجي ولحن طلي        |
| لأن الربيع أعاد الحياة    | إلى البيت والحقل والجدول |

وإنك لتقرأ هذه القطوعة فلا تكاد تحس - لعذوبتها ورقة ألفاظها - أنه استعمل كلمة (الجدول) ثلاث مرات في أبيات قليلة متتالية ، وهذا ما تحاشاه الشعراء عادة في قصائدهم باعتباره من عيوب الشعر .

وهو في مقطع آخر من القصيدة نفسها يصف مداخن (الدواوير) والمصانع التي كانت في بلده ، والتي ينفث دخانها عاليا وتصدر أصواتها حيناً بعد حين .. فيقول :

|                           |                     |
|---------------------------|---------------------|
| على جانب الدرب فوق السطوح | تمد الدماخن أعناقها |
| تردد أنفاسها للسماء       | وتشرح للسحب أشواقها |
| وتصبغ بالكحل جفن النجوم   | وتنفخ بالمسك آفاقها |
| مصانعنا انتشرت في الربوع  | فهبّت تمجد عملاقها  |

وجدت سواعدنا بالنشاط  
إذا كثرت منتجات الديار  
فذاك الربيع ، ربيع السبلاد  
وإنتاجها غم أسواقها  
وأنعشت السوق عشاقها  
يضيء ذراها وأعماقها

ووصف غروب الشمس في قصيدة (الغروب العاشق) فيقول (١) :

أسعدني عند الغروب فإني  
يتهادى على جوانبه السجر  
فإذا ما صفا الأصيل رأيت الشم  
وإذا أطبق الغمام عليها  
يتعالى خلال أفواهه الضو  
والسحاب الرقيق فوق سناه  
وكان الحسناء تدنو من الغ  
فهو يسعى في رجفة وحياء  
فانظرها بين الرياض وقد ألفت  
واشهديها خلف النخيل كأن الت  
واتبعها على المياة نحالي الج  
لجمال الغروب جد مشوق  
ويختال كل حسن أنيق  
س فيه سبيكة من عقيق  
خلتها كاللهيب وشط حريق  
سيوفا من عسجد مطروق  
كنديف أصيب بالتحريق  
رب حبيب مطنى بسر دقيق  
يتأتى في خطوه المسروق  
دنانيرها بكل طريق  
ر منها ينساب بين شقوق  
مر بهوى إلى الخضم العميق

ثم هو لا يكتفى بوصف مفاتن الطبيعة فيمنحها بخياله الحياة ويكسبها مشاعر الأحياء ويخلق بينها وبين بعضها الآخر روابط من الحب والهوى وما فيها من شوق ، ووصل وهجر ، وسعادة وألم .. بل هو يفعل مثل هذا مع غيره الطبيعة كذلك . إن في قصيدته «بقية سيجارة» يناجى بقايا سيجارة مشتعلة رآها - أو هو في الغالب تخيلها - فشطح به هذا الخيال وأنشأ يقول (٢) :

يدمن يا حلوة خلتيك هل كف حيرى ألفتك ؟

(١) ديوانه ص ٢٠١ .

(٢) ديوانه ص ٣٢ .

أم إصبع عاشقة ملئت  
حملتك أنا مل حسناء  
أتراها لما أن يئست  
لم جاء .. ولما عانقها  
لم يبق سوى لهب ذاب  
وباقيا تبغ محترق  
وتباريح وصبابات  
فكانك عاشقة تفننى  
صبرا قد طال .. وملتك ؟  
وشفاه ورود ضمنتك  
من عاشقها قد أزدتك ؟  
شغلتها فرحتها عنك  
وئماله شوق أضنتك  
ودخان حيران يحكى  
وسهاد كحل عينيك  
ولفرط صباتها تبكى

أما في وصف الأحباء فما أكثر ما وصف الفاتنات ممن يراهن هنا أو هناك ،  
في دمياط أو في رأس البر .. أو حتى في الصومال .. فإنه يقول في قصيدته  
(الإفريقية الحسنة) <sup>(١)</sup> :

سمراء وفي لون العنبر  
وخدود كالفجر المولو  
ولها عينان إذا نظرت  
عينان تعانق عندهما  
قد جمعنا الضدين هوى  
وبدا من تحتها أنف  
أنف قد دق بلا قصر  
وشفاه رقت كالزيتون  
فإذا ابتسمت بهما كشفت  
قسيمات دقت واتسقت  
يزدان بهما ، ويزيتها  
وجين كالمسك الأذفر  
ديكاد الصبح بها يسفر  
فبلحظ نجيمات تسحر  
ليل ساج وسنى يهر  
والضد بصاحبه يظهر  
كقرنفلة باتت تعطر  
وامتد بلا طول يُذكر  
ولكن في طعم السكر  
عن در منتظم أزهر  
في حُسن .. ما أبهى المنظر !  
جيد برشاقته يفخر

وبضاضة نحر كالبرقو  
وقوام عض إن جائت  
ساقاه ساقا (مارلين)  
يلتف بأسفله ردف  
صدر قد أشرف معتدا  
وليه نهيدان كأنهما  
وتضائل تحتها خصر  
نظرت في سحر وابتسمت  
فأرنتي رقعة حواء  
فأجبت بلثم وعناق  
وخشيت تضاحك إبليس

ورأى فاتنة تحتال على شاطئ رأس الر وهي تلبس لباس البحر ، فناجاها -  
فيما بينه وبين نفسه طبعاً - بقوله <sup>(١)</sup> :

تيهي كما شاء الجمال  
وتوثي فوق الرمال  
وتخففي إن الشفوف  
لا تعجبي من شاعر  
ودعي العيون الظامئاً  
يا فتنة عرضت لفنا  
يا فكرة خطرت على  
يا حلوة العينين والشفقتين  
من أنت ؟ (فينوس) الجميلة

وصلي إذا سمح الدلال  
فقد تشوقت الرمال  
عليك أحمال ثقال  
صَبَّ تَطَلَّع للكمال  
ت تُعَبِّ من هذا الجمال  
ن ، فأبدع في المثال  
شوقي فألهبت الخيال  
... ما هذا الدلال ؟  
قد تهادت في اختيال ؟

(١) من ديوانه ص ٦٧ .

أم أنت (إفروديت) مما      ودها — لراحتها — الملال  
فأنت تداعبنا وتحمل      عن (كيوييد) النبـال ؟  
أنا ظامئ والكأس من      شفتيك خمرها حلال  
فدعى شفاهي ترتشف      من شهدها العذب الزلال

إن مثل هذا الشعر كثير في ديوان الشاعر ، وهو فيه ( يأخذ راحته ) وينطلق على هواه في حرية وصراحة مطلقة ، يذكر معها ما يروق له ذكره دون حرج ، مما سجلت منه وما لم أسجل .. لكنه شاعر .. والشاعر مغفور له في بعض الأحيان .. ما بالك وهو قد أنشأ شعره ذلك في فترة شبابه الملتهب الخيالات وبالأوهام .. وقد قاله كله أو معظمه وهو في الصومال ولم يكن قد التقى بعد بشريكة الحياة .

على أن انطلاقته تلك لم تكن انطلاقة خالصة ، خاصة عندما عركته الحياة في عمله وفي غيره وبدأت تريحه أن لها طعماً آخر يلزمه أن يهتم به ويحتفل .. ولقد مرت به تجارب أعادته إلى نفسه ، وعرف فيها بعض متاعب الحياة فخرج منها أصلب عوداً وأقدر على المجابهة .. وكما هو دأب الشعراء مضى يروح عن نفسه بكتابة الشعر بعد أن مر بإحدى هذه التجارب فأنشده أبياتاً قال في بعضها <sup>(١)</sup> :

لى فؤاد بروعة المجد مغرمٌ      وبخوض العلامعنى مُتَمِّمٌ  
ثائر طامح مجتهد دؤوب      دائم الخفق بالأماني مفعم  
كم تحملت في سبيل أما      نيه وذقت الأذى وذبت ليسلم  
وتجرت من كفوس الليالي      غصصاً مُرةً وصاباً وعلقم  
أيها القلب ، أيها الخافق العا      نى ترفق بكاهلى أن يهدم  
وتمهّل ، فما تراه بعيداً      سيوافيك عن قريب وتنعم  
لا تهن مرة فتركن للضعف ،      فما في الركون للضعف مغنم  
وإذا ما دُعيت للقول فاصدق      ودع الحق واضحاً يتكلم

كما أنه قاس وهو في الصومال حيننا جارفا إلى الأهل والوطن ، فكان ينفث  
نفثات تمتلئ بالشوق واللوعة وانتظار العودة ليرى البلد والأحباب ...  
فيقول<sup>(١)</sup>:

يا ماضيا نحو الأحبة هللى إلى  
بينى وبينهمو صعاب جملة  
هل ينطوى الزمن المديد ، ويقرب  
وأرى الأحبة فى وفاء نفوسهم  
وفى الصومال كان يقف أمام نافذته  
فى نفسه الشجن ، ويحرق قلبه بالشوق  
ذاكرا الشبه بينهما ، وناصحا له كما ينصح  
لى صديق يزورنى فى الصباح  
ساحر للحق ناكل رائع الشكل  
كم أتى دوحتى ورجع فيها  
غننى يا جميل والأسمائى  
أنت مثلى مجاهد تطلب العيش  
وكلانا مهاجر نازح الدار  
ربما كان شباك اليوم شوقا  
أو أئينا من غربة ، وحيننا  
فترنم وارقص على الدوح واططر  
لاتنم ، فالصقور يا صاحبي  
واقترب دائما من الظل والماء

وطنى الذى أهواه من إرشاد ؟  
ومهامية قفر وجرد وهاد  
الأتى البعيد ، فأغتنى ببلادى ؟  
وصفا عيشتهم ، وفى إسعاد ؟  
كل صباح طائر يصدح بأغانيه ، فيتير  
والحنين إلى الوطن .. فكان مما قاله له  
الأب المشفق ولده الصغير<sup>(٢)</sup> :  
ويجسى الشروق بالتصداح  
بديع الألوان عذب الصداح  
ودعانى ليقظتى وكفاحي  
بالمنى والرجاء والأفراح  
وصنوى فى همتى وكفاحي  
رغريب فى لهفة لرواح  
أو سرورا وبهجة بالصباح  
لإياب ، أو صاحب نراح  
واحذر الطير قوى الجناح  
العصفور تبدو منقضة كالرماح  
ء ، وحاذر من قبضة السفاح

(١) ديوانه ص ٥٢ .

(٢) من قصيدة «صداح الصباح» بديوانه ص ١٤١ .

فحياة الطيور — كالناس — ملأى  
وحياة الإنسان صارت شقاء  
بعداء ونقمة واجتياح  
كسعير مؤجج لواء  
والضعيف الوديع كالأشباح  
القوى الشديد يظلم فيها

ولقد عرفت أعواد المنابر شاعرنا بشعره الوطنى فى الصومال عند تحرير أفريقيا ، وعند افتتاح المؤتمر الإسلامى بها ، وفى شتى الندوات التى كانت تنظمها الجاليات العربية هناك . وكذلك بدمياط فى حفلات التربية والتعليم ومركز الثقافة وباقى الهيئات حين تحتفل بالمناسبات الوطنية والمحلية ، كعيد دمياط القومى وعيد العلم وغيرها .. وشعره فى ذلك كثير اشتمل ديوانه (الشاطىء المسحور) على بعضه ، ولم يتح له أن يسجل الباقي منه . كما أن له فى ديوانه بعض المراثي ، لعل من أروعها ما قاله فى رثاء الأسمر يوم تأيينه فى حفل أقيم بدمياط . وكمثل لمراثيه أذكر هنا بعض أبيا هذه المراثية <sup>(١)</sup> :

يا واهب الشعر أبياتا نرددها      هى الأغاني الحانا وأشجانا  
وصانع الدر أسماطا تنضدها      قصائدنا تنصبى القلب ألوانا  
هل الرياض بوادى النيل مجدبة      فرحت تنشد فى الجنات غدراننا ؟  
قد كنت ألقاك خلاً ناصحاً وأباً      موجهها وأخا بالنبل مزداننا  
واليوم من بسيد الرأى ينشدنى      إن رحت محرابك المحزون حيراننا ؟  
إن كنت بارحتنا كيما تفارقنا      هيهات .. لن يسلو الأحباب فقداننا

وأخيراً .. أسوق قصيدة طريقة له ، يتحدث فيها عن شعرة بيضاء فى رأسه ، لازمته منذ ولادته وإلى أن لقي ربه .. هذه الشعرة لم نرها نحن قط ، حيث كانت تختفى - أو كان هو يخفيها - تحت شعره المسبب اللام بالسواد الداكن ، وقد جعل به (فرقا) على أحد جانبي رأسه .. ولطرافة موضوع هذه الشعرة أذكر بعضاً من قصيدتها <sup>(٢)</sup> :

(١) ديوانه ص ٨٧ .

(٢) ديوانه ص ١٨ والقصيدة عنوانها « قصة نجمة » .

بيضاء كالفجر ، بل أبهى من الفجر  
 ما إن تُقَصَّ لكى أبدو على صغر  
 كأنها شمعة بيضاء ناصعة  
 أبصرتها اليوم بين المفرق اعتدلت  
 وطوّقتها شعيرات مفرقة  
 فخفت أن تدعى في الرأس منزلة  
 وتستضيف شقيقات لها أخرا  
 فرحت أنشد ملقاطى لأجذبها  
 طيف الحبيبة أمى إذ رأت عرضا  
 فاستضحكت يومها منى لتنقذها  
 «لقد وُلدت كبيرا يا بنى ، فلا  
 رأيتها ساعة الميلاد لامعة  
 وافتّر ثغرى إذ كانت بشير فتى  
 وصرت أرقبها دوما وتمسحها  
 حتى رأيتك ملء القلب مكتملا  
 فراعها إن بدت في الرأس مفردة  
 تلك الوصية حالت أن تمّد يدي  
 ما ضرنى أن أتانى الشيب فى  
 لو كان فى الشيب عيب ما أنا ردّجى  
 إن الثلاثين قد مرت وأعقبها  
 ولست آس على عمرى إذا ذهبت

قد تَوَجّت هامتى من مطلع العمرِ  
 إلا وعادت وعاد النور فى شعَري  
 فى حالك من سواد الليل معتكر  
 مثل المنارة إذ قامت على نهر  
 أقمن من حولها يضحكن كالدرر  
 لأنه فيه مذكنا على صغر  
 ويصبح الرأس بعد الليل كالقمر  
 لكن عدلت لطيف لاح فى نظرى  
 أنى تربصت بالبيضاء فى ضجر  
 وداعتها ، وقالت قول مفتخر :  
 تُطفئ نجيمتك الحسنة فى الكبر  
 فزال عنى ما أخشى من الخطر  
 جُمّ الذكاء بعيد العزم والنظر  
 كف الحنان ، وأرجو فسحة العُمر  
 غصّ الشباب وملء السمع والبصر  
 أو بين إخوتها فى بهجة الزهر»  
 إليك يا نجمتى البيضاء بالضرر  
 ولن يعيب إذا وانى على كبر  
 عن فجره ، ولظل الكون فى سحر  
 ثلاثة ، وغدا أخرى على الأثر  
 أيامه فى طلاب العلم والسهرة

قال هذا فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره .. ولم يكن  
 ساعتها يدى أن قدره ينتظره بعد أقل من ثمانى سنوات فقط .. إذ دهشته سيارة



قاسية وهو خارج من مدرسة التجارة الثانوية ، فنقلوه إلى المستشفى حيث قضى به يومين فاضت بعدهما روحه إلى بارئها في اليوم السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٦٧ .

وأولفاً نجم كان ينير ليالى دمياط ومحالفها الأدبية ويثرى ندواتها بشعره ، ويطرب أحبابه وأصحابه بكل جديد .. وما كان أكثره لديه .

\*\*\*

## الشاعر الكبير فاروق شوشة

وجه أدبي مشرق تألق في أجواء الكلمة المسموعة والمقروءة . وهو بمؤلفاته العديدة . وبرامجه المسموعة والمرئية يعتبر مؤسسة ثقافية لها مذاق طيب . ولها إشعاع بعيد .

\*\*\*

شهدت مولده قرية «الشعرا» إحدى ضواحي مدينة دمياط في يناير من عام ١٩٣٦ حتى إذا شدا شيئاً من كتاب الله في كتاب القرية كان المفروض أن يسلك طريقة إلى المعرفة في معهد دمياط الدينى . ولكنه لأمر ما أخذ طريقاً آخر فالتحق بمدرسة دمياط الابتدائية . فالثانوية ثم التحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فكان في أول دفعة تلتحق بها من حملة الشهادة التوجيهية ، وفيها تخرج عام ١٩٥٦ ثم تخرج في العام التالى في «كلية التربية . جامعة عين شمس» ..

وفور تخرجه منها تعاطى مهنة التدريس معلماً بمدرسة النقراشى النموذجية وفى هذه الآونة أعلنت الإذاعة عن امتحان لمن يتقدمون للعمل بالإذاعة فاجتاز الامتحان بتفوق ملحوظ ، ومن ثم عمل مذياعاً ، ومقدماً للبرامج الأدبية والثقافية . ومشاركاً في برامج البرنامج الثانى بالإضافة إلى إذاعة البرنامج العام

ورجل فى مثل ثقافة فاروق . وفى مثل مواهبه لا بد أن تتعبد أمامه الطريق ليصل إلى مكانه المرموق فى الإذاعة المسموعة والمرئية فكان مراقباً للبرامج

الأدبية فمديرًا للبرامج الثقافية ونائبًا ثم رئيسًا للإذاعة المصرية بعد أن تولى منصب رئيس الشبكة الرئيسية كما يعمل استاذًا للأدب العربى القديم فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة .. وما زال الطريق أمامه ممتدًا ، وفى يقيننا أنه ما زال بين أقمار البيان فى البلاد العربية برُجٌ يترقب كوكبه <sup>(\*)</sup>.

\*\*\*\*\*

وفاروق شوشة إنسان سمح رضى بوفارة من الدماء ورقة الطبع ، وإذا رأيته رأيت على وجهة الرضىء ابتسامة راضية تشيع فى نفسك الميل والأطمئنان إليه . والثقة به .. وما رأيته يوما مغاضبًا ولا مخاصمًا مع التزامه برأيه وموقفه فهو سهل سمح على سعة فى المعرفة وخصوبة فى الفكر تلونها ريشة الفنان المبدع .

وفاروق متزوج . وزوجته هى زميلته الإذاعية «هالة الحديدى» كريمة الإذاعى الرئد المرحوم عبد الحميد الحديدى رئيس الإذاعة الأسبق . وهو أب لأبنتين . أحدهما : «يارا» وقد وصلت فى تعلمها إلى مرحلة التعليم الثانوى والأخرى ما زالت تقطع مرحلة التعليم الابتدائى .

### قصته مع الشعر :

وقد بدأت علاقة فاروق بالشعر . وبالتذوق الأدبى مند نعومة أظافره مع علاقته بكتاب الله لكريم حفظاً وتجويداً . وتذوقاً . ترفده روافد مما تضمه مكتبة الوالد المتواضعة فنهل من الشوقيات ومن المظان الأدبية الأخرى وانفتحت أمامه طاقة على الأداب فيما كان يقتنيه والده من أعداد مجلتى الرسالة والثقافة . كما أنه بكل بدموعة صفحات الصور البيانية الباكية التى تصورها المنفلوطى فى مأسيه بقلمه الرشيق والتى كانت تأخذ من نفوسنا . وتسترد دموعنا فى تلك الأيام البعيدة .

حتى إذا وصل فاروق إلى مرحلة التعليم الثانوى كان أديبًا واعدًا ، وكتب مسرحية تدور أحداثها حول «الفتنة الكبرى» وألحق بها بعض قصائده التى نظمها فى هذه الفترة ، وألقى بها فى العديد من الندوات والصالونات الأدبية والثقافية .

ومع تقدم سنة واتساع قراءاته استأنس له عمود الشعر العربى .

(\*) عمل رئيسًا لاتحاد كتاب مصر والأمين العام لمجمع الخالدين.

ولا بد لنا من وقفة سريعة عند قولهم (عمود الشعر أو الشعر العمودي) لأنه تسمية مغلوطة . إذ أن «عمود الشعر» كان قسيماً للجديد الذى أتى به أبو تمام والنواسى ومن لفّ لفهما . وليس قسيماً لشعر التفعيلة الجديد ولكننا سنقبل التسمية كاصطلاح أدبى . وأعود فأقول أن فاروقاً مع تقدم السن واتساع القراءة استقامت له الطريق إلى الشعر الكلاسى الخليلى ذى الشطرين فسלخ مرحلة من حياته الأدبية مع «الشعر العمودي» وكانت حركة الشعر الجديد قد هبت نسمايتها عراقيةً وشاميةً . ثم ظهر شعرا ، مصريون يضربون على هذا الوتر الجديد . فاستهواه هذا اللون من الشعر الجديد ووجد نفسه ينسخ على منواله فى منتصف الخمسينات بقصيدته «ضاح فى الزحام» وهى أول تجربة له فى الشعر الجديد .

لقد ظهرت حركة «الشعر الجديد» لتحرير القصيدة من الايقاع الحاد المكرور ، وإخراجها من التشابه والترتوب الذى يأتى من اضطراد النغمة واستمرار الايقاع الذى لا يتغير ، لأن التحرر من نظام المصراعين يتيح للشاعر أن يقف عندما تنتهى الدفقة الشعورية بصرف النظر عن عدد التفعيلات . وليس الشأن كذلك فى الشعر (العمودي) الذى يُحتم الامتداد فى كل بيت من الحشو إلى العروض حتى ينتهى الشاعر إلى الضرب .

هذا . وليست الحداثة مقصورة على التجديد فى شكل القصيدة فإن المضمون لا ينفصل عن الشكل . وفى الشعر الجديد يكون المجال أرحب لأنه لا قيد على انطلاق الشاعر فى تحليقة بنير حدود سوى عمق النظرة ، وطرافة السقوط على الصور البانية الحية . والتزام وحدة الجو النفسى .

ومع ذلك فنحن نرى أن التجديد ليس مقصوراً على الشعر الجديد الذى يقوم على تفعيلات البحور الستة الصافية . فإن الشعر الكلاسى يمكن أن يفتن الشاعر فى شكوته أيضاً فيصوغ قصيدته فى مقطوعات ذوات قوافى متعددة . أو يجمع فى قصيدته - طبقاً للنظام الذى يبتكره بذوقه بين الأبيات التامة والأبيات الوافية (والببيت الوافى هو ما استوفى أجزاءه مع نقص فى عروضته أو ضربه) كما يستطيع أن يبتكر تشكيلة تجمع بين البيت التام والمجزوء . أو المشطور . أو

المنهوك . وقد يأتي الشاعر بالمصراع الأول كاملاً ثم يكون المصارع الثاني تفعيلة واحدة تشتمل على القافية . بل رأينا من الشعراء العموديين من يجمع في القصيدة الواحدة ذات الشطرين بين بحور ذات إيقاع مختلف فهو يتنقل من وزن إلى وزن مع اختلاف المعاني والصور فيكون لهذا التصرف رقع مقبول .

وبين القديم والحديث نرى غباراً تثيره خصومات أدبية . والأمر - في نظرنا - لا يعدو أن يكون سؤالاً وارداً . وجواباً منصوفاً . لأن كلا اللونين كلام . يجوز عليه ما يجوز على كل كلام . وعندنا أن جوهر القضية هي أن نجد الشعر فيما يطالعنا به الشعراء . وليس مقبولاً أن نرفض قصيدة جميلة لمجرد أنها كتبت على النظام الجديد . كما أنه ليس مقبولاً أن نقبل قصيدة رديئة لأنها كتبت على النظام العمودي .. فالمهم أن يكون في القصيدة ماء الشعر .

ونحسن نلاحظ أن المجيدين من شعراء المدرسين الحديثة بدءاً وامسيرتهم مع الشعر العمودي وقطعوا فيه شوطاً بعيداً كما نلاحظ أن من الشعراء من ينظم الشعر العمودي ويكتب الشعر الجديد ، وأن منهم من ينظمونها في مستوى واحد من الجود والإتقان . ومن هؤلاء شاعرنا فاروق شوشة فهو مجدد لا تعوزه الأصالة ونصاعة التعبير ولا يشطح به الجديد إلى التعقيم والضبابية التي نراها عند بعضهم .. ولكنه فيما نعتقد يميل إلى الشعر العمودي إذا كانت القصيدة للإنشاد . أما إذا كانت للقراءة فهو يفضل الطريقة الجديدة .

وأنت ترى ذلك في دواوينه التي أصدرها بدءاً بديوان «إلى مسافرة» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٦ . وإنهاء بالأعمال الشعرية الكاملة التي صدر مجلدها الأول عام ١٩٨٦ ثم توالى بعد ذلك .

ولفاروق شوشة عشرات البرامج الإذاعية والتلفزيونية على امتداد تسعة وعشرين عاماً في العمل الإذاعي والتلفزيوني . وكلها برامج أدبية ناجحة تجاوزت الحدود وكان لها صداها في جميع أبلاد الناطقة بالضاد . ومن هنا كان اختياره لتمثيل مصر في المهرجانات الثقافية الأدبية في يوغوسلافيا ، والأردن ، والسعودية ، والعراق .. وغيرها .

ولا نضيف جديدًا إذا قلنا إنه عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة .  
 وعضو باتحاد الكتاب ، وتولى رئاسته بعد ذلك ثم استقال ليتفرغ لإبداعاته .  
 وعضو في جمعية المؤلفين والملحنين . وعضو بلجان النصوص والاستماع .  
 بالإذاعة والتلفزيون .

ولم نشر إلى مؤلفاته العديدة التي تعتبر إضافة إلى مكتبة الأدب العربي .  
 أما بعد . فلن نستطيع في هذه الدراسة السريعة أن تقدم ما يشفى الغليل من  
 شعره الجميل . ولكننا نستثير شهية القارئ للرجوع إلى عبق هذه الأنغام في  
 دواوينه المنشورة . وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جُله . فإننا نقدم نَغْبَةً من  
 ديوان «الدائرة المحكمة» في بكاء الشاعر الراحل فوزي العنتيل :

سكن العبيرُ وأطرق الصمْتُ  
 والزروض لا ظل ولا صوتُ  
 وعلى الثرى أشلاءُ أغنيةٍ  
 عبرت وغال صُداحها الموتُ

وفيهما يقول :

فسد الزمان بهم ومن عجبٍ  
 لم تنقِ الأسـمـاءُ والتخفـتُ  
 وأراك بينهم وشـهـيد هـوى  
 أنا من صميم وجوده جئتُ .  
 من قريفة في القفر نائيةٍ  
 عـزـراء في آفاقها طـرـتُ  
 وفضضتُ ختم السر عن فمها  
 فتكلمت لغتى . فغنيتُ ..

وفي ديوانه «لؤلؤة في القلب» يغنى لأبنته «يارا» من الشعر الجديد :

وتضحكين في وجوهنا فتفتح الحياة

أبوابها

وتمطر السماء

أفراحها

ويملأ الشعاع وجه بيتنا الصغير

فتشرق الألوان . والفصول . والدروب

وتدفق القلوب .

بلحنك المجنح الوثير

تميمة على الشفاه

ونبضتين في صلاه

يارا

ولقد ذهبنا نتخير قطوفاً من أطايب الفاروق لنقلنا من بساتينه ما يفهق  
صفحات هذا الكتاب . فهو شاعر خصب رحب الجنباب كما قلنا آنفاً . وهو كما  
قال فيه صديقه طاهر أبو فاشا :

علم من أعلام ديماط تغلُّو

في هـواه إن عُدت الأعلام

فارسُ الكلمة المبين . إذ قال

استضاءت بقوله الأفهام

وإذا ما شدا وأنشد يوماً

رقصت في أشعاره الأحلام

هو في ذاته قصيد جميل

تنساقى جأله الأنغام



## صالون رجل القانون الشاعر جلال خليل عبد الرحمن

صاحب أول الندوات الأدبية والشعرية في كلية الحقوق جامعة القاهرة

تأثر المفكر ورجل القانون الكبير الأستاذ جلال خليل عبد الرحمن المحامي بلقاءات والده الراحل الأستاذ خليل عبد الرحمن في دمياط مع عظمائها وروادها الأوائل ، وكان يلتقى بهم في محافلهم وندواتهم الأدبية والثقافية الشهيرة بدمياط.. ومن صالون «معبد» الذى كان يرثاه لفيف ضخم من الشعراء والمشاهير والأدباء وأهل الفكر والسياسة ، وكان الطفل «جلال عبد الرحمن» يشهد مع والده في أغلب الأوقات ليالى هذه الندوات والصالونات ، لكنه لم يكن يدرك ما يحدث فيها من مناقشات وطرح آراء مختلفة ومتنوعة وحررة وجريئة ، فقد كان الحضور ينتمون إلى أحزاب مثل الوفد والأحرار الدستوريين وغيرهما ، لكن كان النقاش والاختلاف لا يفسد للود قضية ، فهم جميعاً اتفقوا على معنى واحد وهو ضرورة الحرية والاستقلال وطرد المستعمر الإنجليزى من البلاد والقضاء على الفساد الملكى، ولم يكن يضير هذا أنه سعدى أو وفدى أو ذاك أنه حتى مع الملك..! شكلاً وليس موضوعاً ، وشهد الطفل الصغير كل هذه المناقشات فى الصالون مع والده الذى كان حريصاً على اصطحابه فيه، وكيف لا وقد تعلق الطفل الذى أصبح صبيّاً ثم شاباً ثم رجلاً له صولات وجولات فى الدفاع عن الحرية والديمقراطية .. ويصبح من مشاهير رجالات

القانون في العالم العربي الذي يمارسون عملهم بالفكر وبالمنطق السياسي حتى بلغة القانون ، فهم يوظفونه لصالح الرأى ويوظفون الرأى لصالح القانون، واشتهر جلال خليل عبد الرحمن بحضوره الندوات والصالونات الأدبية بعد رحيل والده رحمه الله ، وأصبح يناقش فيها الحضور على مختلف اتجاهاتهم وميولهم، لكن تحت مظلة واحدة والعنوان هنا : تحيا مصر عزيزة حرة مستقلة .. هذا ما يحبه ويعشقه المفكر السياسي والقانونى الشهير الأستاذ جلال خليل عبد الرحمن والذي أصبح يقيم صالونه الأدبى والثقافى فى دمياط ورأس البر على فترات حتى ولو كانت متباعدة أحياناً بسبب ظروف عمله، لكنه استغل علاقاته الواسعة مع كبار المشاهير فى الأدب والثقافة والفكر والسياسة والقانون والفن أيضاً ، فهو يميل إلى الضحك وإلى النكتة، مما يجعل صالوناته وندواته تتميز بالدفع الاجتماعى والأدبى والثقافى، وهو شاعر أيضاً، اشتهر فى كلية الحقوق جامعة القاهرة، حيث كان طالباً يدرس فيها بأنه شاعر زجال بارع، وكان يلقي قصائده فى المحافل الجامعية، ويقيم فيها الندوات، بل أصدر ديواناً أسماه «ندى» ، وبسببه تعرض لأسئلة كثيرة حيث أهده «حواء» التى كانت مجهولة لزميلاتها على أغلب الأحوال ، وكانت علامات الاستفهام تتراقص فى ندوات كلية الحقوق حول هذا الإهداء لزميلهم جلال عبد الرحمن الطالب الرومانسى ، فقد كتب فى ديوانه «ندى» :

إليها...!

إلى من علمتنى دروس الحب والتضحية والوفاء ..

إلى من أضاءت لى نفسها شعاعاً هادياً

إلى من أعطتنى من روحها قوة على مواصلة الطريق

إليها: أهدى هذا الديوان المتواضع اسماً وفحوى

(جلال)

وكانت ثورة بين الطلاب والطالبات فى كية الحقوق من هى «ندى»..؟ وهل هى المقصودة فى عنوان الديوان تحديداً؟ هل هى زميلة لهم غامضة ترتبط



بعلاقة عاطفية مع زميلهم الطالب الرومانسى والمشاغب فى نفس الوقت؟ ولم تهدأ الثورة!

ولم يفصح جلال خليل عبد الرحمن حتى اليوم على أن يجبرنا عن الحقيقة، وفى صالونه الأدبى فشلنا فى معرفة ذلك تمامًا!

وتبقى ندى.. هى هذه المرأة المجهولة لدينا المعروفة تمامًا عنده، لكن هى على كل حال أشبه بقصة «مى زيادة» مع عشاقها وأوقات غرام وعشق العقاد والرافعى وجبران خليل جبران وغيرهم «لمى».. أو ندى ملهمة جلال خليل عبد الرحمن،

وفى إحدى ندوات كلية الحقوق جامعة القاهرة وقف الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عمر ليقول: سعدت بقاء الأخ «جلال خليل عبد الرحمن» لأول مرة فى العام الماضى عندما عرض على ريادة جماعة الشعر والزجل بكلية الحقوق التى كان صاحب الفكر لإنشائها وقد قبلت عرضه على الفور مغتبطًا بفرصة لقاء الشعر والزجالين بكلية الحقوق، وقد قرأت كثيرًا من شعر وزجل الأخ جلال، وحظيت بسماع إلقاءه القوي المتزن فى الندوات العديدة التى عقدتها الجماعة.. وهو شعر ممتاز قد ارتفع به صاحبه إلى أعلى المستويات، العمق، معانيه، وجمال صوره ورونقه، رونق ألفاظه وجدة وضعه وترتيبه، وهذا الديوان بنا يحويه من قصائد منتقاه ليس إلا قطرة من بحر خيال صاحبه، وأرجو أن تتلوه دواوين أخرى حتى ينتشر بين جمهور الشعر والزجل هذا النوع الرفيع من الإنتاج الفنى.. لكن لم يقل لنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عمر.. هل عرف من هى ندى ومن تكون؟

لست أرضاك حبيبًا

على العموم قال جلال خليل عبد الرحمن فى إحدى ندواته كما أوردها بديوانه «ندى» هذه القصيدة تحت عنوانك: لست أرضاك حبيبًا..! يقول فيها:

يا حبيبى كيف ترضى      كيف ترضانى حبيبًا

أنت وهم قد طواني      أنت سهم قد رماني

يا فؤادى .. عش شريدًا      كن وحيدًا.. كن سعيدًا  
 قد ملأت الأرض دمعًا      وبكاء ونحيبًا  
 أنت مسكين ولكن      كيف أرضاك حبيبًا  
 قالت يومًا يا حبيبي      وعشت وقتها أحلم  
 قد توالى ذكرياتي      هل كنت يومًا بالفعل أحلم؟  
 قالت:

كان نجمًا في حياتي      إن مشى الأرض أسلم  
 كيف أدنو من حياته      كان من قلبى قريبًا  
 وبنفس الصوت قال      لست أرضاك حبيبًا  
 قالت:

لست ترضانى حبيبًا      تراه نبضى فى ضلوعي  
 إن هذا النهر يجري      فى أنسياب من دموعي  
 لست أهواك لغاية      مهما كانت من نهاية  
 أنا أهواك لأنى      شئت أهواك حبيبًا  
 مهما قالت شفتك      فلن أرضاك حبيبًا!

وتنوعت قصائد الديوان التى تلاها جلال خليل عبد الرحمن بإحساس الشاعر فى ندوته برأس البر وربما كثيرًا بصديقى الغالى المستشار الشاعر جمال عبد الحليم حسن رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا رحمه الله وهو يتحدث فى صالونه ندوة الأربعاء بمصر الجديدة عن هذه المرأة الغامضة فى حياته أيضًا.. عندما قال فى إحدى ندواته وإحساس مهيب وهو يلقي قصيدته:

سيدتى سحرك قد جاوز النصاب      يفتك بالقلب ويسحر الألباب

وغتها المطربة الكبيرة اللبنانية لورد اكاش أمامنا فأبدعت . على وجه خاص أريد أن أقول أن رجالات القانون ومهما كان هذا القانون يقعون فى حبال النساء بعيدًا عن القانون!

## الصالون الأدبي والثقافي للإعلامي البارز

### فايز فرح في حدائق القبة

ونحن نتابع حركة الصالونات الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربي نصل إلى أحدث هذه الصالونات في مصر صالون الإذاعي الشهير اللامع مع فايز فرح نائب رئيس الإذاعة المصرية الأسبق والكاتب الصحفي والأديب المفكر وعضو اتحاد كتاب مصر زميلنا العزيز صالون يقام شهرياً في منطقة حدائق القبة موطن فايز فرح حيث يقين فيه من سنوات بعيدة، وهو صالون مفتوح يحضره لفيف هائل من كبار المشاهير في الفن والأدب والفكر والصحافة والثقافة والعلم والتراث وكل شيء يخطر على البال ويستفيد منه الإنسان، وبكل المقاييس هو صالون مرموق رغم أنه هذا الوليد الجديد في ساحة الأدب والثقافة في القاهرة.. من أبرز رواد هذا الصالون المفكر الجميل الدكتور الطيب والأديب المثقف وسيم السيسى والشاعر الكبير نبيل الفكهاني وهما من مؤسسي صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن في القاهرة بمصر الجديدة «ندوة الأربعاء».. ولعل أغلب ضيوف صالون «فرح» هم من الأصدقاء في صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن، لكن على كل حال فايز فرح يتمتع بعلاقات واسعة في مجتمعات القاهرة وله مكانته الرفيعة.

ويعتبر صالون الإعلامي الكبير الأستاذ فايز فرح إضافة كبرى وهائلة للصالونات الأدبية والثقافية التي تنعقد في العاصمة المصرية القاهرة، لكن على وجه التحديد إمكانيات وقدرات فايز على ممارسة العلاقات العاة والعلاقات الإنسانية مع الأصدقاء يجعل كل هذا في صالح صالونه حيث يحرص على الحضور لهذا الصالون كافة أطياف المجتمع، ويدير «فايز» الصالون بنفسه وبقدرات إذاعي كبير شهير مرموق، يعرف كيف يدير الحوار وكيف ينهيه وكيف يجعل من هذا الصالون قيمة كبرى ويتمتع بخصوصية شديدة بين الصالونات الأخرى، ولعله استفاد كثيراً من المستشار الراحل جمال عبد الحليم

حسن ومن المفكر العالم الطبيب الدكتور وسيم السيسى صاحب أشهر الصالونات الأدبية والثقافية فى القاهرة الآن حيث يتمتع الصالون بخصوصية أيضا فى دقة التنظيم والقدرة على المناقشات المفيدة فى هدوء والتزام كامل بأدب الحوار والاختلاف فى رأى لا يفسد للود قضية ، وتصورى أن هذا الصالون الوليد الجديد فى حدائق القبة هو لا شك تبع جديد للأدب والثقافة فى بستان الحياة قطوفه وثماره ياتعات، الاستفادة فيه على أرفع مستوى، وأتمنى أن يظل هكذا على هذا النحو من الإجادة والتفوق، ومن أبرز نجومه كما ذكرت الشاعر الغنائى العزيز نبيل الفكهانى وهو الرجل الذى قال قصيدته الشجاعة فى عهد النظام السابق والرئيس المخلوع : سرقوا البلد..!

أوزول من قال سرقوا البلد.. فكان نبيل الفكهانى فى صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن ثم العالم الطبيب وسيم السيسى ثم الإعلامى الكبير الأستاذ فايز فرح. هذه الصالونات إذن لها دورها الهام الوطنى بجانب الدور الأدبى والثقافى.. وتصورى أن فايز فرح سيجعل صالونه هذا على أعلى مستوى فى المستقبل القريب فإن ينضج كثيرًا من صالون إلى صالون والحقيقة أن المضيف يوفر لضيوفه كل سبل الراحة والجو الأدبى والثقافى الرائع - مبروك يا صديقى العزيز فايز فرح.

## **صالون التوارجى بدمياط الجديدة يحتشد فيه المئات من الأدباء والشعراء والمثقفين وينفتح على ثقافات العالم كله الصالون يكرم الشاعر الكبير مصطفى العايدى**

المثقف المصرى محمد التوارجى رجل دءوب خاصة فى حقول الأدب والفكر والثقافة، وهو فى المقام الأول رجل إعلام حيث عمل بوزارة الإعلام، تحديدًا فى مركز الإعلام بدمياط عقب تخرجه من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم تولى بعد ذلك منصب الرفيع مستشارًا إعلاميًا لمصر فى دولة البحرين قبل ان تصبح مملكة واهتماماته سياسية وإعلامية وثقافية من هنا جاء ارتباطه بالأدباء والشعراء والمثقفين فى مصر عامة وأيضًا فى العالم العربى، ونراه حيث يعيش فى دمياط الجديدة يؤسس صالون التوارجى الأدب والثقافى ويعنى بشؤون الفكر والأدب والثقافة والعلوم، ونراه قد استشف على مدار أكثر من تسع سنوات عددًا ضخمًا من الكتاب والشعراء والمترجمين والمتخصصين فى شؤون السياسة والاقتصاد والطب وعلوم الوراثة وفنون المسرح والسينما والعمارة والوسائط الحديثة كالإنترنت وغيرها، هو هنا فى هذا الصالون ينفرد عن غيره وعن طريق هذا التجمع الفريد فيقوم بدوره البارز فى نشر ثقافة تميل للانفتاح على ثقافات العالم المعاصر.. فى توجه صريح للتعددية وقبول الاختلاف والدعوة لإرساء قيم الحق والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان فى كل مكان بالعالم.

### **ضيوف الصالون:**

ومن ضيوف هذا الصالون الشهري فى دمياط الجديدة مجموعة كبيرة من الكواكب والنجوم المتألقة فى مجالات الشعر والأدب والثقافة والفن والعلم والسياسة، فى كل الاتجاهات نج فى الصالون من يعتنى بها ويمثلها هذا اللقيف الضخم الذى يحتشد فى صالون التوارجى الثقافى يأتى على رأسه مع حفظ

الألقاب وأسبقيات الترتيب السادة : الدكتور ماهر القشاوي، القاص مصطفى الأسمر<sup>(\*)</sup>، المترجم إبراهيم الجهيني، الكاتب سمير الفيل، الكاتب الفلسطيني عبد القادر ياسين، الدكتور أحمد مستجير، الشاعر مصطفى العايدي، الشاعر الطبيب عيد صالح، الفيلسوف الدكتور محمود إسماعيل ، الدكتور محمد حسن خليل، الفنان التشكيلي مختار عبد الله ، الفنانة المسرحية كريمة الحفناوي، الأستاذ محمد الطلخاوي، الدكتور أحمد عبد الحي، المخرجة اللبنانية عرب لطفي، الدكتور حامد عمارة ، الدكتور إبراهيم منصور، القاص فكري داود، الدكتور سعد عمارة، المحاسب مجدي القشاوي ، الكاتب فكري الأدهم، القاص محمد مختار، الكاتب محمد الشطوري ، الكاتب فتحى عبد الرحمن الخميس، الدكتور حمدي الزقزوق، الأستاذة شاهدة مقلد، الدكتور أشرف اليومي، الكاتب محسن يونس، الشاعر محمد علوش، الدكتور أحمد السيد النجار، الكاتبة الصحفية والمفكرة السياسية سكينه فؤاد ، الأستاذ أحمد خضير المحامي، الأستاذ يوسف وليد جامعة قناة السويس ، الأستاذ فتوح صلاح قورة، الأستاذ صلاح الزيني، الأستاذة عائدة جبر ، الأستاذة كارمن التوارجي، الأستاذ شادي محمد التوارجي المحامي، القاص أيمن الأسمر، الأستاذ جمال البلتاجي ، الأستاذ ماهر الشيال ، الأستاذ عصام الشويحي، الأستاذ طاهر أبو حطب، القاص عزت القمحاوي ، الدكتور سمير رضا ، الأستاذ عمرو رضا عرنسة، الكاتب الصحفي إيهاب محمود الزلاق ، والراحل العزيز والده الأستاذ محمود الزلاق ، والأستاذ صلاح مصباح .

### سياسة وغناء في سهرة واحدة «بصالون التوارجي».

وعلى سبيل النموذج نعرض هنا لفقرتين في إحدى جلسات هذا الصالون الثقافي.. في البداية محاضرة قدمها الأستاذ عبد الغفار شكر المناضل الوطني القديم ومسؤول الثقيف عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ، وتحدث فيها عن تجربته في العمل السياسي وعن مراحل تكوينه بداية من مولده

(\*) رحل عن دنيانا أخيراً.. عليه رحمه الله.

ياحدى قرى الدقهلية عام ١٩٣٦ ، لكن المثير فى ليلة هذا الصالون هو هذا الجزء الثانى فيها وقد قدمها صاحب الصالون الأستاذ محمد التوارجى، ودارت حول تحليل عدد من أغاني «الدويتو» أو «الديالوج» ومنها استمع الحاضرون لقطوف من هذه الأغاني القديمة فى الزمن الجميل كما نطلق عليه منها : أكو أكو إحنا هنا لشادية وفاتن حمامة ألحان منير مراد ، يا لى زرعتموا البرتقال .. لرئيسة عفيفى ومحمد عبد الوهاب ، لو سلمتك قلبى .. لشادية وكمال حسنى .. والشمس بانت أنوارها لفريد الأطرش وأسمهان.

ويرى صاحب الصالون الأستاذ محمد التوارجى أن النماذج السابقة لم تحقق الاكتمال وظلت مقاطع تردد على مقاطع عكس التجارب الناجحة التالية:

مالكاش حق.. لنور الهدى وفريد الأطرش.

يا سلام على حبيبى وحبك لشادية وفريد الأطرش.

شحات الغرام.. لليلى مراد ومحمد فوزي.

عينى بترف .. لتجيب الريحانى وليلى مراد.

احترار خيالى.. لعبد الحليم حافظ وشادية.

يا دى النعى الى انت فيه يا قلبى .. لمحمد عبد الوهاب وليلى مراد.

تاكسى الغرام.. لعبد العزيز محمود وهدى سلطان.

نبع الهوى .. لفائزة أحمد ومحمد فوزي.

وأكد التوارجى أن الأغنية الدويتو ازدهرت مع صعود الفيلم الغنائى فى

الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات.

وجرت مناقشات متعددة بين الحضور فى الصالون وصاحبه ، ومن الطريف

أن يُعرض فى نفس الصالون فى تلك الليلة هذا الفيلم التسجيلى عن سويسرا

حيث ذهب إليها صاحب الصالون مع أسرته للتعرف عليها أكثر، وكان شغوفاً

على ذلك، وهذا دعاء وهو هناك أن يقوم بتصوير هذا الفيلم التسجيلى البالغ

الروعة عها وعن كنوزها الدفينة فى بحر التاريخ.. وعاد بهذا الفيلم ليعرضه فى

الصالون ، كما استمع الحاضرون لبعض المقاطع من الموسيقى العالمية كونشرتو «شمشون ودليلة».

### احتفاء الصالون بالشاعر مصطفى العايدى:

في الصالون الأدبي والثقافي في دمياط الجديدة تناول صاحبه الأستاذ محمد التوارجى شخصية الشاعر الدمياطى الكبير مصطفى العايدى وأنه يأتي في مرحلة غاية في الأهمية التاريخية تنحدر منها اللغة العربية الفصحى بشكل واضح للأسف الشديد، بينما تمسك هذا الشاعر الموهوب باللغة العربية الفصحى في أشعاره ، وتناوله الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف أبو السعد العميد الأسبق لكلية التربية بدمياط.. والمهتم دائماً بحركة الأدب والثقافة في القاهرة ودمياط وغيرها .. يقف العالم اللغوى الكبير الدكتور عبد الرؤوف أبو السعد يقول عن الشاعر مصطفى العايدى:

العايدى ، أو «مصطفى العايدى» كما نحب أن نطلقه اسماً ملقباً في سماء دمياط الشاعرة، من شعراء دمياط القليلين، القابضين على عروبة قصائدهم بحكمة ، وفن ، واقتدار، وهو من أجل ذلك - ومعه رفاق دربه - صاحب قضية قومية ، ينطلق منها في مواجهة الاستلاب والتصفية الجسدية واستقطار اللاقومي حفاظاً على الأمة ، في لغتها وفنها، وقدرتها التاريخية ، مع «الشعر» .. أحد أهم روافد بقائها وامتلاكها، وصيرورتها لتظل شاخنة ، وباقية ، وقادرة على العطاء رغم ما يتناهاها من قزمية تصفية واستلاب.

لهذا كله، فإننى متفائل بحركة الشعر في «دمياط» لأنها حركة تقود حراكاً فنياً وإبداعياً ذا نسيج «شعري» يتكون من ضفيرة تجمع بين الشعر في أوجه الحدائى عند «السيد النحاس» والشعر العربى الحديث في ألقه، ووضاءته اللغوية الجمالية والفنية وأساسه العمودى عند «مصطفى العايدى» ود. عيد صالح.

من هذا كله.. فإننى أرى الأمة المترامية الأطراف بين أفريقيا وآسيا مختزلة في «الشعر الدمياطي» بين الحدائين المجددين، والعموديين التحديثيين.

وذلك برغم المنعطف التاريخي الذي يشهد هزائم الأمة في السياسة



والاجتماع، والاقتصاد، والاستراتيجيات الراهضة بالمستقبل.

لكنها تملك من «بقاء» و«خلود» و«تجاوز» و«امتداد». حينما تكون بذرة قابلة للنماء في شعراء العموديين الدماطيين المبدعين الكبار بعامه، وفي شعر العايدى بخاصة، لأن هذا الشعر ما يزال يحمل صداها لغة، وتاريخًا ومجتمعًا، وليتجسد هذا الصدى مع زمنها الواعد قوة، وأمة بعثها نضال أبنائها المبدعين وشعرهم الواعد مع القوميين المثقفين والكتاب المهمومين، والنخب الشعبية، أصحاب الحلم القومى «الراهصى المتنبئ».

ومن ثم ستتحول الأمة العربية إلى رمز حاضر في كل ما أدرسه تشكيلا وموقفًا من «شعر العايدى» القومى.. والأمة في شعر العايدى تدور حول أفراك لغوية، وأسلوبية، وموضوعية.

حيث الشعر عنده «تشكيل عربى فصيح» والمضمون تتجذر حوله الأمة في تواصل حميم مع القضايا المعاصرة، وفي الوقت الذى انتهى فيه الشعر على أن «الأمة» قيمة أسمى من كل القيم وأنها - عنده - السور الفولاذى الذى يحمى ويصون «الوطن» وكل الهوايات حيث الوطن «بالأمة».

ويقف الشاعر مصطفى العايدى يلقي بقصائده وبعض أشعاره في الصالون فيقول

صورة مملكتي

كنت أحدث مملكتي

منحدراً نحو نعيمى وهلاكى

مغموراً في جوف الريح

أدفع عنها وسواس الغربه

ونداء الأشباح

كنت أشير إليها

ويدأى على الجدران : «هذى صورة مملكتي»

من يبصرها الآن!؟

كانت تسيل غصون الضوء المذبوح،

مروجا تجهش فى صحرائي

وأنا أتمشى فى ثوب فضفاض

بلسان فيّاض

اتلهى بكريات النار

وحكايا الشطار

لا أدرى.. معصوما أن مجذوبًا..

لكنى يقطان!

لى عينان!

قلبي منتشر فى وقتي..

والوقت هباء!

أختبئ بدائي ودوائي

أتساءل : كيف تصدع جبلي

وتوزع طيري

كيف أضاء جنوني؟

فتكسر رمحي وتعكر مائي

كيف تشئت فينا نزع الأعراق

كنت أحدث مملكتي

منحدراً نحو نعيمى وهلاكى

مغمورا في جوف الريح  
قالت من أنباك بخوفي  
والصمت المهموز يغالبني  
ويؤانس موتي؟  
صحت حيا...  
وكأنى أبصر طيفا وحشيا  
يأتني برماد الأشواق  
يتشكل أطلالا وممالك أخرى  
يتدفق إعصارا ومرايا.. تأخذ بالكفين وبالأعناق  
ناديتك.. أن ردى لى وجهى وأعيرنى صوتي  
كنت أشير إليها..  
ويداى على الجدران: «هذى صورة مملكتي»  
من يبصرها الآن؟  
لا شيء يؤازر ما كان  
فالغلبة بالإمكان!  
لا شيء يوثق ما كان  
فالحكمة برهان  
والحاجة عصيان!  
هل كنت أطلع دنياي؟  
وأحصى ما خطته الريح وما عملته يداي؟  
أنظر حولي...

إذ تصف رؤوس الكهنة..

تجلدها أعمدة الشمس

ويغمرها ظل السلطان!

آه...

كيف أبتهج الجرح بذاكرتي

وتيس أزمته.. حتى أورثنى النسيان

كيف توقف ظمأ النهر وجفت أوديتي

وذوى زهر الرمان؟

شيء ما أقعدني

شيء ما أمهلني

هذي صورة مملكتي!

آه..

قد كانت لؤلؤة خجلي

وسراجا يتجلى من زيت مسحور

شجر ذا بهجة

ومدائن كالبلور!

قد كانت لي معراجاً.. لحنا وغاما

أحجارا من فضة

وكتابا في رق منشور!

الليلة يأتي طوفان من عتمتها

يلقى بالزبد وبالأعشاب على بابي

يصليني ويفرق أصحابي

ينكر أحبابي

يدعونى كى أسبح فى ذاتى - أمدًا -

كى أتدلى من غيمة أحزاني - أبداً -

الليلة تنهض زهرة روحى ، تصعد .. تصعد

وتشير إلى الجانى ! .

آه يا مملكتي،

أشهد أن حصون الحكمة أعيثني

خطفت ذاكرتى فتفحم وجداني

هذا عصر التيه

العاشق ضل .. فلا مأوى أو ظل يُغنيه

إنى لى أن أبلغ فرحي

وأنا مهزوم بالأحزان؟

إنى لى أن أكسر صخرة صمتي

وأوارى جثة حرفي

أو خوفي!

وأنا أركض

أو أقعد منسيا فى عرس العميان؟؟

وفى قصيدة أخرى قال الشاعر مصطفى العايدى:

... يا للطواف

هذى الخلائق بين جنات ونار

ها أنت تفتح فجوة للطير

تنظر نحوها ، وتشير للأفق البعيد

أعراس صبح لا يجيء

وسراج بحر لا يضيء

جف الوريد

فإذا دنوت فما للؤلؤها بريق

أشواقها الخضراء تذوي

وجناحها يهوى إلى واد سحيق

شاذ هنا... باك هناك

باك هنا.. شاد هناك

... يا للحلال

أى المباحج يرتضيها مأتمى

صدحت أناشيد الأسى ومشى دمي

أمواجه برزت كما الأشباح

... يا للجلال

من يعتصم بأنيته وغنائه قبل الصباح؟

... من المعتصم

فهو اجسى سرّ تقطر بالجراح

... يا قلبها

هذى مواثقي دانت... والوعد أفراح

من يعتصم؟

من يعتصم؟

«أهدى هذه القصيدة إلى صاحب الصالون»

والشاعر مصطفى العايدى حصل على درجة الليسانس في آداب اللغة العربية.

- عضو اتحاد كتاب مصر ، عضو جماعة رواد الأدبية بثقافة دمياط.
- عضو نقابة المعلمين العامة بالقاهرة.
- عضو جمعية النهضة الثقافية بدمياط الجديدة.
- عضو جمعية الفائقين بدمياط.
- منح درع التفوق في مؤتمر البحيرة من الهيئة العامة لقصور الثقافة «تقديرًا لعطاءه الأدبي» عام ١٩٩٩ م
- تم تكريمه في الملتقى الثقافي الأول بدمياط ومنح درع المحافظة مع عدد من رموز الثقافة والأدب.
- في مصر ٢٠٠٣ م رئيس نادى الأدب بدمياط في دورات سابقة ٢٠١٠.
- شارك في كثير من المؤتمرات الأدبية في مصر وخارجها.
- كان ضمن طلائع القوات المسلحة المصرية في عبور القناة أكتوبر ١٩٧٣ م.
- أذيعت ونشرت له العديد من القصائد في الصحف والمجلات المصرية والعربية.
- مدير إدارة الإعلام التربوى - توجيه الصحافة - مديرية التربية والتعليم بدمياط.
- الإنتاج الإبداعي : ديوان شعر
- أصداء من رياح العشق.
- الدخول إلى الجزر ١٩٨١ الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- بلاغة المرايا ١٩٩٦م المجلس الأعلى للثقافة.
- من سيرة الصقر ٢٠٠٠ رواد الأدبية.
- قوس الرياحين ٢٠٠٦ اتحاد كتاب مصر.
- ليس بكاء.. ليس غناء - مطبوعات كتب عربية دار النشر الالكترونى ٢٠٠٥؟

• تحت الطبع:

- الكلمات لها أجنحة ديوان شعر
- إشارات في الوجود والشرود ديوان شعر
- نجوم في سماء الإسلام ديوان شعر (أطفال)
- اتجاهات الحداثة في القصيدة العربية دراسة
- رحلة الصقر العجيب (قصة للأطفال) دراما تليفزيونية
- فضفضة خماسيات بالعامية المصرية
- سبع سنابل للبهجة «ديوان شعر»
- أغنية للولد المتوج بالندى «قصائد من سيرة الثورة»



الشاعر مصطفى العايدي



## صالون مى زيادة الأزلى والتاريخى

كانت مصر ، عندما استقرت بها «مى» فى أوائل القرن العشرين ، تنهض من كبوتها بعد الثورة العربية ، وكان فيها من الزعماء الوطنيين والأدباء والشعراء والمفكرين عدد لم يجتمع مثله فى تاريخها كله قبل تلك الأيام ..

ولم ينقض العقد الأول من القرن العشرين حتى جاءت ثورة ١٩١٩ الوطنية فى آخر العقد الثانى ، ثم أقبلت النهضة الاقتصادية فى أعقابها ، فعاصرت مى أعظم الأسماء التى لمعت فى العصر الممتد بين أوائل القرن العشرين وأوائل الثلاثينيات ، وتضوأ اسمها بجوار أسماء أحمد شوقى وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبرى ولطفى السيد وسلامة موسى وعباس العقاد ومصطفى صادق الرافعى وعشرات من أهل الأدب والفن ..

وارتفعت قامة «مى» فوق قامات من عاصرناها من الأدبيات ، فلا يمكن أن نقارن بها أدبية أو شاعرة أخرى .. أن أكبر الشاعرات قبل ظهور مى كانت عائشة التيمورية .. وبعد ظهور مى كانت باحثة البادية ونبوية موسى وأسماء أخرى قليلة خافتة من المنتسبات إلى الأدب والفكر ، عاصرن «مى» ولكن اسمها لبث طوال حياتها أرفع الأسماء .

لقد كانت «مى» رمز نبوغ المرأة فى عصر النهضة المصرية الذى كان طليعة النهضة العربية ، وساعدتها ظروف نشأتها الخاصة على أن تكون أيضا رمز تحرر المرأة العربية وانتصارها على قيود الأئى المحجوبة بالأستار ، فالمرأة المصرية التى لم تكن حينذاك تجرؤ على مجرد التفكير فى الظهور على المسرح – مثلا – كانت لا تجرؤ أيضا على الظهور بين أهل الأدب والعلم والفكر .. وعندما أتيح لعائشة التيمورية أن تكتب شعرا ، كان ذلك من وراء الحجاب ، وكذلك باحثة البادية ، وحتى نبوية موسى التى خرجت إلى الحياة العامة واشتغلت بالتدريس ثم

صارت صاحبة مدارس «بنات الأشراف» كانت تعتصم بحجابها ، بل أن النهضة النسائية التى قادتها هدى شعراوى ، كانت من وراء حجاب فى بدايتها ، وكانت تهتف بمطالبها على استحياء .. وكانت المرأة المتعلمة بوجه عام «عثمانية» أو «ألا توركا» كما كانوا يسمون السيدات المحافظات فى تلك الأيام ..

أما المرأة البرزة التى تختلط بالرجال ، أو تتخفف من الحجاب ، فكانوا يسمونها «ألا فرانكا» أو «متفرنجة» ..

ثم انقسم المجتمع النسائى المتعلم بين أغلبية «ألا توركا» .. وأقلية «ألا فرانكا» ..

وقد نشأت «مي» فى هذا المجتمع ، ومصر يومئذ لم تخرج بعد من رابطة الخلافة العثمانية مع وجود الاحتلال البريطانى ، وكانت مى القادمة من «الشام» هى الفتاة الوحيدة التى استطاعت أن تحرر فكرها وحياتها من طريقة الحياة السائدة فى عصرها ، وأن تجمع فى ثقة وأناقة بين تحرر فتاة عصرية «ألا فرانكا» .. ومهابة فتاة وقور رزينة «ألا توركا» .. فاجتمع حولها فى صالونها الأدبى كبار مفكرى وأدباء عصرها ، وخفقت قلوبهم جميعا بحبها ، على تفاوت بينهم فى درجة الخفقان ، ولكن هذا الحب ظل «شفويا» .. فإن تحول إلى حب «تحريري» لم يتعد الرسائل المهذبة المتحفظة كما رأينا فى رسائل العقاد ولطفى السيد وأنطون الجميل وغيرهم ... إليها .. أما جنون الحب الذى كان فى رسائل الرافعى وكتبه فهذه حالة نفسية خاصة ، لم تتعد الصفحات التى كتب فيها الرافعى الشاعر رسائله الغرامية التى لا مثيل لها فى الأدب العربى ، وحسب مى فضلا على الأدب العربى أنها كانت ملهمة الرافعى فى هذا العمل الأدبى الفريد ..

لقد كانت «مي» إيماءة إلى المستقبل ، على كونها علامة بارزة ، وشارة مجسمة للعصر الذى عاشت فيه .. كان ظهورها فى صالون أدبى يؤمه الرجال وهى الفتاة الوحيدة بينهم ، إيماءة إلى مستقبل المرأة المصرية والعربية التى سوف يحررها التطور ، وكان ظهورها من العلامات الخاصة لعصرها ، لأن ذلك العصر كان يقصر ظهور المرأة فى الأعمال الأدبية والفنية على فتيات الشام

المهاجرات إلى مصر هربا من الطغيان العثماني .. ولها لم يكن بروز مي في صالونها الأدبي مستنكرا ، بل كان عند معاصريها تنمة لعمل المرأة الشامية في المسرح والغناء والفنون الأخرى ، فكانت المرأة الشامية المتمصرة طليعة للنهضة النسائية في مصر وفي كل الأقطار العربية ، ومن هنا ظفرت «مي» بمكانتها الخاصة في الوطن العربي ، وما زالت هي الأدبية العربية الأولى هنا وهناك برغم ظهور عدد كبير من الأدبيات بعدها على امتداد خمسين عاما . وما زالت القيمة الفكرية لأدبها أعظم من كل ما جاء بعده من آداب النساء العربيات ، وما زال أسلوبها لغة وبيانا أرقى من كل أساليبهن .. بل أن «مي» كانت وما زالت - في الحقيقة - أكبر كاتبة في الأدب العربي كله .

لقد حالت النظم الاجتماعية القديمة دون ظهور أدبية عربية تؤلف وتكتب على غرار «مي» أو على مستواها ، ثم جاءت دول المماليك والعثمانيين ، فانقطع الأدب العربي ، حتى جاءت نهضة الأمة العربية في أواخر القرن التاسع عشر ، فكان من ارهصات تقدمها وتطورها ظهور كبار الشعراء الذين ردوا أساليب الشعر إلى ذوق العرب ولسانهم ، بزعامة محمود سامي البارودي ، وظهور الكتاب الذين تركوا السجع والمحسنات الفارغة وأشهرهم الشيخ محمد عبده .. وكانت عائشة التيمورية تمهيدا لظهور فتيات أكثر تطورا في صناعة الأدب ، ولم تلبث «مي» أن كانت أول الفتيات في هذا المضمار ..

وهكذا كانت مي - أولا وآخرا - رمزا للعصر العربي الذي ورث العصر العثماني في الأرض الممتدة بين المغرب والعراق ..

وبعد .. فإن أشهر ما بقى في ذاكرة بعض الناس من ذكريات «مي» أنها كانت صاحبة صالون أدبي ، وقد افتتن بعض الفتيات والسيدات بفكرة الصالون الأدبي في عصرنا وخيل اليهن أن المجد الأدبي لا يجيء إلا من طريق هذا الصالون ..

ولكن ينبغي أن نتذكر هؤلاء الأخوات أن صالون مي كان رمزا لمرحلة في تاريخ الأدب والمجتمع ، وأن محاولة بعثه الآن تشبه أن تكون محاولة لإعادة

العقدين الأول والثانى من القرن العشرين إلى الحياة فى العقد التاسع ..

لقد صارت الحياة كلها صالون كبيرا لأدب المرأة وأدب الرجل .. ولم يعد المجتمع منقسما إلى «الأتوركا» و «الافرانكا» .. لقد انطوت مرحلة تاريخية كاملة منذ ذلك الزمن إلى اليوم ، وانقضت الظروف الاجتماعية التى كانت مى رمزا لها ، ومضت مائة سنة على عيد ميلاد «مى» ويضع وأربعون سنة على وفاتها .. وخير تحية تقدمها أدبيات عصرنا إلى رائدتهن العظيمة مى ، هى أن يصفن جديدا إلى أدبها ، وينشئن أعمالا عظيمة تقارن بأعمالها ..

وهذا هو «المعنى» الذى أراده «الهلال» من احتفاله بالذكرى المئوية لمى .. فإن «مى» التى صارت أعمالها الأدبية العظيمة نماذج كلاسيكية فى أدب المرأة المصرية ، ما زالت أقرب إلى روح عصرنا الحاضر من كثيرات أو قليلات يغمسن أقلامهن فى المداد الآن ، أو يكتبن بأقلام حبر جاف ! ..

## مى زيادة الخطيبة الأولى فى العالم العربى<sup>(\*)</sup>

سيتحدثون عن مى ، ويطلقون الحديث عن ندوتها الأدبية التى تالأت فى سمائها نجوم الأدب والفكر فى مصر ، إذا كانت مى هى البد المتألق بين النجوم ، وما سطعت هذا السطوع بين أعلام الأدب إلى لسموها الفكرى ، ونظرها الموضوعى ، وقيادة الحوار المتشعب إلى حيث لا يجد مجالاً للاصطدام ، ولن تبلغ هذه المنزلة غير أدبية ممتازة تدست إلى أهواء النفوس ، فرصدت الخلجات الدفينة ، واستنطقت الأحاسيس الصامتة ، وشهدت مسار العواطف فى نبضاتها البعيدة طى العروق ، وبهذه القدرة الفائقة صارت مى خطيبة الشرق الأولى ، لأن أول خصائص الخطيب المحلق ، أن يعرف أهواء سامعيه ، وأن يضرب على أوتار قلوبهم بما تتحرك له المشاعر النائمة فتنب من رقدتها على صوت النذير ، هكذا كانت تقف مى الشابة الصغيرة فى المحفل الجهير

وقد تقدمها أعلام النثر والشعر من الكهول الوعاة ، فتنسى من تقدم ، ويسدل الستار على من تأخر ، ويخرج المستمعون ليتحدثوا عن مى وحدها ألم تكن مى بدعاً فى جمالها الجسمى ، حتى يقال أن أريج حواء قد عطر الأفق بعبرها ! فقد رأينا من تماثل مى فى جمال الصورة ، ثم تتحدث فى الجمع ، أو تكتب فى الصحيفة ، أو تؤلف الكتاب فلا تجد معشار ما تبلغه خطبة واحدة من خطب مى ، لأن شعاع الحسن الذى تالأت فى عينها ، وطافت هالته الوضيئة بمحياها الأسمر الشفيف ، قد تماثل شعاعاً ثالثاً فى روحها المتألقة ذات الشفافية الرفافة ، وشعاعاً ثالثاً فى عقلها المكتمل الذى يتعمق المعضلة المظلمة تعمقاً يحصرها بالضوء الكاسح حتى تنجلي بينة ساطعة ، وبهذه المواهب المجتمعة

كانت مى ساحرة البيان فى عصر يزدهم بأمراء البيان ، ولو كان المجال خاليًا  
لقلنا إنها وحدها كانت فارسة الحلبة ، فكسبت الرهان ، ولكن الحلبة صاخبة ،  
والفرسان متزاحمون .

### شهادة صريحة

وقد يتعاضم أبناء هذا الجيل ما نقرر من هذه الحقيقة ، فيظنون أن المبالغة قد  
عرفت سبيلها إلى هذا القلم ، ولكنى استشهد بسواى ، وإذا كان المستشهد به هو  
الدكتور طه حسين ، فقد بطل الظن ، لأن الناقد الكبير لا يغلو فى البناء ، وقد  
عرفناه شديد المحاسبة فى مجال النقد ، فإذا أفصح عن كل ما أريد فى وضوح  
ساطع ، وإذا جاء هذا الإفصاح بعد رحيل مى بعشر سنوات ، حين بدأ يكتب  
الجزء الثالث من الأيام فى مقالات نشرت بمجلة آخر ساعة قبل أن تجمع فى  
كتابه ، إذا أفصح الدكتور طه حسين عن تأثير مى الخابى بها لا بيان بعده ، فكل  
ما يقال عن تفردا الأدبى ، وسموها الخطابى حق صريح .

أخذت مى تنشر مقالاتها الرقيقة فى صحيفة والدها ، لترك صدى محدودًا  
فى نفوس القارئىن ، ولكن مناسبة جهيرة فسحت لها الطريق إلى الذبوع الرنان ،  
حين قامت الدولة بتكريم الشاعر الكبير خليل مطران فى حفل رسمى تحت  
رعاية الخديوى نيابة عنه ، وحضر العلية من الوزراء ورجال الأدب والصحافة  
والقضاء ، وفريق من وجهاء الشام وشعرائه ، وقد بعث الكاتب المهجرى  
جبران خليل جبران بكلمة كان من حظه انباسم أن تلقىها الأنسة مى ، وأن  
تضيف إليها تعليقًا خاصًا بها ، يحمل تقديرها لمطران ، ولثانى مرة . بعد  
موقف باحثة البادية فى المؤتمر الرسمى بمصر . يرى الجمهور فتاة نابغة تنطق  
الفصحى فى روعة خالصة ، وتؤدى حق الإلقاء إيماء وإثارة ، وخفوتًا وجهرا ،  
وتمهلا وإسراعا وفق مقتضيات السياق ، مع صباحة الوجه وموسيقى الصوت ،  
ورشاقة القامة ، فإذا انتهت كلمة جبران ، ومضت فى إلقاء كلمتها فقد بادعت  
السامعين بنموذج من التصوير الأدبى الفاتن كاد أن يحمل حديث جبران ! وقد  
وقف طه حسين بإزائه موقف الحائر الداھش ، وإنه ليصدق التعبير عن نفسه  
حين يقول :

كان شقيق الخديوى الأمير محمد على رئيسا للاحتفال ، وقد أثر الفتى - أوى طه حسين - شهود ذلك الحفل ، وفيه سمع كثيرا من الشعر ، وكثيرا من الخطب فلم يحفل بشيء مما سمع ، لم يعجبه حافظ فى لك المقام ، ولم يعجبه قصيدة مطران .. لم يرض الفتى عن شيء مما سمع ، إلا صوتا واحدا ، سمعه فاضطرب اضطرابا شديدا . وأرق له ليلته تلك ، كان الصوت نحيلًا ضئيلا ، وكان عذبا رائعا ، وكان لا يبلغ السمع حتى ينفذ فى خفة إلى القلب فيفعل .

### الذكرى المئوية لميلاد مى زيادة

به الأفاعيل ، ولم يفهم الفتى من حديث ذلك الصوت العذب شيئا ، شغله الصوت عما كان يحمل من الحديث ، كان صوت الأنسة مى التى تتحدث إلى جمهور من الناس للمرة الأولى ، ولم يستطع الفتى حين أصبح من ليلته أن يمتنع عن السعى إلى مدير الجريدة - أحمد لطفى السيد - وقد جلس إليه ، فقال له ، وسمع منه ، ثم لا يزال يدور بنحديثه حتى انتهى إلى حفل مطران ، وحتى انتهى إلى ذكر الفتاة التى تحدثت فيه ، والتى لم يسمع الفتى عنها قبل يومه ذاك ، وقد سأله مدير الجريدة عما قالت الفتاة ، فلم يحسن ردا ، وإنما لجلج القول . وأثنى الأستاذ على مى ، وأنبأ الفتى بأنه سيقدمها إليه فى وقت ، وابتهج الفتى بهذا الوعد ، وإن لم يعرب عن ابتهاجه ، وظل يرقب البربه ، ولكن الأستاذ نسيه واستحيا الفتى أن ذكره ، فحمل نفسه على المكروه ، وأعرض عن ذكر مى .

### من كلمة مى فى مطران

تحدث مى فى محافلها الأدبية بلغة الشاعر المصور ، وهذا موضع الإبداع فى حديثها ، إذ ألفت الجمهور أن تكون الخطبة تقريرية تلجأ إلى الإقناع بذكر الحقائق مع توشية بلاغية للفكرة تحيل بها إلى الاستمتاع مع الإقناع ، أما أن يكون الخطيب شاعرا على السبّح ، بعيد الخيال ، رنان الموسيقى ، فتلك مأثرة انفردت بها مى لعهدا ، وعرفها الأدباء عنها ، فهم يترقبونها فى المحافل شاعرة دون قافية وبحر ، وهى تعرف مجال التأثير فى نفوس أحببت الخطبة الشاعرة ، وكرهت القصيدة الخطيبة ، وقد صدق طه حسين حين قال إنه لم يفهم عنها ، لأن طرافة منحها قد فاجأه بما لم يكن يتوقع ! كان يتوقع أن تتحدث مى الخطيبة

عن مجالى السبق فى شعر مطران ، تعبيراً وتصويراً وفكرة ولكنها علقت على كلمة جبران ، وهى أيضا من منحى مى ، تعليق الناقد المصور ، قائلة إن حديثه التصويرى ما زال ىرن على أبواب فؤادها ، منبها فى أعماقه قوة اكتفت بالإصغاء أولا ثم بالهمس ثانيا ثم بالترنم ثالثا ثم استحالت إلى صوت إنسى ينقل إلى عالم السمع سرائر التأثيرات الوجدانية .

أن النبوغ شعله آلهية تضئ الظلمات ، غير أن تلك القوة السامية تذبل وتجف ، وتموت أن لم تجد التأييد ، وينعشها أرباب البلاد ، تنطفئ أن لم تلق نسيم استحسان تغذى من عنصره السرى ، وتنمو بجوهره النارى فإذا لم تتح لتلك الشعلة قوة ذاتية تغذيها وتنميها إلى حين فهى لا تلبث حتى تحرق نفسها بنفسها مطفئة - لهيبها بدموعها ، مبيدة حياتها بيأسها ، وكانت الشعوب هى الخسارة .

أيها الشاعر العذب ، كم من ليلة غادرت العالم الحسى لأطير معك إلى تلك العوالم البعيدة ، المملوءة نورا وطربا ، كم ليلة قضيتها منحنية على كلومك الشعرية أرقب دماء أحزانك السائلة أنغاما ، وأستنشق رائحة دموعك ، وأحلل ألوان أشجانك ، ولأشجانك ألوان بديعة ساحرة ، كألوان الشروق والغروب ، ولدموعك أريج عطر مسكر كأرواح الزنبق والفل والياسمين .

لقد فاجأت مى سامعيها بهذا الشعر المثور سنة ١٩١٣ فرز وتر جديد لا يشابه أوتار الخطباء ، وما زال وترها ىرن فى نمطه المنفرد رنينا مشجيا دفع الشاعر الكبير أحمد محرم أن يقول عنه متسائلا :

من أى جنس أنت يا طير الربى      إن الطيور كثيرة الأجناس ؟  
دنيا من الآداب لم تر مثلها      دنيا أمية أو بنى العباس

### خصائص خطابية

ررفت روح الخطابة التصويرية فى أكثر إنتاج مى ، ررفت فى المقالة الأدبية والمقالة النقدية ، بل ظهر فى بعض ما نشرت بالهلال والمقتطف من أقاصيص ، لأن الشجرة الفارغة البالغة التى أسقطت هذه الثمار نبتت فى أرض واحدة ، وسقيت بهاء واحد ، وأنا حين أقرأ مقالاتها الأدبية أتصور أنها كانت تكتبها



بصوت مسموع ، وكانت تعيد قراءة السطر بعد السطر ، كما يعيد الشاعر بيته ساعة النظم لتجعل من أذننا الموسيقية ميزانا دقيق الإيقاع ، وهكذا جاء بيان مى ، عذب التلوين ، شجى الإيقاع ، هذا إلى توهج انفعاله البارز أحيانا ، والمستتر حيناً آخر بحيث لا يغيب عن وعى القارئ الفاحص ، مهما تكدس الرماد فوق اللهب .

لقد تحدث مؤرخو مى عن أسلوبها الخطابى ، وهو أسلوب تدرج تحت المحاضرات التى ألقته فى شتى الأندية إذ أن الذاتية دائما تطفو على الموضوعية فى أكثر ما تتعرض له من بحوث ، وقد تستنكر ذلك من نظير البحث الموضوعى حجارة يرصف بعضها فوق بعض حتى ينهض بناء يتصف بالمتانة ، وأن بعدت عنه معانى الجمال ، ولئن جاز ذلك فى البحوث الخاصة بالعلوم البحتة ، إذ أن الدراسات الإنسانية تخبر كاتبها الحساس على أن يفصح عن ذات نفسه ، بحيث ينبع الكثير من آرائه متدفقا من تأمله الوجدانى ، ومسائرا تأمله العقلى ، ومن هنا يفرد الباحث بلون لا يتماثل ، وهو فى هذا المجال باحث فنان ، وكذلك كانت مى ، أجل لقد تحدث مؤرخو مى عن أسلوبها الخطابى فأعطوه قسطه من الإيضاح ، فالدكتور منصور فهمى يقول عن مى :

« لا أعدو الحق إذا قلت إنها كانت خطيبة ومحاضرة من أرقى طراز ، ولعل أسبابا اصطلحت على تفوقها فى ذلك الميدان ، فقد كان لها فى عذوبة صوتها ، وحسن أدائها ، وحلاوة إلقائها ، ووسامتها وحسن سياتها معين على لك ، وكانت تميزها حين تقف للخطابة فى حفل ، أو للمحاضرة فى جمع ، ثقة فى نفسها ، واعتداد بشخصيتها ، فما عرفت أنها تهيبت منبرا ، أو خشيت موقفا ، أو غشيتها سحابة من جبن ، أو جللتها غمامة من خوف ، بل كانت دائما الواثقة بنفسها » .

وقد نقلت الأدبية الباحثة وداد سكاكينى كلام الدكتور منصور فهمى وزادت فقالت : على أن أستاذنا المرحوم الدكتور منصور لم يذكر من أسباب تفوقها براعتها فى اختيار الموضوع الموافق لوعى المستمعين لها ، ولا ثقافتها الواسعة التى يمتزج بها موضوعها ، لقد كانت مى فى خطابها تعرف كيف تتكلم ،

وكيف تنتهى من كلامها ، فلا يمل سامعها ، بل يتطلب فى سره المزيد ، أما صوتها الرخيم المنغوم ، وفى لهجتها المصرية العذبة . فكان ذا سحر يجذب الأسماع والقلوب ، وكم من خطيب أ ، محاضر ، أوتى خصائص الفكر والكلام ، ولكنه إذا تصدى للخطابة أو المحاضرة . تسلل الحذر إلى الأذهان ، ودب الضجر فى النفوس .

### الذكرى المئوية لميلاد مى زيادة

ولعل الشاعر الكبير خليل مطران كان أسدّ بيانا وأدقّ تحديدا حين قال عن أسلوب مى :

|                                |                           |
|--------------------------------|---------------------------|
| أين ذاك الصوت الذى يملك الأسما | ع فى كل موقف تقفينا ؟     |
| فهوائنا ييث بثارقة             | يملاً النفس رحمة وحنينا   |
| وهوائنا يشور ثورة حر           | عاصفاً عصفه تدك الحصونا   |
| بكلام حوى الطريقين تنغيم       | كما يستحب أو تلوننا       |
| قدرته لنظاً ولحظاً وإيماء      | بما ودت المنى أن يكوننا ! |

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| وكيف ننسى قول العقاد :   |                         |
| أين فى المحفل مى يا صاحب | عودتنا هاهنا فصل الخطاب |
| عرشها المنبر مرفوع الجنب | مستجيب حين يدعى مستجاب  |

### الموضوعات المطروقة

يضطر الكاتب فى أحيان ما أن يتحدث فى موضوع كتب فيه من قبل ، وليس لديه الجديد بشأنه ، فيعمد إلى بعض التكرار ، وقد لا يستطيع الاعتذار لظروف تلجئه إلى الحديث ، بل قد يكون الأمر من الصعوبة بالغاً حده حين يكون قارئه غير مختلف ، أو يكون الموضوع نفسه مما لا يتحمل الترداد ، لوضوح أغراضه ، وشيوع معانيه ، وهذا أمر معهود نلمسه وفى كل حين ، وهو فى الوقت نفسه موضع البراعة لدى قلم متجدد ، تنفسح الآفاق أمامه ليتراءى إلى أوج جديد ، وقد قدر للآنسة مى أن تخطب فى الجمعيات الخيرية لتحدث فى موضوع واحد هو الإحسان ! ولا أظن حديثاً كررته الألسنة ، ولا كتبه الأقلام

كهذا الموضوع ، والخطيب المسئول يقع في حرج ، حين يطالع سامعيه في احتفال عام بكلام ساقه من قبل ، ولكن الأنسة مى قد استطاعت أن تجعل من هذا الموضوع المنبرى رافداً جديداً للنظر ، فلها خطب كثيرة سيقّت هذا المساق ، إذ كانت تسرع لإجابة الداعى دون تلبث ، إذ أن جماعات البر في طنطا والقاهرة وسوريا أهابت بها أن تتكلم بل أن بعض هذه الجماعات أهابت بها أن تكرر الكلام في مناسبات متتالية ، وهنا يرى السامع عجباً أى عجب ، في استحداث الطريف الرائع في موضوع تليد !

فهى في خطبة أولى ترى الرحمة بالضعيف مجال التقدير الخلقى ، ومناط الارتقاء النفسى ، وترد في قوة على من يقولون إن الأشياء العظيمة تنحدر من الأعلى ، لأن في هذا القول تملقا للكبار ، وازدراء للصغار .

فهنالك أشياء رائعة آتية من الأعماق لا من القمم ، وهل من محيط أدنى مستوى وأعمق قراراً من البحر ، والبحر مستودع اللآلىء والعجائب ، وهو مرضع الينابيع والأنهار ثم هو ينبوع تمتص منه الشمس وما تعتقده في الجو غيوماً ، لتَهْطَلْهُ على الأرض بركة وخيراً .

فبنت الفاقة ، وبنت الألم لن تكونا ضعيفتين لأنهما في أسفل المحيط ، بل هما البحر الإنسانى وفي أعماقهما المجهولة .



كثير من الكنوز ، ولا بد أن نرعاهما ، ولئن ضاعت دموع كثيرة تسكبها الإنسانية في الظلام تحت لواحظ الكواكب الصامته فلن تضيع دموع عرفتها نفوس خيرة فهبت للإنقاذ .

وهى في خطبة ثانية تدعو إلى ترابط الأقلية مع الأكثرية ، فلا بد لذوى الثراء أن يفيضوا بخيرهم على الضعفاء ، ثم تلجأ إلى التصوير البارع فتتساءل :

ما هو النهر أيها السادة ، لن يكون النهر نهراً إذا انبثق من مصدره ، وأنصب في البحر دفعة واحدة ، إنما يتفجر ينبوع النهر من أعلى الجبال ، فيهرول مقهقهها على الصخور ، ويتدفق وسط الشواجن الخضراء ، ويجرى في الصحارى لتعود

رياضا وجنات ! يرضع الأشجار بتغلغله في صدر الأرض الملهب ، ويغذى الأثثار بالنمير العذب ، وكلما وزع من مياهه زاد اتساعاً وحركة وهديراً ، فيتابع السير إلى مداه في عطاء وكرم ، حتى إذا جلب النفع للكائنات وملاً الديار خيراً وجمالاً ، رأى البحر منبسطة لاحتضانه فشقه شهقة الرضى ، وانصب في صدر البحر مهللاً مكبراً ، كذلك عاطفة الأخوة لا تكون حقيقة إلا إذا خرجت من حيز القول إلى العمل ، تنفجر عذوبتها على الذرى ، وتجري نهراً كريماً بين طبقات المجتمع ، ترفع المسكين من بؤس الفاقة وتشر ضياء الرجاء لعيون أظلمتها أحداث الليالي ، فكم من درة في أعماق البحر لم تسربها النواظر ، كم من زهرة سطعت في القفر فضاع عبرها جزافاً في الخلاء .

وهي في خطبة ثالثة تدعو إلى الأخذ بيد الضعيف فتقول في لهفة :

«لقد مرت ملايين الأعوام ، وألوف الدهور ، والطبيعة صماء ، لا تلين لصراخ الضعفاء ، وزفير المتوجعين ونبضات قلبها الكبير لا تضرب إلا على وفق نبضات القلوب المنتصرة ، وكان أصواتها الكثيرة ، تهف للصاعد في سلم الغلبة ، وتشجعه فيدوس أعناق المندحرين متخذاً من جماجمهم تراقى يصل بها إلى القمة المنشودة ، هذا هو ناموس تنازع البقاء ، ناموس جائر إلا أنه قاهر ، ألا سكبت عليك البركات يا قلوباً سمت بكرمها ، فأدركت أن فوق نظام الظلم نظام الرحمة ، وأسبغت عليك النعم ، يا أيدي الشفقة والإحسان ، لأنك تكونين الحلقة الإنسانية الذهبية المتعالية على جور الطبيعة ، طموحاً إلى عظمة الألوهية!» هذه شذرات من خطب ثلاث في موضوع واحد !! شذرات تنبع من عاطفة ثرة لا ينضب لها معين ، بل يظل ينبوعها يجيش ويتدفق ويهدر ، لأنه يفيض من قلب نبيل ! ينبوع له صفاء البدر ، ونفاسة اللؤلؤ ، ودفع الشمس ، ونفح العبير .

### الشفق الغارب

وأعنى بالشفق الغارب آخر محاضرة لقتها مى في جمع حاشد من أعيان لبنان بالجامعة الأمريكية هناك ، بعد أن مضت محتتها الدامية متهمة بالجنون ، وبعد أن مضت محتتها الدامية متهمة بالجنون ، وبعد أن شربت المرّ من كأس

القريب ، وجفاء الصديق ، وحياد الزميل ، وإن شنيعا كل الشناعة أن ترمى بالجنون قدما متوحشا من قطاع الطريق ، وهو عاقل واع ، فكيف ترمى به إنسان شاعرة بلغت أرق ما تبلغه النسمة العاطرة من لطف شفاف ، لقد كان من نكبات العبقرية أن تحتجز مى فى مستشفى العصفورية وهى متقدة الشعور ، قوية الإحساس ، متيقظة التفكير ، تظن إلى مدب الزر فوق حداثها ، فكيف لا تفدحها الكارثة المزعومة وقد ألصقت بعقلها المنير .

لقد شاءت أن تثبت للملأ فداحة ما اتهمت به فألقت محاضرة عن رسالة الأديب فى الحياة العربية ، واتسع لها المجال قرابة ساعتين للتحدث فى قوة دافعة ، ومقدرة ساطية عن رسالة الأديب فى الحياة وعن ذخائر التوراة والإنجيل والقرآن من نفائس الأفكار ، فرسالة الأديب فى رأى المحاضرة النابغة تعلمنا أن الحضارة الميكانيكية أدوات نستبعدا ونستخدمها ، وأنه لا يكفى أن نضغط على الزر الكهربائى لننال سحرى النتائج . ولا يكفى أن نمطى الطائرة لنبلغ أبعد الآماد فى ساعات ، لأن الحضارة الآلية التى ألفناها تحتاج إلى رسالة أدبية تدعها تستند إلى الشعور الحى والوجدان المتيقظ ، وترعى تراث الأدباء ، باحثين عن الكمال ، نازعين إلى الحس الأدبى ، والجمال الروحى مناجين المتطور وغير المتطور والجمال الروحى مناجين المتطور وغير المتطور لنجعل من حياتنا المتناثرة حياة متناسقة متماسكة ! .

### خاطرة من مصطفى عبد الرزاق

ظهرت مجلة السفور الأدبية أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان محمد حسين هيكل ومنصور فهمى وطه حسين ومصطفى عبد الرزاق وأحمد حسن الزيات وعبد الحميد همدى من صفوة كتابها ، وقد تحدثت عنها حينئذ الآنسة مى فقالت: أما السفور فمجريدة حرية بكل اهتمام ، ينشر فيها مقالات شائعة كاتبان هما خيرة كتابنا ومن أدقهم فكرا وأعمقهم نفسا .

قالت ذلك مى ، فدفعت الأستاذ مصطفى عبد الرزاق إلى أن يقول : كل من له صلة بالسفور قد اغتبط بشهادة الآنسة الفاضلة ، ولكن الذى تنازعوا فيه هو تلك الزهرات التى نثرها يد الآنسة على رأسى كاتبين لم تعنيها .

لقد خفت أن تقع الشحناء بين محررى السفور فيأخذ بعضهم بخناق بعض تسابقا إلى ذلك الفضل العظيم ، فضل الثناء من أنسة مجلة المحروسة .

إن الثناء من الأنسة جدير أن يرسل الخيلاء إلى أشد الناس تواضعا ، وأكثرهم ورعا ، وجدير بأن يتدافع إليه بالراح من لا يتزاحمون على جزاء من الناس ! .

تلك خُطرة صادقة تبرز قيمة مى لدى أعلام الفكر فى الأدب المعاصرة ، كما أبرز رحيلها العاجل حسرة أليمة لدى من يعرفون معدنها الأصيل .

\*\*\*

### مى أدبية العصر<sup>(\*)</sup>

أكتوبر المشهر الحزين ، شهر الدموع والألم فى التاسع منه فقدنا كامل كيلانى وفى الرابع عشر منه فقدنا أمير الشعراء أحمد شوقى ، وفى التاسع عشر منه فقدنا أدبية العصر مى زيادة ، على اختلاف الأعوام بين هذه الأحداث فى حياتنا الأدبية .

وقرأت نعى مى فى الأهرام ، التى أصدرت عددا خاصا بها يوم وفاتها وذلك فى عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٤١ ، ثم أصدرت فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤١ عددا خاصا عنها فى ذكرى الأربعين ، والحرب العالمية الثانية مشتعلة الأوار ...

ولا أنسى حدثا آخر ، حدثا مؤثرا ، كان بعد ذلك بسنوات ، ففى خان الخليلى جلست إلى مكتبة لاشرى منها بعض الكتب ففوجئت بمكتبة مى ، أو بما بقى منها من كتب المكتبة مع أشياء أخرى من تحف مى ، فبكيت ، لأن حياة الأدباء رخيصة فى مجتمعنا وذخائرهم التى كان يجب أن يضمها متحف تصير نهبا موزعا فى كل مكان .

وكلما ذهبت إلى ندوتنا فى رابطة الأدب الحديث فى مساء كل ثلاثاء أتذكر

(\*) د. محمد عبد المتعم خفاجي.

مى زيادة وندوتها الأسبوعية التى كانت تعقد مساء كل ثلاثاء أيضا وكانت صالونا أدبيا رفيعا ، يجتمع فيه أعلام الفكر والأدب فى مصر ، من أمثال : إسماعيل صبرى ، وأحمد لطفى السيد ، وأنطون الجميل ، وداود بركات ، وخليل مطران ، وطه حسين . وولى الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، وسواهم ، وقد استمر هذا الصالون الأدبى ، الذى خلف صالون الأميرة نازلى ، منذ أوائل الحرب العالمية الأولى حتى أواخر عام ١٩٢٦ .

وكانت مى بنت لبنان ، قد شهدت فجر حياتها فى الناصرة بفلسطين . حيث كان والدها زيادة مدرسا فى إحدى مدارسها ، وكانت والدتها فلسطينية من بيت مشهور فى الناصرة وولدت له مريم أو مارى أو مى حيث هو مقيم هناك .

وفى مدرسة عنطورة بلبنان أخذت مى تتذوق الأدب ، وتنظم الشعر بالفرنسية ، حتى اجتمع لها منه جزء سمته «أزهار الحلم» ونشرته بأعضاء «أيزيس كوبا» سنة ١٩١١ فى مصر بعد هجرتها مع والدها إلى أرض النيل ، وكانت تكتبه فصولا فى جريدة يصدرها والدها فى القاهرة باسم «المحروسة» .

وفى مصر أقبلت على الأدب العربى ، وترجمت من الفرنسية إلى العربية رواية «رجوع الموجة» بأسلوب بليغ ثم ترجمت رواية «هجرة الفرنسيين إلى أمريكا» وطبعتها بعنوان «الحب فى العذاب» ، وعن الألمانية ترجمت رواية «غرام ألماني» وطبعتها بعنوان «ابتسامات ودموع» .

وعرفت مى فى الوسط الأدبى فى القاهرة ، وفى عام ١٩١٤ عقدت صالونها الأدبى ، وكان أحمد لطفى السيد من رواده ، ونصحها أحمد لطفى السيد بتلاوة القرآن الكريم لتقتبس من فصاحة أسلوبه وبلاغته .

وأثناء الحرب العالمية الأولى انتسبت إلى الحرب العالمية الأولى انتسبت إلى الجامعة المصرية القديمة ، وبعد وفاة باحثة البادية ملك حفنى ناصف أصدرت عنها كتابا بعنوان «باحثة البادية» عام ١٩٢٠ ، وكانت وفاة أخوتها ثم والدها عام ١٩٢٩ ثم والدتها بعد ذلك بسنوات ذات صدى عميق فى نفسها ، وبعد صدور الرسالة صارت من كبار كتابها .

وانتهى الأمر بهذه العبقرية الرائدة إلى مستشفى الأمراض العقلية في العصفورية بلبنان عام ١٩٣٦ إلى أن ألفت بها الأيام ثمانية في مصر عام .

### الذكرى المئوية لميلاد مى زيادة



١٩٣٩ ، وفي التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩٤١ ودعت مى الحياة إلى الأبد ، وبكاها الأدباء والشعراء بكاء مريرا .

كانت مى أديبة موهوبة حقاً ، وكانت مقالاتها الجميلة درراً تحلى صدر الصحف والمجلات ، وكان الأدباء يعدون لقاءها حظاً عظيماً من حظوظ حياتهم .

وكانت مى حقاً صاحبة موهبة أدبية عالمية ، وشخصية إنسانية رفيعة .

### مى وجبران

كان جبران خليل جبران قبل وفاته عام ١٩٣١ بزمان طويل يرأسها من نيويورك ، وكانت رسائله إليها مملوءة بالشجن والحب العنيف .

في عام ١٩١٣ أرسل جبران إليها كتابه «الأجنحة منكسرة» وقرأته ثم كتبت إليه تناقشه في فكرة «الخيانة الزوجية» التي جذها جبران في روايته ، وتوالت الرسائل والكتب بينهما ، ولما صدر كتاب «المواكب» لجبران عام ١٩١٩ وأهداه إليها كتبت عنه ناقدة .

وكتب جبران إليها عام ١٩٢٠ يقول من رسالة له : ماذا أقول عن قلب يضعه الله بين سراجين ، ماذا أقول عن هذا الرجل ؟ لا أدري ولكنى أسألك : هل تريد أن يبقى غريباً عنك ؟ لست وحدك ، نحن اثنان ، أنا أعرف من أنت .

وفي رسالة أخرى منه لها يقول فيها : متى يا ترى تفتتح الأبواب الدهرية ، هل تعلمين ؟ هل تعلمين متى تفتتح الأبواب الدهرية ؟



وعرض جبران عليها أن تسافر إليه في نيويورك ليتزوجا ولكن كيف تترك أبويها الشيخين وتذهب إلى نيويورك وعرضت عليه الحضور للقاهرة ولكن جبران مات وماتت أحلامه الوردية معه ، وانتهت قصة حب عنيفة اشتعل في قلبيهما فترة طويلة من الزمان ..

### مى وأحمد لطفى السيد

وتعرف أحمد لطفى السيد بـ«مى» في لبنان أثناء اصطيفاه فيها عام ١٩١١ وكان واسطة التعارف خليل سر كيس صديقة ، ثم أهدته مى في القاهرة كتابها «ابتسامات ودموع» ثم أخذ يقرأ لها يومياتها في «المحروسة» بعنوان «يوميات فتاة» وتوجيه لطفى السيد لها إلى بلاغة الأسلوب وإلى القرآن الكريم ، أخذ أسلوبها يتطور يوما بعد يوم إلى أن يصبح قريبا من أساليب كبار الأدباء .

وملأ حب هذه الفتاة قلب أحمد لطفى السيد ، وبخاصة ما بين عامى ١٩١١ ، ١٩٢١ .

وكتب إليها من الإسكندرية رسالة عام ١٩١٣ يقول فيها : أننى أذكرك دائما كلما هبت نسيمات البحر ، وكلما تجلى علينا البدر ..» .

فردت عليه ، ثم كتب لها رسالة ثانية يقول فيها : يسرنى أن أظل أكتب لك ، طول وقتى ، فلا تنفد مادة أنت ينبوعها العذاب .

وكتب لها رسالة فى ١٦ نوفمبر ١٩١٣ من برقين بلدته يقول : منزل طيفك يسرى معى وكلانا تغمره أشعة القمر الباهتة .

ولولى الدين يكن كذلك مع مى قصة حب تبدو لنا فى رسائله العديدة إليها . فمن رسالة له إليها يقول فيها : سيدتى ملكة الإلهام .. عندى قبلة هى أجعل زهرة فى ربيع الأمل أضعها تحت قدميك ، أن تقبليها تزيدى كرما ، وأن تردىها فقصاراى الامثال .

### مى والرافعى

وكتب مصطفى صادق الرافعى فى حبه العذرى لـ«مى» رسائل «أحزان الورد» .

وكتب إليها في ٧ يوليو ١٩٢٣ رسالة جاء فيها : لم أتطفل على أحد قبلك ، ولن أتطفل عليها مرتين ، نقول الشمس والقمر والنجوم ، فإذا أنت تريدين أن تراك من مرصد فلكى .. وكتب إليها أبياتا في مناسبة عزيزة عليها يقول فيها :

يعز علينا أن تكونى بموسم ولا نلتقى فيه سلاما ولاردا .

فإن كان هذا الغصن أنبت شوكة فما ذاك إلا أنه أنبت الورد .

## مى وأنطوان الجميل

ولانطون الجميل صلات مع مى وأية صلات ؟

في جريدة المحروسة لوالد مى التقى الجميل بمى ، وقرأ لها «يوميات فتاة» التى كانت تكتبها فيها وأشتعل قلبه حباً لهذه الفتاة الجميلة الموهوبة «مارى زيادة» وبعث لها برسائل كثيرة سجلت هذا الحب الذى دام طويلا ، كتب لها في ١٣ يونيو ١٩٢٦ يقول :

يلذلى أن أخطبك - يا مى باسمك مجردا من الوصف واللقب وكتب إليها من الإسكندرية رسالة يقول منها : بلغت البحر مأزودتنى له من سلام وتحيات حارة .. أستودعك الله ، يا حبيبى - على أمل لقائك بخير .

وأمين الريحانى هو الآخر له قصة حب مع مى وكان من أصقائها المعجبين المحبين .

أهدته كتابيها : «أشعة وظلال» و «الصحائف» ، عام ١٩٢٤ فبعث إليها برسالة طويلة جاء منها :

أشكر الله أنك صديقتى فتذكرينى مع من تذكرين .

والتقى الريحانى بها عام ١٩٣٨ على أثر خروجها من مستشفى «العصفورية» حيث استضافها في داره قبل عودتها إلى القاهرة ، وقبل عودته هو إلى نيويورك فكتب بعد ذلك لها يقول : صديقتى الغالية : وقفت في الرواق الشرقى لبيتى فإن ذلك البيت لا يعرف غير طيف واحد في حياته كلها ، هو الطيف الذى أشرقت فيه شمس مى ، ونورت فيه أزاهر مى ، وعدت فيه إلى

الأشجار ثمار أدب مى .

### مى والعقاد

والعقاد الخالد له هو كذلك مع مى قصص لا تنسى ، ورسائل كثيرة تعبق  
بعطر الحب وشذاه..

فى عام ١٩٢٥ كانت مى فى زيادة لألمانيا وإيطاليا فكتبت إليه رسالة من  
روما رد عليه برسالة يقول فيها :

أل روما لكمو منى الولاء .

وثناء عاطر بعد ثناء .

فى حماكم كعبة ترمقها .

مهج منا وأتاق ظماء .

أرقب البدر إذا الليل سجا .

فلنا فيه على البعد لقاء .

وفى مى كتب قصيدة يقول فيها :

ولد الحب لنا عاش الوليد .

وحماه الله من كيد الحسود .

وكتب فيها قصيدة أخرى عنوانها موت الحب بدأها بقوله :

ولد الحب لنا ، وأفرحتاه وقضى فى مهده ، والاسفاه ..

\*\*\*

## هل يفسد العقل الأنوثة (\*)

عاشت تكتب . وكان هذا غريبا في عصرها ، فالمرأة كانت للإحساس وليس للتفكير ، وكانت جميلة وهذا أيضا غريب ، فالجميلة لا تمسك القلم ، ألا لتلون شفيتها .

وكانت أيضا ذكية . وهذا هو الأغرب ، فالعقل يفسد الأنوثة ، وهى كما تبدو لهم أنثى ، وكل ثلاثاء يذهبون إليها، ويحدث الجدل والنقاش ، كان غرامها الجدل ، وكان غرامهم المرأة بغير جدل ، القدر المشوق بغير جدل ، عيون المها وبياض الحور بغير جدل ، لم يستطع واحد منهم أن يراها كما رأت نفسها ، وفشل الجميع فى حبها ، لم تكن مصرية حسب قانون الجنسية ، أمها من فلسطين وأبوها من لبنان ، لكنها تجاوزت القانون والأرض والمكان ، وأحبت مصر وماتت ودفنت فى مصر ، رأت الوطن فى عقلها قبل أن تطأه بقدمها ، الوطن عندها كان الإنسان رأى مكان ، حيث الحب وحيث العدل ، كانت سابقة لزمانها . وكانوا سجناء عصرهم ، لا يرون الوطن إلا مسقط رأس ، أو قطعة أرض كامرأة تمتلك ، كانت فى العشرين من عمرها . وكانوا كهولا فوق القمة . لكن شبابها كان أنضج من كهولتهم ، أرادت أن تكون كما هى .

وأرادوها مثل كل نساء عصرها . وظلت تدافع عن كيانها كعقل . فاتهموها بفقدان العقل . ووضعوها فى مستشفى كالسجن . فقاومت وأضربت عن الأكل . ولم تضرب عن الكتابة . وماتت فى شبابها وحيدة بلا أهل . وملايين النساء ماتت يحوطنهن الأهل . لكننا نذكرها ولا نذكرهن . أليس هذا عزاء لها ؟ ولكن امرأة تفكر مثلها ؟



## غرام مى وجبران

### بين الحقيقة والخيال<sup>(\*)</sup>



البحرانية خليل جبران  
البحرانية مى

تواترت الكتابات فى حب مى لجبران خليل جبران ، وعشق جبران لمى . وكاد يقسم الكتاب على صحة هذا الغرام ، وأثره البعيدة فى نفس كل منهما ، حتى أن بعض الأحداث التى جرت فى حياة الاثنين تم تفسيرها فى ضوء هذه العلاقة الغرامية ، فقليل أن من بين أسباب أزمة مى النفسية موت جبران عام ١٩٣١ .

وقد شغلت قصة الحب هذه عددا كبيرا من الكتاب لدرجة أننا نجد كتبها بكاملها لا تتعدى هذا الموضوع ولا تغير الحديث فيه إلى سواء مثل كتاب «مى وجبران لجميل جبر واهم ما استند إليه الأدباء فى هذا تلك الرسائل المتبادلة بين الاثنين وما تخللها من تعبيرات رقيقة وكلمات ناعمة حاملة . ولأيدانينا شك فى صحة المراسلات بين الصديقين ولا فى مادتها أو أسلوبها الشفيف المعبر عن أشواق كل منهما للآخر . ولكن هل كان هذا الحب عميقا شديدا فى القلوب على نحو ما جاء فى الرسائل وفى وصف الكتاب والمترجمين لمى وجبران ؟ أو أن الأمر

(\*) أحمد حسين الطماوي.

صار قصة غرامية تستريح الأذن فيها على أسلوب أنيق خيالى وعبارة موسيقية لطيفة الإيقاع . وكلمات حافلة بالشوق والحنين ، تستسلم النفس فيها حزنا على هذين العشيقين الذى مات كل منهما دون أن يقضى وطره من الآخر؟

أن هذه القصة يجب أن تثار من جديد ، ونحكم فيها العقل قبل الهوى ، ونتساءل : ألم يكن فى حياة جبران غير «مي» تؤنسه بصورتها فى حديثه ، ويقول لها فى رسائله ؟ وهل لم يكن فى خيال «مي» وواقعها غير جبران الذى لم تره إلا فى الصور من خلال ما يسطره ؟ أن الإجابة على هذين السؤالين قد تفيد من يستهدف الحقيقة ، وينشد الصدق دون مبالغة أو غلواء .

وقبل الإجابة والإيغال فى القضية نتساءل أيضا : ماذا يقول أى إنسان بغض النظر عن كونه من رجال الفكر – فى رجل يبعث برسائل العشق الحارقة ، وكلمات الغرام اللاهبة لعدة فتيات أو سيدات ؟ وماذا يقال فى أنثى تفعل نفس الشيء بالنسبة للرجل ؟

أتكون كل هذه الرسائل صادقة ؟

أتكون كل هذه الخطابات عبارة عن شقثة كلامية ومهارة أسلوبية ، وبخاصة من أناس يجيدون هذه الصنعة ؟

واقع الأمر أن فى حياة جبران الذى أقام فى أمريكا أكثر من امرأة حبر لها الرسائل الغرامية وصرح لها بالحب من خلال كلمات لا تقبل اللبس . وفى حياة «مي» التى أقامت فى القاهرة أكثر من رجل شهرت الليالى من أجله تدبج له خطابات طافحة بالعشق ، وتظهر عاطفة أنضجتها نيران الشوق .

### غراميات جبران

لقد تحدثت الكتب التى ترجمت لجبران بعد وفاته عن علاقات نسائية وبوسطن ونيويورك . وكان من بين هؤلاء النسوة اللاتى عرفهن سيدة تدعى «مارى هاسكل» فقد رآها فى بوسطن وتعلق بها وتعلقت به . وأرسلته إلى باريس على نفقتها ليصقل موهبته الفنية فى مجال الرسم والتصوير ، وهى السيدة التى شجعت على الكتابة باللغة الإنجليزية ، وكانت تراجع له ما يخطه

بالإنجليزية قبل أن يدفع به إلى المطبعة كما تقول بعض الروايات . وقد اعترف جبران بجميلها فكان يهديها بعض كتبه ومقالاته العربية (قبل أن يتحول إلى الإنجليزية) التي كان ينشرها ، فرفع إلى M.E.H .

(أى مارى ... هاسكل) مقالته «رجوع إلى الحبيب» ومقالة «أيها الفن» ولم نعرف أن جبران أهدى كتابا أو مقالة إلى «مي» طيلة معرفته بها .

وكانت هذه السيدة الأمريكية تروق لجبران «جمالها وجسديا وحسيا» ويورد طنى زكا فى كتابه «بين نعيمة وجبران» نصا من كتاب «أضواء جديدة» يوضح لنا فيه مدى إعجاب جبران بجسد مارى هاسكل يقول : « فى خريف ١٩١٤ يحدث (أى جبران) مارى عن الأجساد الجميلة ويقول لها أن جسدها مناسب التقاطيع بشكل جميل ، وأن النسب فيها بديعة جدا ، ويقول لها أن بنائها خارق لأنها خارقة جدا من ناحية جسدية . ونراه فى سنة ١٩٢٣ يأخذ عليها أمنيته بأن يكون ردفاها أصغر حجما مما هما فعليا ، ويقول لها أن رديها لها بالحجم الصحيح تماما ، وأن عليها أن تكون شكورة عليهما ، وأنها متناسبة التركيب فى جسدها كله بدون استثناء»<sup>(١)</sup> انتهى النص كما ورد فى المصدر المشار إليه .

وكانت مى على صلة بجبران عن طريق الرسائل منذ ١٩١٢ وحتى موته . فترى هل أحل جبران «ميا» فى قلبه بعد أن سحره قوام مارى هاسكل الفاتن ؟ وهل كانت «مي» قادرة برسائلها الإنشائية أن تفك عن جبران الأجساد العارية المتعانقة .

بل نتساءل : أكان جبران يتذكر «ميا» وهو مستو على مكتبه يسطر رسائل الحب لمارى هاسكل حينما كان يكتب لها : «أقبل يدك بجفنى يا أم قلبى العزيرة ، وحينما يقول لها أيضا : «والآن دعيني أصرح بكل ما فى حنجرتى من صوت أنى أحبك» .

ولم تكن مارى الأمريكية أقل إعجابا بالحبيب الفنان كانت تقول له : «با أعز تجليات الله يا معلمي» بل كانت تحدّثه بكلمات فيها جنس وعبودية فى وقت

(١) انظر مجلة الزهور لأنطون الجميل .

واحد . تقول : «آه يا رمانتى ، ويا زهرة الرمان ، أنت حريتى ، وربى الذى يفهم كل شيء»<sup>(١)</sup> ونوع العلاقة بين جبران ومارى هاسكل واضح من وصفه لجسدها فكيف رآه ، ومن كلامها عن حريتها معه ، فأية حرية يمكن أن نتخيلها بين رجل وامرأة . ترى كيف يطالبه القارئ كلمات جبران ، وكيف يتمثلها ، وبماذا يحكم على عواطفه الخفاقة ؟

وهذا غير ما قيل فى علاقة جبران بميشيلين الفرنسية ، وهيلدا اليهودية كما وردت فى كتاب «سبعون» لميخائيل نعيمة .

وأثناء علاقات جبران بهؤلاء الغربيات الشقراوات كان على صلة بمى زيادة ، يبعث لها بالرسائل المفعمة بالهوى على نحو ما نقرأ فى كتاب «الشعلة الزرقاء» لسلمى الحفار الكزبرى ، ورسائل جبران لمى التى قاد بجمعها جميل جبر ، فمع من نكون عواطف جبران ، أتكون مع ميشيلين أم مارى هاسكل أم هيلدا أم «مى» ، وهذا ما أمكن الكشف عنه ، والله أعلم بما حجبت الأيام ، وطوته الليالى فيما طوت من أخبار وأسرار .

## غراميات مى

أما «مى» فلم تكن أقل من جبران فى هذا المجال .

فقد كان صالونها الأدبى يجمعها بالرجال حيث تتحدث إليهم فى شئون الأدب ، وتعزف لهم الموسيقى ، وتقوم بالغناء وكان من جراء ذلك أن تعلق بها معظم الذين ترددوا عليها وأفصحوا لها عن غرامهم بالتلميح أو التصريح فى رسائلهم وأشعارهم . وكانت تبدو سعيدة بتنافس كل هؤلاء الاقذاد عليها . وكم سمع زوار صالونها أشعار ولى الدين يكن فيها وهى تلقىه جهرا عليهم<sup>(٢)</sup> ولا تجد جرحا فى ذلك لأن ولى الدين يكن رجلا مريض أنك الربو قواه ، وكان يكبرها سنا ، ولكنها كانت تخفى أشعار العقاد فيها مثلا . لأن العقاد شاب فى ذلك الوقت ، ودونها فى السن ، وقد تحوم حولها الشبهات . أنها تعرف ماذا تظهر وماذا تخبئ .

(١) انظر كتاب «بين نعيمة وجبران» لطنى فركا . مكتبة المعارف بيروت .

(٢) انظر كتاب «مى زيادة فى حياتها وآثارها» لو دار سكاكينى .



كانت «مي» معشوقة من قبل الجميع على وجه التقريب . أما هي فقد كانت تخصص بعضهم بعلاقات خاصة ، ولها رسائل غرامية تكشف شيئاً من هذا الجانب في حياتها .

وقد أورد الأستاذ محمد عبد الغنى حسن<sup>(١)</sup> رسالة غرامية . بعثت بها إلى مصطفى صادق الرافعى .

وتقول فيها :

«أتذكر إذ التقيان وليس بيننا شائكة ، فجلسنا مع الجالسين لم تقل شيئاً فى أساليب الحديث . غير أننا قلنا ما شئنا بالأسلوب الخاص باثنين فيما بين قلوبهما . وشعرنا أول اللقاء بها لا يكون مثله إلا فى التلاقى بعد فراق طويل كان فى كلينا قلباً ينتظر قلباً من زمن بعيد . ولم تكد العين تكمل بالعين حتى أخذت كلتاهما أسلحتها ، وأثبت اللقاء بشذوذه أنه لقاء حب «وقلت لى بعينيك : أنا ... وقلت لك بعينى : أنا ... وتكاشفنا بأن تكاتمنا .

«وتعارفنا بأحزاننا كان كلينا شكوى تهم أن تفيض بيشها .

وجذبتنى سحنتك الفكرية النبيلة التى تضع الحزن فى نفس من يراها .. فإذا هو إعجاب .. فإذا هو أكبار .. فإذا هو الحب ...

وعودت عين من تلك الساعة كيف تنظران إليك ؟ وجعلت أراك تشعر بها حولك شعوراً مضاعفاً كان تشعر بها حولك شعوراً مضاعفاً كأن فيه زيادة لم تزد .. وكان الجو جو قلبي .

«وتكاشفنا مرة ثانية بأن تكاتمنا مرة ثانية» .

### مى والرافعى

وقد علق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن على هذه الرسالة قائلاً : «لعل فى هذه الرسالة أبلغ رد على من ينكرون تبادل الحب بين مى والرافعى ماذا يمكن أن تقوله امرأة فى التصريح بالحب من جانبها أكثر من هذا» انتهى .

(١) انظر كتاب «مى أدبية الشرق والعروبة» لمحمد عبد الغنى حسن .

أن «ميا» لا تبالي وهي تودع رسالتها أسرار قلبها ، وتكتم الحب باللسان ، لتكشفه بالعيون . وهو وما يتناسب مع رجل أصم مثل الرافعى . وفي مثل هذه الأحوال يغنى التلذذ بالنظر عن الاستمتاع بالحديث ومثل هذا الكلام يفعل بالقلوب ما لا يفعله أى شيء آخر حتى السحر بل أن كل عاشق يتمنى لو وصله رسالة لفرط بلاغتها ، وقوة دلالتها .

وقد تناقض القول في حب الرافعى ومي . فمن الأدباء من أقره ، ومنهم من أنكره ، حتى هذه الرسالة تشكك السيدة وداد السكاكيني في نسبتها إلى «مي» في دراستها عنها .

وإذا كانت علاقة مي بالرافعى فيها بعض الشكوك ، فإن علاقة مي بالعقاد ليس فيها ما يدعو إلى عدم التصديق لكثرة الأحداث وتنوعها ، ووفرة الشواهد والمواقف فيها .

فما رواه الأستاذ طاهر الطناحى عن علاقة العقاد بمي والتأكيد عليها بالأدلة والوثائق ، فقد أثبت في كتابه «أطياف من حياة مي» رسالة بعثت بها أدبينا إلى العقاد من برلين في ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٢٥ تقول له فيها ردا على قصيدة بعث بها إليها :

«.. أننى لا أستطيع أن أصف لك شعورى حين قرأت هذه القصيدة وحسبى أن أقول لك أن ما تشعر به نحوى هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان .

«بل أننى خشيت أن أفتحك بشعورى نحوك منذ زمن بعيد - منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة المحروسة . أن الحياء منعنى . وقد ظننت أن اختلاطى بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك . وعرفت لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران»<sup>(١)</sup> .

وتكاد تنصل من علاقتها بجبران أو تقلل من عمق هذه العلاقة فتقول :

(١) انتقد العقاد قصيدة المواكب لجبران في جريدة الأهالي «العبد القادر حمزة» ثم ضمن النقد في كتابة «الفصول» .

«.. لا تحسب أنني اتهمك بالغيرة من جبران فإنه في نيويورك لم يرني ولعله لن يراني ، كما أنني لم أره إلا في تلك الصورة التي تنشرها الصحف .

«سأعود قريباً إلى مصر وستضمننا زيارات وجلسات أفضى فيها لك بها تدخره نفسى ، ويضمه وجدانى . فعندى أشياء كثيرة سأقولها لك في خلوه من خلوات مصر الجديدة...» .

وإذا كان تاريخ هذه الرسالة هو عام ١٩٢٥ فإن شعورها الدافئ نحو العقاد يرجع إلى زمن سابق على نحو ما تصرح به في أول رسالتها إلا أن الحياء من مكاشفته بوقوعها في شباك غرامه ، وهذا يعنى أنها بدأت تتعلق بالعقاد بعد معرفتها بجبران ومع ذلك استمرت رسائل الغرام بينها وبين جبران وبينها وبين العقاد .

ولم يعد العقاد يذهب إلى «مي» يوم الثلاثاء بل كان لقاءه معها يوم الأحد من كل أسبوع . ويذهبان في بعض الأحيان إلى كنيسة الظاهر حين تعلن عن أفلام الفانوس السحرى . وفي هذه الأثناء التى كانت «مي» هائمة فيها مع العقاد في صحراء مصر الجديدة ، وكنيسة الظاهر ، وجلسات يوم الأحد . كانت تبعث إلى جبران بالرسائل العاطفية ، ففي يناير ١٩٢٤ تقول لجبران «ولتحمل إليك رقعتى هذه عواطفى فتخفف من كابتك أن كنت كئيباً ، وتواسيك أن كنت في حاجة إلى المؤاساة» .

واستمرت بعد هذا التاريخ في صحبة العقاد تستدفى بأشواقه المتدفقة في إشعاره ، وفي نفس الوقت لا تتوقف عن مراسلة جبران الذى كان بدوره لا يمل النظر إلى جسد مارى هاسكل وبنائه الخارق .

أذن فأين التوحد في الحب والوفاء للحبيب ؟ يقول ابن حزم : «وأول مراتب الوفاء أن يفى الإنسان لمن يفى له ، وهذا فرض لازم ، وحق واجب على المحب والمحبوب لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لأخلاق له ولا خير عنده» والآنسة مى لا تلعب مع الحبيب الدور الأوحده منساقه في ذلك بمشاعرها مدفوعة بإرادتها ، مستجيبة لطبيعتها . وإنما تخاطب هذا وتخالط ذاك مستندة في

ذلك إلى أن هذا لا يعرف من أمر ذاك شيئا ، وهل ها هو الحب حتى في أدنى معانيه ؟ أو أنه من جنى الأدب ، وفيض القريحة ، ومجاز الشعراء والكتاب .

وواضح من رسائل مى وجبران من كلا منهما يهوى الآخر على مهل فيبعث أحدهما برسلة وينتظر من الآخر الرد عليها ، وكأن الحالة بينهما تسلية ظريفة ، وتقوم بدور الفضفضة عما ران على نفسيهما من آلام الحياة وأوجاعها .

أما «الونه» وهى أشد حالات الحب : حيث يذهب صواب المحب ، فأغلب الظن لم تكن بينهما ، وإلا كان أندفع أحدهما إلى الآخر دون حساب لتقاليد أو أعراف ، فالعاشق عندما يجمع به العشق لا يتبين الغى من الرشد ، ولا يميز بين الغلط والصح ، والحب ليس كلاما جميلا ، وإنما هو قدرات نفسية تدفع قدرات نفسية لتفعل معها ، وقوة روحية تؤازر قوة روحية للتعانق معها في وحدة واحدة وانفعالات حسدية تحرك انفعالات جسدية وتتلاقى الأبدان في رباط مقدس لا تنفصم عراه .

وما جرى بين مى وجبران لم يتجاوز حد الكلام والسلام والشوق والوئام دون أن يحاول أى منهما أن يطوى المسافات التى تفصل بينهما . وهل كانت «مى» تعتقد في قرارة نفسها أن جبران يحبها حقا ؟ لقد دعتة إلى لقائها في أوروبا فلم يستجب ، وأرسلت إليه ليرور مصر فلم يلب النداء . ألم تقرأ كلام جبران عن الحب في كتاب النبى :

«فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض في حياتكم المشتركة ، ولتدعوا رياح السموات تراقص فيما بينكم . أجل فليحب أحدكم الآخر . ولكن لا تقيدوا الحب بالقيود . بل ليكن الحب بحرا متموجا بين شواطئ نفوسكم» .

فالحب عنده ليس اتحادا أو فناء كل حبيب في الآخر ، وإنما الحب يحيا بعيدا عن التضام . وأية فتاة في الشرق تقبل الحب من خلال هذا المفهوم . والخلاصة أن جبران لم يكن له واحدة فقط هى «مى» مثلا يعشقها ويهيم بها

و «مي» لم تنفرد بواحد فقط هو «جبران» مثلاً تحبه وتتوق إليه .  
وأن تقرير شييء في هذه القضية - والحالة هذه - فيه صعوبة ، ، والإحدى  
أن نتساءل عمن كان أرفع منزلة في عيني كل منهما بدلا من حسم الكلام والقول  
بأن «جبران ومي» كان كل منهم يذوب حبا في هوى الآخر .

\*\*\*

## المصادر الأجنبية لأدب مي(\*)

تتيح حياة مي ونشاطها الأدبي جوانب عديدة لمن يهوى البحث ، ويرغب  
في الدروس ، ويتحمل معاناته وأهواله

ثمة جانب لا يقل أهمية في حياة مي ، وأعني به المصادر الأجنبية لأدب مي  
وثقافتها ، ماذا عرفت من لغات ، وإلى أي حد أجادتها ، وأين يتجلى ذلك في  
كتاباتنا ، وفي هذا الجانب - ولا أعرف أحدا عرض له من قبل - أحاول أن  
أسهم بشيء يجيء خطوة أولى على الطريق .

### نبوغ مبكر

كان أول لقاء لمي مع اللغات الأجنبية في سن مبكرة جدا ، ولا نعرف متى  
بدأت تتعلم الفرنسية ، ولكنها تذكر لنا أنها قرأت للمرة الأولى وهي في العاشرة  
من عمرها قصة «أبرص بلدة آووستا» باللغة الفرنسية ، بقلم كزافييه دي ميستر  
، وأعجبت بها ، واستمرت في دراستها لها حتى أدخلها أبواها ، وهي في الثالثة  
عشرة من عمرها ، داخلها مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة في لبنان ، حيث  
قضت أربع سنوات ، ١٨٩٩ - ١٩٠٣ ، وانتقلت بعدها إلى مدرسة الراهبات  
اللعازيات في بيروت ، وأمضت بها عاما واحدا عادت بعده إلى الناصرة في  
فلسطين حيث يقيم أبواها .

ولا يحتاج المرء إلى جهد كبير ليدرك أن لغة التعليم في كلتا المدرستين كانت

(\*) د. الطاهر أحمد مكي.

الفرنسية لجميع المواد ، ماعدا العربية بالطبع ، وأن التلاميذ كانوا يدرسون إلى جوارها شيئاً من اللاتينية ، ثم الإيطالية أو الإسبانية ، أو هما معا ، فقد كانت سوريا إذ ذاك منطقة نفوذ فرنسية في المجال الثقافي ، وكانت مدارس الإرساليات الكاثوليكية ، وتدين بالولاء المباشر للفاثيكان في روما ، تعنى بلغات كبريات البلاد الكاثوليكية في أوروبا : فرنسا وإيطالية وإسبانيا على الترتيب .

ويضم كتاب «سوانح فتاة» لى ونشرته عام ١٩٢٢ ، مجموعة من المقالات نشرت في صحف مختلفة ، ومن بينها مقالة بعنوان «عائدة تتذكر» ، وعائدة هو الاسم المستعار الذي كانت توقع به مقالاتها أحيانا ، وهى عن ذكرياتها تلميذة في مدرسة راهبات الزيارة ، ونعرف منه أنها كانت تحب الجرى واللعب والضحك ، ولكنها وحيدة الروح ، كثيرا ما تنزج إلى أطراف الساحة ، تنظر إلى البحر البعيد ، وتتأمل زرقته الفيحاء ، واستدارة الأفق المخيم عليها تتمتع بجمال الطبيعة ، وتحس نحوها بالهبة والجلال .

وأنها كانت تحسن ركوب الخيل على حداثة سنّها ، وقطعت على ظهر الجواد سهولا وجبالا ، بين الأشجار ، وعلى الصخور ، وحول القمم .

وأن صداقة حارة تكونت بينهما وبين إحدى الراهبات على مرور الأيام ، ذكّاه غزارة العاطفة وحدة الذكاء عند كليهما ، وكانت هذه الراهبة وحيدة بين لداها وحدة عائدة بين التلميذات .

وأنها كانت تعمل في المدرسة مرغمة ، تحت مراقبة راهبة لا تحبها ، تجهل أساليب التعليم ، وكل فضائلها أنها ابنة مارشال فرنسى ، وكانت «عائدة» توجه إليها كل كلمة حوّاها كتاب الصلاة في هجو الشيطان واحتقاره .

وفي الدير خلال أعياد الميلاد ، ترحل الفتيات إلى أهاليهن ما عداها ، فتقضى وقتها في غرفة الموسيقى المنفردة ، في أطراف الحديقة ، تحميم عليها الأشجار ذات الغصون العارية ، تعزف على البيانو .

غير أنها لم تقدم لنا ولا لمحة واحدة عما درست أو قرأت ، أو أحبت أو

كرهت ، من مواد تعليمها .

وفي عام ١٩٠٥ عادت إلى الناصرة ، وخطبت لابن عمها ، وتكشفت عن شغف بالعلم لأحد له ، وبدأت تنظم أشعارا باللغة الفرنسية .

وبعد ذلك بعامين ، في ١٩٠٧ ، تنزح الأسرة إلى مصر ، وكانت في تلك الفترة الباكورة من يقظة العالم العربي مهبط المفكرين ، وموئل المناضلين ، وملاذ المضطهدين والخائفين ، وغاية الذين ضاقت بهم في بلادهم سبل العيش والحياة . وفي القاهرة بدأت مى تدرس اللغة الفرنسية لبعض بنات العائلات ، إذ كانت لغة الطبقة العالية ، والإقبال عليها بينهم كبير ، رغم الاحتلال البريطاني الجاثم على العقول والقلوب ، لأن المزاج المصرى ، فيما يرى يحى حقى ، كان في ذلك العهد لا يحس بالغربة إذا اتصل بفرنسا ، كما يحس بها إذا اتصل بإنجلترا ، وهو أثر من تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، وساعد عليه أن بعض كتاب فرنسا لعبوا أدوارا سياسية في حياة بلادهم ، وأصبح أسمهم رمزا للحركات التحررية ، فذاع صيتهم في مصر ، مثل فيكتور هيجو ، وترجم له حافظ إبراهيم البؤساء ، أما المنفلوطى فلم ينقل إلا عن الأدب الفرنسى .

يتجلى تمكنها من اللغة الفرنسية وأدبها في باكورة إنتاجها ، إذا كان ديوانها الأول «زهرات حلم» «Fleurs De reve» باللغة الفرنسية ، وصدر في القاهرة عام ١٩١١ ، وهى في الخامسة والعشرين من عمرها ، وكان بتوقيع إيزيس كويبا ، وإيزيس آلهة الخصب والأمومة عند المصريين القدماء ، وكويبا كلمة لاتينية تعنى الغزارة والوفرة .

تغلب على ديوان «زهرات حلم» نزعة رومانسية حادة ، تتجلى في الشغف بالطبيعة . وسيطرة الكآبة والحزن على قصائده ، وصوّرت فيه انطباعاتها عن الطبيعة والحياة ، والكون وأسراره ، بما يتلاءم ومشاعر فتاة يافعة ، في بساطة متناهية ، وسذاجة حلوة .

يتجلى تأثر مى واضحا في ديوانها باثنين من كبار شعراء الرومانسية الفرنسية

أولهما لمرتين (١٧٩٠ - ١٨٦٩)، وكان ذا طبيعة مثالية، رقيقة نبيلة، صلب العود، رجلا بمعنى الكلمة، بعيدا عن العواطف المتدنية، وأمضى حياته من أجل الجمال والخير، وله من دواوين الشعر «التأملات» و «الأنغام» و «جوسلان»، ويتميز إبداعه بالضبابية والغموض، وهما صفتان يتيحان للأفعالات أن تعبر عن نفسها في حرية أكثر، وأهدت مى ديوانها إليه، وفيما بعد سوف تقوم مثله برحلة إلى إيطاليا، وسحر المياه المتدفقة، ووشوشة النوافير في الميادين، وسوف تكتب مقالها: «نشيد إلى يناييع روما»، وتنشره في مجلة الهلال [ج٣٤، أول يناير ١٩٢٦].

وكان الثاني الفرد موسيه (١٨١٠ - ١٨٥٧) وكان متقد الذكاء، خياليا ساحرا، سار في الاتجاه الرومانسى فترة قصيرة، ثم فُجع في غرامه، فأخذ يكتب أشعارا حزينة رائعة، وكان القانون الوحيد الذى يلتزمه في إبداعه أن يخلص لمشاعره، ومن ثم فهو يزدري الصعقة في الفن مهما كانت عالية. وعاش طفلا مدللا قبل أن يكابد ألم العشق الذى جعله أكثر رزانة، دون أن يغير من طبعة، ومرهف الحس محبا لنفسه، وعلى استعداد للحب، وشديد النهم أن يكون محبوبا، متقلبا في هواه، شديد الحماسة، يطيب له أن يتمتع بالحياة، ولا يرتوى من الملذات قط.

أما الآخران فهما اللورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤) وشيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢)، وهما من أعلام الرومانسية الإنجليزية، وأتصور أن تأثرها بهما في هذه المرحلة من حياتها، كان عن طريق قراءة أشعارهما مترجمة إلى الفرنسية، إذ لا أتصور أن دراستها للغة الإنجليزية بعد وصولها إلى مصر كانت كافية، لضيق الوقت، أن تتعلمها وتحيدها، وتقرأ به شعرا، ويترك في أعماقها وإبداعها صدى.

يبدو تأثير مى بهذه الباقية من الرومانسين واضحا في اندماجها مع الطبيعة، وهروبها إليها، وجموح خيالها، وسيطرة الأحلام على مشاعرها، وتغنيها بمرباع طفولتها في الناصرة، ومهابط صباها في جبال لبنان وأوديته وغاباته وشطآنه، وخطاها على سفح المقطم وفوق صفحة النيل في مصر، وجاءت القصائد في



أوزان الشعر الفرنسي الكلاسي ، أما المقطوعات فكانت ضرباً من الشعر المشعور .

أحيط الديوان عند صدوره بهالة من الترحيب والتبجيل ، فقرظه أنطون الجميل في مجلة الزهور ، والدكتور شبلى الشميل في مجلة المقتطف ، وأهدى لها خليل مطران بمناسبة قصيدته : «إلى مي» .

وفى عامى ١٩٢٣ و ١٩٢٥ نشرت مجلتا الهلال والمقتطف عددا من هذه القصائد مترجما إلى اللغة العربية ، وقد تكون له ترجمات أخرى لما تكتشف ، وفى عام ١٩٥٢ قام الدكتور جميل جبر بترجمة بعض قصائد الديوان ، وضم إليها ما نشرته الهلال والمقتطف ، وأعطاه عنوان : «أزاهير حلم» ، تأليف مى زيادة ، ولكن ما نشره ليس كل قصائد الديوان ، ولا حتى جله ، إذ بقى جانب من قصائده لم يترجم بعد .

وبعد هذا الديوان لم تعد مى تكتب باللغة الفرنسية ، إلا بعض المقالات والتعليقات بين حين وآخر ، وإنما اتخذت من العربية أدواتها ، فالأديب يدع ليقراء الناس ، والقارئون بالفرنسية فى مصر والعالم العربى قلة ، أما قراء العربية فهم الكثرة الغالبة ، ومن المؤكد أنها لو قصرت نشاطها على اللغات الأجنبية لما بلغت هذا القدر الذى حققته من الشهرة والخلود .

ولكن مى بعد أن تركت الفرنسية لغة أداء لم تتخل عنه مصدر تثقيف ، فنجدها معجبة أشد الإعجاب بالكاتب القصاص الفرنسى بيير لوتى (١٨٥٠ - ١٩٢٣) ، وطالما عاشت فى الصفحات الجميلة من كتبه ، فيما تقول ، وطالما استسلمت لسحر بيانه ، وذات يوم حملت كتابه ، «موت أنس الوجود» وطالعت بعضاً من فصوله فى المتحف المصرى ، على مقربة من قاعة المومياء ، بهدوء وتأمل ، وهذا الكتاب كتبه لوتى عام ١٩٠٧ وأهداه إلى مصطفى كامل ، وكان مثل ابنا روحيا لمدام جوليت آدم ، وحبذت الدعوة التى ارتآرها على أيامها بعض الكتاب من تعريب الكتاب ، وبقية مؤلفات لوتى الأخرى عن الشرق الأدنى ، ومع أنها تراه صديق الشرق ، لا ترى شبيبتنا فى حاجة إليه ، وإنما هم

أحوج إلى كتب أستاذه أقوياء ، يكتفونها ويستحثونها على الرجاء ، ويشون في نفسها اليقين . فترجمة كتبه خطيرة لمن لا يعرف أن يتسلى بسحر لوتى تسلية ، ويعجب بببائه دون أن يحسب قوله درسا وأمثلة .

فهى تقرؤه بإعجاب ، ولكنها لا تتردد فى الحكم عليه بأنه كثير النواح والشكوى والتذمر ، يؤذى من لا إلمام له بأداب الغربيين ، أو من كان قليل الإلمام بها ، كما كان قبله روسو ، ناصب المناحات الكبرى ببلاغته العميقة الملتبهة وشكاواه الحزينة المؤثرة (مجلة المحروسة ، عدد الثلاثاء ٢٦ يونية ١٩٢٣) .

غير أن الحق ليس مع مى ، وكل ما هنا لك أن ببير لوتى لم يكن رومانسيا خالصا ، وإنما احتفظ بأفضل ما فى الأدب الواقعى من عناصر ، وحلق فوق المذهب الطبيعى ، ويراه قومه من كبار المصورين فى الأدب الفرنسى ، ويضعونه إلى جانب شاتوبريان ، وإنتاجه ضخيم جدا ويملا ثلاثة وسبعين مجلدا ، من القصص والخواطر والرحلات ، فقرأته مى وهى رومانسية الشعور والباطن ، وإن لم تؤمن بها نظرية وإتجاهها ، فلم ترفيه إلا هذا الجانب الباكى الحزين .

### إلهام وتوافق

وفيا بعد سوف يحتفى طه حسين بلوتى احتفاء شديدا ، وأراه وقع على اسمه فى متدى مى بدءا ، إذ كان بالغ الذكاء فى التقاط مادته وثقافته من أى مكان يرده ، ومن أى كلمة تصك سمعه ، ثم مضى مع فكر الكاتب الفرنسى سائحا حين تمكن من الفرنسية وأجادها .

كذلك تأثرت مى فى كتابة الرسائل ، وما أكثر ما كانت تكتب منها بمدمام دى سفينييه (١٦٢٦ - ١٦٩٦) ، وكانت هذه أحد ثلاثة شعروا بكتابة هذا النوع الأدبى ، شيشرون فى القديم ، وهى وفولتير فى عصرنا الحديث ، ونشرت مى عنها دراسة فى مجلة المقتطف يولية ١٩١٨ ، أتت فيها على حياتها وأدبها وعصرها لأنها لا تذكر إلا ويذكر معها القرن السابع عشر ، وفيما أرى أنها اختارت هذه السيدة لأوجه شبه كثيرة كانت بينهما ، ليس من الضرورى أن تجئ وليدة درس وبحث ، وإنما قد تنبثق عفوا من الأعماق إلهاما ورضى .

ذلك القرن شهد عظماء الفكر والأدب الفرنسي ، إنه عصر لويس الرابع عشر ، وعرف صالون دى رمبولى ، سيدة عظيمة كانت على جانب عظيم من العلم والذكاء ، تستقبل زائريها من كبار القواد ، وأعظم الأشراف ، ومشاهير الشعراء والكتاب ، فى غرفة دخلت التاريخ تحت اسم «الغرفة الزرقاء» وفيها كانت تدور المباحثات حول موضوعات أدبية ولغوية واجتماعية ، وإلى جانبها صالونات أخرى شهيرة ، مثل صالون مدام دى ستال وصالون مدام جوفون .

أليس هذا هو ما كان يحدث فى منتدى مى ؟ كانت مدام دى سفينييه تختلط بالأعيان والأشراف ، وتراقص الملك ، وتلتقى بكثيرين من مدعوى البلاط ، ولكنها دخلت التاريخ بالعديد من رسائلها البليغة ، تخطها لابتتها بقلمها الرشيق ، أو إلى أصدقائها العديدين ، تصف لهم كل ما يجرى فى الصالون أو فى باريس .

ولا تقف مى عند حد الإعجاب بها ، وإنما تقارن بين شيشرون وفولتر ومام سفينييه ، وترى الأول مشرعا وخطيبا ، والثانى باحثا ومفكرا ، والثالثة امرأة لم تكن متفوقة فى فكرها ، بل فى شعورها وذلك يقول البعض أعظم نبوغ وأفضل عبقرية .

إن مى هنا تصف نفسها !

وقد قرأت كتاب التأملات ليفكتور هيجو (١٨٠٢ - ١٨٨٥) وتنقل عنه قوله : «إن الكلمة كائن حي» ، وأوجزت حكايته : «إمير حلوا : رمز الشبيبة المعذبة» ، وعرضتها فى مجلة الرسالة (العدد ٩٩ ، ١٧ مايو ١٩٣٥) مع أنها أقل كتاباته ذيوعا ، لأنها رأتها أكثر ما تكون انطباقا على حالة طائفة من الشبان فى عصرها ، وفى بلادنا ، مع اختلاف نوع الحافز لانعدام الغرام .

وحين درست عائشة تيمور شاعرة الطليعة ، أرادت أن تقدم وصفا للحياة فى القاهرة القرن التاسع عشر حيث عاشت الشاعرة ، وهى أيام لم تعيشها مى ، إذ صدر كتابها عام ١٩٢٦ ، وكانت هناك أشياء كثيرة قد تبدلت ، نقلت لها وصفا دقيقا مفصلا عن كتاب اكزافيه مرنيه «من القسطنطينية إلى القاهرة» ، وكتب

رحلته هذه عام ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ، وكان عضواً في الأكاديمية الفرنسية .

وإذا أرادت أن تصف بيت عائشة التيمورية من الداخل اعتمدت على وصف منازل الطبقة العليا في ذلك العهد وحتى أوائل القرن العشرين ، كما تقدمه نية سليمة NIYASALIMA ، وهو الاسم المستعار الذي

كانت تكتب به زوجة حسين رشدي الفرنسية ، أحد رؤساء الوزارات في تلك الأيام ، ولها كتابان باللغة الفرنسية ، أولهما : «حريم مصر ونساؤها المسلمات» والآخر رواية حملت اسم «المطلقات» ، وطبعاً في مصر عام ١٩٠٧ ، وكانت هدى شعراوي أعارتها الكتاين ، وأطرتها : إنها أصدق ما قرأت من نوع هذه الكتب في وصف العادات المصرية ، وأكثر إنصافاً ، وأقربها إلى الواقع .

وهي تعرف المستشرق الفرنسي كليمان وار (١٨٥٤ - ١٩٢٦) ، وكتابه «تاريخ الأدب العربي» ، وصدرت طبعة الأولى في باريس عام ١٩٠٢ ، وكانت تملك الطبعة الثانية منه ، وصدرت عام ١٩١٢ ، وهو سفر جامع لتاريخ الأدب العربي منذ الجاهلية حتى أيام المؤلف ، ولما يترجم إلى العربية ، ولكن أحمد حسن الزيات أتكا عليه كلية في كتابه «تاريخ الأدب العربي» ، وقد التقطت مى خاتمة لتبدأها تعليقاً جيداً على كتاب «حضارة مصر اليوم» ، ونشره قسم الخدمة العامة في الجامعة الأمريكية في القاهرة ، وجاء تعليقها عليه في مقالين متتابعين نشرتهما في مجلة المقتطف . [جزء ٨٣ يولية ١٩٣٣] . وجاء في هذه الخاتمة : «أما مانود أن تأخذ به اللغة العربية في المستقبل فهو جلاء التعبير ، وبساطة الأسلوب ، فإذا يوم يحقق هذه الأمنية استطعنا التنبؤ بعهد زاهر للأدب العربية» .

وهي حين تورد قوله هذا تلمح إلى ما في قائمة الصحف والمجلات التي صدرت في القرن التاسع عشر ، وأوردها المستشرق في نهاية كتابه ، من خطأ في نسبة بعض الصحف إلى غير أصحابها ، وفي التاريخ الذي عينه لصدور صحف غيرها .

وعبر كتبها ، في أمكنة مختلفة منها ، نلتقى بأسماء فولتير ، وروسو ، وديكارت ، ومارمونتيل ، وغيرهم من أعلام الفكر الفرنسي ، وترجمت عن

الفرنسية رواية «رجوع الموجة»، ولكنى لم أهتم إلى مؤلفها، ولم تشر هى إليه، فيها قرأت لها.

## إجادة تامة للإنجليزية

كان الرافد الثانى فى ثقافة مى الأجنبية هو اللغة الإنجليزية، وبدأت فى دراستها بعد وصولها إلى مصر، وساعدها على التمكن منها فى وقت الجو السائد فى مصر يومئذ، وفى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ أعلنوا عليها الحماية، وحكموها مباشرة، وبدأت اللغة الإنجليزية تأخذ مكانها فى مناهج التعليم، والإدارة، والحياة العامة، وذلك إلى جانب الاستعداد الفطرى عند مى نفسها، وولتقى بها متمكنة فى هذه اللغة، تكتب بها المقالات فى جريدة الاجيشيان ميل اليومية، بتوقيع خالد رافت، وفيها دخلت فى مناقشة حامية وطويلة، شغلت عدة مقالات بين أخذ ورد حول المجمع اللغوى والحاجة إليه ومهمته، واللغة العربية ورقيا، لزمت فيها جانب الدفاع عن العربية فى مواجهة سبيرويك، وكان إنجليزيا من دعاة العامة فى مصر، ويرى العربية عقبة صعبة فى طريق تطور مصر حضارة وفكرا.

ومن الواضح أن إجادتها اللغة الإنجليزية لم تقف عند حد القراءة فحسب، وإنما تجاوزتها إلى القراءة بها، ففى الحفل الذى أقامه طلبة قسم الآداب الإنجليزية فى الجامعة المصرية، فى فندق شبرد، فى إبريل من عام ١٩١٨، تكريما لأستاذهم، أسهمت فيه، وكانت طالبة بالجامعة يومها، بكلمة ألقته باللغة الإنجليزية، ونشرت ترجمتها إلى اللغة العربية فيما بعد.

وكان الشاعر الإنجليزى تينسون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) من أقرب الشعراء الإنجليز إلى قلبها فيما بعد، وإلى كل أدباء عصرها فى مصر فى الحقيقة، وكان قد انتهى به الحال فى وطنه إلى أن ينعت بأنه أكبر شاعر فى وطنه وفى عصره، كما كان يقال عنه «عند الخروج من المدرسة التصويرية أو الشعورية يبدو تينسون رائعا، وكل الأشكال والأفكار التى ذبلت عادت إلى الظهور معه، مصفاة، ومعتدلة، وتلبس ثوبا لغويا مذهبا. ويتجلى ذلك واضحا فيما تنقل عنه عبر كتابها، فهى تأخذ قوله «إن قضية المرأة هى قضية الرجل، وأن هذا وتلك عامودا العائلة،

فإن مال أحدهما وقصر واختل وضعه ، تداعى سقف الأسرة ، وانهار صرح الاجتماع القائم على دعائم العائلة .

وكانت على وعى جيد بأن اللغة الإنجليزية لها آداب أربعة : الإنجليزية ، والاسكتلندية ، والاييرلندية ، والأمريكية ، وأن لكل واحد من هذه الآداب روحه الخاص ومزاياه ، ونقلت عن الإنجليزية رواية «اللاجئون» للكتاب الاسكتلندى أرثر كونن دويل ، ١٨٥٩ - ١٩٣٠ ، وكان طبيباً و كاتب قصة بوليسية ، وغيرت عنوانها فأسمتها «الحب فى العذاب» ، وهى رواية أدبية تاريخية حدثت فى عهد لويس الرابع عشر ، ونشرتها عام ١٩١٧ ، ولكن أحدا لم يوفق فى العثور على نسخة منها حتى الآن ، كما لم يوفق أحد فى جمع فصول رواية كتبها بالإنجليزية ونشرتها فى مجلة «سفانكس» التى كانت تصدر فى القاهرة عام ١٩١٧ ، بعنوان «ظل على الصخر» «Shadow on the Roc» وجاء ذلك فى حديث أجراه معها نقولا باز ، ونشر فى مجلة الفجر البيروتية عام ١٩٢٣ .

### إتقان للإيطالية

المصدر الثالث ، ولا يقل أهمية عن المصدرين السابقين ، هو الأدب الإيطالى ، وأرجح أنها كانت تعرف الإيطالية بقدر كاف لأن من يدرس اللاتينية ، ويجيد الفرنسية ، لا يحتاج إلى كبير عناء لكى يقرأ الإيطالية ويتمثل أدبها ، وأرجح أنها درستها فى مدرسة الراهبات ، إذا كانت الإرساليات الكاثوليكية بعامة تدرس الإيطالية إلى جانب الفرنسية ، كما ألمحنا بدءاً ، وكانت تقرأ بها أدبا عاليا ، فهى تقص علينا فى مقال لها بعنوان : «تكلّموا لغتكم» ، أنها دخلت مكتبة صغيرة فى القاهرة لبيع الكتب الإيطالية ، لتشتري منها بعض أعمال جبرائيل دانزنتزيو ، فإذا بصاحب المكتبة يقدم لها مؤلفاته بالفرنسية ، وكان يكتب فيها إبداعه أحيانا ثم يترجمه إلى الإيطالية ، فردتها وطلبت منه مؤلفاته الإيطالية الأصلية لا المنقولة ، فسألها عما إذا كانت تريدها لنفسها أم لغيرها ، فأجابته بل أريدها لنفسى ، فسألها : إذن تعرفين الإيطالية ، فردت عليه : نعم .

لم يكن جبرائيل دانزنتزيو (١٨٦٣ - ١٩٣٨) أدبيا إيطاليا عاديا ، كان جنديا طيارا ومحاربا ، وشاعرا وروائيا ، وصاحب أسلوب لامع وجذاب ونال شهرة

مستفيضة في النصف الأول من هذا القرن .

وتعرف شاعرا إيطاليا آخر كان معاصرا لجبرائيل ، وهو كاردوتشى ١٨٣٦ - ١٩٠٧ ، تعمقت في أدبه ، وتتبعت مراحل تطوره ووصفته في دقة بأنه صاحب موهبة شعرية ونقدية ، وأنه كان يزدري شاعرية المرأة ، وله فيها رأى صار مضرب المثل : «اثنان عليهما ألا يعالجا الشعر : الكاهن المسيحي والمرأة» ، ولكنها فيما ترى عدل عن رأيه أخيرا ، بعد أن قرأ أشعار إليزابيث براوننج الإنجليزية ، وآنى فيفانتى الإيطالية ومدام ديور فالمر الفرنسية .

والعجيب أننا نجد صدى رأى كاردوتشى في فكر العقاد ، ففي دراسة له عن عائشة التيمورية ، وجاءت بعد دراسة مى ، نجده يقول : «المرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفنى من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لا تحسن الشعر ، ولما يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة» ولا أرى العقاد هنا . إلا صدى لمى ، فلم يكن كاتبنا الكبير يحسن من الإيطالية شيئا .

وكانت مى فيما يذكر توفيق الحكيم في كتابة «وثائق من كواليس الأدباء» ونشره في القاهرة عام ١٩٧٧ ، ويضم ما وجده عنده من رسائل تلقاها من كبار الكتاب ، ووثائق احتفظ بها من الضياع ، أول من اكتشف في رسالة بليغة وجهتها إليه في ١١ / ٧ / ١٩٣٤ ، بمناسبة صدور مسرحيته أهل الكهف الصلة الفنية والفكرية التى تربطه بالكاتب المسرحى بيرانديللو (١٨٦٧ - ١٩٣٦) ومن أخصب الكتاب الإيطالى إنتاجا ، وحاز جائزة نوبل للآداب عام ١٩٣٤ ، وظل يعتبر لفترة غير قصيرة مجدد المسرح الغربى بأجمعه ، ولعل ما شهد إليه في هذه الفترة من عمرها ، أن حياته كانت ملأتها عواصف عائلية مؤلمة .

## كتاب بالألمانية

ثمة أدبان أورييان آخران كان إلمامها بهما خفيفا ، وهما الأدب الألمانى والأدب الأسباني.

أما اللغة الألمانية فقد بدأت بتعلمها في القاهرة شتاء عام ١٩١٠ - ١٩١١ ، على يد سيدة بروسية ، والألمانية ليست طيبة في تعلمها كبقية اللغات الأخرى ، ومع ذلك كانت مئ عنيده في دراستها ، وربما شدها إلى اللغة الألمانية أنها حلفت على امتداد انقرنين الثامن عشر والتاسع عشر بجمهرة من خيرة المستشرقين ، وليس من قبيل الصدفة البحتة أن الرواية الوحيدة التي اختارت أن تترجمها من الأدب الألماني إلى اللغة العربية ، لمستشرق يعرفه دارسوا اللغات الشرقية ، ومن بينها العربية ، وهو مكس موللر (١٨٢٣ - ١٩٠٠) ، وعرفته مئ في سن مبكرة ، حتى قبل أن تجئ إلى القاهرة ، وقبل أن تعرف الألمانية ، ونشرت عنه مقالا في مجلة المقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٠ .

وفيا بعد ، وهى في طريقها لتصطاف في ضهور الشوير بلبنان ، وصيف عام ١٩١١ ، وكانت أمضت بضعة شهور في دراسة اللغة الألمانية ، حملت معها كتاب «الحب الألماني» لمكس موللر ، أوصته به مدرستها .

وأضيف إلى هذا أنه صادف في أعماقها نفسا ومزاجا رومانسيا من جانب ، وأنها بدأت تتمرّس بالألمانية عن طريق الترجمة من جانب آخر ، ومع أن مفرداتها الألمانية كانت محدودة ، وحظها من التعبير بالعربية لما يزل متواضعا ، ولم يكن لديها معجم ألماني ، كانت تكفى بأن تحيط بالمعنى العام ، ولو فاتها من المفردات كثير ، فلما أكملت الترجمة عادت تقرؤه مرات ومرات من جديد ، ورأته ليس حبا ألمانيا فحسب ، وإنما خلاصة بسماة الإنسان وعبراته ، فسمته حين نشرته عام ١٩١٢ «دموع وابسمات» .

وقد نفذ الكتاب في زمن وجيز نسبيا ، ولم تر إعادة طبعة ثانيا ، لأنها لم تكن راضية عن الترجمة ، فلما تمكنت في الألمانية ، وملكت زمام العربية ، أعادت ترجمته ، متقيدة بالأصل معنى وتعبيرا ، وحاولت إبرازه إلى العربية بصيغته الشعرية البسيطة ، خالية من الاستعارات لغربية ، والتمنيق الشرقي ، مما حلفت به الطبعة الأولى ، وصدرت هذه الطبعة الثانية عن مطبعة الهلال عام ١٩٢١ .

أما علاقتها باللغة الأسبانية ، فكانت متواضعة فيا أرى ، وكان حظها من



الأدب الأسباني كذلك ، وقليلًا ما نفع في أعمالها على اسم لكاتب أو شاعر أسباني ، باستثناء أستييان منويل دي فييجاس (١٥٩٥ - ١٦٦٩) .

وتقارن خلال دراستها شعر عائشة التيمورية في الغزل والأخلاق والدين وبين مارية تيريسا دي أبلة الأسبانية (١٥١٥ - ١٥٨٢) وكانت شاعرة عظيمة ، وتقية متصوفة ، ونظمت في لغتها الأسبانية ابتهالات دينية رائعة ، وتورد من شعرها فقرة ترجو الله فيها أن يمن عليها بالموت لتتجرد من ثواب التراب ، فتراه حينئذ وجهًا لوجه ، وترجم هذه الفقرة إلى العربية .

«أحيا دون أن أحيا في نفسى ، وأنتظر حياة هكذا رفيعة .

حتى إنى أموت لأموت لأننى لا أموت .

وإنى ليزيد فى كلفى .

أن أرى إلهى لدى سجينى .

حتى أنى لأموت لأننى لا أموت .

أنظر كيف أذوب شوقا إلى رؤياك ، ولا طاقة لى على حياة بدونك .

حتى أنى لأموت لأننى لا أموت .

فتمتى يتيسر لى ، يا إلهى ، أن أقول القول الفصل :

بأنى أموت ، لأننى لا أموت» .

ولا نلمح أى صدى للأدب الروسى فى كتاباتها ، ولو عن طريق قراءته فى لغات أخرى ، رغم أنها كتبت عن المساواة والاشتراكية بألوانها ، فأبية وثورية ، وتعرضت للبلشفية ، والثورة الشيوعية ، بقدر ما كانت تسمح به القوانين يومها ، ربما لأن ما كان رائجا منه على أيامها ، ومحبا إلى المثقفين المصريين ، هو القصة والرواية ، واتسما بالواقعية ، وكانت هى مندفعة بطبيعتها إلى جوانب أخرى من النثر ، تتسم بالرومانسية ، وتتجه إلى الطبيعة ، وتغرق فى الذات ، وكل ذلك رغم أنها كانت عالمة الثقافة ، وعرضت لعديد من المذاهب والاتجاهات فى السياسة والأدب والنقد والاقتصاد فى الفلسفة ، مما لا يعرفه إلا الباحثون

المتعمقون ، فهي تعرض للإقطاع وتطرره ، وأسباب نشأته ، والفوضوية ، والعدمية ، وفنون الشعر عند العرب واليونان ، وغير ذلك كثيرا .

ولا أود أن أمر عجلا بظاهرة تبينت لى . هى أن مى أهملت تماما ثلاث أوربيات معاصرات لها ، وكن على أيامها ، وبعدها ملء السمع والبصر ، فلم نعرض لهن من قريب أو بعيد .

أما أولادهن فهى أنا دى نواى (١٨٧٦ - ١٩٣٣) وكانت شاعرة رقيقة ، وأعرف لها ديوانين من الشعر العذب هما : «القلب الذى لا حصر له» والثانى «الانبهارات» ، والثانية هى : مارى بشخير تسيف (١٨٦٠ - ١٨٨٤) ، وكانت كاتبة ورسامة ، ودرست فى باريس ، وبعد موتها نشرت أسرتها يومياتها العاطفية عام ١٨٩٠ ، فجاءت وثيقة إنسانية بارزة .

ومن الواضح أن لكل منهن صدى فيما كتبت مى ، فى رسائلها وحين ركزت على الطبيعة فى التقاط صورها الأدبية ، وفيما صاغت من نثر شعرى ، ومع ذلك لا تأتى على اسم واحد منهن أبداً ، وأشك كثيرا فى أنها كانت تجهلهن ، وربما كانت تغار منهن ، ولا يدفع هذا أنها أول من وقفت جهداً فى عصرنا الحديث على دراسة شاعرتين عربيتين محدثتين : عائشة التيمورية وباحثة البادية ، لأن فى حديثها عنهما لونا من الدفاع عن نفسها ، وبنات جنسها ، قبل أن يكون تعريفا بهاتين الشاعرتين وإنصافاً لهما .

وتبقى كلمة ، تتصل بتقويم أعمال مى فى جملتها ، ولن يبلغ بنا الإعجاب حد الثناء بلا حساب ، ولن يقعد بنا الجحود حد التقليل أو الإنكار ، وإننا أراها فى ظروف عصرها ، وتمتد من أواخر القرن الماضى حتى الثلث الأول من هذا القرن ، جديرة بكل ما قيل عنها من ثناء ، وصاغة مواطنوها والمعجبون بها من إعجاب وإطراء ، ولكن حين ننظر إليها الآن ، من أية زاوية شئت ، نجد الزمن تجاوز الفترة برمتها ، وأن عشرات من الفتيات العربيات تجاوزنّها ، ويكتبن خيرا من مى ، وإن مئات منهن لسن دونها ، فى الفكر واللغة والأسلوب .

## عطاء متبادل:

وتعد مى زيادة إحدى أبرز الكاتبات اللاتى ارتبطن بمجلة الهلال منذ نشأتها أنها علاقة عطاء متبادل .. تكتب مى حبا وإيمانا .. وتصدر المجلة كلماتها الرقيقة الحامية .. فقد كتبت مى عن الديمقراطية وعن أوضاع المرأة والأدب العربى . وعن المستقبل . وقد نشرت القصة والقصيدة المسرحية بالإضافة إلى المدرسة الأدبية . والاستفتاءات الصحفية .

ففى حديثها عن تأبين سعد زغلول تقول : «ستقولون أن المرأة لا تفهم معانى التأين كما يفهمها الرجل فأجيب أننا اهتمامنا بالخطيب والقصاصد اهتماما عظيما واستعملنا عند قراءتها ملكتى النقد والاستحسان وهذا ينم عن استعداد فىنا غير قليل تتجاهلونه عمدا أو تجهلونه سهوا وإهمالا» «أول يناير ١٩٢٤ ص ٣٦١» .

وفى رسالتها «إلى كل فتاة مصرية» تقول : «الحياة أمامك ، أيتها المصرية الصغيرة ، ولك أن تكونى فيها ملكة أو عبدة» .

«عبده بالكسل ، والتواكل والغضب ، والثرثرة ، والاغتياب ، والتطفل ، والتبدل ، وملكة بالاجتهاد ، والترتيب ، وحفظ اللسان والصدق ، وطهار القلب والفكر ، والعفاف والعمل المتواصل» فبراير ١٩٢٤ ص ٤٩٦ .

وتتحدث عن حاجتنا إلى ثقافة اجتماعية «قائلة أنه «ما أعظم ما تقدمه السينما فى أيامنا وما أبعد تأثيرها ! إنها تأخذ شيئا فشيئا ، بالموضوعات الجادة المجدية متجردة بطبيعة تقدمها من النسخات التافهة . وكم كانت الوزارة موفقة فى تنظيم الإذاعات المدرسية ! قد تفوتنى إذاعات المحطات مرات ، ولكن لا تفوتنى إذاعات المحطات مرات ، ولكن لا تفوتنى إذاعة مدرسية مرة واحدة لأننى أجدها مليئة حياة» .

«تنشيط الثقافة الاجتماعية وتعميم الروح الاجتماعى أصبح الآن فرضا على كل ذى نفوذ فى أية ناحية من نواحي المجتمع» .

## هل كان من حقه رفض نشر مائة خطاب حب وغرام وهيام أرسلها نجوم عصره لـ «مي» «جريمة» لطفى السيد؟!

- \* بعد وفاة «مي زيادة» في ١٩٤٢ اكتشف أهلها مئات الرسائل بكل اللغات وكان لطفى السيد من أصحاب هذه الرسائل .
- \* بعد رفض لطفى السيد سلم الجميل ومطران نشر رسائل سلمها لامرأة مجهولة من أقاربها.
- \* وصفها طه حسين بأنها ثروة فكرية إنسانية لا ينبغي العبث بها .
- \* السؤال الأخطر : ما مصير هذه الرسائل الآن ؟ وكيف يمكن العثور عليها ؟ إن لم تكن قد دُفنت معها أو تم حرقها ؟



ربما كان في استخدام كلمة جريمة نوع من التزيد اللغوى ، أعترف به من البداية ، وهى لا علاقة لها بما ينسب للرجل الآن في ميدان السياسة من أمور قد تمسه . هم يهاجمونه لأسباب عامة . وأنا أحكى قصة شديدة الخصوصية . مفصولة تمامًا عن أى سياق عام . ولا تؤثر على موقفى منه واحترامى له . لكنى أتعامل معه باعتباره بشرًا يصيب ويخطئ . ويخطئ ويصيب . ومن الخطأ ما يمكن أن يكون ذلة إنسانية . فليس كل خطأ خطيئة .

وجدت على سور الكتب القديمة في السيدة زينب . كتابًا صغير الحجم من كتب الجيب . في طبعته الثانية الصادرة عن دار المعارف ١٩٥٧ عنوانه : الذين أحبوا مى . كاتبه : كامل الشناوى . توقفت أمام قضية بالغة الخطورة . ألا وهى منع لطفى السيد نشر الرسائل التى تلقتها «مى» من حوالى مائة كاتب أو مفكر وشاعر وفيلسوف .. بينهم مصريون ولبنانيون وإيطاليون وألمان وفرنسيون وإنجليز . قال لمن أعدوا الرسائل للنشر ، هذا مؤامرة على سر امرأة .

### غراميات زمان

وما جرى وما وقع أنه وفى أوائل عام ١٩٤٢ ، أى بعد وفاة «مى» ببضعة أشهر ، عكف أقارب «مى» على بحث أوراقها الخاصة ، فوجدوا مئات الرسائل بمختلف اللغات ، وكانت هذه الرسائل تضم عشر رسائل من كاتب أجنبي ، بينهم الفرنسى والإيطالى والألمانى والإنجليزى والهندى . أمال بقية الرسائل فهى من مشاهير الأدب ممن عرفوا «مى» واتصلت بهم اتصالًا مباشرًا ، أو غير مباشر بتبادل الرأى فى الكتب أو على صفحات المجلات الأدبية . وتولى الأستاذان أنطوان الجميل و خليل مطران تنسيق الرسائل ، وإعدادها للنشر ، فقيد انطوت على آراء وأفكار وعواطف ، وأصحابها من المعروفين . فى مقدمتهم أحمد لطفى السيد ، وشبلى شميل ، ومصطفى عبد الرزاق ، و خليل مطران ، وجبران خليل جبران ، وأنطون الجميل .. وولى الدين يكن ، وشبلى الملاك ، وبشارة الخورى ، ويعقوب صروف ، وطه حسن ، من المؤكد أنه أملى رسائله على سكرتيره ، وعباس محمود العقاد ، وتوفيق الحكيم ، ومصطفى صادق الرافعى .

## تساؤل مشروع

اتصل أنطون الجميل و خليل مطران ببعض أهل الرأي ، وتشاوروا معهم في أمر هذه الرسائل : أينشرونها كما هي أم يتصرفون بحذف الأشياء التي قد تثير من التساؤل والظن ما قد يخرج أصحاب الرسائل .

وأجمع الرأي على أن الأمانة تقتضي نشر الرسائل دون التصرف فيها بحذف أو تعديل . ولما سئل الأستاذ الدكتور طه حسين في ذلك قال - هذه ثروة فكرية إنسانية لا ينبغي العبث بها ، وشجع أنطون الجميل و خليل مطران على نشرها خدمة للحقيقة والتاريخ .

وقال أنطون الجميل ل خليل مطران : يحسن أن نسأل لطفى السيد في هذا الموضوع .

وقال خليل مطران : إن جواب لطفى السيد عن السؤال معروف . سيوافق على النشر من غير جدال . فلطفى السيد متقدم في تفكيره عن أهل جيله بمائة عام . وقابلا لطفى السيد وعرضا عليه الفكرة . ودهشا عندما قال لهما لطفى السيد إنه يعارض الفكرة .

وعلى طريقته في الجدال سألتها : لماذا تنشران الرسائل ؟! فقالا : ننشرها للحقيقة والتاريخ . وقال لهما لطفى السيد : وهل أنتما موكلان بالحقيقة والتاريخ ؟ وتولى خليل مطران مناقشة لطفى السيد فقال : كل إنسان مكلف بأن يبحث عن الحقيقة . وأن يساهم في كتابة التاريخ . فقال لطفى السيد : وإذا تعارضت الأخلاق الفاضلة مع الحقيقة . فهل ننشر الحقيقة أم نرعى الأخلاق ؟! وقال خليل مطران : لكي نجيب عن السؤال ينبغي أن نعرف هل الحقيقة غاية أم هي وسيلة ؟ إن كانت وسيلة فقد وجب ألا تتعارض مع الأخلاق ، وإن كانت غاية فقد وجب أن نذيعها مهما تكن الظروف والملاسات .

قال لطفى السيد : إن الحقيقة غاية ووسيلة معاً ، وهي في الوضعين لا ينبغي أن تكون عارية . بل يجب أن يكون لها ستر لا يتنافى مع الأخلاق الفاضلة . وقال خليل مطران إن الرسائل التي كتبها كبار الأدباء والمفكرين إلى مى ليس فيها

شيء يمس العفة أو يחדش الحياء . إن فيها تعبيراً عن حب غامض ، أو صباية مبهمة ، فهل في هذا ما يتعارض مع العفة أو الخلق أو الحياء .

### حب غامض

وقال لطفى السيد : لا يعينى ما تضمنته هذه الرسائل . لا يعينى أن تنم عن حب غامض أو حب صريح ، ولا أن تشي بصباية مبهمة أو واضحة ، ولكن ما يعينى هو أن هذه الرسائل سر أو دعه أصحابها بين يد «مي» فصار سرها هي لا أحد سواها يملك إذاعته ، حتى الذين كتبوا هذه الرسائل لا يملكون أن يذيعوها . إن «مي» هي التى تستطيع أن تذيع السر إذا شاءت ، وهى لم تشأ أن تذيعه ، وليس أدل على ذلك من أنها لم تنشر الرسائل التى تلقتها ، ثم إنها لم ترض بنشرها ، فكيف تجرؤون على نشر الرسائل دون الرجوع إليها ؟ وكيف ترجعون إليها وقد أصبحت لا تملك رأياً . إن المنطق السليم يحتم أن تظل هذه الرسائل هي وجثمان «مي» سرّاً في مقبرة واحدة . وقال خليل مطران : يا سيدى هذه وثائق إنسانية فكرية . فقال له لطفى السيد : يا سيدى هذه مؤامرة على سر امرأة . وعلى إثر هذه المناقشة استقر رأى أنطون الجميل و خليل مطران على إرجاء نشر الرسائل إلى وقت آخر ، وأسلموا الرسائل لسيدة مجهولة من قريبات «مي» ومات أنطون الجميل و خليل مطران ، ولا تزال رسائل مائة من الكتاب والمفكرين والفلاسفة راقدة في مكان لا تعلمه إلا هذه السيدة المجهولة .. ومن يدرى لعل السيدة قد وضعت الرسائل مع جثمان «مي» أو لعل لطفى السيد قد سعى لحرقها . وربما تمكن من ذلك .

### حب بلا جدوى

ويبقى الآن سؤال : أعارض لطفى السيد في نشر الرسائل التى تلقتها «مي» إيماناً منه بوجوب الدفاع عن سر «مي» أم أراد أيضاً أن يدافع عن سره هو ؟ فإن بين هذه الرسائل كلمات وجهها لطفى السيد لى ، وفي هذه الكلمات كثير من نبض قلبه ، وومض عاطفته ، ونبرات مشاعره المشبوبة بالهوى والهيام نعم فقد أغرم لطفى السيد «بمي» وشغف بها حباً . وكان لطفى السيد يزور «مي» في أيام أخرى غير يوم الثلاثاء الذى أعدته لاستقبال الأدباء والفنانين وأهل الرأى .

كان يزورها وحده حيناً ، ويزورها في صحته الدكتور طه حسين حيناً . وكان ثلاثتهم يقضون الساعات في دراسات أدبية .

إن لطفى السيد مثل أى فيلسوف ظل يبحث عن الحقيقة ، ولم يجدها ، ولقد ظل كذلك فترة من حياته يبحث عن حبه في قلب «مي» وكان نصيبه من الحب مثل نصيبه من الحقيقة : بحث وجد وسعى ولم يصل . وكانت «مي» تأنس له ، وتثق في عقله وعاطفته ، وعندما أصيبت بمرض الشعور بالاضطهاد قابلته مرة واحدة ، ثم صرفته عن مقابلتها برفق ورحمة ، على حين أغلقت بابها بعنف في وجوه الآخرين ، وأعلنت أنها قررت العزلة والابتعاد عن الناس .

تلك هى التفاصيل . ولكن يبقى السؤال الكبير : هل من حق لطفى السيد أن يقدم على ما أقدم عليه ؟ أعتقد أنه لم يكن من حقه ما فعله . أنتقل للسؤال الأهم وهو : أين هذه الرسائل الآن ؟ هل من سبيل للعثور عليها ؟! يبدو أن ذلك من رابع المستحيلات . إيضاح لنفسى وللقارئ . كل هذا جرى سنة ١٩٤٢ ، أى منذ ٦٨ سنة من الآن ، علينا مراعاة فارق التوقيت . وتغيرات الزمان .

\*\*\*



## في صالون العقاد.. كانت لنا أيام<sup>(\*)</sup>

كان لا بد أن تكون لى علاقة بالقراءة والكتابة ، فقد فتحت عيني والكتاب فى يدى - وبما بدت هذه العبارة أكبر مما يحتمل المعنى ، ولكنها الحقيقة ، فقد كان الكتاب فى يدى ألعب به وأمزقه وألقى عقابا شديدا على ذلك . وكان الكتاب يختبئ معى تحت السرير ، أمر بالقلم على سطره أحاول أن أقلدها . وقد أفسدت كتبا كثيرة . وأكثرها ليست مما يملك والدى . فكل بيت كنت أذهب إليه أظل أبحث عن الكتب ، ثم أمسك واحدا ، وتفاجأ أُمى بأننى والكتاب قطعة واحدة . ولا بد أن الناس الذين نزورهم يجدون حرجا شديدا فى تخليص الكتاب من يدى . ولكن كنت أصحو من النوم والناس حولى كثيرون . فقد نمت وأيقظتنى أُمى بعنف الخجل ، وضربتنى وسحبت الكتاب من يدى ممزقا ، وتستأنف ضربى فى البيت . وكان الذى يدهش أُمى أننى لا أقرأ . فما الذى أفعله بالكتب ؟ ..

وقد تعودت ألا أتيب الكتب . فقد كان أبى يقرأ كثيرا . وكنت أصحو من النوم لأجلس معه ، وأمس الكتب التى يقلبها . وأحيانا أتتهز فرصة أنه يصلى فأقلب الكتب .. بها فى ذلك القرآن الكريم ..

وفى كتاب قرية نوب طريق مركز السنبلوين حفظت القرآن الكريم . ولكن هذه العبارة القصيرة استغرقت سنتين إلا قليلا . فلم يكن سهلا حفظ القرآن . ولكنى حفظته . لا أعرف كيف . كنا نردد القرآن الكريم آية آية ، وسورة سورة ، حتى ختمنا القرآن الكريم . ثم كان فى بيتنا احتفال كبير بهذه المناسبة . وفى ذلك اليوم ارتديت ثوبا جديدا ، جلبابا أبيض له خطوط حمراء . وطاقيّة من نفس القماش . وحذاء جديدا . وكان فى جيبى منديل حريرى ، وعرفت أن هذه الأوراق الصغيرة التى كان يضعها والدى فى جيبى هى آيات

(\*) أنيس منصور.

قرآنية . آية تقول : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » - وهذه الآية الكريمة تمنع الحسد .. وعرفت فيما بعد أن أكثر الآيات التي كان يكتبها والدى ويضعها في جيوبى هى قوله تعالى : « يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم » . فقد كنت شديد الحساسية للبرد والذكام ، أو كنت لا اعرف إلا البرد والذكام وارتفاع درجة الحرارة ، وكانت أمتى كذلك ، فربما كانت هذه الحساسية وراثه عنها . ولما كبرت عرفت أن هناك أسبابا أخرى عديدة ، احدها : أننا كنا نسكن في الطابق الأرض من بيوت كثيرة شديدة الرطوبة .. وعندما تخرجت في الجامعة سكنت في الطابق السابع في بيت بلا أسانسير ، وكان رطبًا أيضًا !

لا أعرف تفاصيل ذلك اليوم الذى كرمونى فيه لأننى ختمت القرآن الكريم . ولكن أناسا كثيرين جاءوا إلى بيتنا . وكلهم يبحثون عنى ويقبلوننى ويحتضنوننى ، ويدعون لى بالبركة : الله يفتح عليك يا ابنى .. ونعم بالله .. من يحفظ القرآن يحفظه القرآن .. أنت تحمل كتاب الله .. والله أنت أحسن منا جميعا ..

ثم جاء من يقرأ القرآن ، وجلست إلى جواره ، وكنت أردد معه الآيات التي أحفظها . ونبهنى بعض الناس إلى أن هذا لا يصح . أى لا يصح أن أقرأ القرآن بينما رجل أكبر سنا يقرؤه . وكنت أبتعد عن الرجل ، وأختفى في مكان بعيد لأردد معه القرآن ..

فإذا جلست على الأرض ألعب قتيلا لى : عيب .. كيف تفعل ذلك وأنت تحفظ كلام الله ؟! كيف تكذب وأنت تحفظ القرآن ؟ كيف تتسخ ملابسك وفي قلبك كلام الله ؟! أنت رجل الآن تحفظ كتاب الله ..

ولم أكن أدري بالضبط ما الذى يصح أو لا يصح عمله . ولكن شيئا هاما جدا قد حدث في حياتى : لم تعد أمتى تضربنى ! إذ كيف تضرب من يحفظ كتاب الله . كيف تهين من كرمه الله ، كيف تمتد يدها على من سيدخل الجنة قبلها . أو من هو السبب في دخول جميع أفراد أسرته الجنة . وكانت أمتى تضربنى لأسباب كثيرة . وهذه الأسباب كثيرة لدرجة أصبح من الصعب على أن أعرفها .. ربما

كنت مشاكسا وأنا صغير . هل كان صعود النخيل سببا ؟ هل كان صيد العصافير بالنبله سببا ؟ هل لأن واحدا من أقاربى كان يلعب معى ثم غرق فى النيل ؟ هل لأن النار شبت فى غرفتى وأنا نائم ولم أتنبه إلى ذلك ؟ هل لأن والدى يقول كثيرا إنه سوف يجيء ثم لا يجيء ؟

ربما كان أحد الأسباب وأهمها أن أمى كانت تقيم فى بيت والدها . وكانت ظروفها النفسية معقدة والاجتماعية . ربما . وسوف أعود إلى ذلك عندما أتحدث عن اعتناقى للفلسفة الوجودية ..

ولما كبرت وجدت لأمى ألف عذر ، فلم أكره أمى قط . وأحيانا كنت أكره ضعفى أمامها . فقد تمنيت يوما من شدة حبى لها وخوفى عليها . أن تموت هى قبلى ، حتى لا تتعذب من بعدى . وكانت هذه أمنيته أيضا ، رحمها الله وأكرمها عندما اختارها : إن الحب العظيم لضعف عظيم . وإن الحنان الزائد جريمة بالغة .. هذا إذا شئت أن تحتار عنوانا لهذه العلاقة عنوانا لهذه العلاقة بين الذين يحبون أمهاتهم كثيرا ، أو يحبون كثيرا .

وعندما يصحو أبى من النوم يتوضأ ويصلى ويجلس يعد لنفسه الشاى بالنعناع ، هنا فقط تكون مكافأتى عن هذه اليقظة المبكرة . ومنذ ذلك اليوم ، وأنا أصحو مبكرا وعينى على كتاب ، وفى فمى شاى .. وفى هذه الساعات الصغيرة من كل يوم أستمع إلى أبى يرتل القرآن . وأحيانا يقول شعرا .

وكما حفظت القرآن وامتلاأت أذناى بأجمل الكلام وقلبى ، حفظت الكثير من الشعر العربى القديم .. حفظت « البردة » للبوصرى :

أمن تذكر جيران بنى سلم      مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ؟

وحفظت « لامية العجم » للشاعر الطغرائى التى تقول :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل      وحلية الفضل زانتنى عن العطل

حب السلامة يثنى عزم صاحبه      عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

إن العلا حدثتنى ، وهى صادقة      فيها تحدث ، أن العز فى النقل

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى      لم تبرح الشمس يوما دائرة الحمل

أعلل النفس بالآمال أرقبها      ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل  
ترجو البقاء بدارٍ لأثبت لها      فهل سمعت بظل غير متقل ؟!

وحفظت الهمزية النبوية :

كيف ترقى رقيق الأنبياء      يا ساء ما طاولتها ساء ؟

وسمعت أول ما سمعت عن كتاب «أدب الدنيا والدين» .. ولم يكن في استطاعتي أن أفعل بهذا الكتاب شيئا . فقد وجدت أبى يضعه إلى جوار سريه . وأحيانا يحمله مع المصحف في يده . ويضعهما إلى جواره عندما يصلى ..

وكان والدى رجلا لطيفا يحب الناس ويتحدث إليهم ويلتفون حوله . فعنده القصة والنكتة . وأحيانا كنت أسمعه يغنى أغنيات قديمة ، والناس أيضا . وأسمع أنهم يسافرون بعيدا ليسمعوا مغنيا أو مغنية . وكنت لا أجرو أن أقول له خذنى معك . فهم جميعا من الرجال الكبار الذين يذهبون ، ثم أعرف أنهم عادوا مع الفجر ..

وكان و حد من أخوالى جميل الصوت والصورة . وكنت أجدنى أتردد معه على بيوت كثيرة . أرى بعض الوجوه ، ثم أجدنى فى فراشى فى اليوم التالى . لا بد أننى نمت وتركونى ثم حملونى . ولكنى كنت أذهب حيث يتلى القرآن الكريم ، أو حيث يكون الغناء .. أينما تكون الكلمة الحلوة ، فإننى أمشى وراء أذننى .. ولذلك فليس تعبيرا دقيقا أننى قلت فتحت عينى على الكتاب . ولكن الأصح أن يقال فتحت أذننى . فتحتها ولم أطبقها بعد . فلست من هؤلاء الناس الذين يعتمدون على عيونهم ؛ فأنا أقرب إلى الذين يمشون نياما ، ويجلسون نياما ، ويأكلون نياما .. إلا عند النوم . فأنا أقرب إلى اليقظان منى إلى النائم ، بل إذا كان النوم بحرا فأنا على الشاطئ . وإذا كان النوم شاطئا ، فأنا وضعت قدما فى البر والأخرى فى البحر .. وإذا كان النوم سلطانا فأنا أحد المطرودين من هذه السلطنة . وإذا كان النوم نعمة ، فإن الله قد أنعم علىّ بأشياء كثيرة ، ليس من بينها النوم .. والذين يقولون لى : غدا سوف يطول النوم ، لا أجده لهذه العبارة أى معنى . فهم يقصدون أن الإنسان عندما يموت فسوف ينام إلى الأبد ..

ولكن ما دام الإنسان سيموت ، فلا معنى لشيء بعد ذلك .. لا نوم لميت ، لأنه لا إحساس له .. وأنا واحد من الذين يلمسون الدنيا بأذانهم : الكلمة الجميلة ، والنغمة الحلوة ، ويسبب هذه الحساسية الشديدة في أذنى ، كنت لا أنام بعمق .. وكنت لكى أرى الدنيا فإننى أغمض عيني وأفتح أذنى . وأتخيل ما أشاء .. ولذلك كان من المستحيل أن أكون طبيبا أو مهندسا ، فهم يعتمدون على عيونهم وأصابعهم كثيرا . وأنا لا أعتمد على عيني ولا أثق فيهما ، فهما ضعيفتان مثل عيني أبى . ولم أرث من أمى قوة نظرها . وكانوا يتحدثون عن أنها كانت تستطيع أن ترى النجوم ظهرا . وقد تراهنت مع إحدى قريباتها على رؤية نجمة نهارا . واحتكمت كل منهما إلى قريبة ثالثة أقوى منهما نظرا . وكسبت أمى الرهان وكان أسورة ذهبية .. وقد جربت ذلك بنفسى فقد كنت أسأل أمى عن الساعة ليلا ، وكانت ترفع الساعة في الظلام وتقول : إنها كذا .. وكنت أفتح النور ، لأجد أنها كما ذكرت .

وتعلمت الخط الجميل . فقد كان أبى يكتب بخط فارسى — وكذلك كان الأستاذ العقاد . ولكن خط والدى كان أجمل ، فقد كان يتمهل ويتأنى ويتأنق في الكتابة . وفي فترة من الفترات كنت أكتب اللافتات لباعة السودانى والترمس .. ولم يكن مما يتفق مع مزاجى أن أكون جميل الخط . فجمال الخط يحتاج إلى أن أكتب على ورق خشن . لأن خشونة الورقة تعرقل تفكيرى . ولم أتمكن من أن اكتب بالقلم الحبر إلا مرغما . فالقلم الحبر يتعثر في الورق . ولذلك كتبت بالقلم الرصاص ، وبعد ذلك بالأقلام الجافة . ومع السرعة الشديدة في الكتابة تتساقط الحروف والنقط . ولم أفلح في أن أعالج هذا العيب . ووجدت من يقول لى وأنا صغير إن العظماء جميعا من أصحاب الخطوط الرديئة ، ولم أتحقق من هذه العبارة وقيل لى أيضا : إما الخط وإما الخط . إما أن يكون خطك أحسن وخطك أسوأ وإما أن يكون خطك أحسن من خطك ، ولا أعرف من قالها ، ولا بد أنه يبرر رداءة خطه . ففى التاريخ عظماء من أصحاب الخطوط الجميلة . والأديب الفرنسى الكسندر ديماى الابن كان يعمل كاتب محام ، وكانت مهمته أن ينسخ المرافعات ، لأن خطه جميل وكانت هذه وظيفته الأولى . ولكنه كان يخفى موهبته

وراء ذلك : موهبة الروائي القادر على رسم شخصياته بجمال وأناقة ، وكان ذلك قبل عصر الآلة الكاتبة . التى قضت نهائيا على ضرورة أن يكون للناس خط واضح أو يكون خطهم جميلا !

وفى إحدى المرات قدمنى والدى إلى خطيب المسجد وقال له : إن ابنى يحفظ «دلائل الخيرات» . فأجاب الرجل : هذا من دلائل الخيرات .

وبهرنى هذا التعبير .. أى أن من دلائل الخيرات أن أحفظ كتاب دلائل الخيرات . واكتشفت أن والدى يحب هذا التلاعب بالألفاظ . ويروى شعرا فكاهيا يتلاعب فيه بالألفاظ والمعانى . فكان يقول مثلا :

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| الأم الأم فمغــــــــــــضبها | لا بد بحالــــــــــــه الغم |
| يأتيه عذاب يخزيه              | ويحل عليه عذابٌ              |

أما النكتة فهى فى الشطرة الأخيرة التى هى «ويحل عليه عذاب مقيم» وهى آية قرآنية كريمة .. أو يقول :

|                            |                                   |
|----------------------------|-----------------------------------|
| رأيت غصنا على كئيب         | شبيه بدر إذا تـلـلا               |
| فقلت ما الاسم ؟ قال : لولو | فقلت : لى .. لى . فقال : لا .. لا |

أو يقول :

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| لقد دبت بجنح الليل رجلى    | على رجل ولم يك فى حسابى |
| فقال مهزئا : هل أنت أعمى ؟ | فقلت : نعم ودواس الكلاب |

أو يقول :

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| خذوا بدمى ذات الوشاح فإننى   | رأيت بعينى فى أناملها دمي     |
| ولا تقتلوهما إن ظفرتم بقتلها | ولكن سلوها : كيف حل لها دمي ؟ |
| فقال لما وجدتك نائيا         | وكنت لى كفى وزندى ومعصمى      |
| بكيت دما يوم النوى فمسحته    | فبتلت بنائى من دمي            |

وكان يقول أبى ، وأظن أن هذا من نظمه ، عندما رأى الهلال فى السماء فقبل

يده :

رأى الهلال فحياء بغير فم أحلى التحيات أخلاها من الكلم

ووجدت في حفظ هذه الأبيات شيئاً أتميز به عن غيرى من الأطفال ، إلى جانب حفظي للقرآن الكريم . ولكن الشعر الذى حفظته لم أعرف كيف «أستغله» كما يفعل أبى . فهو يجمع الناس حوله ويظل يروى لهم القصائد والنكت البلاغية .. ولكنى لم أستطع أن أفعل ذلك . وأذكر أننى مرة واحدة كتبت أبياتاً من الشعر في موضوع الإنشاء ، فشطبها المدرس . هل ظن أننى نقلتها من كتاب ؟ هل رأى أننى نقلتها دون فهمها ؟ فقد كان موضوع الإنشاء أن والدتى قد أهدتنى قلماً ، ومطلوب أن أكتب موضوعاً في ذلك ، ولا أعتقد أننى قد أدركت النكتة في هذا الموضوع : أن والدتى قد أهدتنى «قلماً» . لقد ضربتنى مئآت الأقلام . فلست في حاجة إلى هدية ؟!

أما البيتان اللذان كتبتهما ، بعد شكر الوالدة على هذه الهدية فهما :  
شكرت جميل صنعكم بدمعى ودمع العين مقياس الشعور  
لأول مرة قد ذاق جفنى - على ما ذاقه - دمع السرور ؟

فالقلم والدمع ولأول مرة ، كل هذه الكلمات والمعانى لم تخطر على عقلى الواعى ، ولكن عقلى الباطن هو الذى فتش عن هذه الكلمات لتكون نكتة أضحك لها فيما بعد ، أما البيتان فهما لحافظ إبراهيم .

وكان شطب المدرس لهذين البيتين نوعاً من الاستكثار على مثلى أن يحفظ الشعر . ولم يكن يعرف كم من مئآت الأبيات أحفظها . ثم إننى أحفظ القرآن الكريم والوشحات ودلائل الخيرات وعشرات المدائح النبوية . ولا أعتقد أننى استعنت بالشعر في موضوع إنشائى بعد ذلك ..

وفي سن صغيرة بدأت أنقل يدي بين الكتب الدينية والدواوين في بيتنا .. وبدأت أقارن بينها وبين كتب غيرها في بيوت الآخرين . لم تكن دينية ولا أدبية . فهناك القصص البوليسية وروايات الجيب . وكانت كنزاً . بل كل كتاب هو بساط الريح ينقلنى إلى عالم آخر . لا أعرف كيف أمكن تربيته وتبويبه وتهريبه .. أما على الأصح كيف يستطيع مؤلفو هذه الكتب تهريبى أنا إلى عوالم أخرى .. أما

الأساء فأجنية لا معنى لها عندى . وكثيرا ما يضايقنى . ولكن المعنى . الحكاية .. تختلف . شيء مختلف . وأحيانا أجد عبارة جميلة . فتسببنى يدى إلى القلم الرصاص أضع تحتها خطا ، ولا أعرف ممن تعلمت هذه العادة ، ولا كيف عدلت عنها نهائيا . فأنا لا أضع علامة واحدة فى أى كتاب ، ولو وجدت مثل هذه العلامة فإننى لا أقرأ الكتاب .

هل أقول إننى قرأت كل روايات الجيب ؟ هل أقول إننى قرأت كل الروايات الوليسية ؟ لا أكون مبالغا إذا قلت نعم . ولكن هل أكون مبالغا إذا قلت إننى وعيتها تماما ؟ أكون مبالغا جدا . فقد قرأت روايات كثيرة ، فلم أفهمها . ولم أستوعبها . ولكن شيئا هاما قد حدث ، هو أننى اعتدت القراءة . واعتدت أن أبحث عن الكتاب الجديد فى أى موضوع . قرأت كل ما وجدت . ولكن القليل مما وجدت ظل باقيا فى رأسى ..

وكان أستاذنا العقاد لا يحب كثيرا قراءة الروايات الأدبية . بل من النادر أن نجده قد امتدح روائيا أو تعرض له كثيرا . حتى عندما ترجم بعض القصص القصيرة . كن السبب ضغطا وإلحاحا شديدا عليه من الناشرين أو من تلامذته أو يفعل ذلك . ولكنه فعل ليؤكد اقتداره على الترجمة والفهم . وهو كذلك . فأنا لا أذكر ما هى الروايات التى قرأتها .. لا أعرف . ربما كانت «مدام بوفاري» لأديب فرنسا جوستاف فلوير . ربما كانت رواية «الحرب والسلام» لتولستوى . ولست على يقين من أننى قرأت هذه الرواية بأسائها الكثيرة جدا . ولا أظن أننى وعيتها . ولكن من المؤكد أننى قلبتها .. ووجدتني أتحدث عنها ، ولكن كان حديثي عنها خاليا من التفاصيل التى لا يقوى عليها إلا الذين قرأوها وقاموا وناموا على صفحاتها . ولا أظننى فعلت ذلك فى سن صغيرة ..

ولكن بهرتنى قصتان . لا أدري اليوم كيف جمعتها الصدفة فى يدى ..

الرواية الأولى اسمها «زينات» لكاتب اسمه حسين عفيف . والرواية الثانية «الحب والدسياسة» للشاعر الألماني شيلر . وهى مترجمة .

أما الرواية الأولى فهى قصة حب . العبارات ناعمة . وغنائية . ولكنى لم



أفهم بالضبط ما الذى يجعل المعانى هكذا شفاقة مشفوفة - أى حزينة مريضة . ولكنها شيء جديدة . لم أجد له نظيرا فى كل الذى قرأت .

أما القصة «الحب والدسيسة» فالعبارة فيها أقوى وأعنف . وفيها جمل لها شكل الحكمة . وإن كان المعنى ليس حاضرا فى رأسى . مثل عبارة تقول : إذا باض الشيطان بيضة أفرخت بنتا جميلة !

لا بد أن يكون لها معنى غامض عند شاب مراهق فى مثل سنى . ولكن لا أظن أننى وعيت هذا المعنى ، فأنا فى ذلك الوقت لا قابلت الشيطان ولا تعلقت عيناي ببنت جميلة .. وكنت أسمع فقط عن قصص لزملائى طلبة المنصورة الثانوية .. وعن «حب» وعن «غراميات» و «وبنت الجيران» - وكلها كلمات بلا معنى ولا مدلول . وكانت نوعا من الرفاهية . فقد كانت حياتى فى ذلك الوقت هى الحد الأدنى من الضروريات : المذاكرة ثم المذاكرة .. ثم مشاكل الأسرة .. وكان الطريق من البيت إلى المدرسة ضيقا خانقا . وكان أكثره اصطداما بالناس وأحيانا بالجدران ، فقد كنت أقرأ فى كتاب أو أفتح كراسة .. أقرأ فى النور وفى الدفء ، فالظلام والرطوبة فى البيت ..

أما ديوان الشعر الوحيد الذى اقتنيتة وحفظته كله فهو «أغانى الكوخ» للشاعر محمود حسن إسماعيل ، لقد كان حدثا أدبيا كبيرا فى حياتى . فلا أزال أذكر شكل الديوان : لقد كان من الورق الأبيض المصقول وكانت للشاعر صورة وعلى الصورة ورق شفاف . وكان الشاعر مصرى الملامح . شعره منكوش . وعيناه حالمتان ، وطالبا فى دار العلوم . ثم وجدت شيئا عجيبا . فالشاعر لم يشأ أن يجعل المقدمة فى أول الكتاب ، لقد أتى بها عند نهايته .. معلنا أنه يريد أن يكون للقارئ رأيه أولا ، وبعد ذلك فليعرف رأى الشاعر .. شيء غريب وعجيب لم أسمع بمثله من قبل . وهزنتى التعبيرات الجديدة .. والضوضاء الصوتية واللونية .. مثل يقول عن الفلاح المصرى ، وأنا لا أزال أنقل من الذاكرة :

تبكى سواقى الحقل أشجانه وما بكاه مرة شاعر

عريان يشكو ضنكه خائر  
في قلبك الألمان يا شاعر  
برح الأسى والحزن يا ساهر !

لؤلؤا يجري عليه كف الشعاع  
كابتسام الطفل في عهد الرضاع  
ذبلت نظرتها يوم الوداع  
يضرم الأنفاس ناراً في البقاع  
أبيض توج هامات الضياع  
أمل الفلاح والجهد المضاع  
وهوجات بين ذل واقتناع  
زورقا في السيم محطوم الشراع !

من عرشه السامي إلى محرابي  
فيض الهوى المترقرق المنساب  
ومن اللحاظ قيست ومض شهاب  
عيناي سر الفتك بالألباب  
رشد لقلب الحائر المرتاب  
ألهمت منك هدايتي وصوابي  
وجلال إيمان ، وقدس ضباب  
أجرى الهوى من فيك شهد رضاب  
إن فاح زهر عبيرك الوثاب ؟  
إن تاه عطفك من هوى وتصابي ؟

والبائس الفلاح في ركنه  
بعثر عليه الدمع ، ما صفقت  
واحرق له الأجفان ما سمها  
أو حين يقطف القطن يقول :

حين ذاب الظل في كاساتها  
لثمت خد الضحى ، وابتسمت  
وبدت صفراء تحكى عادة  
وأناها الصيف وهاج السنن  
فارتدت برنسها من ذهب  
ذاك تاج النيل فاندب عنده  
رقص الفقر على أكتافه  
وسطا لبؤس عليه ، فغدا  
أو يقول :

أبدا أجن إذا تحدر طيفها  
وأهم ارشف من منابع حسننها  
من تغرك الزاكي رشف قصائدي  
ومن العيون الحالمات تعلمت  
في كل هذب رف من أهداها  
من راح يغويه الجمال ، فإنني  
قدست فيك الشرق .. فتنة منظر  
ما النيل ؟ ما ماء الحياة به إذا  
ما نفحة الفل المنور في الضحى  
ما خطرة الريحان يرفل مائسا

ما السحر ؟ ما تياره الخافي إذا      همست شفاهك مرة بخطاب ؟  
ما بهجة الدنيا وزنتها إذا      أشرقنت في دل وفي تلعباب ؟

ولا أعتقد أن قصيدة قد هزنتي وأدارت رأسي ومعها فيضانات من المعاني والاستطلاع والقلق والأرق والدهشة ، كما فعلت قصيدة له بعنوان الفستان الأحمر ..

يقول محمود حسن إسماعيل شاعر أحلامي وأوهامي ، وأكبر اكتشاف أدبي سرى في حياتي المراهقة - فقد اهتديت إليه سرا ولم أشأ أن أدل أحدا من الناس عليه .. قرأته وحفظته وحافظت عليه :

|                       |                     |
|-----------------------|---------------------|
| إن تكن ناراً فـ       | أشهى خلودي في سعيرك |
| أو تكن ورداً فيـ      | لهفة روحى لعبيرك    |
| طرفك الهفـ            | لوعنة خلف ستورك     |
| ولهت روحى فـ          | ترتوى من فيض نورك   |
| تتمنى لـ              | موجة فوق غدرك       |
| أو خيالاً من هواها    | سابحا طوى ضميرك     |
| ليت يا «فستان» .. لما | لحت تزهو في حريرك   |
| كنت ذرا نابض الإحساس  | يجرى في أثـ         |
| يلثم الحسن ويهوى      | فانيابـين عـ        |

وكان المرحوم محمود حسن إسماعيل يشمخ بأنفه ويرفع رأسه ساخراً عندما كانت الصحف تقول : إن نزار قباني في الستينات هو أول من استخدم كلمة «فساتين» في الشعر الحديث ، مع أن قصيدة محمود إسماعيل هذه قد نظمها في الثلاثينات .. ولكن محمود حسن إسماعيل كان طرازاً غريباً فريداً من الشعراء ، كان يعتصم بأحد جبال الأوليمب . يرى ويسجل موسيقاه بعيداً عن العيون والآذان .. ثم يخلط الألوان والأصوات ، ويأتى بهذه الصورة الجديدة المثيرة . وليس بين شعراء العربية أحد مثله !

وفي إحدى قصائد محمود حسن إسماعيل يصف حال إحدى بنات الهوى .  
ولم أكن أعرف في ذلك الوقت معنى كلمة : بنت الهوى . ولا معنى البغى .. ولم  
أكن أتصور أن الهوى له أبناء أيضا ، ونست بالضرورة بنات فقط .. ولكن  
محمود حسن إسماعيل قد صحح لي المعانى في رأسى عندما قال :

ويقال في حكم الهوى سقطت      ونعم ! ولكن من خداعكم  
لولا أذى الإنسان ما حملت      إثم الهوى عذراء . ويحكم

أى أن الخطيئة : رجل وامرأة : ليست دائما امرأة !

وفي الديوان : الغراب والضفادع والهدهد والبوم والعصفور وسنابل القمح  
وأزهار القطن والتوت .. والفراشات .

وفي «الخاتمة» يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل تجئ عبارة نقلها عن  
واحد من الفلاسفة : إذا كان مخترعو الآلات قد أضافوا إلى النوع البشرى أشياء  
هى بمثابة الأعضاء المساعدة لجسمه ، فإن الشعراء قد منحوه منحة أسمى  
وأشرف : إذ فتحوا نوافذ جديدة فى أرواحنا .

كأنه يعتذر عن شعره الرائع الجميل بأنه هو أيضا أضاف شيئا إلى وجدان  
الإنسان .. نى كما أضاف العلم إلى الإنسان «أطرافا صناعية» - فليت كل  
الأدوات التى ابتدعها الإنسان إلا تطويرا مستمرا ليديه وقدميه وعينيه وأذنيه ..  
لأن الحضارة : هى فن صناعة الأدوات وتطويرها .. فبدلا من أن يأكل بيديه  
وأسنانه ويهضم بمعدته ، فإن العلم يعطيه الشوكة والسكين وأحيانا يقدم له  
أطعمة مهضومة .. بل إنه يدخل الطعام حفنا فى دمه ، فلا يمر على المعدة ..  
وكذلك وسائل المشى والكلام والصورة والصوت ..

ولا أظن أن كتابا قد أشعل النار فى خيالى وأحلامى ، وألصق أذنى  
بموسيقى سماوية وألوان جهنمية وفردوسية ، مثل ديوان «أغانى الكوخ» ..

وقرأت بعض «الشوقيات» لأمير الشعراء شوقى .. ولكنى لم أجد صلة  
تربطنى به .. إنه عظيم رفيع الشأن .. إنه صاحب السمو الملكى أو صاحب  
الجلالة .. إنه ست الحسن والجمال فى البلكوته وأنا فى الشارع ، أو من الواجب

أن أتذكر ذلك دائماً . أى لا بد أن تكون هناك «مسافة ما» بين القارئ والشاعر ! ولم أفهم معنى هجوم الأستاذ العقاد على مسرحيات شوقي .. وكل ما أذكره هو حدة النبرة واستعداد القراء على الشاعر شوقي .. هل غضبت من الأستاذ العقاد في ذلك الوقت ؟ هل وجدت فيه قسوة ؟ لا أظن أنني فكرت إلا في أن الأستاذ هو الأستاذ الأول . هو صاحب السيف الذى هو القلم أيضاً .. وإلا أنه هو الأعظم طولاً والأكثر عرضاً ، والأبعد عمقاً .. وإلا أنه الحاكم المطلق فى الفكر والفلسفة .. ولا صوت يعلو على صوته .. ولا أعرف كيف تجمع له ذلك .. ولم يعط أحد غيره ما أعطيه .. وأمامى مجلة «الرسالة» ومجلة «الثقافة» .. فلا أحد يكتب مثله . ولا أحد يكتب مقالاً فيكون عمارة فكرية ، أو هرماً منطقياً . إنه مختلف . إنه أفضل .

فى ذلك الوقت وقعت عيناي على كتب صغيرة جداً . يمكن أن تضعها فى جيبك . لها غلاف جميل . وملفوفة بالورق الشفاف . إنها فى التاريخ الإسلامى . من بينها كتاب عن «محمد» ﷺ وكلمة محمد اتخذت لها شكل البدر المضيء .. أو هو البدر انطبعت عليه كلمة محمد . أولاً فرق بين محمد والبدر .. أما المؤلف فهو: محمد صبيح . وكانت كتب محمد صبيح هذه اكتشافاً وحدثاً عميقاً . فقد تجمع لكتبه : صغر الحجم ورخص الثمن وأناقة الغلاف وبساطة العبارة .. ولم أجذ أحداً فى ذلك الوقت له هذه القدرة على سهولة العبارة ، ربما لو كنت أقرأ الصحف ، لوجدت أن عبارته صحيفة . ولكننى لا أذكر أنني كنت من قراء الصحف . ولذلك لم أكن أدري بالضبط ماذا يجرى فى مصر من أحداث .. هل كانت الصحف عسيرة المنال ؟ لا أظن ذلك . ولكننى لا أعيش بعينى . إننى أعيش بأذنى وبخيالى . ولذلك كانت مؤلفات محمد صبيح حدثاً ونقطة تحول .. أى نقطة تحولت عندها إليه ، وإلى البحث عن بقية كتبه وهى كثيرة .. وإن كنت أجدها فيها بعض الكلمات الصعبة . ولكنها مثل الطوب أو الظل فى طريق موصوف . وليست شيئاً نادراً فى أى طريق .. ولكن الإنسان إذا أراد أن يغنى : فهو محمود حسن إسماعيل . وإذا أراد أن يتكلم : فهو محمد صبيح ، وإذا أراد أن يفكر : فهو العقاد ، وإذا أراد أن يدخل الجنة : فكتاب الله .

هل كان ذلك هو السبب فى أننى اتجهت إلى الغناء ؟ .. ليس من الناس أحد لم يغن لنفسه . وكنت أغنى لنفسى . حتى عندما كنت أتسلل إلى الأفراح لم يكن أحد يسمعنى . وحتى عندما كنت أدق أبواب البيوت المجاورة أسأل عن مقعد وكانوا يعطوننى لكى أجلس عليه ، لم يكن يسمعنى إلا زميل للدراسة كان يمسك هو الآخر عودا . نحن فقط المطرب والمتسمع . أما بقية الناس فلا يدورون بنا . ولكن شعورا عميقا لازمنى ، وهو أن أبى جميل الصوت وكذلك خالى وإحدى خالاتى . ثم إننى استمعت إلى نفسى كثيرا . وتأكدلى أن صوتى جميل . هذا ما أقوله لنفسى ، ويقول كل إنسان عن نفسه أيضا . ولكن صديقا لا أشك فى شجاعته قال لى : صوتك جميل جدا هل كان ذلك هو السبب الوحيد الذى ربطنى به وإليه فى جمعية «المفكرين الأحرار» ؟ ربما كان أحد الأسباب ..

وكنت فى ذلك الوقت أغنى لمحمد عبد الوهاب . وكانت أحب أغانيه هي : خايف أقول اللى فى قلبى .. وأحدث أغانيه : أنت وعذولى وزمانى ..

ولا أظن أن أغنية «خايف» كانت أحسن ألحان محمد عبد الوهاب ، إنما كانت أقربها تعبيرا عن حالة نفسية . سوف أعود إلى تأصيلها فيما بعد .. وكنت أغنى : من زيك عندى يا خضرة وأغنى : يا جارة الوادى .. وأنا أظنونيوا وأنظونيوا أن . هذه هى كل أغنيات عبد الوهاب التى حفظتها وغنيتهما فى ذلك الوقت ولم يكن أحد يسمعنى . ولكنى ظلمت أغنى . والذى يدهشنى حقا هو أننى إنسان خجول جدا . وأهرب من مواجهة المجتمع . ولا أقوى على ذلك . ومن الغريب حقا أن أعمل بعد ذلك فى مواجهة الناس بالرأى أو بالمحاضرة فى الجامعة ، ولكن لا أظن أنها شجاعة أدبية . ولكن فقط كنت أغمض عيني وأقول : متحدثا أو محاضرا أو مطربا .. كنت أضع على العالم حولى ستارا من الظلام ، وأقع نفسى بأن أحدا ليس هناك . وعندما تخلو الدنيا من الناس ، أتصرف على هواى - كانت هذه المغالطة الساذجة هى المغالطة اليومية لكثير من تصرفاتي !

وعلى الرغم من أننى لم أكن جادا فى اتجاهاى إلى الغناء ، فإن هذه الرغبة بقيت تروح وتجيئ . تظهر وتختفى . ولكنها هناك فى أعماقى . هل هى جريمة لم

أكفر عنها ، فأنا أبحث عن عقوبة تخلصني من عذاب الضمير ؟ هل أنا كالذى وضع رجله على رأسه ثعبان ، ثم تعبت رجلى فرفعتها فقفز الثعبان يهددنى ؟ هل هو من ذلك النوع من الثعابين التى تلتف حول الإنسان فتعصره وتتركه بعد ذلك دون أن تنال منه شيئا ؟ هل هذه الرغبة أحد جبال الجليد التى ظهر جزء منها على سطح الماء .. أما الباقى فتحت الماء ، فلا يكاد يصطدم به أحد حتى يخرج كله من تحت الماء شيطاننا جهنميا ؟ هل هى نوع من الأسماك الوحشية التى يجب أن أخرجها من الماء حتى تموت وأستريح ؟

فى الخمسينات كانت لنا فرقة مضحكة فى «أخبار اليوم» اسمها : فرقة البلابل .. ومن بين أعضاء هذه الفرقة عبد الحليم حافظ .. لم يكن معروفا . ولم نكن نجد فيه تفوقا علينا . إنه هو الآخر يغنى . ونحن كذلك . وكنا نغنى لعبد الوهاب ، وغيرى يغنى لأم كلثوم . ولا أعرف كيف قفزت فكرة أن نذهب إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب لكى يسمع صوتى ، فإذا أعجبه تفرغت للغناء . أى تركت الصحافة والتدريس فى الجامعة معا . وكانت فكرة عبد الحليم حافظ . وذهبنا معا إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب فى مكتبه . وهناك كان عبد الوهاب .. ولا تسعفى المعانى لكى أصف لك شعورى أمام محمد عبد الوهاب . إنه ذلك الكائن النورانى الملائكى الرقيقى .. حتى كلامه غناء . حتى حركاته موسيقى . ليس كالناس فى شيء . إنه فريد . إنه محمد عبد الوهاب . وأمامه على الأرض جلست فتاة ريفية تغنى : عاشق الروح .

وهو يصاحبها على العود . ولم يكن صوتها جميلا . كان صوت عبد الحليم حافظ الذى يلاحقها أجمل وأروع . وقال لها الأستاذ محمد عبد الوهاب : الله .. يا ثلام - يقصد يا سلام - الله .. قومى وابقى هاتى معك بعض الفطير المشلتت ولا تنسى الجبنة القديمة وعسل النحل !!

وكانت لحظة صحو : أى أننى صحت على حقيقة مفزعة . ومن النادر أن يحدث لى ذلك .. فأنا أترحل على الحياة ، ولا أتوقف عند شيء . ولا أتشبث بشيء وقد أخرجت للعالم جيوبرى حتى لا تضع فيها شيئا . فأنا لا أريد شيئا . تماما كما كان أبى ، مما أحزن أمى عليه ، وعلى مستقبل من بعده .. وصحت

أقول لنفسي : صوتها قبيح . ويقول لها : الله .. إذن فلو سمع صوتي وقال لي : الله .. فأنا مثلها .

وعرفت فيما بعد أن الأستاذ محمد عبد الوهاب هو من أئمة المجاملين ، إن لم يكن إمامهم ! وانتهت رغبتى فى أن أكون مطربا ، وروى الأستاذ محمد عبد الوهاب هذه الحادثة فى التلفزيون . وقال عنى مجاملاً : كان من الممكن أن يكسب الشرق مطربا عظيما لو أنه تفرغ للغناء !!

وكان آخر عهدي بالغناء سرا فى أوائل سنة ١٩٦٠ ، وكنت رئيسا لتحرير مجلة «الجبل» وكنت مدرسا فى الجامعة أيضا . فقد قررت أن أغنى لآخر مرة . وأؤكد ولو مرة واحدة ، إن كان صوتى جميلا أو أنه وهم طويل عشت فيه .. هل يدفنى هذا الوهم ، أو أدفنه أنا ؟ إما أن يكون مقبرتى أو أكون !

كان الفرع الذى ذهبت إليه فى شارع قصر العينى . صاحب الفرع شاب هو الآن وكيل وزارة ، ويتندر دائما بأننى غنيت فى فرحه .. ذهبت بالجلباب والجاكتة ، وصاحبنى صديق هو الآن رئيس إحدى المحاكم . وكان الفرع فوق السطوح . واتفقنا على خطة . هو يصعد إلى السطوح ليعرف «الجو» ، وليعرف إن كان هناك مقعدان من الممكن أن نجلس عليهما .. وانتظرته أمام الباب فى الشارع . وكنت أرى الضيوف . ما الذى كنت أراه ؟ كنت أتساءل : هل سيرفضون السماع لصوتى ؟ هل من الممكن أن تتحول هذه الوجوه المرححة السعيدة إلى وجوه قاسية تقذف بى من فوق السطوح ؟ هل من الممكن ألا يضحك الناس لهذه المحاولة ؟ أفر عنى جدا أن يضحك الناس . أليس من هؤلاء الضيوف أب طيب أو أم حنون ؟ هل نقول لهم : إننا طلبة نكسب عيشنا بالغناء والموسيقى ؟ هل نقول لهم إننا مطرب وموسيقى على باب الله وإننا لانتقاضى أجرا ؟ هل نقول لهم : إننا أصدقاء البواب أو الطباخ ؟

لا أعرف كم مضى من الوقت عندما رأيت زميلى قد هبط ليقول لى ، وقد مط شفتيه بها معناه : تعالى والسلام !

أى فلنصعد معا ، ونغن .. وامرنا الله . وطلبت منه أن يوضح لى أكثر ..



فقال : الناس جالسون كأنهم فى مأتم !

فقلت : ما رأيك ؟ .. هل ترى أن أقرأ لهم قرأنا ؟ أنت تعرف أننى أحفظ القرآن . وأننى رتل القرآن كثيرا . وأننى أذنت للصلاة .. وأننى ..

وكان رد زميلى : قلت لك إنه فرح وليس مأتما . ولكنهم جالسون فى صمت كأنهم فى مأتم ! هل أشفق صديقى على حالتي ؟ .. ولكننا صدعنا . ووجدنا مقعدا . وسمعتة يقول : المطرب الجامعى والشاعر الكبير .. ابن المنصورة ..

وكان التصفيق حادا فقد كان أهل العروسين من المنصورة .. وأحسست كأننى وقعت فى مطب .. إنهم يسخرون منى .. وانتقلت الصفافير من أذنى إلى نيران فى عينى . إلى أمطار غزيرة على جبهتى ، وتذكرت أعظم تعبير فى تاريخ الشعر العربى .. إن نفسى « طارت شعاعا » .. أى تحولت من مادة إلى طاقة .. إلى لا شيء .. إلى عدم .. وتذكرت ما أصاب الشاعر الفرنسى غليوم أبولولونير .. فقد كان مريضا فى بيته ، عندما سمع الجماهير تهتف : يسقط غليوم .. يسقط غليوم !

وظن الشاعر أنهم يهتفون بسقوطه بسبب ديوانه اللامعقول الذى صدر أخيرا . ومات الشاعر من الفزع وهو لا يعرف أنهم يهتفون بسقوط الإمبراطور غليوم الألمانى ، لأن ألمانيا أعلنت الحرب العالمية الأولى على فرنسا !

وتذكرت مدام كورى التى أحبت أحد العلماء وخطفته من زوجته .. وتحذت باريس كلها عن هذه الفضيحة الأخلاقية لواحدة من كبار العلماء .. وقامت المظاهرات تهتف بسقوطها : إلى الأرض يا مارى .. إلى الوحل يا مارى خاطفة الأزواج .. المرأة الأفعى التى تسللت إلى سرير الزوج وقتلت زوجته .. فى هذه اللحظة كان الباب يدق بعنف .. لا بد أنها الجماهير تريد الفتك بها . وسقطت مدام مارى كورى على الأرض .. وتكاثر الجيران وفتحوا الباب لكى يهتوها بأنها فازت بجائزة نوبل فى الفيزياء !

وكلما حاولوا أن ينهضوها من الأرض ، كانت ترفض وتقول : لا أريد أن أرى أحدا .. اخرجوا !

هل سقطت أنا من فوق المقعد ؟ هل غبت عن الوعي جالساً أو واقفاً ؟

ونزلت إلى الطريق العام . وكان الهواء بارداً . وكان زميلي يهزنى أثناء السير . وأقسم لي أنني كنت رائعا . وأنهم لم يصفقوا لي لأنني من المنصورة . ولكن لأن صوتي جميل حقا . ولكن مع الأسف لم أدرك شيئا من ذلك .. فقد كنت في غيبوبة : من الخوف والقلق والخجل والإصرار رغم ذلك على أن أسمع واحدا يقول : الله .. وليس على طريقة الأستاذ عبد الوهاب . ولم أسمعها !

فهل كنت حقا أريد أن أكون مطرباً ؟

لا أظن ذلك ، إنما أنا تعلقت بالكلام الجميل ، أحفظه وأردده وأسمعه وأطلب منه المزيد . لقد ارتبطت بالكلام . وارتبطت بالورق والقلم . ووجدت الكتب في كل مكان . هل كان حقا في كل مكان ، أو أنني لم أكن أرى غيرها . أعتقد أنني مثل سوسة الخشب ، لم تكن تجدد إلا الخشب ، تولد فيه وتعيش وتموت .. إنني مثل دودة القطن ، لا تجدد إلا سيقانه وأوراقه حياة وموتاً .. لم أكن إلا سمكة في ماء ، فيه تنفّس ، وفيه تولد وفيه تموت ..

وقد أحسست بهذه المعاني أكثر عندما ترددت على «جمعية الإخوان المسلمين» .. وعندما اشتغلت بالتدريس في الجامعة .. لقد كنت أتحدث دائما . لم أكن أتحدث إلى أحد . إنما كنت أوضح نفسي لنفسي . فأنا أريد أن أكون قادرا على التعبير السهل . وكنت أجد أن محمد عبد الوهاب هو صاحب أسهل وأجمل عبارة موسيقية ، وكنت أتمنى لو كنت كذلك .. أو كنت قادرا على أن أفعل في الفلسفة والأدب ، ما فعله محمد عبد الوهاب في الموسيقى والغناء .. وكنت في الندوات الدينية أتحدث مستعينا بالشعر والقصة والنكتة والآيات القرآنية .. لم أكن أتحدث لأحد . فأنا لا أقوى على مواجهة الناس ، إنما كنت أتحدث مع نفسي أمام الناس . وكثيرا ما كنت أتحدث مع نفسي في غرفة مظلمة بصوت مرتفع ، متخيلا ما سوف أقوله . كنت أحفظه كلمة كلمة حتى لا أتلعثم . وفي الجامعة كانت محاضراتي في الفلسفة أقرب إلى الأدب . وكانت محاضراتي عن قضايا ما وراء الطبيعة ، كأنها حكايات عن عالم الطبيعة والواقع .. كان مثلي الأعلى : أن

أرى الأفكار .. أن أجعلها ملموسة .. أن أجعل كل فكرة «شيئاً» تراه العين وتسلمه الأصابع .. ولذلك كنت أسرف في استخدام كلمة «كأن» كثيراً جداً .

فأنا أحاول أن أجعل المعاني المجردة كالأشياء الملموسة .. كنت أحسد بنات «الرجون» في الأساطير الإغريقية ، اللاتي إذا لمسن شيئاً تحول إلى حجر : المخاوف تصبح تماثيل حجرية . وكذلك السعادة الأمل واليأس . وكنت أجد أن أصدق عبارة هي التي قالها ميكلو نجلو عندما وصف براعته في نحت التماثيل : إننى لا أصنع تماثلاً .. إننى أنقب عنه في الحجر .. إنه هناك . وأنا أكشف عنه الغطاء فقط !

أما أنا فكنت أريده أولاً أن يكون حجراً ، ثم أفتش عنه بعد ذلك .. وقد حاولت أن أتعلم العزف على أية آلة موسيقية ، فلم أفلح .. فلو كنت جاداً في أن أكون مطرباً أو موسيقياً لبرعت في دراسة الموسيقى أو الغناء .. ولكنى لم أفعل . ولم أحاول ولم أندم . فقد كان أملى كله في أن أجد المعنى الجميل والزى الجميل لهذه المعانى .

ولذلك فقد وصفت أسلوبى في واحد من كتبى بعد ذلك ، بان عبارتى «محزقة» أى أن ألفاظى مثل فستان يضغط على المعنى فيكشف مفاته ، أو يغطى عيوبه !

واستثمرت هذا المعنى كثيراً . فكنت أقول : إن الأفكار مثل الأقمشة ، والأسلوب مثل التفصيل . والقماش في متناول جميع الخياطين ، ولكن الخلاف بينهم في تفصيل الزى المناسب ..

وبلغ من حماسى للدراسة في الجامعة ، أننى نسيت أن اتقاضى مرتبى سنتين ولم أتذكر ذلك إلا بعد خمسة عشر عاماً . فعندما كنت مدرسا في الجامعة كنت كاتباً أيضاً . بل كنت كاتباً دائماً . فأنا لا أتحدث إنها أتخيل أننى أكتب . وكثيراً ما أخجلنى أن يفصح الناس أمرى ، عندما يلاحظون أننى وأنا أتحدث إليهم أكون سارحاً كأننى لا أخاطبهم ، إنها كأننى أتحدث إلى آخرين .. أو إلى نفسى . كأننى أكتب .

وفي يوم من الأيام وأنا أتمشى في شارع النيل في المنصورة . وكنا نلتقى عند المكتبة العامة . وكان اسمها في ذلك الوقت «المكتبة الفاروقية» نسبة إلى الملك فاروق . المكتبة لها سلام . وكانت السلالم هي المكان الذي نلتقى عنده . وكنا نتباهى في ذلك الوقت : من الذي قرأ أكثر من الكتب . وكنا ندعى جميعا ، ونحن صادقون ، أننا قرأنا كل الكتب الأدبية .. وأضفت أنا كلمة : والفلسفة .. في ذلك الوقت كانت عندنا مسابقة للفلسفة - هذه المسابقة لطلبة التوجيهية ، ودخلت مسابقة الفلسفة ، وجاء ترتيبى الأول في مصر .

ولكن قبل ذلك وجدت كتابا في هذه المكتبة هو أيضا نقطة تحول نهائية . فبعد هذا الكتاب وبسببه ، أو بسبب استعدادى ومزاجى النفسى والعقلى والاجتماعى ، تحدد تماما أننى سوف أدرس الفلسفة . الكتاب اسمه «قصة الفلسفة اليونانية» تأليف الأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود وعرفت فيما بعد من الأستاذ زكى نجيب محمود أنه هو الذى كتبه ، وأن الأستاذ أحمد أمين لم يكتب فيها حرفا واحدا . ولكن كانت الوسيلة لنشر هذا الكتاب هو أن يوضع اسم الأستاذ أحمد أمين ، لأنه هو صاحب المطبعة والناشر وصاحب مجلة «الثقافة» ..

فهذا الكتاب مختلف تماما عن كل كتاب قرأته عن الفلسفة اليونانية بعد ذلك . ولم تكن الكتب التى قرأتها كثيرة . إنها لم تتعد الكتاب المقرر علينا ، وكتابا آخر من تأليف الأستاذ يوسف كرم . وبعض المقالات في المجلات . وبعض الكتب في علم الكلام والتصوف ..

ولكن الكتاب مختلف في كل شيء : بتداء من الغلاف الأزرق إلى الصور والورق المقصول المتشابك بعضه في بعض . والذى يجب أن أفصله بالسكين . ولكن الذى بهرنى هو الشيء الذى أبحث عنه : سهولة العبارة . الوضوح . الجمال . البساطة . الإقناع . لا أعرف كيف أصف فرحتى بهذا الكتاب . ولا كيف اكتشفت أن هناك أناسا آخرين غير الأستاذ العقاد عندهم هذه القدرة المتواضعة على الجمال والإقناع . وعرفت فيما بعد أن الكتاب قد اعتمد في الدرجة الأولى على كتاب آخر هو «قصة الفلسفة» للكتاب الأمريكى ول

ديورانت . وهو أقدر مؤلفي التاريخ الأدبي والفلسفي على التبسيط الجميل . بل لم أجد أحدا أروع منه .

وإذا كان الذى كتبه الأستاذ يوسف كرم فلسفة ، فإن الذى كتبه الأستاذ زكى نجيب محمود هو الأدب الفلسفى . أو هو تأديب الفلسفة . أى أنه من الممكن أن يكون الإنسان فيلسوفا وأديبا فى نفس الوقت . بل إن كل صاحب أدب هو صاحب فلسفة . وليس العكس . فليس أرسطو العظيم أديبا . إنما هو فيلسوف وله نظريات فى الأدب والنقد . ولكنه ليس جميل العبارة مثل أستاذه أفلاطون ولا بارع الحوار مثل أستاذهما سقراط .

ولكن هل الذى وجدته فى كتاب الأستاذ زكى نجيب محمود هو بالضبط ما أريد ؟ لقد وجدتھا - أى وجدت نفسى !

ولكن لا شيء يفسد أى كتاب مهما كان ممتعا إلا أن يكون مقررا عليك . أى إلا أن تجهد نفسك مرغما على قراءته وعلى حفظه . وهنا يكون الجمال قبحا ، وتكون العبارة السلسلة سلاسل تقيد خيالك وتفسد عليك الدنيا .. لقد انبهرت بهذا الكتاب . ولكن لم أجد متعتى الحقيقية إلا بعد أن ذهبت إلى الجامعة ، وإلا بعد أن اشتريت نسخة نظيفة ، وإلا بعد أن تفرغت تماما لقراءته فى جلسة واحدة ، تحت شجرة فى حديقة الأسماك بالزمالك ..

وبعد ذلك قرأت الجزءين الآخرين لكتاب : قصة الفلسفة الحديثة . وهذه الأجزاء الثلاثة ، اكتملت متعتى . وتمت فرحتى . ووقفت أنظر ورائى فى سخط فقد أحسست أننى تمحيت كثيرا . وضللت طويلا . وتوهمت أنه كان من الممكن أن أكون واحدا من رجال الدين . أو كان من الممكن أن أتجه إلى الطب لعلى أداوى أبى وأمى ، ولعلى أكسب مثل الذى يكسبه الأطباء من زيارة المرضى ، دون أن يكون هناك شفاء لأحد .. ولا كان صحيحا أننى كنت أصلح أن أكون من رجال الشرطة . فقد اكتشف أحد أقاربى أن تصرفاتى تدل على ذلك . فأنا اعترض السيارات فى الطريق العام وأسجل أرقامها وأقول : شفرولييه .. فورد .. كاديلاك ..

وكننت فوق العاشرة بقليل . لأن «الديك الفصيح في البيضة يصيح» . وقد رأى قريبي هذا أن كل شيء يفصح عن أنني سوف أكون من رجال المرور أو من رجال الأمن .. ولم يكن ذلك هو السبب الحقيقي . إنما السبب هو أنني لا أعرف ما الذي أفعله .. ولا أعرف كيف أبدو هاما . أو أبدو عارفا . أو كيف أقوم بمعادلة صعبة في داخلي . فقد كانت أذهب إلى المدرسة على قدمي . وكانت المسافة طويلة .. ولذلك كنت أغالب هذا العجز المادي ، ينوع من التسامي المعنوي .. فأقف كأني عسكري مرور . وكأن هذه السيارات ليست إلا ماركات وأرقاما . ويست أكثر من ذلك . وكلها مرصودة عندي في كتاب . وكان رجال المرور في بعض الأحيان يتركون لي هذه المهمة فأسجل في دفاترهم أرقام السيارات .. ولا كان من الممكن أن أصبح شابا رياضيا ، فقد تفوقت في كل الألعاب الرياضية في المدرسة . فكنت كاتن المدرسة وكننت الأول في الفصل .. أي «أول» المدرسة .. لم أكن أصلح أن أكون واحداً من هؤلاء .. لماذا ؟

لأنني كنت أتجه في كل ناحية بنفس الحماسة . ولم أعرف لي اتجاهها واضحا . وإن كان من المؤكد أن علاقة ما سوف تربطني بالكتابة . وقد قضت أمتي على كل محاولة من أبي لكي أقوم بأي عمل نافع غير الدراسة . ولا أعرف ما الذي دفع والدتي وهي سيدة أمة ، إلى أن تصر على ذلك . فقد كانت ترى أن المثل الأعلى في أسرتنا هو إبراهيم باشا عبد الهادي . ولا بد لجميع أفراد الأسرة ، والناس أيضا ، أن يكونوا مثله . وكننت أسمع اسمه كثيرا . ولا أعرف ما الذي يجب على أن أفعله .. ولكنه إبراهيم عبد الهادي وأسرته عبد الهادي المليجي والزهيرى والباز وأبو سمرة والعقدة وعبد المحسن .. فلا كانت تعرف بالضبط ما الذي يجب أن أعمله ولا أنا .. ولكن من المؤكد لديها أن كل شيء سوف يتحقق عن طريق التعليم .

ويوم جاءت أمتي تبحث عني وأنا طفل أحفظ القرآن في كتاب القرية . وكان الكتاب لابن خالتها . فوجدت أنه قد كلفني بإطعام الدجاج ، بينما الصغار جميعا يحفظون القرآن ويكتبون الواجبات في كراساتهم ، يومها غضبت أمتي وشارت ، وضربتني أمام كل الأطفال : لأنني لم أخبرها بأن ابن خالتها

يضيع وقتى ومستقبلى هكذا ..

ولم أكن أعرف أنه من الواجب أن أقول لها : إننى أكنس البيت وأغسل الأطباق وأذهب إلى الحقل وراء الحمير التى تنقل السباخ . ومنذ ذلك الوقت ، وأمى تهتم بصورة غامضة بمستقبلى بدون بقية إخوانى . لماذا ؟ لا أعرف . ولا أعرف أيضا لماذا كانت تصر على أننى ابنها الوحيد .. وأنه لا أمل فى أحد من أولادها . أنا فقط ؟!

لم يبق إلا كتاب واحد من مئات الكتب التى تمسحت بها عيناي فى ذلك الوقت . إنه بعنوان «مطالعات فى الأدب والتاريخ والاجتماع» للأستاذ عباس محمود العقاد ، ولا يزال الكتاب عندي كما هو بأوراقه الممزقة وجلدته القديمة ، وبخط والدى يرحمه الله . أما جلدة الكتاب فهى من كراسة رسم قديمة مكتوب عليها السنة المكتبية سنة ١٩٤١ - ١٩٤٢ . وهذا هو أول كتاب للأستاذ العقاد أقرؤه . وقرأته كثيرا وطويلا . فليس أدبا وفلسفة وتاريخا واجتماعا ، إنه دنيا جديدة . إنه دائرة معارف . إنه مجموعة من النوافذ انفتحت فى رأسى ليدخل منها هواء جديد . أوكسجين .. إننى كالذى هبط بمظلة واقية على كوكب آخر . وكان هذا الكتاب مثل كتب إرشاد السائحين إلى كل المعالم الأثرية والتاريخية . فمع الأستاذ العقاد لا تعب ولا تضل . فهو يعرف كل شيء . وهو قادر على أن يعطيك «مفتاحا» صغيرا لأكبر القصور والمتاحف . ولم أجد بين كل الذين قرأت لهم رجلا يفوقه فى مقدرته على صناعة المفاتيح . وكلمة «مفتاح الشخصية» و «مفتاح الهداية» و «مفتاح الكون» من أحب الكلمات عن الأستاذ . وهو لا يتهيب أحدا أو شيئا . إنه يقبل عليه . ويجلس إليه ويحاوره . وبسرعة يضع يده فى جيبه ويجد المفتاح الصغير الذى يشبه عبارة : افتح يا سمسم فى ألف ليلة وليلة . فلا تكاد هذه العبارة تقال حتى تفتح الجبال .. وتنكشف الكنوز .

وفى كتب الأستاذ العقاد كلها تتناثر هذه المفاتيح ، دليلا على قدرته الهائلة على فك الطلاسم النفسية والعقلية . وقد لا تعجبك بعض المفاتيح ، ولكن من المؤكد أن الأستاذ قد تعب فى تكوينها وتشكيلها . ولكنه لا يمن عليك إذا قدمها لك . ولا يعرض عليك كيف تعب فى الاهتمام إلى المداخل الخفية للمذهب

مثلا .. الأستاذ العقاد عندما أراد أن يلخص كل حياة المرأة في كل وقت وفي كل العصور قدم لنا هذا المفتاح : إن المرأة حيوان يتجمل ويتعرض وينتظر !  
انتهى تكوين مفتاح شخصية المرأة . فهي حيوان كالرجل ، وهى تضع الأبيض والأحمر من وسائل الزينة والأزياء ، ثم تعرض كل ذلك على الرجال ، وتنتظر ما الذى سوف يفعلونه !

هل يمكن أن يوصف كتاب الأستاذ هذا بأنه مغامرات عقلية ؟ نعم .  
فالفكر كله مغامرة ، أى اقتحام لشيء جديد . جرى وراء المجهول . ففيه الخطر والانتصار والاستطلاع والمتعة . والذى لا يخاطر فإنه يمشى فى طريق قديم .  
والذى لا يمشى فى طريق جديد ، فإنه يكرر غيره . وليس التكرار فى الفكر إلا موتا له . ولذلك فهذا الكتاب للأستاذ كان أكبر مغامرة فكرية صادفتنى .  
ففى هذا الكتاب يتحدث عن أشياء غريبة تبدو متناقضة ولكنها ليست كذلك .. فهو يقول : إن الجمال هو الحرية ولكنها حرية لها قيود . والدنيا هى الروح ولكن لكى تلمسها فلا بد أن يكون ذلك عن طريق المادة ويقول الأستاذ : إننى لست فى حاجة إلى أن يتكلم الناس عن عالم الريح أو الأرواح ، لأن فى الكون المادى روحانية كافية . والويل لهذه الدنيا كلها إذا لم يجد الناس فيها روحانية إلا عن طريق تحضير الأرواح !!

والعالم كله - فى رأى العقاد - مادة وروح لا تنفصلان .. فلا هو روحى مطلق ، ولا هو مادى جامد ..

شيء عجيب . وفكر غريب .. وخبطات على الرأس ، وفتح لطاقات القدر فى كل اتجاه ، وفيوض من النور ، وأسلحة حادة لامعة يستخدمها العقاد فى عملياته الفكرية : الجراحية والتشريحية والتجميلية ببراعة ورشاقة .

وكنت فى ذلك الوقت أكتب مذكراتى . أو ما أسميه مذكرات . فلا أعرف إلى من كنت أكتب ولا عن أى شيء .. إنما أجد الورق والقلم . وأكتب . وأتخيل أناسا حاورتهم وأناسا عاتبتهم . وأتوهم مشاكل نفسية وعقلية ، وأناقشها وأرد



بها على نفسى . لم يكن ما أكتبه سوى محاورات أو تأملات أو انطباعات . وكنت جادا وحزينا ويائسا . وكنت مندهشا لأشياء كثيرة فى الحياة . وكنت أستخدم عبارات ضخمة مثل : ما أعجب الناس ! وما أتعس الناس وأشقانى بهم !

ولم أكن أعرف الكثير من الناس ولا الكثير من الدنيا . ولكن فى مثل هذه السن تكون العبارات ضخمة واللغة خطابية .. ويكون الشعور بالوحدة مقلوبا ، فبدلا من أن يشعر الإنسانية أنه هو الذى انطوى وانزوى ، فإنه يخيل إليه أن الناس هم الذين دفعوه إلى ذلك . فهو بالقوة قد انطوى وانعزل . مع أنه هو الذى اختار ذلك . أو وجد نفسه كذلك .

ولا أذكر أننى وجدت كلمة «حب» فى كل هذه المذكرات .. أو كلمة «فتاة» إنما وجدت كلمات ضخمة مثل : الله ، والقضاء والقدر .. والظلم .. والتاريخ .. ولو كان الأمر بيدي ؟!

ولم يكن كتاب الأستاذ هذا إلا الخطوة الأولى فى الطريق الذى طوله عشرون عاما انتهت يوم مات العقاد . ولكن مثل الأستاذ العقاد لا يختفى يوم يموت .. فهو مثل الأنهار العظمى يظهر عشرين عاما ويختفى تحت الأرض عشرين أخرى ، ليفيض على سطح الأرض مئات السنين .

وكتب أخرى جعلت قلبى يقفز إلى ما فوق كتفى .. فأصبح قلبى يدق فى رأسى ! .

## الأبطال صنعَتهم التاريخ !

كأنى مشدود بخيط من المطاط إلى الأستاذ لعقاد ، إذا ابتعدت عنه أو باعدت نفسى ، فإننى أرتد إليه بقوة .. كأنه هو جزيرة المغناطيس التى جاءت فى ألف ليلة وليلة ، ونحن ندور حوله نقاوم أن تنسحب منا المسامير والقوائم الحديدية ، فلا تبقى منا إلا ألواح خشبية .. كأن الأستاذ العقاد هو خط جريتش ، ونحن نقع شرقا منه أو غربا .. أو كأنه مستوى سطح البحر ، ونحن فوق ذلك أو دون ذلك .. كأنه الغطاء الذهبى لكل ما لدينا من عملات ورقية .. وكلها من ورق ، وهو وحده الذهب والفضة والماس .. كأننا أكوام من الأشياء التى لا

وزن معروفًا لها .. وهو الكيلو جرام الحديد ، وجرام الذهب ، وقيراط الماس .. كأنه أبونا آدم ونحن أولاده وأحفاده .. فمهما اقتربنا منه أو ابتعدنا عنه فنحن آدميون ..

وأنا عندما أتحدث عنه ، وعننى ، فإننى أبدأ به .. بما قاله وأسحبه على كل حياتى ، أو أصف ما جرى لى وما جار على ، ثم أعود إليه أستعير مصباح علاء الدين ، وعصا موسى ، وبساط الريح ، وخاتم سليمان .. فلم يكن لنا منار سواه ، نهتدى به فى بحار الحياة الثقافية والتربوية والدينية والفلسفية ، وأحياناً السلوكية ، وإن كان هناك كثيرون سواه فإنه الأكبر . لماذا ؟ لا أدعى أن كل هذه المعانى كانت واضحة تماماً فى رأسى . إنما كل ما كان عندى ، وأنا طالب فى المدرسة الثانوية ، هو إحساسى بعظمته .. فهل كان فعلاً هو إحساسى بعظمته ، أو هو احتياجى إلى العظمة أقف على مقربة منها .. أو هو احتياجى للأدب والأم والمدرس والمرشد والصديق ؟

ربما كان ذلك هو المعنى .. فلم يكن بيتنا إلا جدراناً باردة من اللامبالاة .. أو باردة لأنها غرف وقاعد من اللامبالاة .. وقد اكتشفت فى يوم من الأيام حقيقة حياتى كلها ولسنوات طويلة ، وهى أننى أقيم فى كوخ ضيق بارد فى داخل بيتنا .. فأنا فى الطريق إلى البيت أتفادى الطريق العام . أهو الخجل ؟ أهو الشعور بأن ملابسى ليست كما يجب ؟ فقد حدث مرة أن اخترت حذاء أكبر إخوانى . أعجبنى . وضعت فى قدمى . نزعته فى الطريق عندما سخر منى زملائى . فقد كان كبيراً جداً . ولكنى لم أتنبه إلى أنه من الممكن أن يخرج من قدمى . وقد حدث ذلك مرة واحدة . ولكن هذه المرة لا أنساها ما حييت . وعندما رأيت غرفة نوم الأستاذ العقاد فى أيامه الأخيرة ، بهرنى هذا العدد الهائل من الأحذية .. وعندما خرجت أصابع الأستاذ من تحت الغطاء وجدت أنها أصغر كثيراً من أحذيته ..

إذن لقد كان يرتدى أحذية كبيرة لتريح أصابعه . ولكن لا أظن أنها كانت تنخلع عند المشى ... وعندما رأيت بيت الأديب الأمريكى همنجواى فى مدينة هافانا بكوبا ، وجدت عشرات من الأحذية أيضاً . والغريب أن الرجلين

وضعها في غرفة النوم . وليس أمام الغرفة .. ربما كان السبب أن هذه الأحذية لكثرتها واتساعها ، لا تخرج منها روائح العرق بسبب السير الطويل ، ولذلك فلا ضرر إذا تركت في غرفة النوم ..

إذن فلا بد أن أكون إنسانا شديد الحساسية ، إذ يكفي أن يقع لي حادث واحد فإنني لا أنساه . لم أنس سنوات طويلة ما حدث لي من سخرية زملائي عندما انخلع حذائي من قدمي . وقد تغيرت الأحذية وتلونت وطالت وقصرت . ولكن حادث الحذاء ما زال خطرا يهدد كل أحذيتي .. لقد ظلت أتوهم ذلك . ولم أجرو بعدها أن أمشي في الشوارع العامة ، ومع زملائي من التلامذة .

إنني أنا الذي أفضل أن أكون وحيدا ، ولذلك اخترت الشوارع الضيقة . والحارات النائية . وعندما أعود إلى البيت . كانت غرفتي التي بها مكتبي ، إلى جوار الباب . فإذا انفتح الباب اتجهت إلى غرفتي . والمكتب في منتصف الحجرة . لأن الجدران باردة . والرطوبة تصل من الأرض إلى السقف . كأن الجدران سد تقف وراءه المياه . أما الجير الذي يهبط من السقف فهو مثل قطع الجليد . وكان لا بد أن ألبس حذاء حول مقعدي . لكي يعزلي عن الجدران . وأن أضع رأسي في طاقيّة سميكّة . وكذلك قدمي . وأظل أنكمش وأقرب رأسي من المصباح الغازي الذي يضئ ويدفئ في نفس الوقت .. إنني إذن أقيم في كوخ في داخل البيت . أما بقية البيت فنائم وإن كنت أسمع أمي تسعل ، وأبي أيضا ، أما إخوتي فنائمون ..

وتغيرت البيوت واتسعت الجدران وارتفع الطابق الذي أسكن فيه . ولكن هذا الكوخ حملته معي في كل مكان . تغيرت الحصىرة وتحولت إلى جدران خشبية متينة ، ولكنني حملت عزلي معي . وأحيانا أحس أنني مثل القواقع ، وأحيانا مثل القنفذ . وأحيانا مثل أهل الإسكيمو . وربما تبقى من هذه العادة القديمة أنني ما أزال أضع على نفسي أغطية ثقيلة صيفا وشتاء . هل هو الشعور بالبرودة حتى في الصيف ؟ لا أظن ذلك . ولكنه نفس الشعر القديم : أنني أحمل كوخ . أحمل خيمتي .. وأنصبها في مهب الريح .. سواء كانت هذه الريح حقيقة أو وهما ، فهناك رياح دائما ، أو يجب أن تكون ، لكي أضع هذه الأغطية ..

وعندما ذهب فيها بعد بلاد اليابان ، وزرت جزيرة ميكوموتو ذلك الرجل الذى ابتكر اللؤلؤ الصناعى أو اللؤلؤ المزروع . ورأيتهم يخرجون اللؤلؤ من قاع المحيط ، قلت دون أن أدري : يا أنا .. ! فحيوان اللؤلؤ يعيش وراء جدران القوقعة . وهذه القوقعة تتعلق فى ماء المحيط .. وبفتحتها الحيوان قليلا ليتغذى . فتدخل مع الغذاء ذرات من الرمل . فإذا دخلت التصقت بلحمه الناعم الرقيق فتوجعه .. ولذلك فإنه يفرز مادة بيضاء عازلة .. وهذه المادة يلفها حول ذرة الرمل ليعزلها عن جسمه .. ويظل يعزلها يوما بعد يوم وسنة بعد سنة حتى تتخذ هذه الذرة شكل اللؤلؤة .. فليست حبات اللؤلؤ إلا دموعا لحيوان عاش هادئا معلقا فى المحيط .. إنه فنان انطون ، أنزوى وبكى فنا .. فحبات اللؤلؤ دموع لأمعة .

أما هذا الرجل اليابانى ميكوموتو فقد قام بتقصير فترات البكاء على هؤلاء الفنانين .. فأخرج القواقع من المحيط .. وبدلا من أن يضع ذرة رمل ، فإنه وضع حبة صغيرة من مادة المحار .. هذه الحبة فى حجم الحمصة الصغيرة . فإذا اقتربت من جسم الحيوان الرقيق ، راح يعزلها عن جسمه .. واستمرت عملية العزل الفنية الرائعة عاما أو نصف عام .. ولكن مهما قصرت المدة فإنه يبكى !

ويوم رأيت ذلك فى اليابان كان سنة ١٩٥٩ ، ولم أكن فى ذلك الوقت قد أصدرت إلا خمسة من الكتب .. ولكنى كنت أعتصر نفسى ، وانزف فكرا ، وأحترق أملا فى أن أكون شيئا قادرا على التعبير وعلى أن أستخرج بأظافرى أعماق أعماق ..

ويوم رأيت صورة الأستاذ لأول مرة كانت فى إحدى المجلات الفنية . ولم أكن قد رأيته قبل ذلك : الرأس كبير . الجبهة عالية .. الأنف كبيراء . والعينان سماويتان - أى تتجهان إلى السماء . أما الاكتشاف العظيم فهو أن الأستاذ كان يلف «كوفية» حول عنقه . ولما رأيت له صوراً كثيرة وجدت هذه الكوفية صيفا وشتاء . إذن فلا بد أنه هو الآخر يشكو برودة ما . ولا بد أن يتغنى كثيرا وكثيفا

. ولا بد أن يسكن في الطابق الأرضي أو الأول . ولا بد أنه في وحدة تامة من أجل أن يفكر . وما دام عظيما هكذا ، فهو مختلف تماما عن إخوته وأقاربه وعن أهل مدينته وعن كل الناس . وما عظمت هذه إلا كوخ من ورق أو من خشب .. ولكن مثل الأستاذ لا يسكن كوخا إنما يسكن قصيرا . فليست القصور للملوك إنما للفلاسفة والمفكرين العظام . و «الأبطال» ..

ولم أكن أعرف ما معنى كلمة الأبطال لولا أن دلنى الأستاذ على ذلك ، عندما كتب على الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل .. شيء عجيب ذلك الذى كتبه . فهو يرى أن التاريخ عربية . والعربة تجرها خيول . والخيول هم أبطال التاريخ .. أو أن التاريخ غابة . والغابة أشجار . ولكن شجرة واحدة ، لسبب ليس معروفا لدينا جميعا ، نجدها أطول وأعظم .

والتاريخ قطع من الأغنام ، تجد واحدا منها متقدما دون سبب واضح . فإذا هاجمت الذئب القطيع ، فإن هذا الذى يمشى في المقدمة ، يواجه الذئب ويموت دفاعا عن القطيع .. وتظل الشعوب نائمة ، حتى يوقظها بطل . وتظل الشعوب ضالة حتى يهديها بطل : في السياسة وفي الدين وفي الأدب وفي الفن .. والبطل هو القدوة وهو المثل الأعلى . وهو تجسيد لكل آمال وأحلام الشعوب .. إذن فالأستاذ العقاد هو البطل ..

وفي سداجة الأطفال حاولت أن أبحث عن البطل بين المدرسين وبين زملائي من التلامذة . فكنت أجد مدرس الفلسفة بطلا . ففى وجهه ورأسه ومشيته وما يؤكد أنه هو البطل . وفى إحدى المرات كتبت له هذه المعانى وقدمتها له . وقرأها أمامى . وضحك وأمسك أذنى . ومضى ولم يقل شيئا . فلا عرفت منه إن كان صحيحا ما كتبت . ولكن لا بد أنه وجد فيها كتبت حسن ظن مكن واحد من تلامذته .. ولا بد أنه قد اعتاد في حياته الطويلة أن يجد مثل هؤلاء المعجبين الأبرياء .. إذن فلم يكن هو البطل ..

ورأيت في مدرس اللغة الفرنسية مثل ملامح الأستاذ : الطول والرأس السامى ، والعينين الواسعتين ، والجبهة العريضة اللامعة ، والمشية السريعة ،

وعطفه الشديد ، وتشجيعه المستمر .. ولكن لم أجد أكثر من ذلك .. إذن لقد جعلته بطلا في خيالي ، مكافأة له على حسن تقديره لي ..

وفي حصة الرسم أطلت النظر إلى المدرس .. لقد كان يذهلني ، فهو بسرعة يرسم الوجه والملامح ، كأن الوجه مطبوع على السبورة ، وهو يكشف عنه فقط - وعرفت فيما بعد أن هذا التعبير قد قاله ميكلو نجلو عنه نفسه .. وقاله الفيلسوف سقراط أيضا عندما أعلن : أن الطفل الصغير يعرف كل شيء . ويولد وفي عقله كل الحقائق ، والمدرس لا يفعل أكثر من أن يذكره فقط بما هو موجود في نفسه ..

ولم أكن أحسن الرسم .. حاولت كثيرا . ولم أوفق . وفي إحدى الليالي كان من المفروض أن أرسم لوحة للعالم الإيطالي جالا فاني . وأمسكت المسطرة والقلم ، وظللت أحسب ارتفاع الأنف عن الجبهة . ونسبة الشفتين إلى الأنف . والذقن والأذنين . وأمضيت ليلة كاملة أرسم هندسيا وجه هذا العالم الكبير . وأخفيت هذه اللوحة ضمن أوراقى . وفي حصة الرسم قدمتها للمدرس . ولكنه قلب الصورة . وأمسك القلم ورسم الوجه في دقيقة واحدة . أوضح وأحسن ..

ووجدته ساحرا .. ووضعت ضمن الأبطال المعدودين في «مذكراتي» ..

وفي يوم كنت أجلس في حديقة «شجرة الدر» . وكانت مظاهرة . وبين المتظاهرين زملاء المدرسة . ويتقدم المتظاهرين مدرس الرسم .. البطل .. والبوليس يمسكه من ذراعيه .. ولم أفهم كل الذى قيل لى في ذلك اليوم . فواحد قال لى : إنهم ضبطوا في بيته إحدى الطالبات .. وواحد قال لى : إنه كان يرسم فتاة عارية تماما .. لا أعرف ماذا حدث . ولكن الذى أحزننى على الرجل أنهم فضحوه .. ولم أعد بعد ذلك قادرا على أن أنظر إليه في وجهه . فقد كنت أخشى أن يعرف أنني عرفت . مع أن المنصورة كلها قد عرفت ذلك . هل كنت أحس ذلك حقا .. أو أنني صدمت وخاب أملى ؟ فأنا لم أعد أمام بطل إنها أمام أنقاض بطل .. أمام بقاياها .. ولم يسقط الرجل أمامى ، إنها سقطت في داخى .. وأسقطنى

معه .. فليست فضيحتة إلا انهيارا لأحد الأوثان التي أقمتها في معبدي ..  
إنه فعل بنفسه ما فعله تمامًا في لوحة العالم جالا فاني ، فقد أمسك لوحته هو وبدلا من أن يرسم صورة أخرى فإنه قد مزقها .. ولكن بقيت الصورة في عيني . وظلت معلقة على جدرانى مقلوبة ، فالفضيحة بلغة المدرسين : صفر على عشرة .. وبلغة البوليس : سابقة .. وبلغة رجال الأخلاق : عار .. وبلغة أهل التربية : نموذج سيء .. وبلغة الفلسفة : أن يكون الإنسان شيئا آخر أراداه الناس . وهو لذلك عاجز عن الدفاع عن نفسه . فقد أقام كل واحد منهم محكمة في داخله ، وفي المحكمة قضاة وشهود . وحكموا عليه وأدانوه ، ورفعت الجلسة ، ولم يتمكن المتهم من أن يدافع عن نفسه ..  
وكنت بهذه المعانى أقرب إلى التفسير الوجودى للأخلاق العامة . ولم أكن أدري بذلك ! ..

ولم أذهب في مفهوم البطل إلى أبعد من ذلك .. حتى وجدت كتاب «عبقرية محمد» للأستاذ العقاد . قرأته مرة واثنين وثلاثاً . ولا أزال أحتفظ بهذه النسخة القديمة ..

وقد كتبت على الصفحة الأولى : عبقرية محمد من تأليف عبقرية العقاد . ثم هذه العبارة : إن عبقرى هو وحده القادر على أن يؤلف هذه العبقرية ..

ولم أشأ أن أقول لأحد إننى قرأت هذا الكتاب . فقد وجدت كتابا كأنه السحر . صدق رسول الله «إن من البيان لسحرا» . أما السحر في هذا الكتاب فهو : أن الأستاذ قد أقام الدنيا كلها أمامه . وراح يقلب في الشعوب فاختر شعب الجزيرة العربية . وراح يقلب في القبائل فاختر قريشا . وراح يفتش في بيوتها فاختر بيت عبد الله . وفي دراسة لعبد الله وزوجته آمنة وجد أن من الضروري أن يكون لها ولد . وأن يكون هذا الولد هو البطل . وأن يكون البطل فصيحاً . وأن يكون الفصيح نبيا وأن يكون النبى محمداً . وأن يكون نبيا في بيت عبد الله الذى هو من بيت قريش التى هى سيدة القبائل العربية ، وأن يولد نبيا في مكة . وأن يعذبه فيها جر إلى المدينة ليعود إليها ، ويكون أعظم الأنبياء وآخرهم

، وأن يختاره الفيلسوف كارليل أعظم الأبطال ! ..

وأن يختاره بعد ذلك سنة ١٩٧٩ كاتب أمريكي في كتاب عنوانه «الخالدون مائه أعظمهم محمد رسول الله» .. وقد نشرت هذا الكتاب بقلمى ..

ولا أنسى عبارة قالها الأستاذ في الصفحات الأولى من «عبقريّة محمد» ، وهو يبرهن على أن النبي محمداً عليه السلام «ضرورة كونية» ، فيقول : «إن حوادث الكون أكدت أن الدنيا في حاجة إلى رسالة .. وأكدت حقائق التاريخ أن محمداً هو الذى يجب أن يكون صاحب الرسالة ..» ويقول الأستاذ أيضاً : «العالم كله فى انتظار رسالة .. وأحوال محمد ترشحه لهذه الرسالة .. وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وكذلك أحوال محمد ، ولا تتفق الوسائل التى تجعله يؤدى رسالته على أحسن وجه ، فكان من الممكن أن ينتظر العالم كله هذا الرسول ، ثم لا يظهر الرسول .. وكان من الممكن أن يظهر الرسول فى البيت الصالح وفى البيئة الصالحة ، ثم لا تتوافر له الصفات التى تجعله قادراً على أداء الرسالة .. ولكن المعجزة هى أن محمداً استكمل الصفات الضرورية لنجاح أية رسالة عظيمة فى التاريخ . فكانت له الفصاحة واللغة .. وكانت له القدرة على تأليف القلوب والثقة به» ..

والشيء الباهر فى هذا الكتاب أنه يضع الدنيا كلها فى سلسلة واحدة .. أو أن الأستاذ قد أتى بالتاريخ من أوله لآخره ، ورسم له على الأرض طريقاً محدداً . وأنه وضع علامات للوقوف وعلامات للسير . وأن التاريخ يمشى على هواه هو .. يمشى بقدميه ويرى بعينه ويكتب بقلمه .. كيف ذلك ؟ لا أعرف ..

وفى هذا الكتاب يدافع عن الإسلام ، ويرد النقد العنيف الذى وجهه المستشرقون والملحدون .. وأخطر من ذلك أن الأستاذ يرى أن لا مستقبل للبشرية كلها إن لم يكن لها دين . والدين هو المستقبل . ولا مستقبل بغير إيمان . ويجب أن يكون للإيمان مستقبل . وأن هذا هو طوق النجاة للحائرين فى كل العصور ..

ولا أدعى أنني فهمت كثيراً مما قاله الأستاذ فى هذا الكتاب . إنما كنت



مبهورا بهذا القصر الرائع الذى أقامه . أراه من بعيد شاهقا . وأراه من قريب معجزة . وصعدت درجاته ودخلت غرفه ووجدت أشياء وأشخاصا ، لم أتبينهم بوضوح . ووجدت أسلحة ووجدت صراخا عاليا ومعارك ودماء وتهليلات وتكبيرات . ولم أدرك تماما ما هذا الذى حدثنا عنه الأستاذ ، ولكنى مأخوذ بالمقدرة والبراعة والسهولة ، وهذه الموهبة الخارقة على الإقناع ..

ولم أفهم فى ذلك الوقت معنى كلمة الشيوعية . ولكنها ترددت على مسامعى مع مط الشفاه ، بما يدل على أنها شيء رديء ، أو أنها فكر ضار . وقرأت مقالا للأستاذ سيد قطب فى مجلة «الرسالة» يهاجم الشيوعيين . ويقول ما معناه أن الأستاذ العقاد قد أصدر العبقريات - محمد والصادق وعمر دفاعا عن الإنسانية . فالشيوعية لا تؤمن بالبطل . ولا ترى للبطل أية ميزة خارقة . إنما ترى أن البطل هو مندوب المجتمع ، وهو من صناعة الجماهير . وهى التى رفعتة على كتفها ليهتف بأفكارها . وكما أن المجتمع قد أفرز واحدا ، فهو قادر على أن يفرز الكثيرين . وأن الشيوعية قد شوّهت عظماء التاريخ جميعا .. وأن من الواجب الأخلاقى على عظماء المفكرين أن يردوا اعتبار العظمة والعظماء .. والأستاذ عباس العقاد يفعل ذلك . فهو عظيم يدافع عن أبناء جنسه من العظماء ..

وقرأت فى ذلك الوقت أن الأستاذ أحمد أمين قد عاب على الأستاذ أنه لا يذكر إلا الصفات الطيبة للعظماء والعباقرة . ولما كان العظماء بشرا مثلنا فلا بد أن لهم عيوباً . لا يصح إغفالها . حتى لا يصور للناس أن العظماء ملائكة ، وأنهم فوق البشر . وأنه لا أمل عند أحد أن يكون عظيماً ..

ولكنى لم أقتنع بما قاله الأستاذ أحمد أمين فى ذلك الوقت . ورأيت ما يراه الأستاذ . فهم عظماء ولا عيب فيهم . وإلا لما استحقوا أن يكونوا أبطالاً .

وأحسست من هذا الكتاب أننى جعلت لكوخى بابا متينا . هذا الباب هو كتب الأستاذ العقاد . وأحيانا كنت أشعر أنه ليس بابا . إنما هو درع .. وأحيانا ليس درعا ، إنما هو عيان وأذنان وشتان وعقل .. لقد أصبح الأستاذ أطرفى

الصناعية : نظارتى وسماعتى ومفتاح بابى وسلاحى السرى ..

هل تعلمت أن أقول : نحن .. قرأنا وكتبنا .. وفكرنا .. من كثرة قراءتى للأستاذ ؟ نعم .. وقد نبهنى مدرس اللغة العربية إلى أن أحذف كلمة «نحن» وأن أقول كلمة : أنا .. فلاحق لى إلا أن أتحدث عن نفسى . ووجدت ذلك معقولاً ..

ولكنى عندما أتحدث عن أيامى فى صالون العقاد ، فلم يكن الصالون حديثاً بينه وبينى . إنما كان حديثاً مع كثيرين . وكنت واحداً منهم . وكثيراً ما كانت الأسئلة خاصة ، أما الإجابة فهى عامة عادة . وبعض هذه التساؤلات لم تكن لى وحدى .. ولا كانت الإجابة موجهة لى . وكان من الممكن أن أذكر عدداً من أسماء الذين ترددوا على صالون الأستاذ ، لولا أن بعضهم لم ير فى ذلك شيئاً كبيراً . أو رآه كذلك ، ولكن لا أثر له فى حياته الفكرية . فبضع الرواد كانوا أطباء ومحامين وقضاة .. وأقلهم من المشتغلين بالفلسفة والأدب ، مثل : ولیم الميرى ، وعبد الفتاح الديدى ، وجلال العشرى ، وعامر العقاد ابن أخيه ..

وبعضهم كان يرى أن الأستاذ الحقيقى لهذا الجيل هو الأستاذ أمين الخولى ، أستاذ البلاغة . وأقرب الناس إلى الفيلسوف سقراط : لم يكتب حرفاً واحداً ، ولكنه هز العقول لتكتب . فليست مؤلفات الأستاذ الخولى كثيرة . ولكن أثره كان عميقاً على تلاميذه : زوجته بنت الشاطىء .. وآخرين من الأدباء والشعراء .. ولكننا - آخرين وأنا - كنا نرى أن الأستاذ هو العقاد .. لا أنسى له حكاية قالها .. هذه الحكاية عندما فكرت فيها وجدتها تفسيراً صحيحاً لسلوكى ، عندما كنت تلميذاً صغيراً قررت الانتحار ولا أعرف من أين جاءتنى هذه الفكرة . لم أسمع عن أحد ، ولم أر أحداً قبل ذلك قد انتحر .. ولا كنت عرفت أن الأستاذ قد فكر فى الانتحار . وكاد ينفذ ذلك ..

ولا كنت عرفت أن الأستاذ قد اضطرته قسوة الحياة إلى أن يبيع كتبه . وقد بعثها . وحملتها فوق ذراعى كما تحمل أم طفلها . وتلقى به ملفوفاً فى ملابسه ، بعد أن أَرْضَعته ، أمام بيت من البيوت . إنه ثمرة خطيئة . ورمز عار . ولكنه

ابنها . لحمها ودمها تسعة شهور .. وحملت كتبي كأنى أم موسى عليه السلام . خافت عليه من فرعون . وكان فرعون هو الفقر . وخافت أن تلقى به فى البحر فموت . فوضعتة فى سلة . وطلبت إلى أخته أن تراه من بعد . حتى إذا التقطته ابنه فرعون . تقدمت أخته تدلهم على من يرضعه . «فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن» - صدق الله العظيم .

وحملت كتبي ملفوفة فى فوطة نظيفة . وذهبت إلى بائع اللب ، كتبي مجلدة فى ورق شفاف . عليها اسمي ، واتخذ كل واحد منها رقما . وصفقتها واحدا واحدا . ونفضت عنها التراب . ولم ألمسها بقلم . وأعطيتهما للبائع واحدا واحدا . ولكنه مديده وخطفها ووضعها على الميزان . وبسرعة أعطاني قروشاً .. فلا رأى أصابعي ولا أرى لهفي ولا رأى دموعي .. ولا رأى جنازتها التي مشيت فيها صامتا إلى البيت . وعندما عدت إلى البيت احتوتني اللامبالاة ثم الحزن .. والحزن كالسحب يسقط منه المطر على خدي .. ولفقت نفسي فى حصير وانكفأت على مكتبي أبكي .. وأغلقت باب حجرتي لأستأنف البكاء حتى لا يسألني أحد . ولم يسألني أحد .. وعرفت أن مذاكرتي التي سجلت فيها هذا الحدث الأليم هي أسئلة أتوهم أنها من أحد . ثم أرد عليها . فقد كانت مذكراتي حوارا مفتعلا ، ونوعا من المبالاة الزائفة ، أقاوم بها لا مبالاة حقيقية .

أما الحكاية التي قال لي الأستاذ - لي أنا وليس لأحد من تلامذته : إن الفيلسوف الألماني شوبنهاور كان لا يحب أمه . وكانت هي أيضا لا تحبه . كانت تحقد عليه . وكانت هي صاحبة صالون أدبي . وكان يتردد على صالونها أعلام الفلسفة والأدب فى عصرها . وفى يوم بعث ابنها بواحد من كتبه إلى أمير الشعراء جيته .. وانظر رأيه . ولكن الشاعر الكبير لم يشأ أن يفعل . فذهب الفيلسوف الشاب إلى صالون والدته . ودون إذن سأل الشاعر عن رأيه فى الكتاب . فضافت أمه بهذا السلوك غير المهابذ فطردته من الصالون . وسارت وراءه حتى أسقطته من السلم . فقال لها صارخا : مهما فعلت . فسوف تعيشين وتموتين على أنك أم الفيلسوف شوبنهاور ! ..

وصدق فى ذلك ..

ولكن الفيلسوف الصغير ظل منتظرا تحت الجليد حتى نزل أمير الشعراء .  
وسأله . فقال له جيته هذه الحكمة العظيمة : إذا أردت أن تجعل لحياتك معنى ،  
فأجعل للحياة معنى ! ..

وكان الفيلسوف متشائما . وكان يرى أن الإنسان بلا إرادة . وأن غريزة  
البقاء هي التي تدفعه إلى الحياة . وأن غريزة البقاء هي التي تزيف له كل المشاعر:  
الحب والغيرة والزواج . فالحب هو تعبير مهذب عن رغبة جنسية ، والغيرة هي  
خوف على الحياة أن يهددها شيء فلا تستمر بين رجل وامرأة .. وأن الزواج ليس  
إلا علاقة جنسية عادية ، ولكن المجتمع قام بتزييف دوافعها ! ..  
والفيلسوف شوبنهاور لم يجد لحياته هو معنى ، ففقدت الدنيا كلها أى معنى  
.. فكانت حياته انتحارا بطيئا !

ووجدت في هذه الحكاية تفسيراً لما أصابني قبل ذلك .. فلسبب ليس  
واضحا عندي تماما ووجدتني مقبلا على الانتحار . لماذا ؟ في ذلك الوقت كنت  
الطالب الأول في المدرسة : في الابتدائية والثقافية والثانوية العامة وفي جميع  
السنوات . هل أدى ذلك إلى عزلتي عن بقية التلاميذ ؟ ربما  
هل أدت هذه العزلة إلى أن أحاول أن أختار عددا من الأصدقاء فنكون  
«جمعية» في مواجهة الآخرين ؟ ربما .

هل كانت «جمعية الكتب المقدسة» التي أنشأناها تفسيراً لذلك ؟ ربما . فقد  
كنا ثلاثة : يهوديا ومسيحيا وأنا المسلم . هل كانت لهذه الجماعة أهداف تدعو لها  
؟ هل فكرنا في شيء ؟ لا أظن . إنها ألفتنا جمعية لنا نحن الثلاثة . لنكون معا في  
كل وقت . وأن نكون في مواجهة الآخرين . وأن تكون عزلتنا قوية . فبدلاً من  
أن نشعر أن الناس نبذونا ، نتوهم أننا نبذنا الذين نبذنا الناس . وأننا نحن  
الأفضل ..

هل خطر لنا أن هذه الجمعية رمز للتسامح الديني ؟ لا أظن ذلك . فلم يكن  
أحد منا يعرف دينه أو دين الآخرين بوضوح . ولا كانت الفوارق بين الأديان  
معروفة لدينا . إنها نحن ثلاثة .. واحد في مدرسة الفرير .. والثاني في مدرسة

الرشاد الثانوية .. وأنا في مدرسة المنصورة الثانوية .. ولم يخطر على بال أحد منا أن هناك فارقا بين يهودى ومسيحى ومسلم .. ربما الأسماء فقط هى التى توهم هذا الخلاف .. وليست الأسماء دائما . فهناك محل لبيع الورنيش يملكه شخص اسمه : سعد يوسف ، وهو يهودى .. وهناك ترزى اسمه : يوسف يوسف : وهو مسيحى .. وهناك مدرس للرسم اسمه : يوسف سعد ، وهو مسلم ..

ولا أذكر أننا كنا نتكلم عن أحوالنا الشخصية أو العائلية .. وإن كنت ألاحظ أن حذاء الصديق سعد اليهودى نظيف دائما لامع دائما . أما حذاء الصديق يوسف المسيحى فهو ليس كذلك .. وأحيانا كانت جوارب الصديق سعد نظيفة وجديدة ، كما أنه كان يخرج مناديل بيضاء جدا من جيبه ويمسح بها فمه أو جبهته .. أما الصديق يوسف فكانت ملابسه نظيفة ولكنها ليست أنيقة . وكان لا يستخدم المنديل كثيرا .. وإن كان يخرج المشط من جيبه ليسوى شعره الأسود الناعم الطويل . وإذا مشينا كان هو أكثر اهتماما بالفتيات .. وكن يضحكن له .. أما الصديق اليهودى فكان يشبه تمثالا إغريقيا رأيت في كتاب للأستاذ درينى خشبة عن «أساطير الحب والجمال» ، وهو من الكتب التى هزت خيالى كله .. لا أعرف صاحب التمثال . ولكن لا بد أن هناك تشابها ، فهو يهودى يونانى .. وكان لا يعبأ بما يحدث في الشارع . وكنت مثله أيضا . هل كنا أصدقاء ؟ لا أعرف . إنما كنا نتجاوز في السير .. نمشى معا . وكانت المسافة بين ظروفنا ونفوسنا أبعد بكثير جدا مما نتصور .. أو كان هذا شعورى .. لقد أذهلنى أن وجدت أحدهما يخرج من جيبه رزمة من الفلوس . ولم يقل إن أحدا قد أودعها معه . أو حتى يفسر لنا ذلك . كأن وجودها معه شيء طبعى . وعندما سافر إلى الإسكندرية بضع مرات ، لم يشأ أن يذكر لنا أسباب سفره .. ولا عندا زارته أخته القادمة من لندن .. كيف هى ولا كيف كانت ولا لماذا ذهبت ..

حتى في هذه الجمعية لم نكن معا ، إنما كنا متجاورين في المكان .. نمشى معا ونسكن في شارع اسمه شارع كوهين .. وفي مرحلة واحدة هى الثانوية .. وكنا متجاورين في الزمان .. فقد ولدنا بالصدفة في يوم ١٨ أغسطس من سنة واحدة

فى مدينة واحدة .. ولكن إذا افترقنا كل يوم ، فليعود كل واحد منا إلى دنياه ..

ولما مرض صديقى سعد ذهبت إلى بيته . وسألت . وفتحت الباب والدته . وأدخلونى غرفته . كانت دافئة .. نظرت إلى الجدران فلم أجد أثرا للرطوبة مع أنه كان فى الطابق الأرضى .. ووجدت سريره ملاصقا للحائط . ووجدت المصباح الكهربى فى السقف . ورأيت لأول مرة فى حياتى مصباحا كهربيا على المكتب . وجاءت أمه وأخته وأخوه . وجلسوا . هل كانت أمه بيضاء سوداء العينين ؟ هل كانت أخته كذلك ؟ هل سمعت كلمة «حب» ذهابا وإيابا بينه وبين والدته .. أى انه يحبنى ويرانى أعز الأصدقاء ؟ هل قالت أمه : إن الذى يحب ابنى ، يحبنى أيضا . أو أن الذى يحبنى هو الذى يحب ابنى ؟ هل سألتنى : ولماذا لا أقيم معه بعض الوقت .. فغرفته كبيرة .. والبيت به ثلاثة غرف نوم ، وهم سوف يسافرون إلى القدس ؟ هل قلت شيئا ؟ هل وافقت ؟ . هل أسعدنى هذا العرض دون أن أوافق عليه ؟ هل هذه هى أول أسرة أجدنى مدفوعا إلى التردد عليها ؟ فقد كان من عادتنا أن نلتقى عند المكتبة الفاروقية فى شارع النيل .. فوجدت أننى أذهب قبل الموعد المحدد لكى أجد نفسى فى بيته مع أمه وأخته وأخيه .. ووالدته أحيانا . ربما ..

أما صديقى يوسف فكان هو الذى دعانى إلى بيته لتناول الغداء . وكانت المناسبة عيد ميلاده . أول مرة أشاهد فيها مثل هذا الاحتفال . وكان الحاضرون كثيرين . وقدمنى لهم على أننى الأول فى شهادة الثقافة العامة . ورأيت شمعة مشتعلة . ثم أطفالها جميعا . وأكلوا وشربوا . وانصرفت .. وقبل أن أنزل قالت لى والدته : تعال مرة أخرى يا حبيبى .. إن يوسف يحبك جدًا .

ودعانى صديقى يوسف فى عيد ميلاد والدته .. ووجدتنى أعود مرة أخرى .. وأجلستنى إلى جوارها .. وأطفئت الشموع . وأكلنا وشربنا .. وعند الباب استحلقتنى أن أجيء إليها .. ويسعدها أكثر لو جئت مع والدتى لكى تعرفها .. لأن يوسف يمتدحها كثيرا ..

وفكرنا فى أن نذهب إلى القاهرة يوما ونعود فى اليوم التالى . ولم أكن قد

رأيت القاهرة ، ولم تكن هذه فكرتى . أما السبب فهو أن نزور الأزهر الشريف ونرى الأهرام . وواقفت ولكن لا أعرف كيف . وانحلت مشكلتى بأن صديقا لواحد منها سوف يسافر بسيارته إلى القاهرة ويعود فى اليوم التالى .. وأسعدنى ذلك ..

ولكن عندما عدت إلى البيت وجدت أمى مريضة أكثر : ممددة على الفراش شاحبة تسعل دما ونظراتها هى العجز عن النظرات . وليس من الضروري أن تقول شيئا . فكل شيء واضح لمن يريد أن يعرف . وليس أبعد من كل شيء فى دنيانا : الطبيب بعيد .. والدفع بعيد .. والأب بعيد .. والشارع بعيد .. ومفتاح الفرج بعيد .. والصحة أبعد .. والسماء أبعد من كل شيء .. بل ليست لنا سماء .. أشارت إلى أن أجلس : فجلست . أشارت أن أقرب منها تهمس فى أذنى . وخرجت أبحث عن طبيب من أقاربنا . وفى الطريق إليه وجدت ابنته .. هى الأخرى تلميذة . ولكنها ليست مثلى فى أشياء كثيرة . وبسرعة نادى والدها . واتجهنا إلى البيت . وسألنى فى الطريق : ما تزال كما هى ؟ قلت : نعم ، وقال : وما يزال والدك مسافرا ؟ قلت : نعم .. قال : ألا توجد وسيلة لتغيير هذا السكن وأن تكون لكم خادمة ؟ ولم أجد ما أقوله . ثم سألتنى : وأنت يا ابنى لماذا لا تبحث لك عن عمل ما دامت الظروف لا تسمح ؟ تعال واشتغل عندنا فى العبادة ..

ولا أظن أننى رددت . وفى البيت أعاد هذا الذى قاله فى الطريق . ولكن ابنته التى لم أشعر بأنها جاءت معه اعترضت على ذلك ، وقالت : إنه أحسن تلميذ فى المدرسة . وسوف يكون له مستقبل ..

وقال أبوها ، ولم أفهم معنى ذلك : أنت وضعت عينك عليه ! ..

ولم أشاركها فى الضحك . ولكن عيني على يد الطبيب تقلب فى المريضة التى عجزت حتى عن كلمة الشكر .. وجلست إلى جوارها .. وأشارت أمى إلى أن أرافق الطبيب حتى الباب الخارجى . وعدت إليها لأقول إنه خرج . فأشارت أن أذهب إليه وأشكره .. وظللت أجرى يمينا وشمالا حتى وجدت

الطبيب . وشكرته . وقالت ابنته : ألا ترى يا بابا كيف إنه إنسان حساس ؟! ..

أما بيتنا فصاحبه مدرس اللغة الإنجليزية في المدرسة ، وأحمد الله أننى لم أكن من تلامذته . فأنا أتفادى أن أراه ، فنحن لا ندفع الإيجار بانتظام . ثم إنه يضرب زوجته . وقيل إنها فلسطينية . ثم عرفت من صديقى سعد أنها يهودية . طويل عريضة بيضاء طويلة الشعر سوداء العينين . وابنها كذلك . وهى لم تنجب أولاد من زوجها صاحب البيت . وكانت لها طريقة في الكلام أجنبية . وهى عالية الصوت دائما . حتى عندما كان يضربها بالعصا ، كانت تصرخ . وكان السكان يقفلون الراديو لئلا يسمعوها ماذا يقول الرجل وزوجته . وما هو السبب . وكنت لا أحب الرجل لهذه القسوة . ولا أحب خجله منه وعجزنا عن سداد الإيجار ..

وفي إحدى المرات ذهبت أدفع الإيجار ، بعد أن تأكدت من أن صاحب البيت قد خرج . فوجدت زوجته . وأعطيته المبلغ .. ثمانين قرشا . دون أن أنطق بكلمة . ولكنها أصرت على أن أشتري به أدوية لأمى . وقالت إنها سوف تزورها بعد لحظات ..

وفي نفس اليوم الذى لا أنساه لحظة لحظة ، ذهبت إلا الأجزاء الخفيفة ، ولم أكد اقترب منها حتى وجدت صاحب البيت . فأعطيته ما معى من فلوس . فنظر إليها بسرعة ووضعها في جيبه . أما الذى حدث بعد ذلك فلا أعرفه تماما .. كم مضى من الوقت ؟ .. ساعة ساعتين وأنا جالس على الأرض أمام الأجزاء الخفيفة . هل نمت ؟ كيف جاء أبى في هذه اللحظة ليشتري الدواء وأعود معه إلى البيت ؟ إنها الصدفة السعيدة ..

لم يسألنى إن كنت قد نجحت وجاء ترتيبى الأول ، ولكن أنا الذى قلت له : فوضع يده على رأسى ودعا لى بالنجاح .. ولم يسألنى إن كنت قد سددت الإيجار .. ولم أجزؤ أن أسأله كم يوما سوف يبقى معنا هذه المرة قبل أن يعود إلى عمله ؟ .. ولم أكن أعرف في ذلك الوقت أين يعمل . لقد غير مكان عمله كثيرا .. إنه أكثر إشراقا وأصح جسد . وأكثر امتلاء من أمى .. إنه يكبرها بثلاثين عاما . ولكنها تبدو كما لو كانت والدته .. لماذا لا يأخذها معه ويتركنا وحدنا ؟ لقد



جربنا هذه الحياة بضع سنوات قبل ذلك .. وكنا نسكن وحدنا أنا وإخواتي ، ثم نعود إلى أبى وأمى مرة كل أسبوع .. فى ذلك الوقت انسدت منافذ الحس عندى كلها . لم أعد أرى . لم أعد أسمع . ولم أعد قادرا على فهم شيء فى ذلك الوقت أحسست أننى «مأخوذ» . هناك قوة خفية أخذتنى . غيبتنى . فأنا الحاضر الغائب . أنا الشبح الذى يروح ويحيى . ولم أجد ما أقوله عندما سألنى صديقائى سعد ويوسف : أما تزال والدتك مريضة ؟ لماذا لا تأخذها وتسافر بها إلى أسوان ؟! ..

وأيقنت أكثر أن المسافة بينى وبين هذين الصديقين أبعد مما تصورت .. والمسافات كلها بعيدة .. والدنيا كلها أصبحت صغيرة .. وهى لذلك حقيرة .. ولا معنى لشيء .. ولا حكمة لهذا الذى أراه ولا أفهمه .. وهذا الذى أفهمه ولا أرضاه .. ولا حتى هذا الذى أرضاه ، فإننى لم أختره .. بل ليس هناك اختيار لأى شيء .. من الذى اختار أباه وأمه .. وظروفه ؟ من الذى اختار الصمت الرطيب .. والرطوبة الصامتة ؟ ومن الذى اختار «الآهة» لحنا مميزا لحياتنا ؟ من الذى اختار لون الدم نزيفا ، والضعف زائرا ، والرطوبة ، وصاحب البيت مدرسا ، وسداد الإيجار عارا شهريا ؟ .. ومن الذى اختار أن أكون أكثر الإخوة اجتهدا ، أو أول الطلبة فى المنصورة وفى مصر ؟ ومن الذى اختار أن تكون نهاية العام الدراسى هى نهاية القراءة والكتابة ؟ فعند نهاية كل عام يجئ من يطلب إلى أن أبحث لى عن عمل .. ولا بد أنه ينظر إلى أشياء كثيرة فى بيتنا ليجد أن هذا هو الحل .. أى الحل هو ألا أكون كما أريد .. أو أتمنى أن أكون .. وإن لم يكن واضحا عندى فى ذلك الوقت ، ماذا تعنى إرادة شيء .. فالإرادة كلمة غريبة .. فلم أرد شيئا . ولا اخترت شيئا . إنما كل شيء موجود على أسوأ صورة . وهو كالجدران جامد فى مكانه . هل نحن سجناء ؟ نعم . فى سن فى داخل سجن فى داخل لغز لا أعرف له حلا .. وإن كان الجميع يطالبوننى بالحل لكى نخرج جميعا من هذه السجون .. أنا من الرطوبة وأمى من المرض .. أو لكى أخرج أنا من سجن الشك .. أو لم يكن ذلك شكا فهو سجن الشعور بأنه لا معنى لشيء .. ولا هدف وراء شيء .. ولا حكمة فى أن يكون أحد فى الدور الأرضى مريضا

ويكون أحد في الدور الأعلى يصرخ من الضرب بالعصا ..

في ذلك اليوم الذى لا أنساه ذهبت إلى أمى ورحت أقبل يديها ، وأدعو لها بالشفاء .. ورحت أغسل الأكواب وأضعها إلى جوارها .. وذهب إلى إحدى خالاتى وطلبت إليها أن تذهب إلى أمى .. وتقول لها : إننى ذهبت أبحث عن عمل . وإذا تغيب أسبوعا أو شهرا فلا تحزن ..

واندهشت خالتى . ولكنها لم تستبعد أن يكون ذلك صحيحا . وعانقتنى وتمنت لى التوفيق . وكتبت خطابا إلى والدتى أقول لها : إننى عبء على الجميع ، وكما كانت حياتنا على هذه الأرض مصادفة .. فأنا بالصدفة ولدىك وأنت بالصدفة والدتى . وكان من الممكن ألا نكون معا ! ..

وأعتقد أننى استوحيت هذه العبارة من بحث قرأته فى مجلة «الرسالة» عن الفيلسوف الإنجليزى هيوم ...

وبسرة اتجهت إلى الصديقين سعد ويوسف . وقلت لهما : سوف أسافر إلى الإسكندرية وحدى . ورجوتها أن يزورا أمى كل يوم ..

وحملت ما تبقى لدى من كتب وذهبت إلى بائع آخر . وعندما أحسست بيده فى يدي عدت إلى البيت . وفى الطريق إلى البيت مررت بالفرن واشترت خبزا وجبنا وبعض أقراص الأسبرين . وتركتها على إحدى المناضد . وكانت أمى نائمة . وخرجت . واتجهت إلى كوبرى المنصورة لكى ألقى بنفسى فى النيل ..

لا أعرف كم من الوقت مضى حتى بلغت الكوبرى . ولا كم من الوقت مضى حتى انتظرت أن يخلو الكوبرى من المارة . حتى لا يرانى أحد فأشعر أمامه بالخجل أو حتى يعرفنى فينقذنى .. هل كان الكوبرى خاليا حقا ؟ ولكن صوتا مألوفاً ويذا امتدت إلى ذراعى ، ووجها بدأت أعرف ملامحه بوضوح .. كأننى أصحو درجة درجة ، أو كأن الوجه يقترب خطوة خطوة : ماذا تعمل هنا يا حبيبى .. وكيف حالها الآن ؟ ..

إنها السيدة التى تعطى لوالدتى الحقن . وكانت فى الطريق إليها . وكذبت عليها كثيرا فى عدد الزوار والأدوية وفى تحسن صحتها .. وأننى كنت فى الطريق

إلى طبيب آخر .. ووجدتني في البيت أمام والدتي التي تدعولي لأنني أحضرت كل هذه الكمية من الخبز والجبن والأسبرين ..

وأمامها أدركت جريمتي : إنني قررت أن ألقى همومي في النيل ، ونفسي معها .. وكل خطيئة هذه السيدة والدتي أن لها ابنا لا تفهمه .. وليس من الضروري أن تفهمه ، فهي لم تتعلم كما تعلمت .. ولا دار رأسها وراح مع المذاهب والأسماء والمشاكل .. صحيح أنني ابنها ، ولكنها ليست أمي الفلسفية أو الأدبية أو النفسية .. إنني لا ألومها ، ولا هي قادرة على لومي .. وإذا كانت هي «العجز» نفسه ، فإنني «الشك» نفسه .. ولا أنا ضروري لها ولا هي .. ولا نحن جميعا .. ولا حكمة عندها ولا حكمة عندي .. ولا عند احد .. ولما عدت إلى الحياة .. كأنني عدت إلى محطة قطار : الناس كثيرون .. والوجوه مختلفة والاتجاهات متباينة .. ولا أحد ينظر لأحد أو ينتظر أحدا .. والقطارات لها دوى وصفير .. ولو سقط أحد أو توقف قطار فلن يحدث في الدنيا ما يعطلها عن الدوران ..

لما جلست إلى جوار أمي قالت : الحمد لله أنك لم تكن هنا منذ ساعة ..

لماذا ؟ لقد جاء أحد أقاربها واقترح عليها أن يجد لي عملا . فطرده من البيت . لأنها تريد أن أكمل تعليمي . ولو أدى ذلك إلى أن تتسول رغيفي وملحي ! ..

أى في نفس اللحظة التي اتخذت فيها قرارا ، كانت هي أيضا قد اتخذت قرارا ..

ثم كانت هذه السيدة التي تعطيها الحقن قد تحركت من بيتها لتعيديني إلى البيت ..

وأنقذتني أمي من الموت .. وأنقذني الأستاذ العقاد من التفكير في الموت مرة أخرى . فقد هداني إلى أعماق أعماقي .. رغم أنه هو قد فكر في الموت . ففي ذلك اليوم صدر عدد جديد من مجلة «الرسالة» يقول فيه الأستاذ في حديث له مع عباس عبد البهاء ، زعيم الطائفة البهائية : إنه حيث يكون الماء يكون الشجر

.. ولكن الأستاذ قال له : بل حيث يكون الشجر يجب أن يكون الماء ..

والفرق بين الرأيين : أن عباس عبد البهاء ، يرى أن ما دام هناك ماء ، فمن الطبيعي أن تكون حياة : أشجار وحيوان وإنسان ..

ولكن الأستاذ يرى أنه ما دام الله قد قدر أن يكون إنسان وحيوان وشجر ، فلا بد أن يأتي لها بالماء .. فالحياة إرادة كونية ، والماء ضرورة حيوية ..

وقال الأستاذ : وحيث تكون موهبة ، فلا بد أن تكون لها حكمة من صنعها . فالله لم يخلق موهبة عبثا ، ولا بطلا مصادفة ..

ولم أفهم ذلك . ولكنى بدأت أتساءل أنا أيضا ..

فهل كل هؤلاء الأحياء لهم رسالة ؟ .. هل هم جميعا من المواهب ؟ .. هل لو كنت مت ثم عاشت أمى ، فما هى رسالتها بالضبط ؟ .. ما رسالة «أبو أحمدين» البواب وقد كان فى التسعين من عمره ، ولو أولاد كثيرون يعيشون بعيدين عنه ؟ .. هل أقول إن أمى قد أنقذتني هذه المرة ؟ .

لا أقول ذلك ، إنما هى أجلت هذا القرار ، فلم تنته صعوباتى النفسية . وكلها صعوبات فوق كتفى .. فى رأسى .. فلا الطعام ولا الشراب ولا السكن ولا الحذاء هى مشكلتى ..

وإن كنت لا أعرف بالضبط ما هى المشكلة .. إننى مثل إنسان ألقى فى الماء ، وهو لا يعرف السباحة .. أو إنسان ألقوه من الطائرة بلا مظلة .. أو كانت عنده مظلة ثم نزل أرضا لا يعرفها ..

بلا خريطة فى يده .. أو كانت فى يده خريطة أكبر من أن يستوعبها فقد كانت حروفها غير واضحة . يقول ابن عربى الفيلسوف الصوفى الأندلسى : لقد خضت بحرا وقف الأنبياء على شاطئه فهل أنا كذلك ؟ .. لا أظن ، ولكن المعنى أعجبني لأن بى شيئا من ذلك . فلا أرى الراحة التى يراها زملائى . ولا الهدوء الذين يعيشونه ، ولا الأمل الذى زاد على حاجتهم فراحوا ينشرونه فى كل مناسبة ..

ولم أعرف من الأستاذ العقاد أنه انتحر أو حاول ، إلا مرة واحدة ، وفي يوم سألته : يا أستاذ .. هل الذى ينتحر كافر ؟ ..

فأجاب ضاحكا : ماذا نسمى رجلا شرب أربعين كأسا من الخمر ثم جاء فى الكأس الحادية والأربعين وقال قبل أن يشربها : بسم الله الرحمن الرحيم ؟ ! .

ولم أفهم ، ولا بد أن عدم الفهم قد بدا واضحا على وجهى ، فعاد الأستاذ يقول : إن هذا قرار يبلغ فى الإنسان حالة الوعي واللاوعي معا .. إنه بمحض إرادته قرر أن يفقد الإرادة . إنه بمتهى العقل اتخذ قرار مجنونا .. إنه قرار لا يحسب حسابا لأى شيء آخر .. لا الدين ولا الفلسفة .. ولا أى أحد .. ربما اختار بعض المنتحرين أن تكون نهايتهم نوعا من الاحتجاج على السماء وعلى الأرض .. أو نوعا من التحدى لأى شيء ..

ثم روى الأستاذ كأنه يقرأ مذكراتى : يومها يا مولانا .. لم أجد شيئا يتفق مع عقلى .. وليس لى إلا عقلى .. لم أجد منطقاً لأى شيء .. وجدت كل الناس مجانين ، وأنا العاقل وحدى .. وجدت كل شيء قد اختلت موازينه .. بل انعدمت موازينه .. وأنا وحدى الذى أمسك ميزانا ، ما فائدته ؟ .. ما فائدتى ؟ .. إذن فليس مرغوبا ولا مطلوباً أن أعيش . أو حتى أن أكون فقررت ألا أكون .. فإذا كان وجودى ليس باختيارى ، فليكن موتى باختيارى ..

وضحك العقاد ليشجعنى على أن أقول : إن هناك أساليب أجهل فى الانتحار .. كأن ينتحر الإنسان فى حوض فتاة جميلة .. كأن يشرب الشمبانيا كمل فعل الخديو إسماعيل فوضع فى فمه ثلاث زجاجات معافيات .. كأن تنتحر على طريقة الرومانسيين .. تجبى محبوبتك وتقبلك ثم تخرج كيسا من السم من فمها إلى فمك .. فتترك تموت وتفرج عليك ، وتدعك تموت وحدك لتبكى عليك يوما وتزوج هى فى اليوم التالى .. كأن تفعل مثل بعض الهنود .. يمشى عاريا فى أحد حقول القصب ويظل يطلق مزمارا باكيا ، فتخرج إحدى الأفاعى الضخمة ويجرى أمامها ، فإذا هى تسبقه وتلتف حوله وحول شجرة ضخمة فتعصره حتى الموت .. أو تفعل كذلك الفيلسوف الشهير الذى ألقى بنفسه فى بركان إتنا

. ونسى أن يخلع حذاءه .. فلم يسقط من فوهة البركان حتى أطار الهواء الساخن حذاءه .. فعرف الناس أنه مات .. لم تدل عليه فلسفته وعظمته وإنما دلت عليه جزمته .. وبسرعة قال الأستاذ : هذه يا مولانا مناسبة جدا لكل أساتذة الفلسفة الجهلاء - هذا إذا كانت عندهم أحذية ! ..

أهانني الأستاذ دون أن يدري .. ولكن الأستاذ قد فكر هو أيضا في الموت .. ولا بد أنه قد سخر من هذه الفكرة . ولم يعد إليها مرة أخرى .. لعله اكتشف أن للحياة معنى ، وأن له هو أيضا معنى .. أو لعله أحس أن الحياة كالموت لا اختيار لنا فيه .. أو لعله عندما أحس بعظمته قرر أن يستمتع بها وأن يسجلها ، حتى لا يتعذب وهو حي ، لمجرد أن يتصور أن أحدا سوف يمسح به الأرض ، ويحرقه في كل نار ، ويدوسه في كل طريق .. إذن لقد قرر الأستاذ أن يعيش حياته ، وأن يسجل ما بعده حياته .. وأن يستمتع بها يراه ، وبما سوف يراه الناس بعد موته ..

وسوف أعود أنا إلى ذلك عندما أتحدث عن : الوجودية لماذا ؟ .

وكنت أستر على محاولة الانتحار هذه ، لأننى رأيت الناس يصفون من يفعل ذلك بأنه مجنون . ، أو بأنها من مظاهر الجنون . وأن الناس لا يفكرون عادة في أسبابها ، فليس عند الناس وقت لذلك ، فماذا يحدث عندما يجد الناس أن سيارة قد داست واحدا من الناس ؟ .. إنهم يلتفون حوله . ويتقدم واحد يغطى وجه الضحية بصحيفة ، وبعد دقائق يمشى كل واحد في طريق .. تماما كطوبه ألقيت في الماء ، أحدثت اهتزازا في السطح ، وسكن الماء واستقرت الطوبه في القاع .. وفي يوم فوجئت بأن الأستاذ يقول لواحد جالس إلى جوارى :

ماذا بك يا مولانا ؟ .

قال والله تعبت يا أستاذ ! ..

سأله : بمن ؟ ..

— زوجتى يا أستاذ ..

- طلقها يا أخى ..

- وأولادى ؟ ..

- أترك لها الأولاد .. وأعطها راتباً شهرياً . وإذا كان أولادهم يهمونك إلى هذه الدرجة فمن الواجب أن تعيش وأن تعمل لتجعلهم أحسن حالاً منك !!  
فقال : تعبت والله يا أستاذ ..

قال : أعرف . ولكن إذا انتحرت فما هى القضية التى حللتها ؟ .. أحررت زوجتك وعذبت أولادك بفقدك ، وعذبته مرة أخرى بالرجل الذى سترتبط به زوجتك ..

ثم ضحك الأستاذ قائلاً : يا مولانا عندي حل أفضل .. اقتل زوجتك .. واتهمنى بأثنى السبب . وسوف يسألونى وأقول إننى شاركت بالرأى . ولن يعاقبنى أحد ، ولكن سوف يخففون عنك الحكم لأن الجريمة اشترك فيها أكثر من واحد .. ولن يحاكمنى أحد كما حاكموا الفيلسوف سقراط الذى اتهموا بإفساد الشباب ، فقرر هو أن ينتحر بالسم حتى لا يقتله أحد .. أراد أن يموت بيده ليكون مثلاً رفيعاً لتلاميذه ! .

إذن فالأستاذ أصبح يسخر من هذه الفكرة . أى أنه يسخر من أنه فكر يوماً ما فى أن ينتحر .. ولذلك كثرت العقاقير فى بيته ، إذن فهو يريد الحياة . وتضاعفت مؤلفاته . فالمؤلفات هى الحياة بعد الحياة ، ثم إنه يضحك أكثر . لقد أضاف لديناه لونا ورديا .

هل أقول إنه شجع الجالس إلى جوراى على الحياة ؟ هل أقول إنه أراحه ؟ .. لا أراحه ولا أراحنى ؛ فقد أصاب الأستاذ عصفورين بحجر واحد . أصابنا معا . ولكنه لا يعرف شيئاً مما أعرف ، ولا يعانى مما أعانى .. غير أن الحق معه فى أن أحداً لا يفكر إن كان قتل النفس حلالاً أو حراماً .. إن قتل الغير حراماً ، ولكن قتل الإنسان لنفسه لا هو حرام ولا هو حلال .. إن كل إنسان قد أقام فى داخل نفسه محكمة ، هو القضاة والشهود ووكيل النيابة والمحامى ، ثم إنه هو وحده الذى يقول : محكمة .. حكمت المحكمة حضورياً بالإعدام شنقاً أو حرقاً أو غرقاً ..

وفي لحظة واحدة تختفى المحكمة والمتهم والشهود والدنيا معه .. دنياه هو !  
كانت طويلة جدا تلك الساعات والأستاذ يحدثنا عن أنفسنا .. جارى وأنا .. ولم يكن مألوفاً أن يذكر أحد اسم شوقي أمير الشعراء .. فالأستاذ لا يطيقه .. ويسخر منه ويصف شعره بأنه مثل السبحة .. كل بيت له وجود مستقل . ولذلك يمكن أن يوضع البيت الأخير مكان البيت الأول .. ولكن القصيدة كما يراها الأستاذ مثل الكائن الحى .. العين فى مكانى والأذن والأصابع والقلب .. إن القصيدة كائن حى .. وترباط الأبيات ترباط عضوى .. وليس كذلك شوقي والمتنبى وأبو تمام وشاعرى المفضل محمود حسن إسماعيل الذى كان يكرهه العقاد بصفة خاصة .. وكنت أجد فى حبنى لمحمود حسن إسماعيل تمرداً على الأستاذ وخيانة يومية له !

ثم تشجع واحد فأنشد أبياتا من قصيدة نظمها شوقي عن الطلبة الذين يتتخرون بسبب صعوبة الامتحانات - ولست واحداً من هؤلاء ، وربما كانت مشكلتى أننى أنجح بتفوق دائماً . ولكنى ألقى ما يلقاه الراسبون الفاشلون : الكثير من الإهمال واللامبالاة .. ولست ألوم أحداً . فلا طاقة لمن حولى بهذه المعانى ..

وقف جارى ولكن الأستاذ طلب إليه أن يجلس ، وإذا شاء أن يقف فليضع شوقي وقصيدته تحت قدميه ! ..

ولكنه مضى يقول :

|                        |                             |
|------------------------|-----------------------------|
| ناشئ الورد من أيامه    | حسبه الله ، أبا الورد عثر ؟ |
| سد السهم إلى صدر الصبا | ورماه فى حواشيه الغرر       |
| كل يوم خبر عن حدث      | سئم العيش ، ومن يسأم يذر    |
| لامه الناس وما أظلمهم  | وقليل من تغاطى أو عذر       |
| قال ناس : صرعة من قدر  | وقديا ظلم الناس القدر       |
| ويقول الطب : بل من جنة | ورأيت العقل فى الناس ندر    |



ويقولون : جفاء راعه  
ليس يدري أحد منكم بما  
رب طفل برح البؤس به  
وصبى أوزت الدنيا به  
ورفيع لم يسوده أب  
فيم تجنون على آبائكم  
وتعقون بلادا لم تزل  
قاتل النفس - ولو كانت له -  
من أب أغلظ قلبا من حجر  
كان يعطى ، لو تأتى وانتظر  
مطر الخير فنيا ومطر  
شب بين العز فيها والخطر  
من أبو الشمس ؟ ومن جد القمر ؟  
ألم الثكل شديدا في الكبر  
بين إشفاق عليكم وحذر ؟  
أسخط الله ، ولم يرض البشر !

وكان الأستاذ لم يوجعنا بما فيه الكافية فقال : يا مولانا إذا أردت أن تجد سبباً  
أحسن للموت وجدنا لك .. كل شيء موجود هنا يا مولانا .

ثم ضحك عالياً ليقول : هناك عاشر أندلسي «هايف» قال مرة :  
الحمد لله بلغنا المنى لأحد في الخمر ولا في الغنا  
قد حلل القاضي لنا ذا وإذا وإن شكرناه أحل الزنا !

وانتهت الجلسة هذه المرة ، وكأنها محكمة بلا قضاة ولا شهود ولا محامين  
ولا متهمين ، إنها كان الأستاذ كل هؤلاء ، وكانت ضحكته العالية مثل البرق  
والرعد معا .. تسوق سحبا قائمة فتمطر دموعا في قلوبنا .. ونزلت السلم  
الصغير .. ويدى على قلبى يكاد يسقط منى .. وعلى غير العادة لم أمش عائدا إلى  
البيت في إمبابة .. أتذكر كل ما دار في هذه الجلسة .. إنها اتجهت إلى المترو يحملنى  
إلى حيث أجد شجرة في حديقة الأسماك أنام تحتها .. ونمت لأجد النمل ، ككل  
مرة ، يسعى حيا نشطاً على ملابسى .. ومن حولى الأطفال الصغار يلعبون  
ويضحكون . إنهم آمال حية ، إنهم مفردات الحياة الجميلة ، إنهم التحدى  
الأبدى للموت .. وغدا يكبرون كما كبرنا .. ثم لا يعرفون ، ولكنهم سوف  
يستمررون .. أو تستمر بهم الحياة ..

وفي ذلك اليوم أيضا سمعت من أحد أقرابى : والله يا ابنى أنت موهبة ..

أنت بطل ! .. كل ذلك حدث وتزاحم واحتشد في يوم واحد .

إذن فلا بد أن شيئاً آخر غير الموت في قاع النيل ينتظر هذا الذى يسمونه موهبة .. ولم أكن أعرف ذلك ..

وكان لا دب أن أنقذ نفسى من نفسى . ولا أدعى أننى استطعت ذلك ، ولكن كتباً أخرى تداولتنى .. فتنقلت معها وبها إلى حالات أخرى .. هذه الكتب ضبطت عدسة عينى على الخارج .. على خارجى .. بعيداً عن مخاوفي وهمومى ..

### إنها أصداء الطفولة !

كنت أرى في الريق من يمस्क ورقة ويشرب وراءها كوباً من الماء أو الشاي .. أما الورقة فقد كتبت عليها آية من القرآن الكريم . أو حدى ث نبوى شريف . ويقال إنها دواء يشفى من ألف داء – والله أعلم – وكان الناس يجدون فيها الشفاء . فهل الورق دواء ؟ .. هل القرآن دواء ، أو هو الإيـان الذى هو دواء ؟ ..

لقد كان الإمبراطور الحبشى منليك الثانى إذا أحس بالآم في بطنه ، فإنه يفتح الكتاب المقدس ويبتلع صفحات وأحياناً أسفاراً كاملة .. وقد ابتلع سفر «أيوب» أكثر من أربعين مرة . ويقال إن ابتلاع أوراق الكتاب المقدس هو الدواء الحقيقى لكل آلامه ..

ولا بد أننى أيضاً أنتسب إلى هذه الفصيلة من الناس الذين يتلعون الورق من كل لون وكل حجم . كنت ولا أزال . فقد أصبح واضحاً الآن لى ، ولغيرى ، أن دنياى ورق فى ورق . حدودها عند المكتبات .. وحراسها باعة الصحف .. وأعداؤها باعة الحمص والسودانى ، فقد رأيت كتباً كثيرة – ومن بينها كتبى – يلفون فيها بضائعهم ..

وعندما كانت توجعنى عيناى من القراءة .. أو من ضعف النور .. أو ضعف نور عينى ، كنت أتمنى لو أن الإنسان اخترع شيئاً جديداً غير الورق .. واخترع الإنسان الأستطوانات ، وبعد ذلك الكاستات ، فهى كتب مسموعة ..

ثم الأفلام .. فعندى المقدرة على أن أعرف شكل الكتب وأحجامها وألوانها ..  
ونوع الخط ونوع الورق .. وقد تدربت عيناى على ذلك تدريبا طويلا .. فعندما  
أنظر إلى الكتب وقد تكدست بعيدا عن عيني .. فإننى أقول لنفسى قبل أن أبدأ  
فى البحث عن كتاب : إن كتاب «فلسفة الجمال» للفيلسوف هيجل هو من أربعة  
أجزاء .. ورقها أصفر ، والعناوين بالأزرق ، ومجلد بورق شفاف .. وكتاب  
الفلسفة الغربية» لبرتراند رسل . مجلد واحد ، لونه بنى ، والعنوان أصفر ..  
وكتاب «الشیطان» للشاعر الإيطالى بايینی ، له غلاف أسود ، والعنوان أحمر ،  
ورواية «الإخوة كرامازوف» من مجلدين .. الغلاف أزرق ، والعنوان على  
مساحة بيضاء . وقد تمزق الغلاف فألصقته بصمغ أسود رديء .. وهكذا .. ولا  
تزال عندى هذه القدرة أو هذه العادة أو هذه الفراسة ..

obeikandi.com

## الفهرس

| الموضوع                                                            | الصفحة |
|--------------------------------------------------------------------|--------|
| ١ - الإهداء .                                                      | ٣      |
| ٢ - مقدمة الكتاب للمؤلف .                                          | ٥      |
| ٣ - الأميرة الكسندرة .. ليست صاحبة أول مجلة نسائية أو ندوة أدبية . | ١١     |
| ٤ - الصالونات الأدبية في مصر .                                     | ٢٥     |
| ٥ - صالون ناظلى هانم .                                             | ٣١     |
| ٦ - طاهر الطناحى الصحفى الدمياطى النابغة .                         | ٤٢     |
| ٧ - الأسرة التيمورية .. تاريخ من النبوغ يمتد فى عمق الزمان .       | ٥٦     |
| ٨ - زكى عبد القادر وصالونه الأدبى فى قلب القاهرة .                 | ٩٤     |
| ١٠ - صاحبة الجلالة فى صالون عبد الوهاب .                           | ١٠٦    |
| ١١ - صلاح طاهر .. رحلة فى الزمان والمكان                           | ١٣٥    |
| ١٢ - صالون أدبى وثقافى بالمنصورة سنويا ينعقد فى ذكرى أم كلثوم      | ١٥٩    |
| ١٣ - صالون د- وسيم السيسى المفكر والعالم أشهر صالون بالمعادى .     | ١٦٣    |
| ١٤ - صالون المستشار جمال عبد الحليم حسن (ندوة الأربعاء)            | ١٧٤    |
| ١٥ - صالون الخط العربى لصاحبه خضر البور سعيدي                      | ١٧٦    |

| الموضوع                                 | الصفحة |
|-----------------------------------------|--------|
| ١٦ - نظرات الشاعر محمد البدرى محمددين . | ١٨١    |
| ١٧ - ملف كامل لشعراء دمياط              | ٢٨٣    |
| ١٨ - الصالون الأدبى لمى زيادة .         | ٤٥٣    |
| ٢٠ - فى صالون العقاد كانت لنا أيام .    | ٥٠١    |
| ٢١ - الفهرس                             | ٥٥٣    |